
محمد إبراهيم عبد الله
آفاق الحياة
مقالات في النجاح
الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
منشورات
آفاق
للتنمية البشرية

الطبعة الثانية

٢٠٢٠

آفاق الحياة

محمد إبراهيم عبد اللّه






اسم الكتاب : آفاق الحياة

المؤلف : محمد إبراهيم عبد الله

حقوق الطبع والنشر

مسموح بها لكل انسان

copyright © 2020

منشورات



https://bit.ly/2AMnHF6

www.facebook.com/aafaqhd

aafaqhd1@gmail.com

07708277552

توضيح مهم :
يُسمح بنشر الكتاب والنقل والاقتباس منه
بشرط الاشارة للمصدر

التصميم والإخراج للمؤلف
اللوحات الفنية مأخوذة من شبكة الانترنت

الموصل
العراق

Mosul
Iraq









المحتويات















مرحباً بك

... خطوة نحو الآفاق...



مِنْ أجمل ما تراه عين الإنسان هو الأفق .. وقت الشروق أو وقت الغروب .. وأروع ما يكون المنظر عندما تكون واقفاً على ساحل بحر ، أو في سهل ممتد .. لا تعترض عيناك فيه بنايات أو مرتفعات.

عندها ينطلق بصرك نحو الأفق ، وتشعر بسعة الحياة وامتدادها .. وتشعر بأنها أكبر مما كنت تعتقد.

إنها أكبر من البنايات التي نسميها بيوتاً أو عمارات ، مهما كانت ضخمة وشاهقة.

إنها اكبر من كل ما نملك ، مهما كان ما نملكه كبيراً.

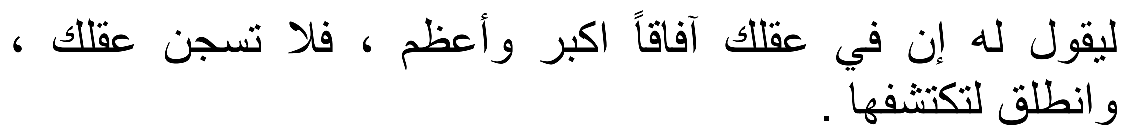
وأجمل من هذا وأعظم ، أنك كلما تقدمت نحو هذا الأفق محاولاً الوصول إليه تجد أنه يحافظ على مسافة واحدة ثابتة معك ، وكأنه لا يريدك أن تصل إليه .. وكأنه يقول لك :

" لتكن أحلامك وآمالك كبيرة وعظيمة وممتدة .. تنطلق بدون توقف .. وبلا حدود .. فطالما أن الآفاق أمامك ممتدة لا تنتهي .. فلتكن أحلامك وآمالك ممتدة لا تنتهي ".

إن العاجز في هذه الحياة من سجن نفسه وعقله في سجن (الواقع) .. وهو يظن أنه قد فهم الحياة لأنه يعيش فيها (بواقعية) .. لذا فهو يقضي حياته في حركة محدودة ، وتفكير محدود ، لا يستطيع أن يخرج منه .. وإلا اختنق .. كالسمكة التي تخرج من الماء.

ولا يدري هذا المسكين أن الله تعالى قد أعطاه أكثر مما يتصور .. من قدرة على التفكير ، وتنوع في الحلول وفي سبل الحياة .. وأن الله تعالى قد أعطاه عقلاً يستطيع به أن يطوي آفاق العوالم ، ويسيح فيها متجولاً مستكشفاً ، ليعود بكنوز الأفكار وجواهر الإبداع .. وأن الله تعالى قد مدَّ أمامه آفاق العالم المادي





ليقول له إن في عقلك آفاقاً اكبر وأعظم ، فلا تسجن عقلك ، وانطلق لتكتشفها .

وعندما تسمع قول الخالق عز وجل يخبرك بهيبة وعظمة :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

ستدرك سراً آخر من أسرار الخلق العظيم ، وهو أن الآفاق بسعتها وعظمتها مهما امتدت أمامك .. ففي نفسك أنت من الآيات والمعجزات ما هو مثلها وأكثر.

وبالتالي فأنت مطالب بان تُعمل فكرك في آفاق الحياة .. وفي آفاق نفسك .. ولا يمر عليك يوم إلا وقد اكتشفت فيهما جديداً من هذا وذاك.

والحقيقة أن العمر لا يتسع لأن تكتشف كل شيء ، مع ذلك لا تجعل هذه الحقيقة تثنيك أن تعقد العزم ، وتحيي في نفسك الجد بالبحث والاكتشاف.

وكلما اكتشفت شيئاً جديداً ، فسيبقى ما هو أكثر ينتظرك لكي تكتشفه .. كالأفق الذي كلما حاولت الاقتراب منه ابتعد عنك.

وكما أن عينك تستمتع بمنظر الأفق الممتد ، وصدرك يمتلئ بالهواء العليل الذي يأتيك من الفضاء المفتوح .. فان نفسك ستشعر بالسعادة الغامرة كلما اكتشفت شيئاً جديداً من آفاق النفس والحياة.

وما ستقرؤه في هذا الكتاب خطوات صغيرة للسياحة في آفاق النفس والحياة .. وأفكار في مهارات النجاح والناجحين .. بإمكانك أن تضيف إليها الكثير ، لتكون إنسانا ناجحاً وسعيداً في حياتك.

إن اكتشاف النفس البشرية وقدراتها العظيمة التي وهبها الباري عز وجل لك .. واكتشاف الحياة وسننها وآفاقها .. ستورثك الحكمة والسعادة .. وإذا امتلكتَ الحكمة والسعادة فكل ما سواها



سيكون في يدكَ .. وهذه عقيدة نعتقدها لا شكَّ فيها .. وان شئت فاقرأ قوله تعالى :

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾

وكل ما ستقرؤه في هذا الكتاب إنما هو مجرد خطوة واحدة أبدؤها معك نحو الآفاق.

محمد إبراهيم
الموصل ٢٠١٣



تقديم الطبعة الثانية

في الطبعة الأولى للكتاب كانت هناك مراعاة لتسلسل كتابة المقالات وصدورها.

وبعد أن أعدت النظر في كل المقالات لم أجد أن ترتيب المقالات حسب تاريخ كتابتها ضروري لذا لم ألتزم به ، وعليه فقد قدمت مقالات بدا لي أنها مهمة مثل مقالة "الفهم هو الحل" ، لأنها من المفاتيح المهمة لكل كتاباتي..

ومن يريد الرجوع للمقالات الأصلية بتواريخها فهي موجودة ومنشورة في مدونتي على النت.

أعدت قراءة المقالات وغيرت كلمات وعبارات وأضفت وحذفت لتوضيح أكثر وتعبير أجمل ، وهذا شأن الانسان لا يمكن أن يصل للكمال مهما حاول.

كما أضفت للكتاب المقالات التي كتبتها بعد الطبعة الأولى لذا ستجد الكتاب أصبح بحجمه أكثر من ضعف الطبعة الاولى.

وستجد مقالات تتكلم في بعض شئون السياسة والانتخابات في العراق ، وهذه النشاطات انما هي انعكاس للنفس البشرية التي تنفعل وتتفاعل مع محيطها ، ونحن نريد أن نفهمها قدر ما نستطيع ونحلل نشاطاتها ، لنستثمرها في الخير والتقدم وبناء الحضارة.

كل مقالة في هذا الكتاب تفتح باباً لأفق واسع يحفزك للتفكير والبحث والاستقصاء والسؤال.. وليست حلولاً جاهزة ولا أريد لها أن تكون كذلك.

أتمنى لك الفائدة والمتعة

محمد إبراهيم

الموصل ٢٠٢٠





١

الفهم هو الحل...







الفهمُ الذي أعنيه هو مقاربة الحقيقة في أي أمر من أمور الدنيا والآخرة.[1]

ولن تستطيع أن تُقارب الحقيقة إلا بتقليب وجهات النظر في القضية الواحدة ، ومعرفة الإيجاب والسلب فيها والعلم بآراء الموافقين والمخالفين بشأنها من الأصدقاء والأعداء .. والتدقيق بخفاياها واحتمالاتها.

فإذا أحطتَ بأي قضية بهذه الصورة من غير تحيز ولا تعصب ، ستصل بلا شك إلى الحقيقة أو تقترب منها على الأقل .. وسيكون قرارك صائباً ورأيك راجحاً على الأغلب.

فان أضفت لهذا كله صدق الدعاء واللجأ إلى الله تعالى كي يعينك على الفهم ، ولا يكلك إلى نفسك الضعيفة ، فإنك ولا شك ستنظر بنور الله .. وستنفتح أمامك الأبواب والمغاليق وسترزق الحكمة .. وستتخذ قراراتك وأنت مطمئن إلى حسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

لذلك لا تستعجل في الحكم على الأشياء وعلى الناس قبل أن تصل إلى الفهم ..

- لا تتخذ قرارات مستعجلة قبل أن تحقق الفهم ..
- لا تقدم على عمل أو تمتنع عن عمل قبل أن تحقق الفهم ..

وربما يأتيك خاطر مثبط وتقول في نفسك: إذا طبقتُ هذا في شؤون حياتي كلها فلن أفعل شيئا إلا بعد فوات الأوان ، وربما فاتتني الفرصة وأنا لا زلت أحاول أن افهم أكثر.

وأطمئنك عن تجربة ، أنك ستعاني من هذا لفترة قصيرة.

---

١ - عرف الجرجاني الفهم بأنه: تصور المعنى من لفظ المخاطبِ (التعريفات ص٩٦)



لكن نشاطك وجدّك وإصرارك على الوصول الى الفهم هو الذي سيختصر كثيراً من هذه الفترة ، ثم بعد ذلك ستفهم الأمور بدقة وسرعة أكثر من غيرك.

وسيأتيك خاطر آخر وتقول لنفسك: كيف أصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟

وأطمئنك مرة أخرى أنك لا تحتاج أكثر من الجدية والإصرار في البحث والاستقصاء ، والاستعانة بالله تعالى أن يبصرك وينور قلبك..

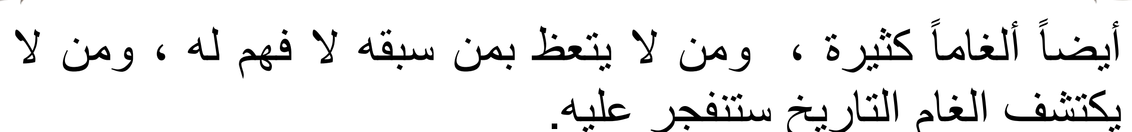
ومع ذلك سأذكر لك عوامل أخرى مهمة تعينك على الوصول الى الفهم ، وكلها تعتمد على الجدية والإصرار والاستعانة بالله كي تكون فعالة :

١- القراءة والاطلاع في كل جوانب الحياة لأن عقولنا فيها فراغات كثيرة يجب أن تُملأ كي يعمل العقل بصورة صحيحة .. فعقل بلا معلومات كسيارة بلا وقود .. إقرأ كل ما تستطيع قراءته في العلوم والاجتماع والسياسة والدين والفكر والتاريخ والاقتصاد والأدب وغيرها. وكل مجال تقرأ فيه سيملأ فراغاً مهماً في الصورة الكلية التي ترى فيها واقعك.

٢- الإكثار من القراءة ، وقد أفردت (الاكثار) بنقطة لأهميته ولا عذر لك بأن تتعلل بالوقت ، وكل من لا يقرأ في الأسبوع على الأقل كتابا (من غير المقالات والأخبار ومادة دراسته التخصصية) فلا أظنه سيصل لفهم صحيح لما يدور حوله في عالمنا هذا.

٣- الاطلاع والتركيز على تجارب الآخرين أياً كان هذا الآخر. وقراءة التاريخ الإسلامي وغيره قراءة نقدية كي تفهم ما بين السطور ، لا قراءة سطحية كما يفعل الكثيرون من الكسالى ليقتبسوا الشواهد ويفاخروا بالأجداد. فالتاريخ فيه عظة ولكن فيه





أيضاً ألغاماً كثيرة ، ومن لا يتعظ بمن سبقه لا فهم له ، ومن لا يكتشف الغام التاريخ ستنفجر عليه.

٤- اسمع آراء المخالفين لك وفكر فيها بجد واكتشف نسبة الصحة فيها لأن كلام المخالف ليس كله خطأ.. ولن يضرُّك أن تكون صحيحة. لأن مخالفك يكون قد أسدى لك معروفا بكشف نقطة ضعفك ، فلا تنزعج ، فهذا طريق دقيق للفهم وهو أسلوب رباني أمر الله تعالى به رسولَه ﷺ في خطابه للمشركين

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

فهل كان هناك أدنى شك أن رسول الله ﷺ على هدى؟

ولِمَ نحن - أجرمنا - وأنتم - تعملون - ؟

قمة في أدب الحوار والخطاب تأمل فيها كي تفهم .

٥- أبدِ رأيك بوضوح ولا تتلون .. فالمتلون لا يفهم نفسه فكيف سيفهم غيره .

٦- تحمل مسؤولية عملك واعترف بالخطأ إن أخطأت ولا تكابر .. فالمكابرة بعد اكتشاف الخطأ خبل في العقل .. وهو صناعة من لا فهم له.

٧- تواضع للعلم دائما ولحامله مهما كان .. ولا تتكبر عن التعلم فمن ظن أنه قد علم فقد جهل ، وانسب القول لقائله فإنه من بركة العلم كما قرر سلفنا الصالح.

وستكون عبارة "الفهم هو الحل" شعاراً لنا في كل المقالات المقبلة نذيلها بها تأكيدا لأهميتها.[٢]

---

٢ - كل المقالات المنشورة ذُيلت بهذه العبارة ، أما في هذا الكتاب فقد حذفتها تجنباً للتكرار الا اذا اقتضى السياق ذلك.



في كل هدف تريد تحقيقه ، وكل مشكلة ، وكل عائق ، وكل قرار يواجهك في الحياة تأكد أولا أنَّ ..

الفهم هو الحل





2

...إفهم وأعن غيرك على الفهم
كيف نحل مشاكلنا؟







كثيرٌ من الأفراد والمؤسسات والجماعات في مجتمعاتنا رأت الحل لمشاكل الفرد والمجتمع في شيء ما .. قد يكون خطة اقتصادية أو فكرة لمحاربة الفساد أو وحدة بين الدول ، وحتى الشعارات الدينية استخدمت بعمومية على أنها هي الحل.

ولعلك قرأت وسمعت شعارات من مثل "الـ......... هو الحل" من كل الأطراف المتصارعة في المجتمع من اسلامية وشيوعية وعلمانية .. الخ ، مع اختلاف في الكلمة التي تملأ الفراغ.

والمشاهَدُ في الواقع هو فشل كل هذه الأطراف المتصارعة في الحل ، وبقيت مشاكلنا تزداد ولا تنقص.

فقد كان عندنا دولة واحدة محتلة فأصبحت خمس دول تحت الاحتلال..

وكانت نغمة الوحدة العربية والاسلامية هي العليا، فاصبح الذي يتكلم بها الآن متخلف عقلياً وأصبحت صيحات الانفصال والتقسيم تسمع من كل جانب...

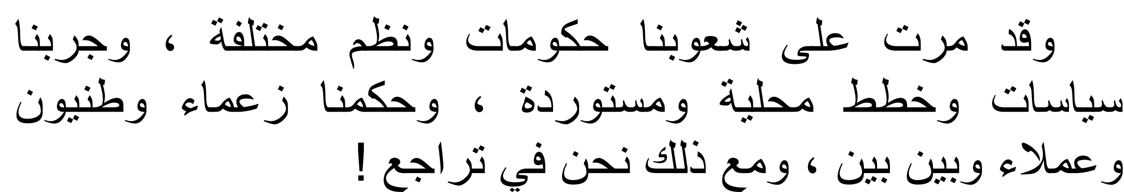
وكان الشعب في الدولة الواحدة كتلة واحدة فاصبح الآن طوائف تكيد كل واحدة لأختها...

وكان الأجنبي الغازي في السابق نسميه "مستعمراً معتدياً" فأصبح الآن صديقاً مخلصاً ومحرراً لنا من طغيان ابناء جلدتنا !

كل هذه التغيرات بدأت تظهر وتتضخم تدريجياً في النصف الثاني من القرن العشرين مع قيام ثورات التحرر والاستقلال ... حتى وصلنا الى هذا الدرك الذي نحن فيه الآن ، فما الذي جرى؟

نحن لا تنقصنا العقول التي تفكر وتبدع ولا الثروات والمعادن ولا الزراعة والغذاء.. كل شيء متوفر في بلادنا !





وقد مرت على شعوبنا حكومات ونظم مختلفة ، وجربنا سياسات وخطط محلية ومستوردة ، وحكمنا زعماء وطنيون وعملاء وبين بين ، ومع ذلك نحن في تراجع !

لماذا ؟

هناك مشكلة في **(نظام التفكير)** الذي تربينا عليه والذي لا زلنا نربي أبنائنا عليه دون مراجعة وتمحيص.. لأننا نفترض ابتداء وبدون أي مقياس أننا (نفهم الواقع) ونتصرف بناء على هذا الفهم.. ومن هنا تبدأ مشاكلنا، عندما نعتقد جزماً حكاماً ومحكومين أننا فهمنا بما فيه الكفاية ونبدأ باتخاذ قراراتنا المصيرية بناء على هذا الفهم المزعوم.

لذلك أرى أن مشكلتنا ليست في فهم الواقع والتعامل معه فقط.. بل في التعامل مع الفهم نفسه معنى وسلوكاً؟

الفهم من أخطر الكلمات التي نستخدمها في حياتنا ، ونحن نستخدمها باستمرار ، فلا يكاد يمر عليك يوم دون أن تستخدمها مع غيرك أو يستخدمها غيرك معك.

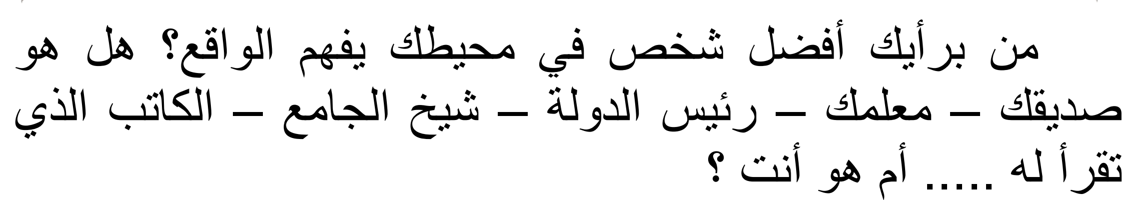
فالآخر بالنسبة لك نوعين لا ثالث لهما: إما أنه يفهم أو لا يفهم .. وأنت بالنسبة له من أحد هذين النوعين كذلك.

والفهمُ مصدر من (فهِمَ ، يفهمُ) . ومشكلة المصادر أنها تعطي معانٍ وانطباعاتٍ في الذهن تختلف باختلاف العقول ، ومهما عرَّفتَها ستبقى عامة ومطاطة وقابلة للتأويل لمن يسمعها ويستخدمها.

لذا سأتكلم بالأمثال عن المعنى الذي أقصده من هذه الكلمة الخطيرة والتي أزعم أنها قد ضُيِّعت في بلادنا وعلى كل المستويات الا القليل النادر ممن لا يؤبه لهم وليس بأيديهم أدوات التغيير.

وسأبدأ بمثال معك شخصياً.. وسؤال صريح:





من برأيك أفضل شخص في محيطك يفهم الواقع؟ هل هو صديقك – معلمك – رئيس الدولة – شيخ الجامع – الكاتب الذي تقرأ له ..... أم هو أنت ؟

لا تتواضع تواضعاً غير حقيقي ، وقل الحقيقة .. الجواب بلا شك هو أنت. ولو سألتني أيضاً هذا السؤال لقلتُ: أنا .

في يقينك عقلاً وقلباً أنه لا يوجد من هو أكثر فهما للأمور منك.. أقول (فهماً) وليس (علماً) فأنت لا تستطيع أن تدعي العلم بكل شيء ، لكن من السهولة أن تدعي الفهم وأن تصف أعلم انسان في تخصصه بانه لا يفهم شيئاً ، لأنه لا يرى رأيك!

ويمكنك أن تتأكد من كلامي هذا عندما تختلف في الرأي مع أي انسان مهما بلغت درجة علمه.. فان لم يوافقك في الرأي فانه حتماً شخصٌ - لا يفهم -

لذا تسمع من مريض مثلاً: أن الطبيب فلان لا يفهم شيئاً، وتسمع من طالبٍ أن المدرس فلان لا يفهم ، ومن فقير مضطهد أن كل من يديرون الدولة لا يفهمون.

ما هذه الخاصية السحرية التي لا تكاد تتوفر عند البشر، ولا يكاد انسان على وجه الأرض يحصل على هذا الوسام بانه (يفهم)؟

كلنا طبعاً ندعي الفهم برأينا ، وكلنا في نفس الوقت لا نفهم.. حسب رأي الآخرين بنا.

هل الفهم هو سلاح نهدد به مخالفينا في الرأي عندما نعجز عن اقناعهم برأينا ؟

هل الفهم هو ميزة نفسية نفتخر بها ونحاول أن نثبت للجميع أننا نمتلكها ؟

هل الفهم هو ملكة مستعصية متلونة مطاطة بحيث يمكن أن نثبته متى نشاء أو ننفيه متى نشاء ؟



هل نريد فعلاً أن نفهم ونمارس الفهم ؟ أم أن الطريق اليه متعب وشاق لذا فنحن مرتاحون لعدم الفهم ، ونريد اشاعة عدم الفهم ليكون اتهامنا صحيحاً دائماً عندما نقول لأحدهم:

أنت لا تفهم ؟

في موروثنا الثقافي وفي تعاملاتنا الاجتماعية أخذ الفهم مكانة أعلى من العلم ، وقد رسخ هذا المعنى في عقلنا الباطن حتى أصبحنا لا نغضب اذا قال لنا أحدهم أنت لا تعلمُ في كذا.. لأننا فعلاً قد لا نمتلك العلم ونقر بذلك.. لكننا نغضب اذا قال لنا: أنت لا تفهم في كذا (نفس الموضوع) ، لأننا نعتبر الفهمَ هو نقيض الغباء والسذاجة والتفاهة.

جرّب اذا قلت لك: أنت لا تعلم شيئاً في نظرية الكوانتم .. قد تجيبني: صحيح أنا لم أقرأ في هذا ولا أعلم عنها شيئاً.

لكن ان قلت لك: أنت لا تفهم شيئاً في نظرية الكوانتم.. ستعتبرها إهانة لأن عدم الفهم مقرون عندنا بالغباء والسذاجة والتفاهة بغض النظر عن الموضوع الذي لا تفهم فيه. ثم ان قولي أنك لا تفهم نظرية الكوانتم يعطيك انطباعاً أنها فوق قدرات عقلك حتى لو شرحتها لك.. بمعنى آخر أن عقلك أصغر من أن يتقبل هذا العلم .. وهذا ما لا ترضاه.

أرأيت كم هي خطرة كلمة الفهم هذه ، خاصة عندما ننفيها عن الآخر.. وبالعكس فإننا اذا أثبتناها لشخص فانه يعتبرها مدحاً لا يعلوا عليه أي مدح آخر.

وهناك جانب آخر في تعبير الفهم لا يقل خطورة عما ذكرنا وهو أن الفهم لا مقياس له.

مثلاً اذا وصفنا انساناً بانه عالم في اللغة هناك مقياس لذلك ، مثلاً الشهادات التي حصل عليها والبحوث التي كتبها والطلاب الذين درسهم.



لكن من الصعب جداً أن تثبت لخصم هذا العالم مثلاً أنه يفهم في اللغة.. خاصة اذا كان هذا الخصم ناقداً متمرساً ، لأنه سيثبت لك بالأدلة أن هذا الانسان قد درس اللغة.. صحيح ، ولديه شهادة .. صحيح . لكنه مع ذلك لا يفهم فيها شيئاً ، ولن يعجزه اثبات ذلك.

لماذا ؟

السبب ما ذكرته لك بأن (الفهم) مصدر لا حدود له ، وكل عقل يترجمه على هواه.

والآن سنناقش الفهم بالمعنى الذي نريده لا بالمعنى الذي نتعامل به في الموروث الشعبي.

أين المشكلة في عملية الفهم؟

مهما كان تفكيرك عميقاً ومعلوماتك كثيرة ستبقى عندك فراغات كثيرة وبيانات ناقصة وهذه من خصائص البشر، فلا يمكن للعقل البشري أن يحيط بكل شيء .. وهذه الفراغات والبيانات الناقصة هي التي تعطي مبررا قوياً للآخر (اذا عرفها) أن يصفك بعدم الفهم.

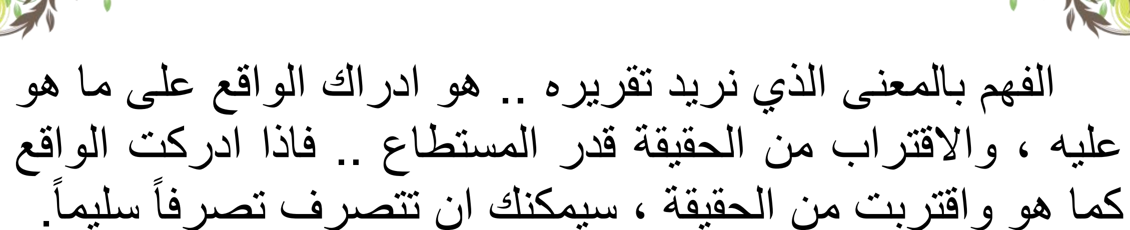
ومن هنا ندرك سر العصمة للرسل ولم هي ضرورة في مناط التبليغ عن الله تعالى.. فان كان كلام الرسول وحياً من الله تعالى فهو معصوم عن الزيغ والنقصان والخطأ لأنه صدر عن كمال العلم وبُلِّغ بأمانة من الرسول. فليس لعمل العقل البشري فيه شيء.. فلا يَرِدُ عليه ما يرد على عمل العقل من نقصان.

ويبقى السؤال المهم: الا يمكن اذاً أن نفهم أو نقترب من الفهم؟

أما أن نفهم الواقع بصورة كاملة فهذه ميزة كمال لم تُعطَ لبشر.. والكمال لله وحده.

وأما أن نقترب من الفهم فهذا هو ما أريد أن أصل اليه معك عبر هذه السطور.





الفهم بالمعنى الذي نريد تقريره .. هو ادراك الواقع على ما هو عليه ، والاقتراب من الحقيقة قدر المستطاع .. فاذا ادركت الواقع كما هو واقتربت من الحقيقة ، سيمكنك ان تتصرف تصرفاً سليماً.

لذا فنحن نصف الخبير في صنعة ما بأنه - يفهم - في هذه الصنعة.

أنت تذهب الى طبيب (يفهم) برأيك لأنه أعطاك العلاج المناسب وشفيت.. ولا تذهب الى الآخر الذي (لا يفهم) لأنك لم تتحسن بأخذ دوائه (ولو كان الثاني هو استاذ الأول).

أنت تذهب الى الميكانيكي الذي (يفهم) لأنه عرف الخلل في سيارتك مباشرة وأصلحه.

وهكذا فانت تبحث عن الشخص الذي يحقق لك النتيجة التي تريدها مباشرة وبدون أن يتعبك لأنه .. يفهم.

نخلص من هذا أن من دلائل الفهم تحقق النتائج الصحيحة.. بغض النظر عن العلم والشهادات وو..

وهذه الدلالة قد تجعل الطريق الى الفهم صعباً لكنه ليس مستحيلاً.

ما هو الطريق الى الفهم؟

- الطريق الى الفهم؟ يمر أولاً بالقراءة.. فالقراءة هي كسب لخبرات عقول من الحاضر أو من الماضي.. هذه العقول وضعت خبراتها على الورق لتستفيد أنت منها متى شئت.

ولحكمةٍ عظيمة كانت الكلمة الأولى التي خاطبنا بها الله عز وجل هي (اقرأ).

وأكاد أجزم أن الذي لا يقرأ لا يفهم ، مهما علت به الرتب.. وهذا مشاهد معروف لأولي الألباب.

- ومع القراءة عليك أن تستفيد من الخبراء كل في علمه. واحذر من رأي الخبير خارج تخصصه .. لأننا في عالمنا العربي



اعتدنا على الفتيا في كل موضوع .. فتجد عالم الشريعة يتكلم في نظريات السياسة ، والطبيب يتكلم في البناء والعمارة ، والمهندس يتكلم في الطب والدواء.. ولا تكاد تجد شخصاً لا يتكلم في كل شيء. لذا أكرر استفد من الخبير في تخصصه فقط لتصل الى الفهم.

- انظر الى القضية التي تريد أن تفهمها من كل الزوايا.. لا تنظر لها من الجانب الذي يريحك وتهواه نفسك فقط لأنك ستبتعد عن الفهم حتماً.. وقدر كل الاحتمالات الحسن منها والسيء ولا تستعجل الحكم واتخاذ القرار حتى تحيط بالأمر من كل جوانبه قدر ما تستطيع.

- اياك أن تحتقر رأي المخالفين لك ، فقد يكون فيها ما ينير لك طريق الفهم ، واسمع آراء الآخرين لتفهم لا لترد عليها .. ولا يغرك كثرة المؤيدين لك فقد تكون المصلحة الشخصية هي السبب في تأييدهم وليس صحة موقفك أو دقة فهمك.

- استفد من أخطائك ، ولن تستفيد منها حتى تعترف أولاً أنك أخطأت فعلاً .. أما المكابرة والعناد والاصرار على الخطأ فسيؤدي بك الى مزيد من سوء الفهم ..

راجع أفكارك ، راجع مواقفك وقراراتك ، راجع خططك ، وهذه المراجعات تكون دائمة ومستمرة ولا تتوقف.

- النتائج مطلوبة في الحياة .. اياك أن يخدعك أحد بالقول اننا مطالبون بالعمل ولسنا مطالبين بالنتيجة .. فمن يقول هذا الكلام يكذب ولا يطبقه في واقع حياته .. لأنه إن لم يحصل على المال من عمل سيغيره .. واذا فشل في محل تجاري سيغلقه ولن يقول ان



عليِّ العمل ولست مطالبا بالنتيجة ، لأنه ان فعل سيعتبره الجميع مخبولاً وسيموت من الجوع .. لذلك انتبه الى أن دلالة فهمك للحياة ولواقعك أن تحقق النتائج ، قد لا تكون النتيجة بالحجم الذي تريده لكن لا بد أن تكون هناك نتيجة بنسبة ما .. والا سيكون عندك مشكلة في الفهم ويجب ان تتداركها.

وأخيراً ...

الفهم طريقه صعب لكن عواقبه سليمة ومريحة وممتعة والحياة لا تعطيك مجاناً.

وعدم الفهم طريق مريح ومغرٍ لكن عواقبه خطيرة ولا يمكن اصلاحها أحياناً.

ولو راقبت بدقة كل الأفراد والتجمعات الفاشلة في الحاضر والماضي ستجد قاسماً مشتركاً بينهم هو شيوع عدم الفهم ، بل قطع الطريق أمام كل من يريد أن يفهم الأمور على حقيقتها.. وهذه سنة كونية من أغرب السنن التي لا يتعظ بها البشر.. فتجد الظالم يسير على خطى الظالم الذي سبقه ، والمجرم يسير على خطى المجرم الذي سبقه ، والحزب الفاشل يسير على خُطى الحزب الفاشل الذي سبقه.. لأن نعمة الفهم قد نزعت منهم.

وهذا ما حفزني لأقول لك : افهم وأعن غيرك على الفهم.. فهذا هو الطريق الآمن الصحيح

وهذا ما حفزني لأقول بكل ثقة أن:

(الفهم هو الحل)





3

...كن من صناع الحياة

ان السعادة أقرب الينا مما نتصور
وكل ما ينبغي علينا فعله هو أن نلتفت اليها
بدلاً من أن نعرض عنها







قبل مئات السنين ، كان هناك بلد لم تقترب منه الحضارة يوماً ، ولا يعرف أهله غير التجارة والبيع والشراء.
وكان هذا البلد كغيره من البلاد في ذاك الزمن لا يخلوا من الظلم والفساد والغصب واستغلال الآخرين.
وكل سكان ذلك البلد يعيشون على بئر ماء واحدة لا يملكون غيرها ولم يفكروا يوما أن يحفروا غيرها ..
بقي سكان هذا البلد لأجيال متعاقبة بعيدين عن الحضارة والثقافة ، لم يفكر الظالم يوما أن يدع ظلمه ولم يفكر المظلوم أن يثور على ظالمه! وتوارثت الأجيال هذا الحال ، حتى يئس الناس من الاصلاح واصبح الحال لا يتصور تغييره.
في هذا البلد عاش شاب من أصل رفيع ونسب أصيل.
ولكن هذا الشاب الصغير في سنه ، الكبير في عقله ، لم يرق له الحال ، كان يفكر كثيراً .. هل خلقتُ لأعيش هذه الحياة الهزيلة التي لا تختلف كثيراً عن حياة البهائم ؟
هل سيبقى الناس يأكل بعضهم بعضاً بلا رادع ولا رقيب ؟
هل سيبقى السيد ينتهك عبيده بلا حساب ؟
هل سيبقى المال دولة بين الأغنياء وللفقراء التراب ؟
هل سيبقى القاتل طليقاً ويفنى المقتول ولا أحد يأخذ بحقه ؟
هل سيبقى العدل ضائعاً ؟
لا بد من حل ، إن الحياة لا تستقيم هكذا ولا ينبغي لها أن تبقى هكذا ، ولكن كيف ؟ هذا هو السؤال المحير الذي لم يجد له جواباً.
ولذلك قرر أن يختلي بنفسه الليالي الطوال بعيداً عن الناس لعله يهتدي الى الجواب عن هذه الأسئلة التي لم يفكر بها عقلاء القوم وكبارهم ومرت به السنون وهو يبحث عن الحل.



ولم يطل الأمر لأن هذا الشاب الغيور ذا القلب الكبير والفكر العظيم كانت تدخره الأقدار ليغير من شأن هذه الحياة ، وليصنع امة هي خير أمة.

هل عرفت من هذا الشاب؟

إنه خير البرية محمد ﷺ الذي بدأ فرداً واحداً ... وعاش في واقع بائس فاسد لم يكن احد يفكر يوماً انه سيتغير ، ولكنه بعون من الله تعالى صنع الحياة لمئات الملايين من البشر ، لجيله وللأجيال التي جاءت بعده عبر المئات من السنين ... ليس المسلمون الذين آمنوا به حسب بل كل من تأثر بهم وجاورهم وعاش في أكنافهم وتعلم منهم كيف تصنع الحياة.

ان خير من علمنا صناعة الحياة .. والعيش بسعادة ، هو محمد ﷺ ، بل لا نكاد نجد في اساسيات التنمية البشرية مبدأً لم يسبق اليه النبي ﷺ في توجيهاته.

لم تكن أحاديثه ﷺ توجه علاقة الناس بعضهم ببعض فقط بل توجه علاقة الانسان بغيره من المخلوقات ، مع الحيوان والنبات والجماد .

ان الناس كلهم في سعيهم وكدهم في هذه الحياة على اختلاف مشاربهم وأديانهم وتطلعاتهم انما يسعون الى شيء واحد هو **دفع الهم وجلب السعادة** ليستمتعوا بحياتهم ، وهذا هو بالضبط ما تدعوا اليه وتسعى له كل مبادئ التنمية البشرية وهذا بالضبط هو ما أرادنا النبي ﷺ أن نصلَ إليه ، وهذا بالضبط ما وعدنا به الله ﷻ في كتابه الكريم إذا اتبعنا تعاليمه :

يقول الله ﷻ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .



ومن يريد أن يحيا هذه الحياة الطيبة ينبغي أن يتقن صناعة الحياة ويعين الآخرين أن يصنعوا حياتهم.

وأكثر من هذا علمنا النبي ﷺ أن لا نتوقف عن صناعة الحياة حتى ونحن على مشارف نهاية الكون .. ولو كنا في حال نتيقن فيه ان لا فائدة ظاهرة من العمل.

يقول رسول الله ﷺ :

" إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ ".

ان الحياة التي صنعها رسول الله ﷺ لأصحابه ولمن جاء بعده اتت بعد جد وجهد ، وسهر وتعب ، وتفكير وتخطيط ، لم يصنعها بالترف والقعود.

وحتى الوحي (وهو قدر من الله تعالى واختيار) لم يأته وهو نائم في فراشه لا يبالي كيف تسير الامور ، بل اتاه وهو في احدى خلواته قد فارق اهله وولده يفكر في اصلاح حياته وحياة الآخرين .

وبعد أن اتضح له امر الرسالة ، وعلم ان ما كان يبحث عنه من اصلاح الحياة سيتطلب منه عزماً وجهداً ، وعملاً غير اعتيادي ، وسيترتب على ذلك ان يهجر الحياة التي اعتاد عليها والراحة التي كان يتمتع بها ، وسيكون له اعداء من بني قومه ، بعد أن تيقن من كل هذا وفهم الحياة الجديدة التي هو مقبل عليها قال للسيدة خديجة رضي الله عنها وهي تدعوه أن يطمئن وينام:

(مضى عهد النوم يا خديجة)

وعاش حياته كلها في جهاد حتى لاقى ربه.

نعم ان من يريد صناعة الحياة يحمل اولا هذا الشعار (مضى عهد النوم) فلا ينام الا غلبة بعد أن يرهقه التعب.





ولكي تكون من صناع الحياة ينبغي أن تتحقق وتتحلى بأمور مثل :

١- الفهم الصحيح لسبب وجودك في هذه الحياة.
٢- الرضا بالقضاء والقدر وفهمه فهماً ايجابياً لا فهماً سلبياً.
٣- التدرب على بناء العلاقات الايجابية مع ما حولك من مخلوقات (الناس – الحيوان - النبات - الجماد).
٤- العزيمة التي لا يتطرق اليها وهن ولا ضعف.
٥- أن تكون أكبر من احلامك لتحققها.
٦- أن تتقن صناعة الأهداف وتحقيقها .
٧- أن تحرص على وقتك حرصك على حياتك.
٨- أن تكون مرناً.
٩- أن تكون مرهف الحواس.

واستعن بالله ولا تعجز.





...من أنت ؟



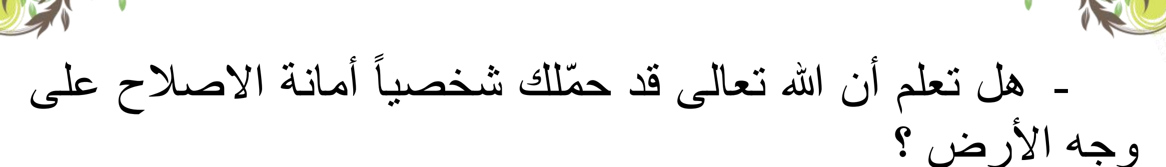




قد يبدو السؤال غريباً ..
ولكن هل تعلم حقاً من أنت ؟
وهل تظن ان الناس الذين حولك يعلمون هويتهم الحقيقية ويحترمون هذه الهوية ؟
قد تتعجب من السؤال! وتجيب بنعم في نفسك ، ولكني التمس منك ان تحتفظ بالجواب – مهما كان – حتى تنتهي من قراءة هذا المقال.
ربما يراودك شعور الآن وانت تقرأ بأن هذا الكلام مضيعة للوقت ، وملء للفراغ ، وربما يراودك شعور اني أريد أن أتعالم عليك واوهمك أني سأخبرك بما لم تستطعه الأوائل .
وربما تقول لنفسك ما لنا ولهذا الكلام تكفينا متاعبنا ومشاكلنا ولسنا بحاجة لهذا البطر في الكلام .
وربما تُسر في نفسك شيئاً آخر ... وأنت تقرأ على ضوء شمعة صغيرة ، حيث لا كهرباء ولا ماء..[٣]
لا بأس اني افترض أن يكون عندك من الصبر ما تكمل به القراءة ، وسأستفزك ببعض الأسئلة ويمكنك أن تجيب عليها بنعم أو لا :
- هل تعلم أنك المخلوق الوحيد الذي سُخرت له بقية المخلوقات ؟
- هل تعلم أنك أكرم المخلوقات على الله وانك صنعته التي يباهي بها الملائكة ؟
- هل تعلم أنك الوحيد الذي يملك حق الحرية والاختيار في تصرفاته كلها ؟

---
٣ ـ كتبتُ هذه المقالة في ظروف قاسية مرَّ بها العراقيون وعانوا من شُح الماء والكهرباء في أغنى بلد بالماء والنفط ، لكنه أغنى بلد بالفاسدين كذلك.





- هل تعلم أن الله تعالى قد حمّلك شخصياً أمانة الاصلاح على وجه الأرض ؟
- هل تعلم أن الله تعالى تكفل لك بكل ما يعينك على الاصلاح؟
- هل تعلم أنك الوحيد الذي امتلك مفاتيح الخير والصلاح ؟
- هل تعلم ان بإمكانك ان تفعل الكثير الكثير .. إن أردت ؟
- وأخيرا هل تعلم أنك خليفة في الأرض مؤتمن عليها ولهذا خلقت ؟

حينما سألت الملائكة بتعجب رب العزة

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ ؟

لم يكن هذا السؤال غريباً .. لأن الملائكَة علموا أن هذا المخلوق الجديد سيمتلك ما لا يمتلكون وسيمنح صلاحيات لم تعط لهم وكانت هذه الصلاحيات من الخطورة بمكان عندهم حتى دفعتهم دفعاً لمثل هذا السؤال .. انهم ملائكة مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .. ليس لهم حرية الاختيار، وحينما اخبرهم الحق تبارك وتعالى أنه سيجعل في الارض خليفة ، علموا أن من مقتضيات الخلافة **حرية الارادة** .

فهل سيمنح هذا المخلوق حرية أن يفعل أو لا يفعل ، حرية أن يطيع أو يعصي ، حرية أن يؤمن أو يكفر ؟ حرية أن يفعل ما يشاء؟

هل هذا ما سيحدث ؟ وهل سيُحسن هذا المخلوق استخدام هذه النعمة ؟ أم سيفسد ويفجر؟

هذه الميزة التي لم تعط بهذه الصورة إلا لآدم وولده (وأنت واحد منهم) أفزعت الملائكة ، فسألوا...

لأنهم يعلمون أن حرية الاختيار امتحان كبير ، عجزت عنه السماوات والارض والجبال..





فهل سينجح فيه هذا المخلوق الجديد ؟
لعل الصورة بدأت تتوضح لك وتعلم من أنت.
لقد فُضّلت على الملائكة بميزة عظيمة أهّلتك أن تكون خليفة في الأرض تفعل ما تشاء ، تُصلح ان أردت ، وتفسد إن أردت ، تأخذ وتعطي ، تبني وتهدم.
وحتى تستطيع استعمال هذا الامتياز الذي مُنح لك فقد سخر الله تعالى لك كل مخلوقاته لكن بأسباب عليك أن تكتشفها باستخدام أعظم نعمه عليك وهو عقلك.
وبهذه الحرية في الاختيار ستحقق الخلافة ، فتصلح نفسك وأهلك ومن حولك ، وتنشر الخير بين الناس.
وباستخدام عقلك ستنتفع بخيرات الأرض من جماد وحيوان ونبات.
ثم بهذا العقل وحرية الاختيار ستنتشر العلم النافع والسعادة والعدل في الأرض ليعيش الناس في أمان واطمئنان.
ولعلك تقول .. كيف ؟ وأنا فرد واحد لا حيلة لي والحياة من حولي تموج وتضطرب ولستُ الا كالقشة في مهب الريح ؟
وهذا سؤال منطقي ، لكنك تنسى أن الكثير من المواقف السيئة والشديدة على النفس والتي مرت بك في حياتك قد انقضت وأصبحت من الماضي.
تذكّر المواقف التي كنت تتصور أنها القاضية وأنها النهاية ولا أمل بعدها ، ثم استطعت أن تتجاوزها بشجاعتك وصبرك.
فلا تستصغر نفسك ، ولا تحقرها بان تضعها في مواقف الهزيمة والرخاوة ، وخذ بالعزائم ، فان الناجحين لا يأخذون انفسهم بالرخص.
قد لا تمتلك المال الكافي ، أو الشهادة العليا ، أو المركز الاجتماعي السامي ، ولكن تذكر أن الانبياء والمصلحين أيضاً لم يكونوا كذلك يمتلكون هذه الاشياء أو بعضها.



وقد شاء الله تعالى أن لا تبنى الدعوات ولا يحدث التغيير الا بالتضحية والتعب والنصب ، فلن تجد في تاريخ الانسانية مصلحاً أو ثائراً أو قائداً للتغيير ذو ثراء أو منصب بين قومه (إلا ما ندر بما لا يقاس عليه).

لقد عاش رسول الله ﷺ كأفقر اصحابه ، حتى ان الشهر ليمر ولا يوقد في بيته نار على قِدر ، ومات عليه الصلاة والسلام ولم ترث نساؤه ديناراً ولا درهماً.

ولذلك ادعوك أن تطمئن فكل اسباب النجاح لديك
عرفت الإله الصحيح وعبدته
ودينك خير الاديان والمستقبل له
ودعاؤك مستجاب ان اتبعت الاسباب
وعقلك وافر الذكاء
وأنت حر مختار
وقد سُخرت لك الحياة
فماذا تنتظر ؟

القرار لك

اذا كنت تعتقد أنك تستطيع أن تصلح وتغير فسوف تصلح وتغير

واذا كنت تعتقد أنك لا تستطيع فلن تستطيع أبداً

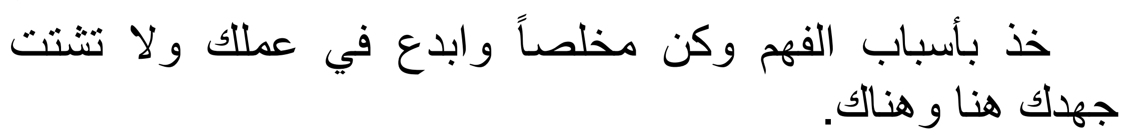
والأمر اليك

ليس المطلوب منك أن تكون حاكماً مطلقاً ، حولك الحرس المدجج بالسلاح لتنفذ أهدافك.

وليس المطلوب منك أن تكون قائدا يشير بإصبعه فيتسابق الناس لتنفيذ ما يريد حتى تبدأ التغيير.

كل ما هو مطلوب منك الفهم والتركيز والاخلاص.





خذ بأسباب الفهم وكن مخلصاً وابدع في عملك ولا تشتت جهدك هنا وهناك.

افهم وأخلص وركز

وسترى من آيات الله الكثير كيف سينير طريقك ويوفقك لما تريد وأكثر.

أنت صنعة الله فأتقن العبودية لمن منحك حرية الارادة ، ويكفيك فخراً أن الله سيباهي بك ملائكته .. وستكون أنت المقصود بالجواب الإلهي لسؤال الملائكة

﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

لقد أعطاك الله تعالى كل ما تحتاجه من مصادر السعادة والنجاح.

وتكفل لك بأكثر من ذلك ... اقرأ معي قول رسول الله ﷺ :

" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذكرني فَإِنْ ذكرني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وَإِنْ ذكرني في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ".

هل تريد تأييداً أكثر من هذا ؟

كن واثقاً بموعود الله وأحسن الظن به تعالى.

كن واثقاً أنك أهلٌ لأن تكون صالحاً مصلحاً.

كن واثقاً أن عقلك سيكمل لك الكثير مما ينقصك الآن.

كن واثقاً أنك تمتلك الشجاعة الكافية والعلم والايمان الذي يجعلك تعيش هذه الحياة بعزة وتضيف لها اكثر مما تأخذ منها.

احسن استخدام الحرية التي منحت لك.

وفي الحكمة قالوا:

إن الضربات القوية تهشم الزجاج ولكنها تصقل الحديد



حينما تؤمن بهذا كله وتواجه به الصعاب التي تعيشها يومياً ستعلم مدى تميزك ومدى ثباتك الذي لا يستطيعه الكثير من البشر ، ستعلم أنك تستطيع أن تعيش وتنجز الكثير الكثير رغم كل المعاكسات .. لسبب واحد.

لأنك تؤمن يقيناً أن الله تعالى شأنه وتقدست أسماؤه **قد اختارك من بين مخلوقاته كلها لتكون خليفة في الأرض .. ولتصنع الحياة.**

فهل عرفت من أنت ؟





5

...عجلة المستقبل







منذُ أن اخترع العراقيون القدماء العجلة بدأت الحضارة تندفع بتسارع عجيب مع تطور شكل هذه العجلة ومع كثرةِ استخداماتها.

ولهذا اعتبر اختراع العجلة أهم اختراع عرفته البشرية بعد اختراع حروف الكتابة الذي بدأه العراقيون أيضاً.

ولسنا بصدد شرح هذا الاختراع والإشادة به ، لأنه معلوم ونفعه قد عمّ العالم ، ولسنا كذلك نوصي بإعادة اختراع العجلة لنثبت أننا أهل إبداع وتجربة ، لأن هذا تضييع للوقت وعبث لا طائل من ورائه ، ولكننا سنتكلم عن نوع جديد من العجلات يمكنك أن تصنعه بنفسك.

وهذه العجلة الجديدة عجلة خاصة بك أنت ، يمكنك من خلالها أن تنطلق إلى آفاق رحيبة واسعة ، يمكنك من خلالها أن تحقق أحلامك وأمانيك ، كما يمكنك من خلالها أن تحقق خلافتك في الأرض وتصنع الحياة وتعيش بسعادة وتسعد غيرك.

هذه ليست أوهام وخيالات أبيعها لك ، كما أن هذه العجلة ليست صعبة الصنع فهي سهلة ميسورة ولن تحتاج في صناعتها إلى نقود ومواد أولية ... كل ما هو مطلوب منك صبر وهمة.

وأوكد لك أن استخدام هذه العجلة خاص بك وبمستقبلك ولذلك أسميتُها:

عجلة المستقبل

فإن أتقنت صناعتها واستخدمتها بنجاح فالمستقبل لك.

والآن حان وقت الشروع في العمل فهيئ لي أدوات عقلك.

من المعلوم أن كل انسان له أحلام وأماني يريد أن يحققها ، وفي ظنه أنه لو حقق هذه الأحلام والأماني فإنه سيعيش في سعادة وسيحصل على كل ما يوفر له هذه السعادة.



لكنه قد يبقى غارقاً في أحلامه وأمانيه حتى يأتيه الموت ولم يحقق منها شيئاً بعدُ ، والسبب أنه لم ينتبه أن الوصول إلى الهدف يحتاج إلى مركبة ، والمركبة بحاجة إلى عجلات وهو بعد لم يفكر في هذه العجلات التي ستوصله إلى المستقبل وتحقيق الأماني.

ونحن نتجوَّز كثيراً في الكلام ونبالغ حينما نقول إن لدينا أهدافاً نريد تحقيقها ، ولو تمعّنا ودققنا في ما نسميه أهدافا سنجد أنها لا تعدوا أن تكون **أحلاما وأماني** ، والفرق كبير بين الهدف والأمنية ، **فالهدف يتحقق ، والأمنية تبقى تدور في رأس صاحبها ولن تخرج إلى الواقع أبداً.**

وحتى نحول الأحلام والأماني إلى أهداف يجب أن نبدأ بصنع عجلة المستقبل وهذه العجلة تتكون من محاور عديدة سنتكلم عنها باختصار. ويمكنك أن تتوسع في هذا الأمر بالبحث في مظانه من كتب ودوريات وانترنت لتحسن من عجلتك وتطورها.







١- الايجابية :

هي أول أعمدة هذه العجلة **ونعني بالإيجابية أن تعرف وتحدد ما تريده فعلاً وتركز عليه ، ولا تركز على الشيء الذي لا تريده.**

فمثلاً عندما تقول:

– **لا أريد أن أبقى فقيراً**

هذا الكلام لا يعد هدفاً لأنه كلام مبهم ، ماذا يعني أنك **لا تريد أن تبقى فقيراً ؟**

هل تريد أن تمتلك محلاً ؟ أن يكون عندك رصيد في البنك ؟ أن تشتري سيارة ؟ تبني بيتاً ؟ تمتلك العمارات؟

أي هذه الأمور تريدها أن تتحقق كيلا تبقى فقيراً؟

في الحقيقة مثل هذه الأمنية ستبقى دون أن تتحقق ما لم تحدد هدفك بإيجابية ، بمعنى أن تعرف **ماذا تريد فعلاً.**

فمثلاً تحدد هدفك بان تمتلك محلاً تجارياً لبيع الأقمشة ، أو تقدم على وظيفة معينة براتب محترم ، أو تعمل في المؤسسة الفلانية بأجور ممتازة ... وهكذا.

حدد فعلاً ما الذي تريده.

ويشبه هذا ما يقع فيه طلابنا الأعزاء من حيرة حينما يتقدمون للحصول على قبول في الكليات بعد إنهائهم الإعدادية ، فهم غالباً لا يعرفون الدراسة التي تناسبهم ، وتبقى أعينهم تتطلع الى الطب والهندسة ، فتراهم في اضطراب ينتهي بهم الأمر أن يكتبوا اختياراتهم دون معرفة برغبتهم الحقيقية ومؤهلاتهم ، ويتركوا النتيجة للأقدار وغالباً لا تكون النتيجة مرضية لهم لأنهم فعلاً لا يدركون ما يريدونه.





٢- المسؤولية :

إذا أردتَ أن تصنع مستقبلك فعلاً وأن تسير في طريق الناجحين يجب أن تتحمل مسؤولية عملك كاملةً ، ولا تلقي باللوم على فلان أو الظرف الفلاني أو تتهم الأقدار ، أو تلوم الواقع.

يجب أن تعرف **أن المشكلة دائماً هي عندك وليس عند غيرك** ، هذا ما يجب أن تؤمن به ، والا ستقع دائماً في تلبيس إبليس ، وترى أن سبب فشلك وأخطائك يتحمله العالم كله باستثنائك.

وعليه كل من يريد أن يحقق هدفاً يتحمل لوحده **المسؤولية الكاملة لتحقيقه** ولا يلومن إلا نفسه ، وهذه من سمات الناجحين.

٣- الوضوح :

كيف تحقق هدفاً وهو **غير واضح عندك بتفاصيله ؟**

لو افترضنا أنك تريد فتح محل تجاري ، ستبحث عن المكان الملائم وستسأل عن الإيجار ، وتفكر بالديكور ونوع البضاعة ، والأسعار ، ونوعية الزبائن وما يناسبهم ، ومن أين ستتسوق..

وهكذا ستسأل أسئلة كثيرة ربما تعرف بعضها ، وتسأل أهل الخبرة عن البعض الآخر وبالنتيجة سيكون المحل كما تخيلته فعلاً.

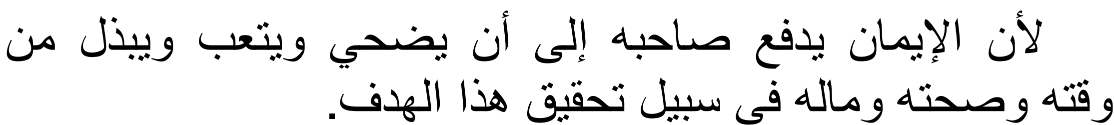
يجب أن يكون هدفك بهذا الوضوح ، وبهذه الدقة ، وهكذا تتعامل مع المستقبل.

وأنا لا أدعوا بهذا إلى تعقيد الأمور بأسئلة لا مبرر لها ولكن النجاح له ثمن ومن طلب العلا سهر الليالي ، ولن تستطيع الإمساك بصيد لا تراه بوضوح .

٤- الإيمان :

كل أمنية أو حلم لا يؤمن به صاحبه ايماناً جازماً لن يكون هدفاً.





لأن الإيمان يدفع صاحبه إلى أن يضحي ويتعب ويبذل من وقته وصحته وماله في سبيل تحقيق هذا الهدف.

ولذلك أسأل نفسك هل أنت مؤمن فعلاً بضرورة تحقيق هذه الأمنية؟

إذا كان الجواب - نعم – فقد أصبحت هذه الأمنية هدفاً وسوف تسخر له كل طاقاتك.

ومن هنا كان الإيمان فيصلاً بين الناجحين تتفاوت بسببه درجاتهم حسب قوة إيمانهم ، وكلما قوي الإيمان أكثر تحققت أهدافهم أكثر والمقارنة بين أجيال الخيرية الثلاث (الصحابة والتابعين وتابعيهم) ومن جاء بعدهم دليل لما نقول.

٥- الحواس :

لا بأس أن تحلم وتتمنى ولكن إذا فكرت بتحويل هذه الأحلام إلى واقع يفترض أن تحولها إلى **أشياء تخضع للحواس** ، مثلاً:

تريد أن تكون عالماً ومفتياً ؟ لا بأس .. العالم والمفتي له مواصفات وشروط يمكن أن نتحقق منها بحواسنا ، من سلوك مستقيم وتربية ربانية ، وعلم غزير يظهر عند السؤال أو الكتابة أو الفتيا بنوازل الأمة ، وتضحية وبذل ، وقدوة في السراء والضراء ، يختفي عند الطمع ، ويظهر عند الفزع ، وغيرها كثير.

هذه الصفات يمكن أن نراها ونسمعها ونحس بها ، فإذا تمنيت أن تكون هكذا فحقق هذه الصفات التي سيتعامل الناس معها بحواسهم وتتعامل أنت معها بحواسك ، أما أن تقرأ الكتب وتتخيل أنك قد أصبحت عالماً فاعلم انك لم تضع لك هدفاً.

وهكذا ذم الله تعالى أهل الكتاب حين تمنوا على الله الأماني وظنوا أنهم أولاد الله وأحباؤه.





ويكفي قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾.

٦- القياس :

باعتبار أن الهدف يجب أن يكون مبنياً على **الحواس** ، لذا فمن الضروري وضع **مقياس واضح له** كي تعرف هل وصلت إلى هدفك أم لا.

إن عدم وضع مقياس لتحقق الهدف ربما قد يؤدي بك إلى أن تصل الى هدفك وأنت لا تدري أنك قد حققت الهدف ، وتستمر في العمل حتى تصاب بإحباط يعقبه قعود.

وقد لا تصل بتاتاً لعدم وضوح النهاية أمامك.

مثال على ذلك .. لنفترض أنك أردت أن تكون كاتباً مشهوراً ، ما هو مقياسك للشهرة ؟

هل بعدد المقالات التي تكتبها؟ هل بعدد القراء الذين يقرؤون لك ؟ هل بنوعية الصحف التي تنشر مقالاتك؟ هل بظهور اسمك في الفضائيات؟ هل بهذا كله أو بعضه؟ هذا مثلٌ وقِس عليه.

٧- العوائق :

يقول المتنبي وهو من الشعراء القلائل الذين جمعوا مع الشعر علو الهمة وقوة السيف والغلو في الإعجاب بالنفس:

لبستُ صروف الدهر أخشن ملبس
فعرَّقَني ناباً ومزَّقَني ظفـــــــرا

سدِكتُ[٤] بصرف الدهر طفلاً ويافعاً

---

٤ - سدِكَ به أي لزِمه





فأفنيته عزماً ولم يفنني صبـرا

أريد من الأيام ما لا يريـــــــــــده

سواي ولا يُجري بخاطره فكرا

فكل من **يريد من الأيام تحقيق أهدافه** ، لا بد أن يتحسب للعوائق والعقبات ويتهيأ لها ويفكر فيها مسبقاً ويضع لها الحلول والبدائل ، قبل أن تدهمه وتشغله بالمفاجأة فيتحيّر ، فإذا تهيأ لها سيحقق ما يتمناه ولن يفنى صبره ، ويكون لسان حاله:

... فأفنيته عزما ولم يفنني صبرا.

٨- العمل :

وأخيراً يا طالب الخير والمجد بعد أن عرفت أركان العجلة العجيبة التي ستصنع بإذن الله مستقبلك ، لم يبق لك إلا الركن الأخير، بل الحركة الأخيرة لبدء الانطلاق ، **وهي أن تقرر البدء.**

تقرر متى تبدأ الخطوة الأولى

بماذا ستبدأ ، ومتى تبدأ ، وإذا عزمت فتوكل على الله ، واستعن بالله ولا تعجز.

فما رويناه لك عن عجلة المستقبل إنما هي أسباب وضعها الله تعالى في أصل فطرتك ، وسننٌ لا محيص لك عنها لتنتج وفوق كل هذا توفيق الله تعالى لك فلا تنس الاستعانة به تعالى ، فانه الضمانُ لسير صحيح لعجلتك.

يقول الشاعر الحكيم:

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأوّل ما يجني عليه اجتهاده

وفقك الله.





6

...مدافعة الأقدار





عندما أراد سيدنا عمر ﷺ أن يزور الشام َ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ في الطريق وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشام .فَاستشار الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ والأَنْصَارَ ومَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ ثم َنَادَى عُمَرُ في النَّاسِ ، إني مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ (يريد أنه سيرجع الى المدينة).

فقَالَ له أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ﷺ: **أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ**

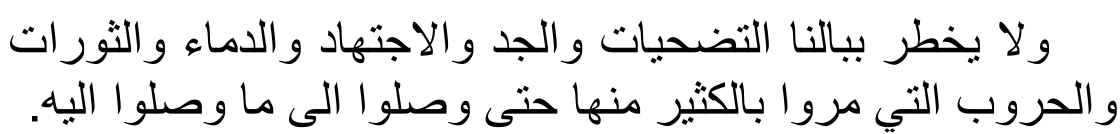
فَقَالَ عُمَرُ ﷺ :

لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ، **نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ** ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ. أ.هـ

هذا الفقه العمري لا نكاد نجده في الكثير من حواراتنا حينما نتحدث عن أسباب النجاح والتطوير والتخطيط ، فنسمع من يعلق فشله وقعوده بالأقدار ويستخدم عبارات مثل : أنه لا يستطيع شيئاً لأن الظروف لا تسمح ... والوضع لا يساعد ... ولا يوجد إمكانية ... وقدرنا أن نعيش هكذا ... وهذا ما كتب عليَّ ... وهذا أمر الله ولا راد لأمره ، وتراه يتكلم وكأنه يقرأ اللوح المحفوظ.

وحينما نتحدث ونتحاور عن أمر الناس في الغرب المتحضر نتحدث بانبهار فيما هم فيه من تقدم وتطور وسعادة (هكذا نظن).. ثم نصل إلى نتيجة أننا لا يمكن أن نصل إلى ما وصلوا إليه إلا إذا توفر لنا ما هو متوفر لهم **الآن** ، ونعتقد أنهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه بسبب الثراء والترف وراحة البال التي يعيشون فيها والتقدم العلمي الذي عندهم !





ولا يخطر ببالنا التضحيات والجد والاجتهاد والدماء والثورات والحروب التي مروا بالكثير منها حتى وصلوا الى ما وصلوا اليه.

والنهاية المتوقعة لحوار كهذا هو إحباط وجبرية نترجمها في ممارساتنا الحياتية اليومية بحيث تقودنا من سيء إلى أسوء في دوامة شريرة ولا ندري أين الخلل !

ولا ندري أننا نحن الذين أحطنا أنفسنا وكبَّلنا عقولنا بقيود من صنع أفكارنا واستسلمنا لها.

ونحن في كل هذا نغفل عن حقيقة واضحة .. أن الحياة بطبيعتها لا تعدوا أن تكون **إمّا أيام فرح وسرور.. أو أيام حزن وهمّ.**

وكلاهما يتعاقبان ويتسابقان على حياة الإنسان حتى تنتهي أيامه على وجه هذه الأرض ، فمرة تكون الغلبة للفرح ومرة للحزن ولا يدوم أحدهما أبداً.

فإذا كان لا بد لنا من مواجهة هذه الأقدار وما يترتب عليها فلا بد أن نتعلم كيف **نتصرف ونتعايش** معها كي نعيش حياتنا بأفضل ما يمكن ولكي تكون السعادة معنا في السراء والضراء ، خاصة ونحن لا ندري ما قُدر لنا في الغيب فلا ينبغي أن نتعلل بها ونجعلها حجة لقعودنا وفشلنا.

وهنا ينبغي الانتباه إلى مسألة مهمة.. وهي أننا عندما نقرأ أحوال الأمم والشعوب الغابرة في كتب التاريخ وما مروا به من فتن وحروب ، أو عندما نتفرج على مآسي الأقوام والبلدان المعاصرة في الفضائيات ، فنحن عادة لا نتأثر ونهتز بنفس المقدار الذي نتأثر به حين نسمع بحادث ربما يكون أقل شأناً ولكنه قريب منا جداً.

فمثلاً عندما نشاهد خبر هزة أرضية تتسبب في قتل الآلاف وتشريد مئات الآلاف خلال ثوان معدودة .. أو انفجار في معمل يستخدم وقوداً غير تقليدي يؤدي إلى موتٍ وتشوهاتٍ ليس فقط



للأشخاص الموجودين فعلاً وقت الحادث وإنما لأولادهم وربما لأحفادهم من بعد .. أو نشاهد مناظر المجاعات والنساء والأطفال الذين يشربون المياه الطينية الملوثة في افريقيا وغيرها ... كل هذا وأضعافه قد لا يؤثر فينا بقدر ما يؤثر فينا خبر انفجار حصل في السوق المجاور لنا ذهب ضحيته خمسة أشخاص أو عشرة ربما.

وهذا بسبب أن الخطر القريب ليس كالبعيد سواء كان بعده مكانياً أو زمانياً.

وليس هذا تهويناً للمأساة التي نعيشها ولكن نريد أن نقول أن البشر في أماكن أخرى يعيشون مثل هذه المآسي وربما أكثر، ولكن بصور مختلفة.

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

بتقلب الدهر تُعرف جواهر الرجال

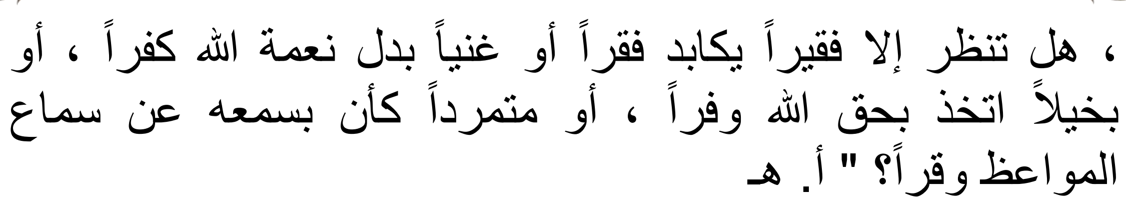
ومع ذلك نبقى نتصور أننا فقط من دون البشر نعيش مآسٍ لم يرها أحد غيرنا من البشر وذلك بسبب التهديد المباشر الذي نتوقعه في كل لحظة ..

ومثل هذا الكلام ينطبق كذلك على الذي تعرض لزلزال أو مجاعة أو طوفان أهلك الحرث والنسل ، فكل منهم يرى أن مصيبته أعظم المصائب وأن غيره في خير وسعة مهما حدث له.

والجزع من المصائب وإلقاء اللوم على الأقدار ليست سمة عصرنا فقط بل تجدها في كل زمان ومكان ، ولو قرأنا في بعض الكتب القديمة لوجدنا مثل هذا ، فمثلا يروي شهاب الدين الابهيشي في كتابه المستطرف قول بعضهم :

" نحن في زمان لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً ، والشر إلا إقبالاً ، والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً ، اضرب بطرقك حيث شئت





، هل تنظر إلا فقيراً يكابد فقراً أو غنياً بدل نعمة الله كفراً ، أو بخيلاً اتخذ بحق الله وفراً ، أو متمرداً كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقراً؟ " أ. هـ

هذا الكلام كُتب في القرن التاسع للهجرة ، فتأمل.

تأمَل كيف يكون الحال عندما يصل الأمر بالإنسان أن يعتقد انه كائن مسيّر ولا خيار له إلا الاستسلام للتيار. وان المصائب والمصاعب بلغت حداً يستعصي على التغيير.

وبالمقابل حينما تنطق الحكمة بالسِنَة علماء ربانيين فقهوا الحياة والأقدار وعرفوا أن الإقدام والنجاح هو قدر المؤمن الحق ، سوف نسمع كلاما آخر.

سمع حكيم رجلاً يقول لآخر : لا أراك الله مكروهاً.

فقال: كأنك دعوت عليه بالموت ، فإن صاحب الدنيا لا بد أن يرى مكروهاً.

وقال الثوري رحمه الله : لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة.

وقال وهب بن منبه : إذا سُلك بك طريق البلاء سُلك بك طريق الأنبياء.

وكان يُقال : بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال.

وليست هذه دعوة لاستجلاب الشر والفرح به فرسول الله ﷺ علمنا أن نسأل الله العافية ولكنا نقرر واقعاً نعيشه ويعيشه غيرنا. وندعوك لحياة إيجابية لا تستسلم لهذا الواقع.

ولذلك تنبه الحكماء لهذا وعدّوا المصائب والمحن أموراً من طبائع الحياة لا بد أن يمر بها الإنسان بصورة أو بأخرى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾



إن من سمات العظماء أنهم لا يُلقون اللوم على بشر أو قَدَر بل يعارضون الأقدار بالأقدار كما فعل سيدنا عمر رضي الله عنه في القصة التي افتتحنا بها المقال ، خاصة وأننا لا نعلم ما الذي قدر لنا ، وما أدرانا أن الله تعالى قد هيأ لنا النجاح والغلبة والسرور في أسباب كان ينبغي أن نتبعها ولكنا ضيعناها بتكاسلنا وقعودنا ؟

بل نحن المسلمين نعتقد جزماً أن الله تعالى لم يخلقنا ليعذبنا ، فهو الغني الحميد ، الرؤوف الرحيم ، بل خلقنا لخلافة الأرض واعمارها ، ونعتقد في كل ما نرى من شرور وابتلاءات أن رحمة الله تعالى قريبةً منا وأنها وسعت كل شيء ، وأن ما نواجهه من مصاعب ومعوقات لا تعدوا أن تكون مكفرات نتجاوزها بالتوبة والاستغفار أو اختبار نتجاوزه بالصبر والرجولة والثبات . وفي كل خيرٌ واجر.

النـــاجحون والعظمـاء لسـان حالهم يقول دائماً **" أنا لها "**

صحيح إن الصور الظاهرة مؤلمة والموت له رهبة في الصدور، ولكن إذا اعتقدنا بما وراء ذلك من رحمة وخير وحكمة هان الأمر ولم يعد معوقاً.

حُبس رجل يكنى بابي أيوب خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو إليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته يقول :

صبراً أبا أيوب صبر مبرح
وإذا عجزتَ عن الخطوب **فمن لها**

إن الذي عقد الذي انعقدَت به
عقــــد المكاره فيك يملك حلـــها

صبراً فإن الصبر يعقب راحة
ولعلهــــــا أن تنجلي ولعلـــــــها





فأجابه أبو أيوب يقول :

صبّرتني ووعظتني **وأنا لها**

وستنجلي بل لا أقول لعلها

ويحلها من كان صاحب عقدها

كرما به إذ كان يملك حلها

فما لبث بعد ذلك أياماً حتى أُطلق مكرماً.

الناجحون والعظماء لسان حالهم يقول دائماً مثل أبي أيوب " **أنا لها** "

وهكذا إذا تفكرت بحكمة الله تعالى ورحمته لعباده لم يبق سبيل إلى القعود والتواكل بحجة الأقدار والظروف ، فهذه حجة ضعيفة ، بل ادفع الأقدار بالأقدار وتمسّكْ بفقه عمر ﵁ وهذا سر من أسرار النجاح نملكه نحن المسلمون ولا يملكه غيرنا ، فنحن نؤمن بالقدر ولذلك لا نجزع إذا أصابتنا مصيبة ونعتقد الأجر والثواب وليس هذا إلا للمؤمن ، ولا نعتذر بالقدر ولا نعلق عليه فشلنا ، بل إن المؤمن كيس فطن ، جرئ مقدام ، هدفه واضح ، وسيرُهُ وعمله مبني على سُنَنٌ وتخطيط.

والنجاح دائماً نصب عينيه ، ولا يوجد في قاموسه كلمة فشل

لأنه يؤمن بما قاله سيد الخلق ﷺ : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط.

ومن قرأ سير الأنبياء والعظماء سيكتشف أنهم كانوا يعدون المصائب والمعوقات تحدياً لا بد من التغلب عليه ، ومن ينظر في سير الضعفاء – إن كان لهم سِيَر – سيجد أنهم يعدون المصائب جبالاً توشك أن تقع عليهم وتحطمهم ، فهم دائماً في رعب وفزع.

فان أردت النجاح وصناعة الحياة فافهم أقدارها .. وتيقن:

- إن رحمة الله وسعت كل شيء وهو أرحم بك من نفسك.





- ان الاقدار خافية عليك فلا تهتم لها وادفع أقدار الشر بأقدار الخير.
- ان حكمة الله تعالى فوق كل شيء وكل قدر وراءه حكمة ربانية قد ندركها وقد لا ندركها.
- ان المصاعب تحَدٍّ لك فقل - أنا لها - ولا تيأس.
- انك مخير في أفعالك ومكلف بان تصنع حياتك وتديرها فلا تترك قيادك لأحد.

والله يسددك ويرعاك.





7

لعبة المشي على الحبل...





إذا راقبت هواة المشي على الحبال ستجدهم يتحركون بثقة وهدوء وسلاسة مثلما تمشي أنت على الأرض ، وهم يحملون عصا طويلة يسمونها عصا التوازن يميلون بها يمنة ويسرة تساعدهم على قطع الطريق بسلام.

وإذا أردنا تشبيهاً دقيقاً لحياتنا فلن نعدو هذا المثل لأن الحياة لا يُحس بجمالها وتناسقها وروعتها إلا من أتقن العيش بتوازن ..

لا إفراط ولا تفريط ..

وإذا لم ينتبه الإنسان إلى هذا التوازن في الحياة ومقاديرها ، فسيتعرض للسقوط الأكيد ، وكلما كان موقع مشيه أعلى كان سقوطه مؤذياً أكثر.

وفي عقيدتنا نحن المسلمين ما يشير ويؤكد هذا المعنى الذي ضربناه للحياة ، فما أشبه الصراط في الآخرة بهذا الحبل الذي يسير عليه الرياضي في الدنيا ، والصراط جسر يضرب على جهنم يسير عليه الخلق فمنهم ناج ومنهم هالك.

نقرأ في حديث الشفاعة الذي رواه أبو سعيد الخدري (... ثم يضرب الجسر على جهنم. وتحل الشفاعة. ويقولون: اللهم سلم سلم". قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال "دحض مزلة. فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان. فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاود الخيل والركاب. فناج مسلم. ومخدوش مرسل. ومكدوس في نار جهنم ...)

قال أبو سعيد: **بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف.**



ولعل في هذا التنبيه الذي ذكره أبو سعيد "أن الجسر أدق من الشعرة" تأكيدٌ لمن يريد النجاة في الآخرة أن يتقن التوازن والوسطية في الدنيا.

ومن لم يجهد نفسه في الدنيا ويأخذها بشدة على هذا التوازن فهو في خطر ولن يتقن العبور في الآخرة.

ونحن في بحثنا الدؤوب عن مصادر السعادة والنجاح والتمكين في الأرض، أولى الناس بأن ننتبه لمثل هذه المعاني (التوازن والوسطية).

وهنا ينبغي أن ننتبه إلى سنة كونية تسري على جميع الخلائق وهي:

أنك إذا أردت الانتصار على خصمك فعليك أن تفقده توازنه (سواء المادي أم المعنوي) فإذا حققت هذا ضمنت النصر.

وهكذا يفكر خصمك أيضا بأن يفقدك توازنك فيضمن النصر.

ولا تنس أن أهم خصومك هي نفسك التي بين جنبيك ، ثم إبليس ، ثم بقية الخصوم على تنوع أسمائهم وصفاتهم كلهم يريدونك أن تفقد توازنك ووسطيتك فتسقط في الدنيا اولاً ثم تهتز أقدامك على الصراط في الآخرة.

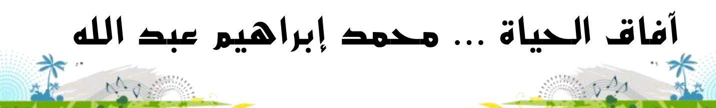
وهكذا إذا أردت وصفة سريعة للنجاح في الحياة فها هي سهلة يسيرة اختصرها لك في كلمتين ... التوازن والوسطية.

ولكن ماذا نعني بهاتين الكلمتين ؟

لا شك أن كل ما نمارسه في حياتنا من علاقاتنا مع الآخرين وفعالياتنا الأخرى من أكل وشرب وعمل وأخذ وعطاء ، كل ما نمارسه من هذه الأمور وغيرها يمكن أن يكون فيه إفراط وتشدد أو تفريط وإهمال .. فأين يكون التوازن والوسطية ؟

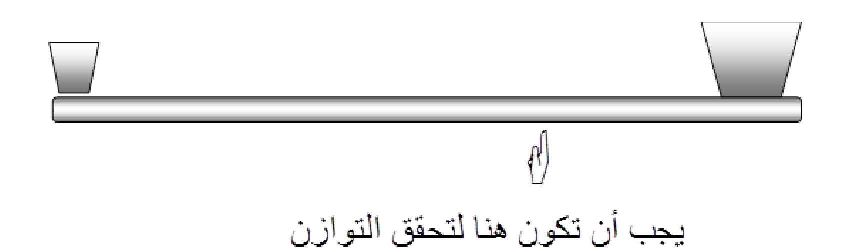
هل تكون في نقطة الوسط بالضبط وهل فعاليات الحياة تقاس بالمسطرة ليمكنني أن أتحقق أين نقطة التوازن في الوسط فأكون فيها ؟ قطعاً ليس هذا هو المطلوب ، فعندما نقول مثلاً إننا امة



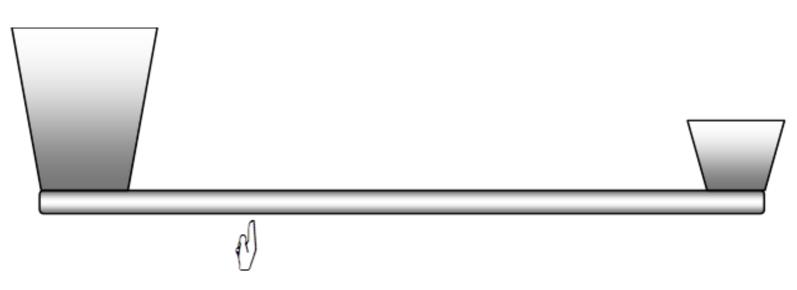


وسطية بين الأمم كما قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ لا نعني أن نكون دائماً في الوسط الحسابي الذي يقسم الشيء إلى نصفين متساويين.

بل المقصود أن نكون في مكان ما (ليس هو الوسط الحسابي بالضرورة) نجعل فيه السلوك أو العمل في حالة توازن (كما في الرسم) وهذا يتطلب منا أن نغير موقعنا أو سلوكنا حسبما يتطلب الموقف لنعيده إلى التوازن إذا اختل.



يجب أن تكون هنا لتحقق التوازن



أو تكون هنا لتحقق التوازن

ولنضرب لذلك مثلاً:

عندما يصاب الإنسان بمرض ما ، قد يمنعه الطبيب من بعض الأكلات ، أو قد يوصيه بتقليل الطعام لفترة محددة وهذا ما نسميه بالحِمية ، وبذلك يعيد التوازن لجسمه ليكون داعماً للدواء الذي سيتناوله ليحقق الشفاء .. هذا الامتناع المؤقت عن الطعام الشهي



هو التوازن في حالة الانسان المريض .. واذا عادت له صحته يمكن أن يعود لسابق عهده وحريته في اكل ما يشاء.

مثل آخر عندما نتعامل مع بيئة متشددة في أفكارها متنطعة لا تبيح الرخص ، ينبغي أن نتكلم معهم .. وبهدوء .. أن الله تعالى كما أمرنا بالعزائم فقد أباح لنا الرخص ، وأن التنطع في العبادة منهي عنه ، وأن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤخذ عزائمه.

وبمثل هذه المعاني نخاطبهم بقول رسول الله ﷺ :

(إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)

(إن الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب أن تؤتى فريضته)

(يسروا و لا تعسروا)

(إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)

(إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)

قال ابن عباس : إن الله يحب أن تؤتى مياسره كما يحب أن تؤتى عزائمه

وعن عطاء قال : إذا تنازعك أمران فاحمل المسلمين على أيسرهما

وعن عائشة قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ الذي هو أيسر .

ولكن في بيئة أخرى يسود فيها الإهمال والتواكل ، وأهلها لا تجدهم نافعين في أمر من أمور الدنيا وعمارتها ، ولا في أمر من أمور الآخرة .. لاهين غافلين لا همَّ لهم إلا ملء البطون وارتكاب الشهوات .. في مثل هذا الحال يكون إعادة التوازن بخطاب آخر ، نثير فيه العزائم ونُعلي فيه الهمم ، نذكرهم فيه بقول الله تبارك وتعالى :



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ونذكرهم بقول ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبَيَّ فقال: كن في الدنيا كأنَّك غريب أو عابر سبيل.

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك.

وقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : إنكم تغدون وتروحون إلى أجل قد غُيِّب عنكم علمه ، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا.

وقول عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن لكم ، وتأهَّبوا للعرض الأكبر على الله..

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾

ونروي لهم قصص الهمم العالية كقصة صهيب رضي الله عنه حين خرج مهاجرًا بعد رسول الله ﷺ ووقف المشركون في طريقه وقالوا: جئتنا صعلوكًا مغامرًا واليوم تخرج بالمال ، لا ندعك تخرج حتى تعطينا مالك.





فيدلهم على مكان ماله ، فيتركوه ويستقبله رسول الله ﷺ في المدينة مبشراً: ربح البيع أبا يحيى ويفوز بالصفقة.

ونقول لهم إن العرب في جاهليتهم وإسلامهم تذم كثرة الأكل والشرب وتتمدح بقلتهما

ونحفزهم بهتاف وليد - رحمه الله -

كن رابط الجأش وارفع راية الأمل

وسر إلى الله في جد بـلا هزل

وإن شعرت بنقص فيك تعرفــه

فغذ روحك بالقرآن واكتمــل

وحارب النفس وامنعها غوايتها

فالنفس تهوى الذي يدعو إلى الزلل

وهكذا كلما رأينا شططاً وتنطعاً في جانب نحاول أن نتحرك إلى مكان مقابل نستطيع أن نعيد فيه التوازن إلى المجتمع.

ومثل هذا الكلام ينطبق على أفكارنا .. وأعمالنا .. وعلاقاتنا مع أولادنا وأسرتنا .. والآخرين .. وتفاعلنا مع الأفكار والحضارات الأخرى.

وأولاً وقبل كل شيء في تفاعلنا مع أنفسنا وترويضنا لشهواتها لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

فالقائد الجبان المتردد لا يقود جنوده إلى النصر.

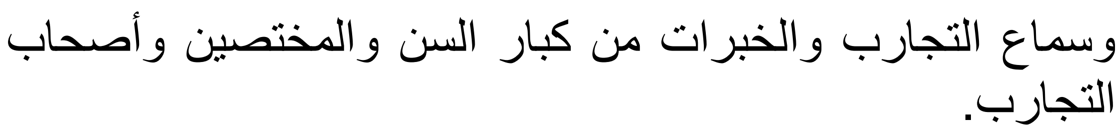
والمدير المبعثر لا يعلم موظفيه على النظام.

والداعية الذي لا يضبط نفسه أمام الأكلات والشهوات لا يربي أحداً على الزهد والبذل.

والغني البخيل لا يؤذن له بالكلام عن الإنفاق والتضحية.

ولكي لا تخطئ المكان الصحيح والتصرف الصحيح في نقطة التوازن التي ينبغي أن تقف عندها ... أجهد نفسك بالقراءة والبحث





وسماع التجارب والخبرات من كبار السن والمختصين وأصحاب التجارب.

وانظر في عواقب المتنطعين وأصحاب الشهوات من الأفراد والأمم واتعظ بها.

وانظر في أحوال الصالحين والناجحين الذين عاشوا حياتهم بتوازن وكانوا منائر هاديةً للآخرين.

انظر إلى ما حولك في الكون تجده يسير بتوازن عجيب هادئ .. إلا الإنسان فهو وحده الذي يثير الفوضى والمشاكل.

فإذا عودت نفسك على التوازن والوسطية في حياتك فاعلم أن النجاح حليفكَ في كل المجالات ، وأن الكون بما فيه سيدعم جهدك ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وان العالَم سيفسح لك المجال لأنك عرفت هدفك .. وقررت أن تصنع الحياة.





...مع الخالدين







لَوْ خيرتَ طفلا صغيراً بين أن تعطيه قطعة من الحلوى ينتهي من أكلها في دقيقة ، وبين أن تعطيه علبة كاملة تبقى عنده فترة أطول لاختار الثانية حتماً. ولو خيرت أبناءك الصغار في أن تخرجهم في نزهة تستغرق ساعة وبين أن تخرجهم في نزهة تستغرق نهاراً كاملاً لاختاروا الثانية.

هكذا يكبُر حب الخلود وحب المتعة الدائمة التي لا تنقضي مع الإنسان كلما تقدم به العمر ، لأن حب الخلود فطرة فُطر عليها الإنسان ، يبحث عنها الصغير كما يبحث عنها الكبير لا فرق ، وكذلك لا فرق بين المتعلم والجاهل والفقير والغني والمؤمن والكافر... كل إنسان يحرص على الخلود بطريقة تناسبه ويستطيع التعبير عنها.

ولذلك خلق الله تعالى للإنسان الجنة والنار وجعل مصيره لأحد هذين المكانين ليحقق له الخلود ، حيث لا موت هناك ، يقول رسول الله ﷺ : **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيه.**

كنت أفكر في هذا الأمر وأنا أتجول بين الأهرام الثلاثة وأبي الهول في مصر ، كيف أن الفراعنة بما ملكوا من أسباب القوة والطغيان ، واستعباد البشر ، عبروا عن حبهم وتمسكهم ورغبتهم بالخلود بهذه الأبنية المهولة التي أصبحت مزاراً للسياح من مختلف أنحاء العالم.

ولم يكتفوا بهذا بل برعوا بتحنيط موتاهم بطرق فريدة حافظت على جثثهم عبر آلاف السنين ظناً منهم أن الأرواح ستعود إليها وتجد الجسد لتحل فيه مرة أخرى.



ولو كشف لهم الحجاب وعلموا أن فراعينهم سينتهون في صناديق زجاجية يتفرج عليها الصغير والكبير مقابل مبلغ زهيد لما فعلوا ما فعلوه.

ولا يزال كل من يملك سببا من أسباب القوة (المال – الجاه – الرئاسة – الرياضة – الفن – الكتابة – الخطابة) يحاول جاهداً أن تُخلّد مآثره وأعماله وأن ينجز عملاً يذكر من بعده.

وهذه الفطرة (حب الخلود) تعتبر دافعاً قوياً للإنجاز عند البشر وهكذا أرادها الخالق تبارك وتعالى ، أن تكون دافعاً للخير عند البشر في الدنيا ، لكي يمتلك الخلود الفعلي في الآخرة.

ولم يحرم الحق تبارك وتعالى هذا الإنسان الضعيف من أسباب الخلود في الدنيا ليحقق له هذه الفطرة فأمره بالعمل الصالح ليبقى ذكره باقياً في عقبه ، يقول النبي ﷺ: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**.

ولذلك ترى كلمات المصلحين والعظماء وأفعالهم تخلد على مر الأزمان يتناقلها الناس ويطبقونها ويفخرون بترددها لأن أصحابها كانوا يقصدون بأفعالهم وأقوالهم نفع الآخرين وصلاحهم وهذا هو الذي يخلد العمل ويجعل الناس تتمسك به ، ولا شك أن الأنبياء في القمة بين الخالدين الذين حفظت أقوالهم وأفعالهم على تفاوت في دقة الحفظ ، ولا يكاد يخلوا كلام أي خطيب أو محاضر أو واعظ من اقتباسات من كلامهم ، وكذا اقتباسات من شعر ونثر وحكم وأمثال خالدة يسدد بها كلامه ويقويه.

بل إن بعض الحكم والمقولات الخالدة تُركز عند الناس عقائد وممارسات وأفعالاً ترسم مسيرة حياتهم.

وهكذا الناجحون في كل زمان ومكان لا يرضون بإنجاز وقتي أو مرحلي بل يبحثون عن الأعمال الخالدة جهد استطاعتهم.



كنت أتحدث مرة مع أحد الشيوخ الفضلاء فقال: التقيت في خمسينيات القرن الماضي مع أحد الدعاة ، فأوصانا من ضمن ما أوصانا به أن نبحث دائماً عن الكلمات والعبارات الخالدة ولا يكون كلامنا لغواً ، وقال لنا – لتكن عباراتكم خالدة تحفظ وتنقل للآخرين.

ولقد كرمنا الله تعالى نحن المسلمين بالقرآن الكريم وهو أعلى وابلغ وأجمل كلام سمعه البشر ولعلنا لا ندرك حقيقة جماله لبعدنا عن الفصاحة ولأننا لا نتكلم العربية التي كان يتكلم بها العرب الأوائل ولذلك لا نشعر بالانبهار الذي شعر به العرب حينما سمعوه ، ومنهم الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن ، حتى عرف أبو جهل ذلك التغير في وجهه فقال له من ضمن ما قال:

- ... فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له.

قال الوليد :

- وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ماتحته.

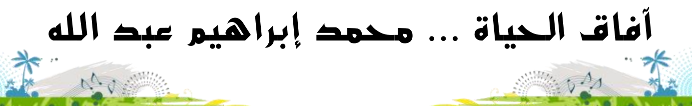
قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال : فدعني حتى أفكر. فلما فكر قال هذا سحر يؤثر.

وأيضا كرمنا الله تعالى نحن المسلمون بكلام رسول الله ﷺ وهو أعلى كلام بعد كلام الله تعالى يتداوله المسلمون وغيرهم عبر المئات من السنين وسيبقى خالداً إلى يوم القيامة ، ولقد أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم ، فيعطيك المعنى الكبير بكلمات قليلة ، اسمع مثلا لقوله ﷺ: **سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر.**

كلمات قليلة شرَّعت لعلاقات اجتماعية واسعة بين المسلمين.





وهكذا أقوال السلف الصالح والحكماء ، يتكلمون بكلمات قليلة سهلة الحفظ ولكن يعبرون بها عن معان عظيمة.

فمثلاً سئل سعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟

قال : إذا هلك علماؤهم.

ويمكن بعد ذلك أن تعد آلاف الكلمات والعبارات التي تناقلها الناس وخلدوها في تعاملهم اليومي من الحكم والأمثال وعلموها لأولادهم ، حتى إن كثيراً من العبارات تصبح معتقدات يعتقدها الناس ويعتبرونها مسلمات تقود حياتهم .. منها مثلاً:

من جد وجد ومن زرع حصد

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

التعلم في الصغر كالنقش على الحجر

الطبع يغلب التطبع

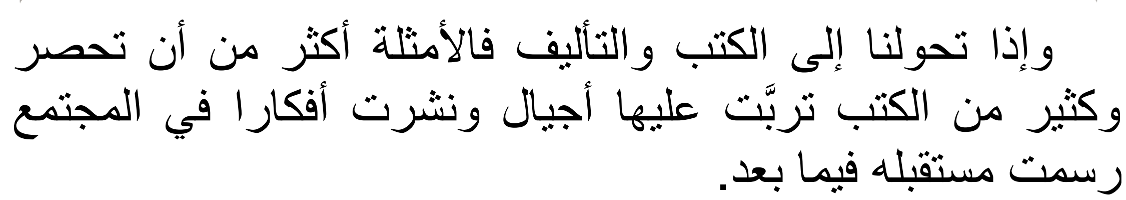
ومئات غيرها من المقولات ، وبغض النظر عن صدق هذه المقولات في الواقع أم لا فالناس تتناقلها وتعتقد بها.

وإذا انتقلنا إلى المباني والصروح التي ينشئها البشر سنجد في كل أنحاء العالم آثار وأبنية خلدت أصحابها الذين بنوها أو الذين أمروا ببنائها ، لقد ترك المهندس سنان في تركيا جوامع ضخمة خلدت اسمه كأبرع مهندس عرفته الدولة العثمانية ، سواء في التصميم أو التنفيذ.

ولو تحولنا إلى الخط مثلاً لرأينا العشرات من اللوحات الخطية في المساجد وعلى الورق خلدت اسم هاشم الخطاط البغدادي ، واسم حامد الآمدي التركي ، واسم يوسف ذنون الموصلي.

وهكذا الأمر إذا بحثنا عن المدارس والمستشفيات التي أوقفها أصحابها لخدمة الناس فخلدت أسماءهم ، ونفس الشيء لو تحولنا إلى المقرئين والمنشدين الذين خلدَتهم أصواتهم وأثرت في الملايين من المسلمين مثل المقرئ محمد رفعت وعبد الباسط والحصري والمنشد الشيخ النقشبندي .





وإذا تحولنا إلى الكتب والتأليف فالأمثلة أكثر من أن تحصر وكثير من الكتب تربَّت عليها أجيال ونشرت أفكارا في المجتمع رسمت مستقبله فيما بعد.

إن أصحاب الهمم العالية لا تكفي أعمارهم لاستيعاب همتهم وأعمالهم ولذا تكون أعمالهم وأقوالهم فعالة ومستمرة من بعدهم.

ويمكنك أن تكون من هؤلاء والأمر ليس بحاجة لمعجزة بل بحاجة أن تكون أنت مقتنعاً بأن وجودك على هذه الأرض (وهو وجود مؤقت لا تعلم نهايته) يجب أن لا ينتهي بموتك بل يفترض بك أن تضيف لهذه الحياة إبداعا وعملاً يستمر بعدك وتذكر به بخير.

ولكي تكون مع الخالدين :

١- لا تضيع وقتك في اللغو وفيما لا يفيد.

٢- لتكن أحلامك كبيرة وهمتك أكبر من أحلامك.

٣- اقرأ في قصص الأنبياء والصالحين والناجحين لتستفيد منها.

٤- احرص على أن يكون يومك أفضل من أمسِك والغد أفضل من اليوم .

٥- تعلم كل يوم شيئاً جديداً مهما كان بسيطاً وعلم غيرك .

٦- أنشر الخير بين الناس واحرص على خدمتهم دون انتظار مقابل .

٧- اعقد النية في قلبك أن تكون كل حركة وكل علم تتعلمه في الله ولله ولنفع الآخرين .

٨- كن صادقاً مع نفسك ومع الآخرين .

٩- لا تتكبر وتواضع لمن علمك .

١٠- ليكن عملك متميزاً ولا ترض بالمقبول .

١١- ركز ثقتك بنفسك واستعن بالله تعالى .





و

...البقعة العمياء





دخلَ أحمد على مديره الجديد الذي التحق بالشركة الأسبوع الماضي ليطلعه على مخطط المشروع الذي بدأت الشركة بتنفيذه ، وبعد أن سلم عليه جلس وقبل أن يتكلم بادره المدير بقوله :

- أهلاً بك يا أحمد أرجوا أن يكون العمل في المشروع على ما يرام ؟

ابتسم أحمد وقال له نعم (وهو يتهيأ للشرح) ولكنه قبل أن يتم كلمة نعم قاطعه المدير :

- اسمع يا مهندس أحمد أنا بطبعي دقيق ولا أحب أي تأخر في مواعيد التنفيذ مهما كانت الأعذار.

أحمد : لن يحدث أي تأخير لأننا ... قاطعه المدير الدقيق

- يجب أن يعرف كل منتسبي الشركة أني في كل المواقع التي شغلتها سابقاً لم أتأخر في موعد سواء كان في الدوام أو في تسليم المشاريع وأريد أن يكون العمل في هذه الشركة كذلك.

أحمد – سنكون عند حسن الظن إن شاء الله ونحن ...

المدير – يفترض أن يكون كل الموظفين في مكاتبهم في الثامنة والنصف وسأشرف على سجل الحضور بنفسي وارجوا أن يكون الجميع ملتزمون.

أحمد - إن شاء الله أردت أن أخبرك عن ....

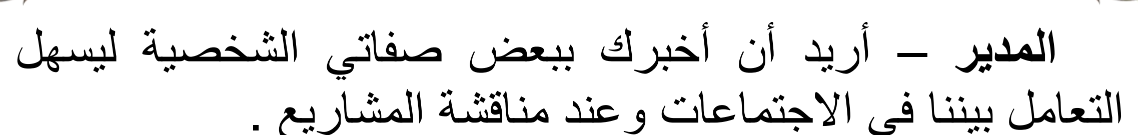
المدير – وأريد أن أطلع على المشاريع السابقة للشركة لأعرف نقاط الضعف وأعالجها ليكون أداء الشركة أفضل من السابق .

أحمد – سيكون ذلك ولهذا أتيت الآن لأطلعك على ...

المدير – أهم شيء في الشركات الناجحة إدارة الوقت والعمل المنظم الدقيق وأنا أتأمل فيكم خيراً.

أحمد – شكراً لك سيدي المدير هذه أوراق الـ....





المدير – أريد أن أخبرك ببعض صفاتي الشخصية ليسهل التعامل بيننا في الاجتماعات وعند مناقشة المشاريع .

أحمد - ؟!

المدير – أنا لا أحب الكلام الكثير ..

أحمد - ؟؟!!

المدير – وأنزعج كثيراً من الذي لا ينصت للآخرين ..

أحمد - ؟؟؟!!!

المدير – ولا يعجبني الشخص الذي يقاطع محدثيه دائماً .

أحمد - ؟؟؟؟!!!!

المدير – ولقد تعلمت من ممارستي الطويلة للإدارة أن هذه من مواصفات القائد الناجح ألا تعتقد ذلك ؟.

أحمد – نعم ، نعم .. ذلك واضح جداً ولذلك أتيت لأخبرك ...

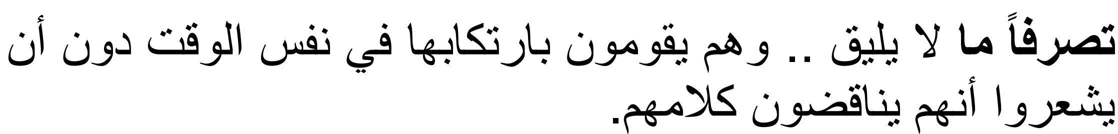
المدير- أرجوا أن لا أكون قد أكثرت من الكلام عليك وشغلتك عن عملك ، تستطيع أن تأخذ راحتك في الكلام .

أحمد - !!! ....

مثل هذا المشهد نراه في مواقف كثيرة في حياتنا من أناس لا ينتبهون إلى بعض الخصال التي يحملونها ... ويتميزون بها ... ويرهقون بها غيرهم ، فهذا المدير الدقيق يقول أنه يحترم الوقت ... مع أن الواقع يقول انه يتكلم بكلام لا داعي له ولا مبرر ولا يشعر بالوقت الذي يقتله بهذا اللغو ، وهو مقتنع بأنه قد تعلم صفات القائد الناجح الذي يتميز بالإنصات للآخرين ... بينما نراه لا يدع محدثه يقول ما عنده ، وهو مقتنع أن مقاطعة الآخرين عادة سيئة لا تعجبه ... وهو يمارسها بتفوق.

وربما شاهدت وسمعت مواقف متنوعة عديدة على هذه الشاكلة من أشخاص .. رجالاً أو نساء مقتنعون بأن **صفة ما** مزعجة وأن





تصرفاً ما لا يليق .. وهم يقومون بارتكابها في نفس الوقت دون أن يشعروا أنهم يناقضون كلامهم.

هذه البقعة العمياء موجودة عند كل شخص بنسبة ما فهي موجودة عندي وعندك وعند الآخرين ولكنها تتفاوت في شدتها من شخص لآخر ، وكلما استطاع الشخص التعرف على هذه البقعة العمياء وعالجها كلما كان تواصله مع الآخرين رائعاً ونجاحه في علاقاته سهلاً.

فما هي هذه البقعة العمياء ؟

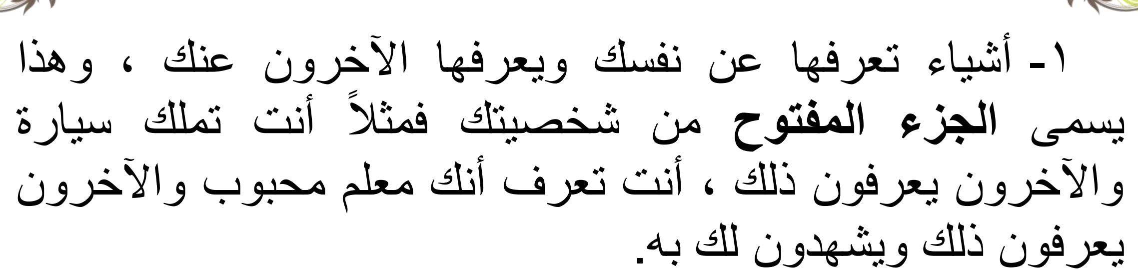
بدايةً كل إنسان يعرف في نفسه مواصفات معينة وقد يجهل صفات أخرى يمتلكها فعلاً.

والآخرون يعرفون عن هذا الإنسان صفات وسلوكيات ويجهلون أخرى.

ولو رسمنا مربعاً يجمع هذه المتغيرات فسينتج عندنا **أربعة** احتمالات وهي:

	ما تعرفه عن نفسك	**ما لا تعرفه عن نفسك**
ما يعرفه الآخرون عنك	**الجزء المفتوح**	**البقعة العمياء**
ما لا يعرفه الآخرون عنك	**الجزء الخاص**	**الجزء المجهول**





١- أشياء تعرفها عن نفسك ويعرفها الآخرون عنك ، وهذا يسمى **الجزء المفتوح** من شخصيتك فمثلاً أنت تملك سيارة والآخرون يعرفون ذلك ، أنت تعرف أنك معلم محبوب والآخرون يعرفون ذلك ويشهدون لك به.

٢- أمور تعرفها أنت ولا يعرفها الآخرون عنك ، وهذا هو **الجزء الخاص** الذي تحرص دائماً على أن لا يطلع عليه أحد ، مثل مدخراتك ورصيدك في البنك ، علاقاتك الخاصة ، تصرفات معينة لا تظهرها لأحد.

٣- خصائص وصفات لا تنتبه أنت لها ولا تلفت نظر الآخرين وهذا **جزء مجهول** لا يؤبه له عادة من قبل الجميع.

٤- وأخطر هذه الاحتمالات الأربعة صفات وسلوكيات عندك لا تنتبه أنت لها ، وينتبه لها الآخرون .. وهو ما يسمى **بالبقعة العمياء** .. لأنك لا تراها عادة ولا تحس بها ولكنها واضحة جداً للآخرين يميزونك بها وربما تستنكرها أنت أمامهم بينما يضحكون منك في سرهم ويستغربون كيف تستنكر شيئاً وتفعله.

وفي الحقيقة أنت قد لا تتعمد هذا بل لا تصدق أنك تفعل نفس الشيء الذي تستنكره.

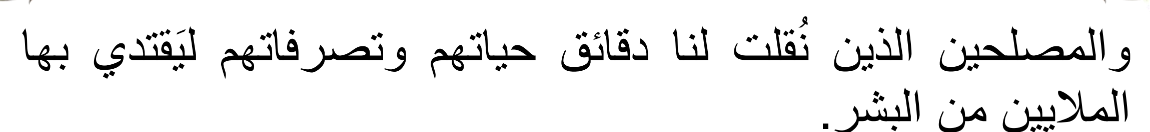
ومن هنا جاءت خطورة البقعة العمياء لأن صاحبها لا ينتبه لها فهو يرتكب تصرفاً أو يحمل خلقاً ذميماً وهو يعتقد خلاف ذلك بل يستنكره بوضوح.

وقد يمتنع أصحابه أو زملاؤه عن تنبيهه حياء منه أو ربما يحاولون تنبيهه تصريحاً أو تلميحاً ولكنه لا يقتنع بأنه يفعل ما ينهى عنه.

والناس يتفاوتون في نسبة امتلاكهم لهذه الحالات الأربع.

- فمنهم مثلاً من يكون **الجزء المفتوح** عنده أكبر الأجزاء فيكون واضحاً صريحاً مع نفسه ومع الناس وهذا حال الأنبياء





والمصلحين الذين نُقلت لنا دقائق حياتهم وتصرفاتهم لِيَقتدي بها الملايين من البشر.

- ومن الناس من يكبر عنده **الجزء الخاص** فيعيش بين الآخرين غريباً وتوضع عليه علامات استفهام كثيرة ولا يرتاح أحد في التعامل معه وتقل دائرة نشاطه وفاعليته باستمرار حتى ينطوي على نفسه ويعتزل الحياة.

- ومنهم من يكون **الجزء المجهول** في حياته هو الغالب وهذا واقع الكثيرين الذين لا يبحثون عن الطاقات الكامنة في نفوسهم ، ولا يستثيرونها ولا يعلمون عنها شيئاً ومن باب أولى لا يعرف الآخرون بهذه الطاقات المدفونة ولا يستثمرها أحد ، ويمرون بهذه الحياة عبئاً عليها ويغادرونها ولا يحس بهم أحد.

- ومنهم من تكبر عنده **البقعة العمياء** فيقع في المتناقضات وتبرز المشاكل عنده ويعيش في حيرة من أمره ، لأنه ينتقل من إحباط إلى آخر ولا يدري ما السبب وقد ينجح في عمله ولكنه يخسر زملائه وإخوانه فيبقى في شقاء مستمر. ويتركز عنده اعتقادٌ أن الآخرون هم المخطئون دائماً وأن لا أحد يفهمه أو يحسن التعامل معه ، وأنه لم يخلق لهذا الزمان لأنه فلتةٌ لا تتكرر وزماننا هذا لا يعترف بالفلتات والنوابغ.

أو يرتكب الأخطاء القاتلة ولا يصحح له أحد خوفاً من بطشه ، لذا تجد هذه البقعة العمياء واضحة جداً عند المتسلطين والطغاة واصحاب النفوذ الذين يحيطون أنفسهم بالمتملقين واصحاب المصالح.

وفي هذا المقام ندرك عظمة التوجيه النبوي الكريم عندما يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

(الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ).



فكما أنك تنظر في المرآة لتعدل ملابسك أو تمشط شعرك وتتأكد أن مظهرك مقبول عند الآخرين ينبغي أن لا تتوانى في أن تنظر لنفسك من خلال الآخرين سواء كانوا أصدقاء أو أعداء ، لتعرف نواقصك وتكملها ، وتعرف الصفات التي ربما تضعف من شخصيتك ومن قبولك عند الآخرين .

لا ينبغي أن تنزعج من النقد الذي تسمعه من الآخرين عنك لأنه في النهاية يساعدك على أن تكون أفضل وتتغلب على الصفات السلبية عندك (بالضبط مثلما لا تنزعج من المرآة إذا نظرت إليها ووجدت خللاً في مظهرك).

مثل هذه البقعة العمياء كثيراً ما تقطع التواصل بيننا وبين الآخرين وقد تحبط الكثير من جهودنا وأعمالنا ، ونبقى نتساءل لماذا لا تثمر أعمالنا ونحن نبذل قصارى جهودنا مع الآخرين ، سواء كان عملنا في السوق أم الوظيفة أم البيت.

ولا ننتبه إلى السبب الحقيقي في أننا نحمل صفات سلبية يراها الآخرون واضحة فينا ولا ننتبه نحن لها .. وأحياناً لا نريد أن ننتبه.

إن العقلاء يفرحون إذا نبههم إنسان لصفة ذميمة عندهم بل يتمنون ذلك ويعدونه من توفيق الله لهم .. اقرأ هذا النص الرائع للإمام الغزالي رحمه الله يعالج فيه هذه البقعة العمياء:

" ... واعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كانت له بصيرة لم تخف عليه عيوبه ، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ، ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوبهم ، يرى احدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه. فمن أراد الوقوف على عيب نفسه فله في ذلك أربعة طرق:

الطريقة الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ، يعرف عيوب نفسه وطرق علاجها ، وهذا قد عز في هذا الزمان



وجوده ، فمن وقع به ، فقد وقع بالطبيب الحاذق فلا ينبغي أن يفارقه.

الطريقة الثانية: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً ، وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله. وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا.وسأل سلمان رضي الله عنه لما قدم عليه عن عيوبه ، فقال: سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة ، وان لك حلتين: حلة بالليل، وحلة بالنهار، فقال: هل بلغك غير هذا؟ قال: لا.

قال: أما هذا فقد كفيتهما.

وكان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة: هل أنا من المنافقين؟

وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه ، إلا انه عز في هذا الزمان وجود صديق على هذه الصفة ، لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة ، فيخبر بالعيب ، أو يترك الحسد ، فلا يزيد على قدر الواجب. وقد كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم ، ونحن الآن في الغالب ابغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا. وهذا دليل على ضعف الإيمان ، فان الأخلاق السيئة كالعقارب ، ولو أن منبهاً نبهنا أن تحت ثوب احدنا عقرباً لتقلدنا له منة ، واشتغلنا بقتلها ، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب على ما لا يخفى.

الطريقة الثالثة: أن يستفيد معرفة نفسه من السنة أعدائه ، فإن عين السخط تبدى المساوئ ، وانتفاع الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه ، أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفى عنه عيوبه.

الطريقة الرابعة: أن يخالط الناس ، فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم، يجتنبه.. ". انتهى

ابدأ بوضع المرايا أمامك من إخوانك وأحبائك وسترى عجباً ، وقد يكون الأمر صعباً في بدايته ولكنه سهل النهاية وما ستعيشه من سعادة في حياتك بتغلبك على البقع العمياء التي ترهقك وتقلل من قدرك عند الآخرين ستعوضك التعب والمعاناة .

ومن يطمح للتغيير وصناعة الحياة يجب أن يصنع نفسه أولاً.





10

...الخروج من الصندوق





دخلَ إحسان على والده ليعيد له مفتاح السيارة التي طلبها منه لكي يذهب لموعد مع صديقه ، ولكنه وجد والده منقبضاً وهو ينظر إلى ساعته ، رغم أنه عاد في الوقت المحدد الذي وعد والده به .

- شكراً لك يا أبي لقد عدت بعد ساعة بالضبط كما قلت لك.
- حسناً ً هات المفتاح ولا تطلب السيارة مرة أخرى.
- ولكن يا أبي أنا لم أتأخر وقد عدت كما وعدتك بالضبط.
- هذه المرة عدت في الموعد ولكنك دائماً تتأخر مع أصدقائك.
- ولكن يا أبي ...
- كفى ، اذهب إلى دروسك وكفى لهواً.
- ؟؟؟!!!

دخلت أم إحسان على صوت النقاش ولم تتدخل فيه ولكن بعد أن خرج الولد التفتت مستفهمة من زوجها فرأته منزعجاً وبادرها الكلام:

- لا أدري ماذا أفعل مع هذا الولد هذا الجيل كله لا خير فيه .. لقد كنا على أيامنا نسمع الكلام من الكبير لمرة واحدة ولا نناقش ونلتزم به أما هذا الجيل ..
- ما الذي حدث يا أبا إحسان ؟ لقد استعار إحسان منك السيارة لموعد مهم وقال لك إنه لن يتأخر أكثر من ساعة وفعلاً عاد بعد ساعة فما المشكلة؟
- ليس هناك مشكلة الآن ولكنها قد تحدث في المستقبل إني أحاول أن أفعل أي شيء لإسعادكم ولكنكم لا تقدرون ذلك .. هذا الولد لا يحس بالمسؤولية ولا يقدر ما أفعله من أجله.

وفي غرفة مجاورة يجلس إحسان مكتئباً يحدث نفسه:

إن أبي لا يفهمني ولا يحاول أن يفهمني .. لقد كبرت وجاوزت العشرين من عمري ، وكلما أردت أن أشعره إني أستطيع أن



أتحمل المسؤولية لا يصدق ذلك .. كيف أستطيع أن أفهمه أني أستطيع أن أتحمل المسؤولية .. وأني أصبحت رجلاً يعتمد عليه .. إني أقوم بكل ما يطلبه مني .. وقد حاولت اليوم أن اثبت له صدقي في كلامي وتصرفاتي فعدت في الوقت المحدد بالضبط ومع ذلك فإني في نظره مقصر ولا أصلح لشيء.

مثل هذا الحوار المقطوع كثيراً ما نسمعه من الآباء مع أبناءهم .. أو من الأمهات مع بناتهن .. أو الشباب مع أصدقائهم.

يريد الأب أن يربي ابنه على تحمل المسؤولية ولكنه يتصرف بصورة لا تحقق الغرض بل بالعكس تدفع الابن إلى ارتكاب الخطأ دفعاً وتوصل رسالة خاطئة له هي بالضبط عكس ما يريده الأب.

ولكن لماذا نظن أن الآخرين لا يفهموننا ولا يقدرون جهودنا ؟ ولماذا نظن أننا دائماً على حق وأننا مظلومون وأن الآخرين هم المخطئون الظالمون لنا.

في واقع الأمر نحن غالباً ما نضع أنفسنا في صندوق مقفل ننكمش فيه ولا نرى العالم إلا من خلاله ، هذا الصندوق قد يمثل أفكاراً نحملها ، أو أعرافاً وتقاليد نظن أنها هي وحدها الصحيحة وما سواها هو الخطأ المحض ، وقد يحوي هذا الصندوق مشاعر وأحاسيس تجاه الآخرين لا نناقشها عادة ونعتبرها من المسلمات وان كانت وهماً.

وكلما أحكمنا إغلاق هذا الصندوق كلما ازددنا بعداً عن الواقع وعن الحقيقة وبالتالي تزداد مشاكلنا مع أبنائنا وبناتنا ونظن أنهم جيل سيء ولا نعيد النظر ولو لمرة واحدة في وضعنا .. بل لا نصدق أننا نحن الذين حصرنا أنفسنا في نطاق ضيق من التفكير والمشاعر والأحاسيس تجاه الآخرين والتي تسبب لهم ألماً وإحباطاً يؤدى بهم في النهاية إلى أن ينغلقوا على أنفسهم ويتقوقعوا في صندوق مشابه .. وبالتالي ينقطع الاتصال بيننا وبينهم.



إن مشهد إحسان مع والده يمثل أنموذجاً للدخول إلى الصندوق ويبين نتائجه الخطيرة .. فقد يؤدي في النهاية إلى فقدان الثقة بين الأب وابنه ويدفع الابن إلى العصيان مع سبق الإصرار ، لأنه جرب الطرق التي يمكن أن ترضي والده ولم يفلح فيها.

وهو يشعر بالنهاية أن والده لا يفهمه ولا يقدره رغم كل ما يبذل من جهد ، فجهوده إذا ضائعة ولا فائدة منها.

الشخص الذي يدخل تفكيره ومشاعره في الصندوق .. يرى نفسه دائماً أنه **على حق** فيما يفعله ، وهذا ما قاله أبو إحسان: (لقد كنا على أيامنا نسمع الكلام من الكبير مرة واحدة ولا نناقش ونلتزم به ..) (إني أحاول أن أفعل أي شيء لإسعادكم ولكنكم لا تقدرون ذلك ..)

وكذلك هو **يرى أن ابنه على خطأ** (هذا الولد لا يحس بالمسؤولية ولا يقدر ما أفعله من أجله).

والابن بدوره **يرى نفسه أنه على حق** لأنه حاول أن يثبت لوالده أنه صادق في مواعيده وأنه قد أصبح رجلاً يُعتمد عليه .. ويستطيع تحمل المسؤولية ، **ويرى أن والده مخطئ وظالم له** لأنه لا يريد أن يفهمه ، ولأنه يبقى منزعجاً بدون مبرر حتى وان قام بكل ما يطلبه منه.

لو تخيلت نفسك في هذا المشهد وأنت تعيش في صندوق مقفل لا ترى أحداً .. ولا تسمع غير صوتك .. ولا تحس إلا بمشاعرك وانفعالاتك فقط .. ما الذي سيحدث ؟

إنك ستحكم على الآخرين بأنهم لا يفهمونك ولا يقدرونك .. ولن تسأل نفسك أبداً: كيف يقدرك الآخرون ويفهمونك وهم لا يستطيعون الدخول إلى صندوقك الذي أقفلته على نفسك؟

ولا تفتح أنت الباب لتخرج إليهم ؟!



إن مثال إحسان وأبيه يتكرر كثيراً في مجتمعاتنا التي حرمت من أجواء الحرية والحوار لعقود كثيرة .. المجتمعات التي تعلمت أن تسمع رأياً واحداً وترى مشهداً واحداً.

المجتمعات التي تتعرض لإرهاب فكري يدفعها دفعاً لأن تنغلق على نفسها وتتقوقع لتحافظ على ما تظنه صلاحاً وإصلاحاً.

بل حتى في المشاعر والأحاسيس تعودنا في مجتمعاتنا أن نضعها في قوالب وصناديق غريبة .. ونراها من عزائم الأمور ... مثلاً الذي يحزن على ميت يجب أن يحزن ثلاثة أيام ولا يجوز أقل من ذلك ، ولا يستطيع أن يزيد في مجلس العزاء عليها.

والذي يفرح بزواجه يفرح لأربعة أيام وربما امتدت إلى شهر عسل واحد فقط ولا يجوز أن يمتد إلى شهرين ... وهكذا نصنع الصناديق بأيدينا لنغلف بها أفكارنا ومشاعرنا ولا نسمح لشيء أن يدخل إليها أو يخرج منها وإذا أردنا تصديرها صدرناها بصناديقها المقفلة وبدون تغيير.

إن مشاكلنا مع أبنائنا ومع الآخرين تبدأ من هنا ... والذي يدخل إلى الصندوق سيجبر المقابل على أن يدخل إلى صندوق آخر ويقفل عليه ، وبذلك تنقطع بينهما الاتصالات ويصعب على أي منهما فهم الآخر.

والذي يدخل الصندوق عادة ما يرى الآخرين يمثلون تهديداً حقيقياً له ولذلك يحاول حماية نفسه وأفكاره منهم ، وهم بالمقابل يفعلون الشيء نفسه.

والذي يدخل الصندوق لا يمكنه أبداً أن يغير من نفسه ومن واقعه ولذلك يبقى في خوف ورعب من الواقع حتى يغادر الحياة.

والذي يدخل الصندوق يتهم الآخرين دائماً أنهم هم السبب في كل مشاكل الحياة ولطالما سمعنا آباءً يرددون .. أن الذي حطم حياتهم هم أبناؤهم مع أنهم أحسنوا تربيتهم ، وتعبوا عليهم وانفقوا الأموال لإسعادهم !



والذي يدخل نفسه في الصندوق لا يمكنه أبداً أن يتطور أو يتعلم من الحياة أو من الآخرين ويبقى جامداً حتى تجف أفكاره وينتهي عطاؤه.

وهذا الصندوق لا يدخله الأفراد فقط ، **بل يمكن أن تدخله الجماعات والمؤسسات والمنظمات والدول والحكومات والشركات** ، وينطبق عليها نفس الكلام الذي قلناه على الأفراد حينما يتقوقعون .. ويتصندقون .. وبالتالي يصدرون الأحكام الخاطئة على المنافسين .. ويعانون هم من الأحكام الخاطئة التي يصدرها الآخرون عليهم.

إن العيش في صندوق يهدد سعادتنا وعلاقاتنا مع الآخرين .. واستقرار حياتنا وتوازنها ، ويؤثر سلباً على فعاليتنا وإنتاجنا.

والشعور بوجود المشكلة هو بداية الطريق نحو الحل.

ينبغي أولاً أن نتعلم ونعلم الآخرين أننا خلقنا لنعمِّر هذه الحياة ونعيش فيها بسعادة وأن الآخرين في الأصل لا يشكلون تهديداً لنا ، فأولادنا مثلاً وصفهم الحق تبارك وتعالى بانهم ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ وإذا أحسنا التفاعل معهم كانوا لنا ذخراً في الدنيا والآخرة .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"**.

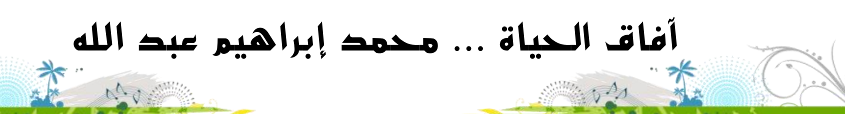
وإذا أردتَ أن تُديم الصلة مع أولادك يجب أن تسأل نفسك أولاً: هل أنا متفهم لهم ؟

لماذا يتصرفون بهذا الشكل ؟

إذا كانت الخبرة تنقصهم وهي معي فلم لا أفيدهم بها ؟

وان كانوا يستمتعون بأسلوب ما في التعامل معهم فلم لا أجربه؟





وإذا شبّوا عن الطوق لم لا أصادقهم ؟
يجب أن أفكر بعقولهم لأفهمهم.
وأن أعيش مشاعرهم وانفعالاتهم لأستطيع علاجها.

إذا خرجتُ من الصندوق الذي وضعت نفسي فيه وفكرت في الآخرين كبشر لهم حاجاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وليس كأشياء تهددني وتسبب لي إزعاجا وخوفاً فإنني في النهاية سأكون الرابح وسأصنع الحياة كما أريدها ولن يوقف أحلامي أحد.

حينما ننفتح على الآخرين ونستمع لأفكارهم وننتبه لمشاعرهم ونحس بها سنفهم سبب تصرفاتهم وأفعالهم ويمكننا أن نتواصل معهم بأفضل مما نفعل الآن.

وإذا خرجنا من الصندوق الذي حصرنا به أفكارنا وأحاسيسنا سندفع الآخرين للخروج من صناديقهم والانفتاح علينا .. وسنتغلب على السدود والحدود التي صنعتها الأوهام بيننا وبين الآخرين سواء كانوا أبناءنا أو أقاربنا أو زملاءنا في العمل أو جيراننا.

واليك بعض المقترحات تعينك على الخروج من الصندوق:

- راجع نفسك أولاً وبصدق لترى موقعك هل أنت في الصندوق أم خارجه ؟ وكذا في تفكيرك ومشاعرك وسلوكك هل أنت منكمش على نفسك أم أنك منفتح على الآخرين؟

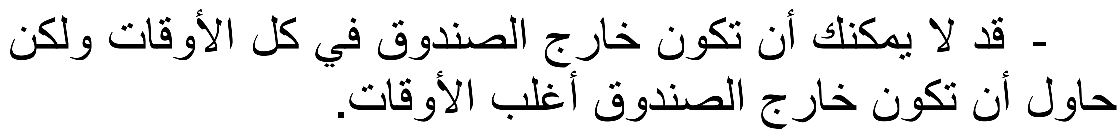
- علم نفسك ودربها على الإحساس بمشاعر الآخرين .

- حاول أن تفكر بنفس الأسلوب الذي يفكر به مخالفك (مع أنك غير مقتنع بتفكيره) لكي تعلم كيف يفكر وربما اكتشفت أن أفكاره توافق أفكارك ولكنه لا يحسن التعبير عنها.

- كلّم الناس بالأسلوب الذي يرتاحون له مع المحافظة على شخصيتك وخصوصيتها وسترى أن الآخرين سيفتحون لك قلوبهم كلما كنت منفتحاً معهم.

- لا تعامل الآخرين بالأوامر وعاملهم بالحب والتقدير وستجد أنهم سيعطونك أكثر مما تطلب منهم.





- قد لا يمكنك أن تكون خارج الصندوق في كل الأوقات ولكن حاول أن تكون خارج الصندوق أغلب الأوقات.

- أنت الانسان الذي قدر الله لك أن تبني وتعمر وتصنع الحياة فلا تسجن نفسك بيدك واخرج إلى الفضاء الواسع الرحب وانطلق ليكون لك شأن يذكر عند الله وعند الناس.





11

...الولادة من جديد

بين يدي الاشهر الحرم .. والحجاج يتأهبون للسفر الى بيت الله الحرام كانت هذه المقالة







مَنْ منا لم يتمنى يوماً أن يعود به الزمن الى الوراء ليصحح الكثير مما ارتكبه من أخطاء في حياته ، أو ليكثر من عمل تأكد له نفعه ، أو يمتنع عن عمل تأكد له ضرره وخطأه .

بل لا تكاد تجد انساناً ذكراً كان أم انثى إلا وتسمع منه الحنين الى أيام شبابه وطفولته ، ويتمنى لو عاد به الزمن الى الوراء لفعل وفعل الكثير.

هذا الحنين بالعودة الى الماضي لا شك أن وراءه رغبة صادقة ملحةً بتصحيح المسار الذي سار به هذا الانسان ـ تصحيحه نحو الافضل طبعاً كما يراه هو ـ ولكن تبقى هذه الخواطر مجرد أماني لن تتحقق وكلنا يعلم أنها لن تتحقق ، لأن الزمن لن يعود الى الوراء مطلقاً.

وكذلك مما يجعل الانسان يتمنى هذه العودة الى الماضي هو رغبته بالتخلص من تجارب ومواقف سلبية مرت به في حياته يتمنى دائماً لو أنها لم تحدث .. وتبقى ذكرياتها تلاحقه وتنغص عليه عيشه.

ولأن الزمن لن يعود الى الوراء ولأن هذه الذكريات ستبقى .. فأن مداومة التفكير في هذا الماضي المحمل بالمعاصي والاخطاء وربما بالمظالم ، سيبقى من أشد المصاعب التي يواجهها الانسان والتي تعوق عطاءه ، وتمنعه من أن يعيش حياة ايجابية مثمرة... وسيبقى هذا الماضي يؤرقه ويستحي منه ... ويخاف أن يواجه مجتمعه حذراً من الذين يعرفون ماضيه أن يفضحوه.

وبذلك يبقى منكمشاً على نفسه هارباً من شيء مجهول يطارده دائماً ، ويعيش حياته سلبياً منسحباً من أي موقف فيه لقاء أو مواجهة مع الغير.



وربما يضطر أحياناً لترك مدينته أو بلده هروباً من ماضيه المؤلم ، ولكن مع كل هذا سيبقى ذلك الماضي بما فيه من حسنات وسيئات لصيقاً بهذا الانسان لأنه وببساطة ليس شيئاً خارجياً نستطيع أن نهرب منه بسهولة أو نلغيه ، إنه في الذاكرة ، في العقل هو معنا حيثما ذهبنا ، يشاركنا في يقظتنا ومنامنا ، في جدنا ولهونا، لا يكاد ينفك عنا ومن هنا تأتي خطورته.

لقد حاول علماء النفس قديماً وحديثاً أن يبتكروا أساليب ووسائل كثيرة تعين الإنسان في التغلب على سيطرة الماضي السيئ عليه وعلى تفكيره ، وابتكروا طرائق واقترحوا حلولاً .. ولم يتوصلوا الى وسيلة مضمونة تجعل الانسان متجدداً منعتقاً من ماضيه ، بحيث لا يعتبر الماضي سجناً ووحشاً يطارده.

ولقد نجحوا في حالات كثيرة ولكنهم فشلوا في حالات كثيرة أيضاً.

وأحد الحلول الرائعة عندنا نحن المسلمين ، لأننا نملك ما لا يملكون من تشريعات وتوجيهات وضعها ديننا الحنيف لصلاح الانسان وسعادته.

والحل الذي سنركز عليه في هذا المجال هو فريضة عظيمة القدر افترضها الله علينا وهي فريضة الحج ، التي جعلها الله سبحانه وتعالى محطة فاصلة في حياة المسلم لها تأثير كبير على مسار حياته فيما بعد ، بل فيها الحل لما ذكرناه من مشكلة العبودية للماضي.

معلوم أن الحج أحد أركان الدين الاسلامي ، وهو فرض عين على المسلم البالغ العاقل الذي يملك القدرة المالية والبدنية على الحج مع أمن الطريق ، وهو فرض مطلوب لمرة واحدة في العمر، وهذا دليل على أهمية وعظمة هذا الفرض.

هذه العبادة يكفيك أن تؤديها مرة واحدة لتحصل على ثمرة لن تحصل عليها من كل العبادات الأخرى .. هذه الثمرة العظيمة هي



التي عنيناها بعنوان مقالنا ـ لأنها تعتبر ولادة جديدة للمسلم الذي يؤديها.

يقول النبي ﷺ: (من حج لله ، فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه).

هذا الوعد العظيم ـ رجع كيوم ولدته أمه ـ ليس شيئاً هيناً بل له ما بعده.

لنتخيل مغزى هذه العبارة والتي تعد من جوامع كلمه ﷺ

تخيل الولادة الأولى ، حيث يكون الطفل نظيفاً من كل المعاصي والآثام.

وتخيل الولادة الثانية ، حينما يعود الحاج نظيف الصفحات كيومه الأول على هذه الأرض.

تخيل الولادة الأولى ، كيف يكون الطفل غير مكلف بحيث لو توفي قبل البلوغ لم يحاسب على عمل.

وتخيل الولادة الثانية ، حينما تغسل صحائف الحاج من الذنوب فإن مات مات مغفوراً له.

عن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تطول على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله يقول يا ملائكتي عبادي وقفوا فعادوا في الرغبة والطلب فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم التبعات التي بينهم.

في الولادة الاولى يستقبل الناس المولود بالفرح والبهجة والسرور ذكراً كان أم أنثى.



وفي الولادة الثانية يخرج الناس لاستقبال حجاج بيت الله الحرام رجالاً ونساءً بالفرح والحبور ويهنئ بعضهم بعضاً بهذه المناسبة.
في الولادة الأولى ترى الناس يحبون الطفل لبراءته وخلوه من الأعمال السيئة والنوايا الرديئة ولا يحمل أحد ضغنا أو حقداً عليه
وفي الولادة الثانية ينظر الناس الى الحاج كانسان ملائكي جديد غسلته هذه العبادة من ذنوبه فاصبح خلقاً جديداً.
وحينما يأتي الطفل في الولادة الاولى يأتي عارياً يستقبله أهله بثياب بيضاء ولفافات بيضاء.
وفي الحج يتخلى الحاج عن ملابسه الدنيوية المعتادة ليقتصر على الاحرام الذي لا يفرق كثيراً عن (القماط) الذي يلف به الطفل الوليد. اشارة لخلع ماضيه بكل ما يحمله من معان ورموز. وحينما يعود لثيابه المعتادة يكون انساناً آخر.
وعندما يُشهد الله تعالى ملائكته أنه قد غفر لعباده يوم عرفة ، وعادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم ، هذا الإعلان هو في الحقيقة اعلان جديد عن ولادة هذا الانسان طاهراً نقياً مرة أخرى ، لا يحمل هموم الماضي وأعبائه وذنوبه ، فقد مُسحت الصحائف ليبدأ عهداً جديداً مع الله تعالى ومع الناس لا يخالطه غش ولا كدر ولا معصية.
هذه العبادة فرصة ذهبية يمنحها الحق تبارك وتعالى لخلقه ليستدركوا ما فات ويتجاوزوا التقصير الذي يقع به البشر ولا بد ، ويستأنفوا حياتهم بلا عقد ولا رهبة من الماضي.
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).
إن هذه الأمة كما قال ﷺ أمة مرحومة ، هيأ الله تعالى لها عبادات تطهرها من الذنوب وتغسل أدرانها ، عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ : أمتي أمة مرحومة ....



هذه الرحمة التي تدرك المسلم في كل وقت وحين ، تجعله يعيش في اطمئنان وسعادة ورضا ، لا يخاف ماضيه ولا يهرب منه ، ولا يعيش بعقد وانعزال عن مجتمعه ، بل تدفعه للجد والاجتهاد ، مهما حصل له من تجارب فاشلة.

وبعد هذه المغفرة وهذه الولادة الجديدة لملايين المسلمين في كل عام ألا تستحق بعد ذلك أن يحتفل المسلمون ، كل المسلمين بها؟

نعم ... إنهم يحتفلون في كل مكان من العالم بهذا الحدث العظيم ، وما عيد الأضحى الا تعبير عن الاحتفال بهذه المناسبة وبمغفرة الله لإخوانهم.

ويبقى معنى آخر لطيف في هذا الركن العظيم ـ الحج ـ وهو أن الناس يولدون في أماكن شتى ، ومن امهات شتى ، ويتكلمون بلغات مختلفة ، وفيهم الأبيض والاسود ، من اصول مختلفة ، وأجناس متفرقة .....

ولكن الولادة الجديدة ستكون من مكان واحد ، وفي وقت واحد .. من بيت الله الحرام ، أطهر بقعة على الأرض ، كل هذه الاجناس والالوان ستعود الى يومها الأول طاهرة نقية ، فهي وحدة في الولادة الجديدة رغم اختلاف الأعمار والاجناس والاماكن.

وعود على بدء ، إذا اطمأن الانسان أن ماضيه لم يعد عبئاً عليه ، سيشعر حتماً أن حملاً ثقيلاً انزاح عن كاهله ، وحتى لو ذكَّره أحد بهذا الماضي فسيخبره أنه مجرد ماض انتهى وعفى الله عما سلف.

لا شيء أجمل من شعور الانسان بالحرية والانعتاق من كل قيد يشده ويعوقه عن العمل حتى ولو كان ذكرى سيئة.

فهنيئاً لمن فاز بهذه العبادة العظيمة وعاد طاهراً نقياً كيوم ولدته أمه.

هنيئاً له الحرية فلا يضيعها مرة اخرى.





12

...عمل الفريق ومعجزة الارقام







ما الفرق بين الاسرة السعيدة المتماسكة ؟ والاسرة التعيسة المفككة ؟

الأولى ستجد أفرادها في سعادة دائمة مهما كانت ظروفها صعبة وتجدهم يتعاونون في السراء والضراء ولا يخشون من طوارئ الحياة ومفاجآتها ، أما الاسرة المفككة فتجد أفرادها في خوف دائم واضطراب مستمر يخشون كل جديد ويتحاشون المفاجئات وكل منهم يريد لنفسه فقط.

مرة اخرى ما الفرق بين المؤسسة الناجحة والمؤسسة الفاشلة ؟

في المؤسسة الناجحة نجد موظفين وعمالاً متعاونين يحبون عملهم وعطاؤهم في تطور وازدياد لا يخفى عن العين يسعى كل واحد منهم لمصلحة المؤسسة وافرادها بل يضحي بمصلحته الشخصية لمصلحة المؤسسة التي يعمل فيها ، وتجده يمتدح مؤسسته وادارتها ويعبر عن ارتياحه في العمل للآخرين . بينما المؤسسة الفاشلة تجد فيها عكس ذلك ويبقى انهيارها مسألة وقت فقط ، واذا انتهت فلا أحد يتأسف عليها.

في أي عمل جماعي نجد عملا ناجحاً وآخر فاشلاً ... ولو بحثنا عن سبب النجاح والفشل يمكن أن نذكر العشرات من الاسباب ، ولكن ما يهمنا هنا مناقشة سبب يعد من أهم اسباب نجاح المؤسسات وفشلها ونجاح الأسر وفشلها .... بل كل عمل يتطلب جهداً جماعياً.

اصطلح علماء الادارة على تسميته بِ **(عمل الفريق)** ووضعوا له شروطاً ومتطلبات واسباباً ورتبوا عليه نتائج ، وصممت عشرات الدورات في هذا المجال بعناوين منها .. ادارة الفريق .. مهارات الفريق .. الفريق الناجح .. كيف تدير فريقاً .. الخ من



العناوين الكثيرة وكلها تؤدي الى نتيجة واحدة وهي الاجابة عن سؤال: كيف يمكن أن ينجح الجهد الجماعي في تحقيق الهدف؟

وسبب الاهتمام بعمل الفريق هو أن واقع الحياة في تعقيد مستمر ويكفي أن نقارن بين ما كان يتطلب بناء اسرة قبل اربعين سنة وما يتطلب الآن. أو ما كان يتطلب فتح متجر ناجح قبل عشر سنين وما يتطلب الآن ، وهكذا لو نظرنا الى كثير من امور الحياة نجد أن التعقيد في ازدياد مستمر ، وكلما ازداد تعقد الحياة ضعف الاداء الفردي واحتاج الفرد الى غيره ، وهذا ينعكس على الانسان في صورة ارهاق وتعب وتفكير ومعاناة وخاصة في وضع مثل وضع الناس في أغلب الدول العربية الذي لا تتوفر فيه ضرورات المعيشة فضلا عن ترفها.

والانسان بطبعه يحب الخير لنفسه أولا فاذا اشبع حاجاته فربما يلتفت لحاجات غيره ، وربما تبلغ به الانانية والجشع أن يبقى في نطاق مصلحته الشخصية فقط ولو ملك الدنيا.

فكيف يستقيم عمل جماعي وأفراده يهتمون بمصلحتهم الشخصية فقط ؟؟

لذلك بدأت الحكومات والمنظمات والمؤسسات الناجحة تثقف أفرادها على عمل الفريق ... وتدرب افرادها عليه ... لتهذيب الطبع الاناني وليتكامل الفرد مع غيره وصولاً الى الهدف الذي سيخدم الجميع ... وتعلمه كيف يؤجل بعض المكاسب الشخصية ليحصل عليها فيما بعد مع أفراد فريقه في العمل وليس لوحده فقط.

مفهوم (عمل الفريق) اهتم به الاسلام كثيراً ، وأوصى به ، وهذبه وحذر من التهاون فيه.

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً. وقال: يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار.





وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ **قال: من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.**

والجماعة في مفهوم الاسلام **فريق متكامل** يسند بعضه بعضاً ويخدم بعضه بعضاً كالجسد الواحد ، عن **النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.**

وليس هذا في الاعمال العادية فقط ، بل حتى في العبادات حضَّ الشرع الحنيف على ان تكون العبادات جماعية ورتب عليها اجراً أكبر بأضعاف المرات من الاجر الذي يترتب على نفس العبادة عندما يؤديها الشخص بمفرده ، **عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.**

وكان بعض الصحابة اذا فاتته صلاة الجماعة في مسجد ذهب الى مسجد آخر ليدرك الجماعة.

وأكثر من هذا ، أوجب الاسلام أن تكون بعض العبادات جماعية ولا يجوز أن يؤديها المسلم لوحده مثل صلاة الجمعة.

يقول النبي ﷺ: لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين.

عمل الفريق في الحقيقة ثقافة اسلامية اهملناها ضمن الكثير من الامور التي فرطنا فيها ثم جاءتنا من الغرب ولكن بتسمية غير تسميتنا وتعابير غير تعابيرنا.

ولو تتبعنا خطاب القرآن الكريم لوجدناه موجهاً للجماعة (يا أيها الذين آمنوا .. قل للمؤمنين .. وقل للمؤمنات ... الخ) إشعاراً وتنبيهاً للفرد أن عمله وحياته لا تستقيم الا ضمن الجماعة.



إن من أهم اسباب نجاح الفريق في عمله هو أن يتكامل أفراده في عملهم ، وليس الغاية أن يذوب الفرد في الفريق بحيث تمحى شخصيته ، فهذا غير صحيح ويقود في الغالب الى تفرد شخص واحد في الفريق تكون شخصيته اقوى من الجميع ويسير بالفريق في طريق التفرد والديكتاتورية.

بل الصحيح أن يبقى الفرد في تميزه مع تغليب مصلحة الفريق وهنا تأتي **(معجزة الأرقام)** لتوضح لنا السر في عمل الفريق ونجاحه. وما هو الفرق بين أن تذوب شخصية الفرد في الفريق أو تبقى محافظة على تميزها وتخدم المصلحة العليا للفريق.

لو تخيلنا فريقاً ما ، واعطينا كل فرد فيه رقما يشير الى مستواه في الانجاز وجهده الذي يمكن ان يبذله ضمن الفريق فكيف يمكن لنا ان نحسب مجموع جهد الفريق وانجازه ؟؟

الجواب التقليدي أننا نجمع مجموع الارقام لنحصل على النتيجة التي تمثل لنا مجموع جهد الفريق المبذول او الذي نتوقع ان يبذله.

ولكن معجزةَ الارقام تقول غير ذلك .. ولنشرح الأمر:

لو افترضنا فريقاً مكوناً من ثلاثة أشخاص ، وأعطينا كلاً منهم رقماً يشير الى مقدار انجازه ، مثلاً الأول (٨) والثاني (٦) والثالث (٢) ما هو الجهد الكلي للفريق؟

سنقول إن الجهد هو مجموع ٨+٦+٢ = ١٦

ولكن لنقرأ الأرقام قراءة أخرى ، وننظر للمسألة من منظور غير تقليدي.

لنتصور النتيجة هكذا : ٨ بجانبه ٦ بجانبه ٢ ستكون النتيجة ٢٦٨ (لاحظ الفرق بين ١٦ و ٢٦٨) لنرتب ترتيباً آخر ٦٨٢ (لاحظ الفرق) .. لنترتب ترتيباً آخر ٨٦٢ ... وهكذا نلاحظ الفرق الهائل في النتيجة بين الجمع العادي الذي يجمع الأرقام الثلاثة في رقم واحد ويلغي هويتها وتميزها وبين الترتيب الذي



يحافظ على هوية الرقم وتميزه كيف يضاعف النتيجة بصورة مهولة ، وهكذا يكون نجاح الفريق وتقدير جهده.

وأول من تكلم عن نظرية الارقام هذه العلامة سعيد النورسي رحمه الله في كتابه الاخلاص والاخوة وابدع فيه جزاه الله خيراً.

نستفيد من هذا الكلام أننا لكي نصنع فريقاً ناجحاً ينبغي أن نحترم تميز أفراد الفريق ومهاراتهم وخصوصياتهم ، لا يجوز أن نلغي شخصية الفرد لنجعله رقماً يُجمع ، بل نحترم قدراته مهما كانت ، ونضعها في المكان الصحيح كما هي لتكون النتيجة مضاعفة وايجابية ، بل حتى الفرد الذي نعبر عن امكاناته بالصفر .. أنظر ماذا يمكن أن يفعل اذا وضع في المكان الصحيح .. لو اضفنا فرداً من هذا النوع الى الفريق الذي تخيلناه في المثال السابق ووضعناه في المكان الصحيح ستكون النتيجة هكذا : **٦٠٨٢** أو **٦٨٠٢** أو **٨٦٢٠** ... الخ وفي أي مكان وضعته عدا الجهة اليسرى المتطرفة فسيضاعف النتيجة أضعافاً مضاعفة (رغم أنه في نفسه ولوحده يبقى صفراً) ولكن بوضعه مع الفريق وبصورة صحيحة رفع قيمة الفريق وارتفعت قيمته هو الى درجة كبيرة.

كثير من الناس لا نأبه لهم ، مع أن لديهم قدرات تحتاج الى اكتشاف ... ويصدق فيهم قول النبي ﷺ: **كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، منهم البراء بن مالك.**

ونحن في حياتنا نعمل بصورة طبيعية في فرق عمل مختلفة فأنت في الأسرة تعمل في فريق وفي وظيفتك تعمل ضمن فريق وكذلك في المتجر وفي المسجد وفي الصلاة وفي الحج وفي عمل الخير وفي الدراسة وفي نواح أخرى كثيرة في الحياة تجد أن عملك متعلق بآخرين ينبغي أن تتقن التكامل معهم.



في الاسرة مثلاً ينبغي أن يأخذ الاب موقعه الصحيح وكذلك الأم والأولاد ، وكل منهم يكمل الآخر ويحترم الآخر ويحفظ له مكانته ، وهكذا تتجاوز الاسرة الصعوبات بنجاح وتعيش بسعادة.

والمؤسسة الناجحة هي التي تحترم افرادها ولا تنتقص من قدرات أحد وتدفعهم للتكامل ولا تلغي شخصياتهم بحجة المصلحة العامة ، لأن المصلحة العامة في الحقيقة هي تحقيق مصالح الجميع قدر المستطاع ، وكلما اعتقد الفرد في المؤسسة أنه رقم له أهميته ويمكنه أن يزيد من اداء المؤسسة كلما كان حافزه لبذل الجهد أكبر ، والعكس اذا اعتقد أن وجوده وعدمه سواء فسيكون اكبر معوق لنجاح المؤسسة.

ولكي تستفيد من معجزة الأرقام في بناء الفريق:

- تعرف الى أفراد فريقك وميز ايجابياتهم بدقة.
- لا تستصغر أحداً منهم مهما كان بسيطاً في ثقافته وإمكانياته وأشعره دائماً بقيمته.
- تواضع لأفراد الفريق ليمكنك الاستفادة منهم وليقدموا لك أفضل ما يستطيعون.
- أقنع كل فرد في الفريق بأنه رقم صعب لا يستغنى عنه وضعه في مكانه الصحيح .
- رتب فريقك ليعطيك **أكبر نتيجة ممكنة** فان الفريق بترتيب **٢٨٥** أقل شأناً من الفريق بترتيب **٨٥٢** رغم أن الأرقام نفسها ولكن الترتيب اختلف.

الفريق الحقيقي = قيادة ناجحة = عمل ناجح = هدف متحقق





13

...قيادة الإنسان أم إنسانية القائد ؟





لا يزال الكثيرون ممن تضعهم أقدارهم في منصب القيادة سواء كانوا مدراء[٥] أو مسؤولين عن فرق عمل أو رؤساء مؤسسات أو قادة جماعات وجمعيات ، يعانون كثيراً في التعامل مع مرؤوسيهم.

وتختلف معاناة القائد باختلاف شخصيته وأهدافه وطريقة تعامله مع الآخرين.

وعادة ما يكون هؤلاء القادة على أصناف ... فمنهم مثلاً صنف يهتم بالعمل ولا شيء غير العمل والانتاج ، مهما كانت الضغوط التي تقع على الموظف أو المرؤوس ، ففي النهاية يعتقد مثل هذا القائد أن المؤسسة يجب أن تنجح وتحقق اهدافها ، والنجاح في رأيه يتمثل في زيادة الانتاج حصراً. ويجب بالمقابل أن يتحمل الموظف والعامل في هذه المؤسسة كل المشاق والمصاعب مثل زيادة ساعات العمل وزيادة التكاليف حتى لو اضطر الموظف أن يأخذ جزءاً من عمله الى المنزل ليكمله.

تجد مثل هذه الحالات في الدوائر والمؤسسات الحكومية ، والمؤسسات الخاصة ، التي تعطي مرتبات جيدة لمنتسبيها ، وامتيازات يخشى المنتسب من فقدانها اذا قصر في واجباته .. أو يخشى الفصل والطرد من العمل.

لو تخيلنا هذه الصورة سنرى مشاهد من التشنج بين الإدارة والموظفين سواء كانوا في قطاع حكومي أم أهلي.

وسنرى كذلك ضجراً وعدم استمتاع بالعمل .. بل ان الجميع باستثناء المدير يعتبرون هذا العمل ثقلاً يودون التخلص منه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

٥- هناك فرق بين مصطلح القائد والمدير ولكن لأن هذا الموضوع يخص كِلا الصنفين فقد اعتبرنا الخطاب واحداً لكليهما.



بالإضافة الى ما تسببه مثل هذه العلاقة المتشنجة من تشاحن وتباغض بين العاملين بسبب أن البعض قد يُركّز عليه العمل لأنه جاد ونشيط ومنجز ، في حين يُخفَّف العمل على الكسالى والمتفلتين والمنافقين.

مثل هذا النوع من القيادة يؤدي الى انجاز ظاهر في عمل المؤسسة نتيجة الخوف من العقوبة والطمع في المكافأة ، ولكن هذا الانجاز الظاهر يخفي في داخله مشاعر مكبوتة وعدم اخلاص للمؤسسة ، وعدم اهتمام بنجاحها. وتبقى الأمور تسير بشكل طبيعي ما دام الموظف يستلم راتبه غير منقوص ، ولكن اذا تأثر الراتب أو المكافآت ونقص ، حينذاك يبدأ التخريب.

والتخريب يبدأ تدريجياً في المؤسسة ، يبدأ صغيراً غير ملحوظ ولكنه لا يلبث أن يظهر بوضوح .. وقد ينفجر بصورة كارثية.

وهذا ما حصل في دوائر الدولة عندما دخل جيش الاحتلال العراق عام ٢٠٠٣.. ففي كثير من الدوائر ان لم نقل كلها تركها الموظفون غير آسفين عليها ، وبعض الدوائر سُرقت تحت انظار موظفيها ، بل إن البعض (من المثقفين) دعا وبشكل غريب الى ترك السرّاق وشأنهم لأن موجودات دائرته قديمة وسيعوضها المحتل بأخرى جديدة !!!

مثل هذه العقلية تنمو وبخفاء في ظل القيادة التي لا تهتم الا بالإنتاج ولو على حساب الانسان العامل ، لأنه لا قيمة لهذا الانسان مقارنة بالإنتاج خاصة وأنه يستلم أجراً مقابل عمله.

وهذا الذي حدث في العراق إنما حصل بسبب أن منظومة الادارة عندنا كانت تركز على الانتاج والانجاز فقط دون التحقق هل هذا الانجاز حقيقي أم موهوم؟ ودون التحقق هل هذا الانجاز قائم على الارض فعلاً ، أم هو على الورق فقط ؟

وعادة ما يكون القائد أو المدير الذي يقود مؤسسته بهذا الاسلوب شخصاً متسلطاً لا يأبه كثيراً بمشاعر موظفيه وحالتهم



المعاشية ومعاناتهم الانسانية ، وتقييمه لهم عادة ما يكون مقاساً بمدى طاعتهم لأوامره .. أو بتقارير الانجاز المشرقة التي يرفعونها له (ولو كانت وهمية أو مبالغاً فيها).

وغالباً لا يُشاور مثل هذا القائد مرؤوسيه ولا يناقشهم في أمور المؤسسة إلا ليأخذ منهم تأييداً لرأيه .. بل إنه نادراً ما يتنازل عن رأيه لرأي المجموع. شعاره الوحيد زيادة الانتاج (ليرضي غروره أو ليرضي قادته) ، ومن لا يقدر على المواصلة معنا فليجد له مكاناً آخر.

وبالمقابل من هذا النموذج هناك صنف ثان من القادة يعتبر نفسه أباً حنوناً يرعى أبنائه الموظفين ، ويعتقد أن واجبه كقائد أن يحرص دائماً على ارضائهم واسعادهم والسعي لتحقيق مصالحهم حتى ولو كان ذلك على حساب العمل والانتاج.

ولا بأس عند هذا النموذج من القادة .. أن يتعطل العمل ساعات بسبب أن الموظفة الفلانية تريد الاطمئنان على ابنها في المدرسة ، ولا بأس أن يتأخر الموظف فلان أو يغيب بسبب مشكلة عارضة حصلت له مع جاره ... لا بأس ... يمكن أن ينجز عمله غداً أو بعد غد أو ... المهم أن يكون مرتاحاً.

مثل هذا المدير أو القائد يفاجأ دائماً بأنه لا يستطيع إرضاء موظفيه ، رغم ما يبذله من جهد ، ورغم ما يتحمله من لوم رؤسائه بسببهم ، ومع ذلك فهم لا يقدِّرون جهده ويطلبون المزيد ، وقد ينكرون فضله.

شعار هذا القائد – لا تُغضب أحداً – لأن الانسان عنده أهم من كل شيء ، حتى من العمل نفسه ، فخسارة موظف لا تقدر عنده بثمن.

وفي الحقيقة أن كلا النموذجين السابقين في الادارة (المتسلط الذي لا يهتم الا بالإنتاج ، والأبوي الذي لا يهمه إلا ارضاء موظفيه) .. يتسببان حتماً في فشل المؤسسة التي يديرانها ، وتبقى



المسألة مسألة وقت قد يطول أو يقصر ، وقد يختلفان في كيفية انهيار المؤسسة ولكن النتيجة واحدة وهي فشل هذه المؤسسة في الاستمرار والنمو والنجاح.

والقسمة العقلية لمعادلة الاهتمام بالإنسان أو الانتاج تقتضي وجود نموذجين آخرين وهما :

المدير الذي لا يهتم بالإنسان ولا يهتم بالإنتاج وهذا النموذج لا يختلف أحد في فشله وفشل المؤسسة التي يديرها وانهيارها وبسرعة.

والنموذج الرابع الذي يهتم بالإنسان وبالإنتاج.

وللوهلة الأولى يبدوا هذا النموذج هو الأصلح ولكن المسألة تحتاج لإيضاح اكثر.

لقد فصلنا في النموذجين الأولين لأن الكثير من القادة والمدراء يقعون في مشكلة التعامل مع موظفيهم ، ولكنهم في النهاية يستقرون على أحد النموذجين (التسلطي أو الأبوي) أي أن هذين النموذجين هما الأكثر شيوعاً ووضوحاً.

وتبقى نسبة الاهتمام مختلفة في هذين النموذجين من قائد لآخر ، ويتغلب عادة أحد النموذجين وبنسب متفاوتة ، فتجد مثلاً مديراً يهتم بالإنتاج بنسبة ٨٠ % ، ويهتم بموظفيه وشؤونهم بنسبة ٢٠ % ، بينما النموذج الأبوي يهتم بالإنسان بنسبة ٨٠ % وبالإنتاج بنسبة ٢٠ % .

وقد يكون الاهتمام بالإنتاج بنسبة ٩٠ % وبالموظف بنسبة ١٠ % والآخر بالعكس ... وهكذا .

والآن .. هل يعني النموذج الرابع (الذي ذكرنا أنه يهتم بالإنتاج والانسان) أن يعطي القائد للإنتاج اهتماماً بنسبة ٥٠ % ، ويعطي لموظفيه اهتماماً مماثلاً بنسبة ٥٠ % أيضاً ؟



قد يبدوا الأمر هكذا ، ولكن يبقى سؤال وجيه .. إذا أعطى المدير اهتماماً بنسبة ٥٠% لأحد الطرفين ألا يعني هذا أنه قد أهمل من حساباته أيضاً نسبة ٥٠% للطرف الآخر؟

من هذا نقول إن الصنف الرابع **الذي يقسم اهتمامه مناصفة بين الانتاج والانسان** ليس هو المدير والقائد الناجح.

نصل الى احتمال آخر خامس وهو أن يعطي القائد اهتماماً كاملاً (١٠٠%) للإنتاج ، وبنفس الوقت يكون اهتمامه (١٠٠ %) بموظفيه. وقد يبدوا شيء من التناقض والغرابة في هذا الكلام ، وحتى نوضح الأمر أكثر نقول:

إن القائد الناجح هو الذي **يهتم بالإنتاج والانجاز** حينما يكون الظرف يتطلب هذا الانجاز ، ولو أدى ذلك للضغط على العاملين معه ، لأنه من ناحية أخرى يفترض أن يكون بكلامه وتصرفاته اليومية قد أقنع العاملين معه أنه يحفظ لهم حقوقهم بل يسعى جاهداً ليوفر لهم الأجواء المناسبة لعملهم والأجور التي توازي عملهم وأكثر ، بل أنه يقنعهم وبصدق بأنه آخر المستفيدين بعد أن يسد حاجاتهم ، وأنه أول العاملين معهم بحيث يسبقهم في الجهد ، فيكون قبلهم في العمل ومعهم أثناء الأداء ولا يخرج حتى يطمئن عليهم ، ليثقوا به ويوقنوا أن الإنجاز المطلوب رغم التعب والارهاق هو لمصلحتهم أولاً ، وأن قائدهم أكثرهم جهداً وتعباً.

وهذا القائد بنفس الوقت **يهتم بالإنسان** حينما يتطلب الموقف ذلك ويشعرهم بتصرفاته الواقعية اليومية بانه يتحسس مشاعرهم وحاجاتهم وأنه جاهز دائماً بل المؤسسة كلها جاهزة للوقوف مع أصغر موظف فيهم إذا وقع في مأزق.

فاذا أصابه مرض أو مشكلة مالية أو اجتماعية فإن الادارة تقف معه حتى يتجاوز هذه المشكلة ، وبذلك يعود الى العمل سعيداً معافى ، وسيشعر أكثر بالانتماء لهذه المؤسسة ، بل يفتخر بالانتماء لها ويدافع عنها بحياته.





ولنضع عزيزي القارئ هذا المشهد أمامنا :

بواب بسيط وظيفته حراسة باب المؤسسة ، أصابه ألم مفاجئ في خاصرته وبدأ يتوجع ، وظهر الألم واضحاً عليه ، تجمع الموظفون ليروا ما به ، ووصل الخبر الى المدير فأمر بإخراج سيارته الخاصة وأمر السائق أن يأخذ البواب الى أقرب مستشفى ، كما أمر أحد الموظفين بمرافقته ورعايته ومتابعة فحوصاته ، وأكد عليه أن يتصل به مباشرة ليتابع احتياجات هذا البواب.

بعد اجراء الفحوص اللازمة تبين أن البواب مصاب بالتهاب حاد في الزائدة الدودية ويجب اجراء عملية مستعجلة له.

اجريت العملية بنجاح ، وخلال فترة بقائه في المستشفى كان المدير دائم الاتصال ليطمئن على صحته. وبعد خروجه زاره المدير برفقة موظفيه الكبار ليطمئن عليه واهداه مبلغاً من المال باسم المؤسسة ، مع اعلامه بان المؤسسة قد تكفلت بمصاريف علاجه ودوائه حتى يعود الى عمله سالماً معافى.

ثم لنتخيل هذا البواب وقد عاد الى عمله بعد شفائه. كيف سيكون التزامه بالعمل؟ وكيف سيكون تعلقه بمؤسسته ومديره وبالموظفين ؟

ولو استمر المشهد وتطلب انجاز العمل في وقت ما أن يبقى هذا البواب وبدوام مضاعف يومين أو ثلاثة دون أن يغادر المؤسسة؟ كيف سيكون تقبله لهذا الأمر؟ لا شك أنه لن يعتبر هذا الأمر تكليفاً مرهقاً أو ضغطاً عليه بل سينفذ الواجب بسعادة لأنه يعلم أن هذه المؤسسة التي لم تتخلى عنه في وقت ضيقه تستحق التضحية مهما كانت صعبة.

إن قيادة البشر تتطلب أن يكون القائد (انساناً) يوازن بين علاقاته بالآخرين كانسان ، وبين علاقاته الانتاجية كقائد ومدير ويعطي كل طرف حقه بالكامل ليحقق نموذج القائد الانسان والذي هو بالحقيقة نموذج النجاح في الحياة.



بمعنى أن القيادة الناجحة للإنسان تتطلب حتماً **إنسانية القائد** وبصورة متوازنة لذلك سيكون شعار هذه القيادة

... النجاح والتفوق والفائدة للجميع ...

وتبقى ممارسة الأمر والنهي والضبط والربط تجاه الموظفين هي حصراً لتحقيق النجاح ولتسريع الوصول اليه .. لا للاستعلاء والقهر.



14

...هل تستثمر وقتك؟







الناس في علاقتهم مع الوقت على أصناف ثلاثة :

الصنف الأول علاقته مع الوقت رديئة جداً الى درجة أنه يعتبر الوقت من ألد أعدائه ، ولذا يجب القضاء عليه بشتى الصور وبأسرع الطرق الممكنة.

وترى العجب من مثل هذا الصنف .. فهو لا يبالي أن يقتل هذا الوقت المسكين على مائدة الطعام مثلاً ، فيقضي ساعة أو أكثر وهو يلتهم طعامه ببطء عجيب وتلذذ ، ويقوم عن المائدة متكاسلاً ليعود مع صنف آخر من الطعام برفقة الشاي ، وهكذا يستغرق في تناول وجباته اليومية ثلاث ساعات وأكثر.

ومن هذا الصنف كذلك من يقتل هذا الوقت المسكين أمام التلفاز يتنقل من فضائية الى أخرى ، ويسعى بفرح واندفاع الى اكتشاف فضائية جديدة يضيفها الى جنوده المخلصين والمستعدين لقتال الوقت وقتله.

وعند هذا الصنف من البشر قدرة ابداعية عالية في اساليب قتل الوقت والقضاء عليه قضاءً مبرماً ، واذا حصل يوماً ما واستنفذوا طرقهم الارهابية لقتل الوقت فلديهم اسلوب لا يخيب أبداً في أي مكان وزمان وهو (النوم) .. نوماً هنيئاً مريئاً ، نوماً لا حدود له يقضي على الوقت قضاءً مبرماً ، ويذلّه مذلّة لا يفكر الوقت بعدها بإزعاج صاحبه ابداً.

ولا ينسى هذا النائم اتخاذ الاحتياطات الضرورية وهي ابعاد أي صديق مخلص للوقت ، كساعة منبهة أو هاتف قد يرن أو طفل قد يزعجه بصراخه أو زوجة تؤرقه أو توقظه على موعد أو وقت صلاة.



ويستمر هذا المسكين في تضييع وقتل (وقته) الذي هو عمره حقيقة ، وهو لا يختلف كثيراً عن الذي يضيع ماله بإحراقه أو انفاقه بعبث.

واذا ما أتعبت السنون هذا الانسان وتقدم به السن سيلتفت حوله فيرى أن حياته قد أصبحت بلا معنى ، وانها حياة رتيبة مملة مشاهدها مكررة لم يحقق فيها هدفاً ولم يصل الى غاية ولم يضف الى الحياة شيئاً يذكر به بعد موته سوى لذة موهومة كان يركض وراءها ، وبعد تقدم السن وتكاثر الامراض والضعف لا يعود يتمتع كما كان في شبابه فيقضي ما بقي له من ايام بضيق وكرب وأسى.

أما الصنف الثاني فعلاقته مع الوقت محسوبة بالمسطرة ومقسمة فهو يعيش حياته كالموظف الذي قد حدد عمله بساعات معلومة ، فاذا انتهت ساعات العمل قطع علاقته بالعمل حتى اليوم الثاني.

وهذا الصنف ينتشر على الاغلب بين الموظفين والعمال الذين يعملون بعمل روتيني متكرر. فهم ملتزمون بالمواقيت والمواعيد بدقة .. ليس عن قناعة بأهمية الوقت .. حاشا وكلا .. ولكن خوفاً من العقوبة بقطع الراتب أو الطرد من الوظيفة.

وبمرور الايام يصبح هذا الالتزام سجية وخلق يطبقه هذا الصنف ولكن ببرود وبلادة أكثر.

وترى مثل هذا الصنف لا يستطيع أن ينجز أعمال كثيرة في يومه فأوقاته موزعة بين الدوام والراحة والتجول والجلوس مع الاصدقاء واللهو ، واذا تجرأ يوماً وكسر هذا الروتين بان يفعل شيئاً جديداً فهو على حساب عمل آخر.

يبقى هذا الصنف يتعامل مع الوقت بأن يوزعه بدقة (كما يتصور) وكلما طالبته بشيء يقول لك: لا وقت عندي .. لأنه قد وزع وقته اليوم وغداً وانتهى الأمر.



وبعد أن يصل الموظف أو العامل من هذا الصنف الى فترة التقاعد يبقى يحن الى الماضي ويندم أنه قد قضى حياته في خدمة الدولة أو خدمة المؤسسة الفلانية .. ومع ذلك لم ينل التقدير الكافي .. وهو الآن مهمل ولا يلتفت اليه أحد ، وغالبا ما يتحول هذا الصنف نتيجة الاحباط الذي يصاب به الى الصنف الأول فيبدأ بقتل وقته تدريجياً بأساليب ووسائل مشابهة لما يفعله الصنف الأول.

لذلك لا تعجب اذا رأيتَ شخصية مرموقة كانت مثالا للالتزام والانضباط والجد في العمل يتحول في أواخر عمره (بعد التقاعد) الى شخصية مضياعة للوقت امام التلفاز أو في المقاهي أو بأعمال لا قيمة لها . لأنه ببساطة لم تعد لديه التقسيمات القديمة للوقت التي كان يزاولها في عمله وهو بالتالي لا يستطيع أن يتكيف مع الفراغ الجديد الذي يعيشه الآن.

والصنف الثالث وهو الذي نريده ونحض عليه ... هو الصنف المتميز الناجح في حياته والذي تكون علاقته مع الوقت علاقة استثمار وتنمية .. وليس علاقة تضييع أو استغلال فقط كالصنفين السابقين.

ونعني بالاستثمار أنه يضاعف من قيمة الوقت وذلك بمضاعفة العمل المنجز في الوقت الواحد نفسه ، أكثر مما يفعله الانسان العادي الذي لا يستثمر وقته .. فهو كالذي ينمي ماله ويكثّره بتجارة ناجحة رابحة.

وحينما نفكر باستثمار الوقت ، إنما نريد في الحقيقة تكثير وزيادة وقتنا ، وبما أن الوقت لا يمكن مضاعفته حقيقة ، **لذا سوف نلجأ الى مضاعفة وتعدد الاعمال في الوقت الواحد** فيمكننا بالتالي أن ننجز بنفس الوقت اعمالاً أكثر بكثير مما نتوقع.

أمثلة بسيطة على هذا الكلام ...



- حينما تريد قضاء حاجة في السوق وهذه الحاجة تكون غير مستعجلة ، يمكنك في هذه الحالة أن تؤجلها لحين تجميع حاجات اخرى تحتاجها ايضاً من السوق ، وبالتالي إذا قررت النزول الى السوق سيمكنك قضاء أربع أو خمس حاجات بدل الواحدة وبذلك تكسب الوقت الذي كنت ستضيعه لو ذهبت الى السوق في مرات متعددة.
- قد تقوم ببعض الأعمال التي تتطلب منك انتظاراً مملاً قد يطول (مثل الوقوف في طابور السيارات للتزود بالبنزين) يمكنك ان كنت من الصنف الأول أو الثاني أن تقضي الوقت بالحديث مع الآخرين أو النوم داخل السيارة.

لكن اذا كنت من الصنف الثالث سوف تستفيد من وقت الانتظار بقراءة جزء من القرآن تدخره لآخرتك من مصحف صغير تحمله معك في السيارة دائماً .. أو يمكنك أن تقرأ في كتاب مفيد .. أو تطالع مجلة مفيدة .. قد لا تستطيع مطالعتها في وقت آخر .. أو تسمع محاضرة مفيدة.

وبذلك تنجز في هذا الوقت الذي سينقضي انجازاً تستفيد منه ولا يحتسب وقتاً ضائعاً تخسره.

لذا ترى في المجتمعات المتحضرة الكثيرين يحملون معهم كتباً يقرؤونها في المواصلات واثناء ساعات الانتظار في أي مكان.

ان العلاقة مع الوقت بطريقة الاستثمار هي العلاقة الصحيحة وهي العلاقة الوحيدة التي تجعل الانسان راضياً عن نفسه وانجازه وحياته ، لأنه لا يضيع وقته (الذي هو عمره) ويستخدم الوقت بأكثر مما يستخدمه الناس عادة ، **ولذلك فان هذا الصنف يشمل كل الناجحين والمبدعين في الحياة الذين يحترمون اعمارهم وأوقاتهم ويعتبرونها رأس مال قابل للاستثمار والزيادة** ، مثله مثل النقود



والحاجات الأخرى التي يريد الانسان امتلاكها وزيادتها للاستفادة منها.

وكما قلنا أن الوقت غير قابل للزيادة والإضافة (بمعنى زيادة الساعات) ولكنه يتقبل الاستثمار بطريقة غير تقليدية لإنجاز اكثر ما يمكن من أعمال.

هذه العلاقة مع الوقت لا تقتصر فائدتها على فترة حياة الإنسان فقط ، بل تمتد الى ما بعد موته ... من تخليد لذكره ومن أجرٍ مستمر يسجل له بأعماله وانجازاته ... مع أنه قد غادر الحياة.

كقول رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وأكثر من هذا فنحن كمسلمين نعتقد أننا محاسبون على أوقاتنا وأعمارنا وسوف نسأل عنها يوم القيامة وتضييعها ليس في صالحنا وقد لا تفيد أعذارنا يومئذ.

قال رسول الله ﷺ : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه.

لقد فطر الله عز وجل الإنسان على حب الخلود ، فهو دائماً يريد العمر المديد والعز الدائم والمتعة التي لا تنفد .. وبما أن الحياة الدنيا التي نعيشها لم يجعل الله تعالى فيها الخلود لبشر أو غيره ، فان العاقل يجب أن يستثمر عمره المكتوب له بأقصى ما يستطيع ويكثر من الأعمال التي تخلده في الدنيا وتنفعه في الآخرة التي هي دار الخلود الحقيقي.

في استقراء لطيف قرأته في أحد المقالات ، يذكر الكاتب الأوقات التي يقضيها الإنسان في بعض النشاطات على افتراض أنه سيعيش ستين عاماً ، وقد أوردها بهذا الجدول:





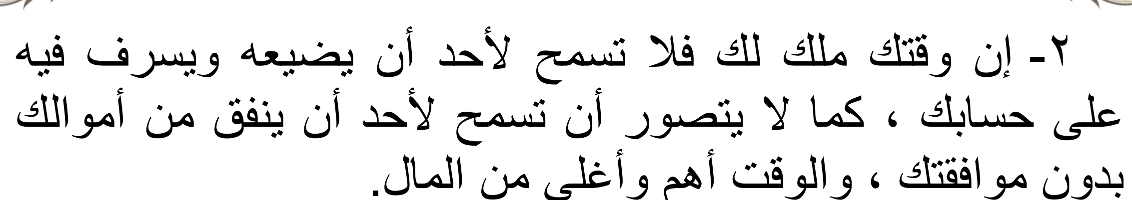
النشاط	الوقت الكلي في ٦٠ عاماً
ربط الأحذية	٨ أيام
انتظار إشارة المرور	شهر
الوقت الذي تقضيه عند الحلاق	شهر
ركوب المصاعد في المدن الكبرى	٣ شهور
تنظيف الأسنان بالفرشاة	٣ شهور
انتظار الحافلات (في المدن)	٥ شهور
الوقت الذي تقضيه في الحمام	٦ شهور
قراءة الكتب	سنتان
وقت الأكل	٤ سنوات
اكتساب الرزق	٩ سنوات
النوم	٢٠ سنة

وسواء كانت الأرقام المذكورة دقيقة أم لا فانه مما لا شك فيه أننا نمضي الكثير من الأوقات في نشاطات طبيعية لا نستغني عنها، فكم يبقى لنا من الوقت للإبداع والاستثمار وتقديم العمل الصالح المصلح.

فلا بد من استثمار الوقت لنبدع ونحقق ما نريد في عمرنا المحدود ووقتنا المعدود ، ويمكن أن نذكر علامات على طريق استثمار الوقت يمكن أن تكون نقطة بداية لنعيش أيامنا كما نريد بلا تضييع لأعمارنا.

١- استشعر أهمية الوقت واعلم أن وقتك هو حياتك التي أنت حريص عليها وهو ينقص بالثواني التي تمر ولن تعود.





٢- إن وقتك ملك لك فلا تسمح لأحد أن يضيعه ويسرف فيه على حسابك ، كما لا يتصور أن تسمح لأحد أن ينفق من أموالك بدون موافقتك ، والوقت أهم وأغلى من المال.

٣- عمرك محدود ولكنك إذا أنجزت في عمرك هذا ما ينفع الناس ويصلحهم فاعلم أنك قد أضفت لعمرك أعماراً لأن ذكرك سيبقى بعدك.

٤- لن تستطيع مدَّ الوقت وزيادته ولكنك تستطيع في وقت واحد انجاز أكثرٍ من عمل وفي أكثر من اتجاه قدر المستطاع.

٥- خطِّط لاستثمار وقتك واجمع الأعمال المتشابهة والأعمال التي يمكن أن تنجز في مكان واحد ، والأعمال التي يمكن أن تنجز بسرعة وابدأ بها.

٦- إذا واجهك موقف اضطرك للاختيار بين إضاعة الوقت وإضاعة المال ، فحاول أن تضحي بالمال كسباً للوقت ، لأن المال يمكن تعويضه والوقت لا يمكن تعويضه.

٧- تجنب طوابير الانتظار قدر الإمكان ، مهما كانت الحاجة التي تريدها ، وكلف غيرك أن استطعت بهذه المهمة.

٨- إذا انتهيت من قراءة هذا المقال سارِع إلى إعادة النظر في وقتك كيف تقضيه وبماذا تستهلكه ، وابدأ بتفكيرٍ استثماري ناجح لوقتك ولا تؤجل وتسوف لأن الزمن لا ينتظر أحداً.





15

...متعة الامتحان







سيقرأُ الكثيرون العنوان ويقولون: غريب هذا الكلام ، وهل في الامتحانات متعة ؟!

هذا خلاف ما تعارف عليه البشر منذ أن عرفوا الامتحان وما يجر من بلايا قبله وبعده.

وسيقولون أيضاً نحن لم نسمع عن طالب عِلم أنه فرح بموعد امتحان ، كما لم نسمع عن متقدم لوظيفة امتلأ سروراً وازداد حبوراً لأنه عرف أن هناك لجنة ستختبره وتقرر صلاحيته للوظيفة.

وحتى الأساتذة الكبار الذين امتلئوا علماً وخبرة لم نسمع أن أحدهم ارتاح لامتحان رسمي أو غير رسمي قد يواجهه يوماً ما.

وأكثر من هذا أن كل ما نقرأه من آراء كتبها وقالها مشاهير عبر التاريخ تثبت عكس ذلك فلا متعة في الامتحان مطلقاً ، بل هي الرهبة والخوف والمغص والعصبية والسهر والبكاء أحياناً ووو ... الى قائمة لا تنتهي.

بل أضيف لهذا تطميناً لك ايها القارئ أني أيضاً لم أسمع بهذه البدعة من قبل ، أن في الامتحان متعة.

وهذا السبب دعاني جدياً للتفكير في هذه المأساة التي يعاني منها الملايين من البشر سنوياً وبصورة متحركة متتالية لا تتوقف ، رغم تغير صورها.

خاصة وطلابنا الأعزاء مقبلين على امتحانات نهائية ، وامتحانات وزارية تقرر مصائرهم واتجاههم في الحياة.

ولنبدأ من النهاية هذه المرة وليس من البداية ، بمعنى لننظر ونتخيل ماذا يعني الامتحان لمستقبل الفرد في حياته والطالب في دراسته.



لا شك أن الإنسان مفطور على حب الخير لنفسه أولاً ثم للآخرين يقول الحق تبارك وتعالى في وصفه لهذا المخلوق:

﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾

ومن حب الإنسان للخير أنه يتمنى الأفضل دائماً لحياته ، رغم أن الأفضل في كل الممارسات والأشياء خاضع لتصور الفرد الشخصي لهذا الأفضل ما هو ، فقد يكون (تصرفاً ما) هو الأفضل عند شخص بينما نفس التصرف يكون عادياً أو سيئاً عند آخرين.

حتى النجاح في الامتحان قد لا يكون هو الخيار الأفضل دائماً في تفكير البعض (كما حدث عندنا في ظروف استثنائية كظرف الحرب) حيث يحاول الطالب الرسوب وتأخير نفسه عمداً في الدراسة كي لا يتخرج ويخضع للتجنيد الإجباري ويذهب للحرب.

إذا استثنينا هذه الصورة الشاذة التي توجد في ظروف غير طبيعية ، فإن الأصل في الطالب وكل من يخضع لامتحان (يكون وراءه مكسب حقيقي) أنه يحب ويسعى للنجاح وبتفوق .. ويبذل في سبيل ذلك الجهد بل يبذل كل الوسائل المشروعة .. وأحيانا يلجأ البعض إلى وسائل غير مشروعة كالغش ورشوة الأستاذ ليأخذ منه الأسئلة مثلاً.

وأذكر هنا قصة طريفة عشتها ورأيتها عندما كنت أدرس القانون وكان معنا آنذاك (في الدراسة المسائية) رجال ونساء من مهن ووظائف مختلفة وبعضهم كان في وظائف محترمة في الدولة آنذاك.

دخلنا صباح أحد الأيام قاعة الامتحان وكان من عادتي أن أجلس دائماً في المقعد الأول كلما تيسر لي ذلك تخلصاً من الحرج مع بعض الزملاء الذين لا يسيطرون على أعينهن وألسنتهم ولكي آخذ حريتي في النظر أمامي كلما تعبت حيث لا يوجد أمامي إلا منصة الأستاذ.



وكانت القاعة الامتحانية عبارة عن غرفتين دمجتا مع بعضهما فكان باب إحداهما في الوسط مقفلاً لانتفاء الفائدة منه وكان باباً خشبياً.

قبل أن يبدأ توزيع الأسئلة بدقائق أمسكني من كتفي زميلي الذي كان جالسا في المقعد الثاني ورائي فالتفت اليه ، فقال لي أنظر هناك .. وأشار إلى الباب الخشبي المقفل .. فرأيت سيدة كبيرة في السن قد جلست على المقعد بجوار الباب وهي تكتب عليه بعض العبارات التي تقرأها من مادة الامتحان أمامها !!

إلى هنا اعتبرت الأمر منظراً مألوفاً لمحاولة غش يفعلها الكثير من الطلبة ، ولكن صاحبي فاجأني بقوله هل تعرف من هذه ؟

قلت له : لا (لأنها كانت في مرحلة سابقة لنا)

قال: إنها فلانة وهي مديرة مدرسة ...... !!!!

لم أنس هذا الموقف أبداً وكنت أسأل نفسي كلما تذكرت هذه الصورة: لو أن هذه المديرة شاهدت إحدى طالباتها تفعل هذا ، ماذا كانت ستتصرف؟!!

وأسأل سؤالاً آخر: هذه امرأة كبيرة في السن وفي وظيفة محترمة وهي تدرس القانون .. لا عن حاجة .. لأنها لن تنتفع في حياتها الوظيفية بهذه الشهادة فهي على أبواب التقاعد فما الذي يلجئها لهذا التصرف ؟!!

وأسأل سؤالاً أخطر: ألم تفكر هذه السيدة المديرة باحتمال أن يُنقل هذا المشهد وتفتضح وتسمع بها طالباتها وزميلاتها ، فماذا سيكون موقفها ؟!!

ثم بعد هذه الأسئلة أعود فأسلي نفسي بأن رهبة الامتحان والخوف من الفشل كان عند هذه المديرة أكبر من الفضيحة وسوء السمعة.

لعل هذه صورة واحدة مما يسببه الامتحان من رعب يلجئ الإنسان إلى تصرفات شاذة كهذه.





فهل نبقى تحت طائلة هذا الإرهاب الذي يسببه لنا الامتحان؟

ونعود إلى النهاية ، إن المشهد السابق وكثير غيره من المشاهد تثبت وتؤكد حب الإنسان للنجاح وخوفه ورعبه من الفشل حتى وإن كان الامتحان بإرادة الشخص نفسه.

وهذا الخوف من الفشل يخلق في داخل الإنسان رعباً تتفاوت نسبته من فرد لآخر ولكنه يبقى موجوداً ومؤثراً مهما قلَّ . وبسبب ذلك لا يتخيل أحد أنه يمكن أن يستمتع بالامتحان مهما كان بسيطاً.

ولكن يمكن أن نسأل سؤالاً بسيطاً لكل من دخل الامتحان ونجح وحاز على ما يبغي من درجات ، نسأله ما هي مشاعرك بعد أن استلمت النتيجة ؟ سيقول ولا شك إنه الفرح العارم والسعادة ، نقول له: لو تذكرت الآن أيام الامتحانات التي مضت بتعبها ورعبها ماذا تشعر تجاهها ؟

وهنا المفاجأة .. سيفاجأ هو بأن المشاعر اختلفت وتحولت إلى مشاعر ايجابية سعيدة سارة .. لا تشبه بأي حال مشاعر القلق والرعب والرهبة التي كانت تسيطر عليه في تلك الأيام .. لأن الأمر انتهى نهاية سعيدة.

نعم كلنا نقول أننا تعبنا وسهرنا ودرسنا وقلقنا ولكن حين نتذكر تلك الأيام ونرى أمامنا نتيجة النجاح وما تسببه من مشاعر الفرح والانطلاق ستطغى هذه المشاعر وتكون هي الغالبة كلما تذكرنا تلك الأيام.

بمعنى آخر ..أننا نتذكر التعب والإرهاق ولكن بمشاعر ايجابية سعيدة.

فما الذي حصل ولماذا لا نشعر بالرعب والرهبة الذي كنا نعيشه أيام الامتحانات ، هل النتيجة السعيدة (النجاح) هو السبب ؟

وإذا افترضنا أن النتيجة كانت سلباً (رسوب) هل سنبقى نشعر بالخوف كلما تذكرنا أيام الدراسة السابقة ؟





نعم إن النجاح سبب مهم في مسح المشاعر السلبية واستبدالها بالفرح والسرور ولكنه ليس كل شيء.. هو عامل مساعد ولكن لوضوحه يبدو بأنه هو السبب الحقيقي والوحيد ولكنه ليس كذلك.

فهناك الكثير من الشخصيات التاريخية ومن الطلاب في الكليات والمدارس كان فشلهم في الامتحان سبباً قوياً لشحذ هممهم والإصرار على النجاح وعدم الخوف من تكرار الفشل.

إن مشاعر الخوف والرهبة من الامتحان تتركب من سلسلة من التوقعات في عقل الانسان تبدأ هكذا :

- يفكر الطالب أن الأسئلة قد تكون صعبة وقد لا أستطيع تذكر الأجوبة
- وبذلك لن أجيب بصورة صحيحة على الأسئلة
- وبذلك سأفشل في الامتحان
- ولن أحصل على الشهادة أو الوظيفة التي أبحث عنها
- ولن أحقق هدفي في النجاح ولن تتحقق آمالي وطموحاتي التي أحلم بها
- وسيكون مستقبلي في مهب الريح

هذه السلسلة المشؤومة التي تسبب لنا الرعب كلما فكرنا بها ، نربي أبناءنا عليها منذ الصغر لأننا نربط دائماً بين نجاحهم في الحياة والمستقبل السعيد من جهة وبين الدرجات العالية من جهة أخرى ، وكلما كانت الدرجات مرتفعة فان المستقبل يزداد سعادة وبتناسب طردي.

قد لا يفكر الطالب أو كل من يتعرض لامتحان بنفس هذا التسلسل كاملاً ، ولكن مهما كان التسلسل الذي يفكر به فهو في النهاية سيكون ربطاً بين نتيجة الامتحان والنجاح والسعادة في المستقبل.



وهذا افتراض يكذبه الواقع جملة وتفصيلاً ، نعم قد تكون الشهادة والوظيفة والمركز الاجتماعي أحد أسباب السعادة ولكن بالمقابل كم من الناس يعيشون في تعاسة رغم المركز الاجتماعي والشهادة والمال ؟؟

لذلك نريد في هذا التحليل أن نضع الامتحان في موضعه الصحيح فلا نسمح له أن يسبب لنا العقد والإرهاب في المستقبل. بل يمكننا أن نتقدم خطوة جريئة أخرى ونجعل منه متعة لنا.

إن الامتحان مهما اختلفت صورته ما هو إلا وسيلة للتقويم نتخذها كخطوة للانتقال لما بعدها ، وعادة ما نظن بل نعتقد أن اجتياز هذه الخطوة ضروري لتحقيق أهدافنا التي من أجلها دخلنا الامتحان وهذا صحيح ، ولكن ألا يشابه هذا أي وسيلة أخرى نستخدمها لتحقيق أهدافنا وقد نتعرض فيها للنجاح أو الفشل (ولكن لا نفكر فيها ولا نخاف منها كالامتحان إما لخفائها أو عدم تكررها).

خذ مثلا على ذلك .. إن المواصلات وسيلة للانتقال حسب الحاجة ونستخدمها يومياً.

فإذا تخيلنا أحد الخريجين الجدد قد هيأ نفسه لمقابلة مع لجنة لقبوله في وظيفة ما وهذا الخريج من الأوائل في دفعته (أي اجتاز كل الامتحانات بنجاح) وقد ذاكر وتحسب لكل سؤال قد تواجهه به اللجنة في اختصاصه.

وفي صبيحة يوم المقابلة خرج من بيته وفوجئ بأن الطرقات مسدودة لسبب ما ، ودخول السيارات إلى حيه متعذر ، سار مسافة على قدميه كي يجد سيارة تقله إلى مكان المقابلة ، وفي الطريق واجهه زحام بسبب بدء الدوام ولم يستطع الوصول في الموعد المحدد وضاعت عليه الوظيفة ..

في هذا المثال لماذا خسر هذا الشخص الوظيفة وهو قد أعد العدة ؟





بسبب مشاكل الطريق ... ولم يشفع له تفوقه ودرجاته العالية

فهل من المعقول أن يبقى هذا الشخص خائفاً مرعوباً من **المواصلات** كلما أراد أن يذهب لمكان ، خشية أن لا يصل اليه.

لا طبعاً سيأخذ الأمر على أنه حدث لا يد له فيه وبالتالي لن يلومه أحد على فشله في الحصول على الوظيفة.

نعود لقضية الامتحان ، لنتخيل حال الطالب الذي يبذل ما يستطيع ويذاكر بجد ولا يقصر ويستعين بالله ويدعوا لنفسه بالتوفيق (اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً) كما علمنا النبي ﷺ.

ويذهب للامتحان بنفس مطمئنة وهو يعلم أن قد بذل الوسع وبذل الجهد ، وبالتالي مهما كانت النتيجة ومهما كانت الدرجة فهي قدره يتلقاه برضا ، طالما أنه لم يقصر ولم يكسل.

ويعتقد أن الامتحان وسيلة تشبه أي وسيلة نستخدمها في الحياة لقضاء مآربنا ، قد تنجح وقد تفشل.

قد أفتح متجراً ولكنه لا يربح بل يخسر باستمرار فهل هذا يعني أني أصاب بعقدة وخوف من فتح متجر آخر أم أحاول أن ادرس الأسباب وأعالجها لكي ينجح متجري مستقبلاً ؟

بمعنى آخر سيعتبر هذا الطالب أن الامتحان وسيلة وتحدٍ له .. وليس مصيبة يجزع منها ويتوتر كلما ذكرها.

في نهاية الأمر فإن مشاعر الخوف وعدم الرغبة بالامتحان ما هي إلا صورة ذهنية يمكن تغييرها .. إذا فصلنا الربط ما بين نتيجة الامتحان والخوف من الفشل في الحياة.

ويمكن تغييرها إذا اعتقدنا أننا يجب أن نفكر دائماً في احتمال النجاح وهو الاحتمال الأكبر عادة (إذا بذلنا الوسع واستفرغنا الجهد) ولا نفكر في احتمال الفشل طالما أننا أخذنا بالأسباب.



وأمر مهم آخر أن وقت المذاكرة والامتحان سيمضي سريعاً شئنا أم أبينا ويصبح من الماضي ويمكننا أن نقضيه بالهم والكرب أو أن نقضيه بالانطلاق والتفاؤل.

وهذا ما نوصي به الآباء خصوصاً ، أن لا يجعلوا من أيام الامتحانات مصيبة تحل عليهم وعلى أبنائهم ، وأن لا يركزوا (بتصرفاتهم المتشنجة) عقدة الخوف والرعب من الامتحان عند أولادهم ، فالتخويف لا يجدي دائماً وربما يقع الطالب أسير هذا الخوف ويقع فيما يخاف منه فعلاً ويفشل في الامتحان حقيقة ، بعد أن كان خوفه من الفشل مجرد وهم قد يتحقق أو لا يتحقق.

أنا لا أنكر أن أسلوب التدريس عندنا أبعد ما يكون عن توفير أجواء المتعة لطلابنا ، وهذا موضوع آخر يتعلق بمنظومة التعليم كلها في دولنا العربية وليس هذا محل مناقشتها.

ولكن ألا تدفعنا خطورة الموضوع إلى التفكير بجد كيف نستطيع أن نحول هذا الخوف من الامتحان إلى متعة ؟؟

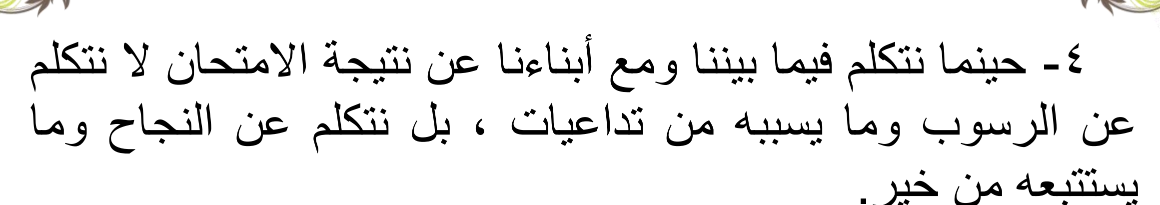
وهذه بعض الخطوات كبداية :

١- علينا فك الارتباط بين نتيجة الامتحان وبين تحقيق السعادة والنجاح في الحياة ، لأن الواقع يثبت أن لا علاقة لازمة بين الأمرين.

٢- فكر دائماً في النجاح ، لا في الفشل ، لأنه هو الأصل لكل من بذل الجهد ولم يقصر بالأسباب ، أما الفشل والرسوب فهو استثناء ولا يكون التفكير فيه هو الأصل كما هو حاصل فعلاً في مجتمعنا.

٣- نجعل من الوقت المخصص للدراسة متعة بان نختار أنسب الأوقات ، وعندما نكون مرتاحين غير مرهقين ، ونوفر لأبنائنا مثل هذه الأجواء المساعدة.





٤- حينما نتكلم فيما بيننا ومع أبناءنا عن نتيجة الامتحان لا نتكلم عن الرسوب وما يسببه من تداعيات ، بل نتكلم عن النجاح وما يستتبعه من خير.

٥- الامتحان وما يرافقه من خوف ورهبة يصبح بعد تسليم ورقة الامتحان مباشرة من الماضي ، مع ما رافقه من مشاعر سلبية ، فلم لا تكون السعادة والارتياح قبل الامتحان هي المسيطرة بدل القلق والخوف.

٦- إن النجاح في أي امتحان في الحياة هو مركب من **اسباب بشرية وتوفيق رباني ..** وقد أفضنا في الأسباب وبقي أن نذكر أنها كلها لن تكون فاعلة بدون توفيق من الله تعالى ، فلا تغفل عن الدعاء والإلحاح في الدعاء وستكون النتيجة في صالحك حتماً إذا أحسنت الأخذ بالأسباب لأن (الله لا يضيع أجر المحسنين) وأجرهم في الدنيا النجاح والاطمئنان وفي الآخرة الجنة والرضوان.

مع تمنياتي بالتوفيق والمتعة لأبنائنا الطلبة ولكل من يتعرض للامتحان.





16

البوصلة...







إلى أين ستذهب الآن ؟ إلى السوق
إلى أين تذهب غداً ؟ إلى المدرسة ثم إلى .....
إلى أين ستذهبين اليوم ؟ لزيارة أقاربي في......

أسئلة وأجوبة تبدوا طبيعية جداً ، نسألها لبعضنا يومياً ، مرّة أو عدة مرات ، والذي يجمع هذه الأسئلة جامع واحد هو أنها تبحث عن الاتجاه ، تسأل عن اتجاه السير - إلى أين - ولا نجد في هذه الأسئلة غرابة ، لأن السؤال طبيعي والجواب سهل والغاية من السؤال معروفة للطرفين السائل والمسئول.

الغاية من هذا السؤال معرفة اتجاه السير والحركة والتنقل لتحقيق أهداف يومية وحاجات متنوعة تعرض لنا في حياتنا ، وتنتهي هذه الحركة بانتهاء الحاجة وتحقق الغاية منها ، ورغم أن هذه الحاجات بسيطة لكننا نبقى دائماً نسأل أنفسنا بصورة ضمنية غير مباشرة أو نسأل غيرنا وبصورة مباشرة عن الاتجاه فربما نستطيع الاستفادة من هذه الحركة إلى أقصى حد ، فقد نوصي شخصاً ذاهبا إلى السوق بان يجلب لنا معه شيئاً ما ، وبذلك يختصر علينا مشقة الذهاب والإياب.

ولكن الغريب أننا لا نسأل أنفسنا هذا السؤال (إلى أين) في أمر كبير وخطير جداً يهمنا جميعاً أن نعرفه ، بل يجب علينا معرفته وإلا ندمنا حين لا ينفع الندم.

هذا الأمر هو حياتنا ذاتها ، مستقبلنا ، غاية وجودنا على هذه الأرض ، والى أين سنمضي بعد الموت ؟

إلى أين نتجه في حياتنا ؟ وماذا نريد من هذه الحياة ؟

في أي طريق نسير؟ وما هو الطريق الأفضل إذا تعددت أمامنا الخيارات ؟

ما هو أقصر الطرق وأسرعها إلى السعادة في الدنيا والآخرة ؟





وهل معرفة هذا الاتجاه شيء يسير؟

حسناً إذا كانت معرفة هذا الطريق (أي الاتجاه الصحيح لسيرنا في الحياة) شيئا يسيراً فلم لا يسير الناس كلهم فيه ويعيشوا سعداء؟

وإذا كانت معرفته صعبة ألا يستحق منا أن نفكر فيه بجد ، أن نتوقف من الآن لنفكر إلى أين نريد الذهاب؟.

إذا كانت الحاجات اليومية سواء كانت مادية أم معنوية تحكمنا وتحدد الطريق الذي نريد أن نسير فيه باتجاه الهدف ، ألا ينبغي أن نفكر بالحاجة الكبرى ، غاية وجودنا .. إثبات ذواتنا .. أن نضيف لهذه الحياة شيئاً صالحاً يذكرنا به الناس بعد أن نغادرها .. هذه الحاجة الكبرى هي في الحقيقة (أمّ الحاجات) وهي التي تسيرنا من حيث نشعر أو لا نشعر في طريق ما ، قد ينتهي نهاية سعيدة ، أو نهاية غير ذلك.

والحياة بطبيعتها وخلقتها تحوي طرقاً لا حصر لها تختلف باختلاف البشر وطبائعهم وأهدافهم ، وهذه الطرق المتعددة (والتي لا بد لكل إنسان أن يختار اتجاهاً منها يسير فيه) ألا تدفعنا لأن ننتبه خشية أن نسلك طريقاً خاطئاً قد نندم عليه بعد انقضاء العمر وذهاب الصحة والشباب ؟

ما فائدة أن يندم الإنسان بعد أن يسلك طريقاً سار فيه حتى بلغ الخمسين أو الستين سنة ؟

إن السنين لن تعود إلى الوراء ، والشباب لن يعود وما تبقى له من أيام على هذه الأرض قد لا يسعفه في تعديل وجهة سيره ، هذا إذا تنبه إلى أن الطريق كان خاطئاً .. والواقع المشاهد أنَّ الكثيرين يدركهم الموت وهم لم يعرفوا بعد أن طريقهم كان خاطئاً.

يعرف كل من سافر في البر أو في البحر أو الجو ، أن الانحراف عن الهدف بمقدار مليمتر واحد في نقطة الانطلاق ستكون نهايته على بعد أميال كثيرة من هدفه الذي يسعى إليه (ما لم



ينتبه ويصحح اتجاهه) وربما أدى به انحرافه عن الطريق إلى الهلاك ما لم يصحح الاتجاه ويدركه اللطف من الله تعالى.

ومنذ أن عرف الإنسان السفر والترحال وهو يُبدع في استخدام وسائل تعينه على معرفة الطريق الذي يوصله إلى هدفه ، فاستعان بمواقع النجوم وبالشروق والغروب ، وعندما اكتشف البوصلة كان ذلك فتحاً كبيراً للبشرية في هداية الإنسان إلى الاتجاه الصحيح في أسفاره. لذلك لا يستغني كل رحالة قديماً وحديثاً عن البوصلة لتجديد اتجاه سيره بأمان.

هذا اتجاه في المكان ، يسر الله تعالى لنا الوسيلة لضبطه بسهولة وهي البوصلة .. ولكن يبقى اتجاهنا في الزمان هو الأخطر .. عمرنا الذي نقضيه على هذه الأرض بالطول والعرض ، بالجد والهزل ، بالعبادة والمعصية ، بالأكل والشرب ، بالعمل والنوم ، بالفرح والحزن ... إلى أين يتجه بنا ؟ إلى أين يأخذنا هذا العمر ، أو الأصح إلى أين نتجه نحن به؟

وإذا انتهى فهل سنكون راضين عما حققنا في فترة حياتنا ، فنغادر الحياة راضين مطمئنين ، أم سنغادر ونحن غير راضين ولا مطمئنين ؟

إن البوصلة التقليدية التي تهدينا للاتجاه المكاني لا تفيدنا لتحديد طريقنا في الزمان ولذلك لا بد من بوصلة (معنوية) لتحديد الاتجاه ، كي لا ننتهي بصورة لم نكن نتوقعها أو نغادر الحياة غير راضين عما قدمنا ، هذه البوصلة المعنوية تشبه البوصلة العادية في فائدتها وتختلف في شكلها وخصائصها.

كما ذكرنا في بداية كلامنا أن الأهداف والغايات البعيدة والأحلام التي نتمنى أن تتحقق هي التي تحدد اتجاهنا في الحياة. فمثلاً الطالب الذي يحلم أن يكون في المستقبل أستاذا محترماً وعالماً مشهوراً في تخصصه ، سوف يبرمج تحركاته وقراءاته وتصرفاته كلها على أساس أن هذا الحلم سيتحقق ، فتراه يعتني



بهندامه ، ويقرأ كثيراً ويحب تعليم الآخرين ويتصرف تصرف الأساتذة ، والفتاة التي تحلم وتتمنى أن تكون معلمة للأطفال تراها تأنس بوجود عدد من الأطفال حولها وتحاول ترتيبهم واللعب معهم وتعليمهم وتتخيل نفسها في الصف الدراسي وتتخيلهم أمامها طلاباً ، وتتقمص شخصية أحب المعلّمات إلى قلبها وتحاول تقليدها في كلامها ومشيتها ، وتفعل كل ما هو ممكن لتصبح معلمة أطفال يوماً ما.

ولذلك فان أحلامنا وأهدافنا البعيدة هي التي ستقود حياتنا بمفرداتها وتوجهها لمحاولة تحقيق هذه الأهداف ، وعليه سنرتب علاقاتنا وصداقاتنا وتصرفاتنا ومظهرنا ... إلى قائمة لا تنتهي من الأفكار والمعتقدات والسلوكيات والتي ستتجه كلها لتحقيق هذه الأهداف.

وسنرى حياة كل إنسان تتجه اتجاهاً يختلف عن الآخرين وان تشابه في الظاهر، فلربما يتجه اثنان من خريجي كلية ما ليكونا أساتذة بإكمال الدراسات العليا ولكن الغاية البعيدة عند الأول أن يحظى بالمكانة الاجتماعية ويستمتع عندما يناديه الناس (بالدكتور فلان) ، بينما الغاية البعيدة عند الثاني أن يبحث عن الجديد ويكتشف ويعلم الآخرين. وبالتالي فان مؤشر (البوصلة المعنوية) عنده سيختلف عن الأول وان تشابها في مرحلة من مراحل الطريق ولكنهما سيفترقان بعد ذلك.

لاشك أننا نحرص على أن يكون اتجاهنا بما يرضي الله عز وجل ، ولكن ألا نجد في واقع الحياة اختلافاً وتقاطعاً في الاتجاهات وتعاكساً أحياناً والكل يدعي أنه يريد مرضاة الله تعالى؟

فما هي صفات البوصلة المعنوية التي تساعدنا على ضبط الاتجاه؟



وقبل ذلك كيف نحدد النقطة النهائية التي نريد الوصول إليها باستخدام هذه البوصلة ؟ سأشرح تحديد هذه النقطة النهائية بمشهد متخيل.

لنتخيل المشهد التالي: لو افترضنا أنك بعد عمر طويل وعمل صالح ، توفاك الله ، وحملك أصحابك وأحباؤك إلى مثواك الأخير ، ثم وأنت في قبرك تسمع الواقفين يتكلمون عن سجاياك وخصالك ويترحمون عليك ، تخيل هذا المشهد واسأل نفسك هذا السؤال: ماذا تريد أن تسمع منهم؟ بأي عمل تريدهم أن يثنوا عليك؟

بعبارة أخرى ستسمعهم يقولون: يرحم الله (فلاناً) لقد كان ....

أكمل أنت العبارة ، ماذا تحب أن تسمع بعد (**كان**) هذه؟

- **لقد كان عابداً صالحاً** ؟ .. إذن هذا هو هدفك ونقطة النهاية الذي تسعى إليه شعرتَ أم لم تشعر.
- **لقد كان باراً بوالديه** ؟... هذا هو الهدف الذي سيحدد اتجاهك
- **لقد كان معلما محبوباً** ؟ ... هذا هو الهدف
- **لقد كان صريحاً وصادقاً** ؟ ... هذا هو الهدف
- **لقد كان أروع لاعب كرة قدم** ؟ .... هذا هو الهدف

وهكذا ما تريد أن تسمعه فعلاً في تلك اللحظة التي انقطعت فيها عن الحياة ، هي النقطة التي كنت تتجه إليها حقيقة وقد برمجت حياتك لتحقيقها وهو غايتك ورسالتك الحقيقية في الحياة وإن كنت تعتقد خلاف ذلك.

الشخص الذي يكون ديدنه وقيمته العليا واتجاهه في الحياة أن يبر والديه سيلتفت إلى كل ما يمكن أن يخدم هذا الهدف من قريب أو بعيد. وسوف يسير باتجاه غير اتجاه الشخص الذي يريد أن يكون لاعباً مشهوراً ، وغير اتجاه الذي يسعى ليكون معلماً بارعاً محبوباً ، رغم أن الكل قد يجمعهم الإيمان والاستقامة وإرضاء الله



عز وجل. وبالتالي ستختلف الرؤى والسلوكيات والأولويات عند كل شخص بحسب اتجاهه الذي يسير فيه.

هذه طريقة سهلة وميسرة لمعرفة النقطة التي تتجه إليها والتي تصبغ حياتك بألوان معينة وتؤطرها بأطر خاصة.

والخطورة في هذا الأمر والتي نريد أن ننبه عليها ، أن الإنسان قد يخفى عليه هذا الاتجاه الحقيقي الذي يسير فيه ، ونقطة النهاية التي يتوجه إليها ، ويعتقد أن له أهدافاً أخرى يسعى لتحقيقها ، فيقع بالفشل والإحباط ، فلا هو يحقق أهدافه ولا هو يعرف الهدف الحقيقي الذي يقوده فعلاً في تصرفاته وسلوكياته. فيبقى مشتتاً لا يعلم أين يتجه في هذه الحياة ويلوم الأقدار والناس والمجتمع على كل ما أصابه من تأخر وفشل.

والحقيقة أن المشكلة عنده هي أنه لم يحدد اتجاهه الحقيقي ، كالذي يسافر بدون بوصلة ، والنتيجة أنه لن يصل إلى هدف أبداً.

ويبقى أن نعرف ميزات هذه البوصلة المعنوية التي يجب أن نستخدمها لتحديد اتجاهنا ، وكيف نستخدمها بشكل صحيح لنحدد اتجاهنا ونصل إلى نقطة النهاية آمنين.

١- ينبغي أن تكون البوصلة نظيفة وغير متسخة بأي شائبة تعوق حركتها الحرة لتحديد الاتجاه. وهذا يقتضي سلامة التفكير وطريقة التفكير من الشبهات والشوائب. وبخلافه ستعترض شوائب كثيرة إبرة البوصلة ولن تكون حرة الحركة وبالتالي لن تؤشر إلى الاتجاه الصحيح. فالذي يريد أن يكون تاجراً ناجحاً وهو يفكر بخداع الناس وغشهم للربح السريع ، فهذا قد اتسخت بوصلته لأن تفكيره غير سليم ولن يصل إلى ما يريد لأنه سرعان ما يفتضح ويمجّه الناس.

٢- دقة المؤشر ، وهذا يقتضي القراءة والاطلاع وطلب العلم من مصادره وموارده ومن أهله المختصين والمعتبرين ، وكلما



كان الشخص عالماً بما يريد كان المؤشر الذي يقوده دقيقاً والعكس صحيح.

فالذي يريد أن يكون طبيباً ناجحاً فعليه أن يقرأ باستمرار ويطلع على الجديد في تخصصه ، ويكثر من الممارسة ويتخلق بأخلاق عالية لأنه يتعامل مع الإنسان في أضعف حالاته ، وبخلاف ذلك ربما يتخرج طبيباً ولكنه سيبقى موظفاً في المستشفى كأحد الموظفين لا يزوره أحد.

٣- إدامة البوصلة باستمرار لضمان عدم توقفها وعطبها ، وهذا يقتضي المحاسبة والمراجعة لتصرفاتنا وسلوكياتنا وأفكارنا بين فترة وأخرى ، كي نتأكد أننا لم ننحرف عن الاتجاه الصحيح ، بسبب عدم الإدامة والمراجعة لخط سيرنا. فالحياة مليئة بالمتاعب وقد تلهينا عن مراقبة الاتجاه ، وقد تؤدي رتابة العمل أيضاً إلى نفس النتيجة .. كالخطيب الذي يفقد اهتمامه بدعوة الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتحول إلى موظف يكتب في الشهر كلمات يسميها خطباً يلقيها على الناس وكفى.

٤- التأكد من ضبط المؤشر على الهدف دائماً لأن الانحراف ولو بجزء يسير قد يبعدنا عن الهدف كثيراً والتأكد من هذا الضبط بين فترة وأخرى ، وهذا يقتضي الالتزام بأدق الأمور ، ولا نعتبرها أموراً تافهة لا قيمة لها. وقد علّمنا شرعنا الحنيف ونبينا الكريم ﷺ أن لا تَحقِرَ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى اخاكَ بوجه طليق.

٥- أن نحمل هذه البوصلة المعنوية معنا دائماً ولا نتركها جانباً ولا ننساها ، خشية الضياع والتيه ، ونتذكر دائماً أن الكثيرين في هذه الحياة قد فقدوا اتجاه سيرهم وتشتتوا ولم يصلوا إلى غاياتهم. وهذا يفسر قلة الناجحين والعظماء الذين خلد التاريخ أسمائهم.



والآن ابدأ بالتعرف على هدفك البعيد ، استعمل البوصلة وحدد اتجاهك وتوكل على الله ، انه نعم المولى ونعم النصير.





17

...من يكتب قصة حياتك؟







لعلك في فترة ما من حياتك بدأت بقراءة القصص والروايات، بغض النظر عن مضمونها وطولها ، وان لم تكن من محبي القراءة فلا بد أنك قد تفرجت على الكثير من القصص والروايات الممثلة في التلفاز أو سمعت قصصا من المذياع.

بعبارة أخرى كل منا يبدأ من مرحلة الطفولة (مع أفلام الكارتون ابتداءً) بالتعرف على العشرات والمئات من القصص الحقيقية والخيالية ، والتي تعبر ربما عن واقعه أو واقع الكثير من الأمم والشعوب التي كُتبت فيها هذه القصص.

إننا نعيش مع القصص ساعات كثيرة نأخذ منها العبرة ونتعلم من بعضها الآخر ونستمتع ببعضها وننزعج من أخرى ، ونساهم نحن في تأليف ورواية بعض هذه القصص عندما ننقل الأخبار السريعة التي نشاهدها في حركتنا اليومية.

فالقصص تشكل جزءاً مفروضاً علينا لا نستطيع تجاهله ، فنحن من خلالها عرفنا حياة الأنبياء والأبطال والمصلحين والشعراء والمبدعين أحياء وأمواتاً ، ومن خلال هذه القصص نتناقل الأخبار اليومية.

وكثير من القصص عن حياة الأبطال والمصلحين هزت مشاعرنا وجعلتنا ننفعل ونتأثر وقد نبكي حين نسمعها ، وقد يدفعنا التأثر إلى تقليد الشخصية التي تأثرنا بها وبقصة حياتها.

وتبقى القصص محيطة بنا تؤثر في حياتنا بصورة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تحدد أهدافنا وسلوكنا من حيث نشعر أو لا نشعر ، وتقود أحياناً الى سلوكيات مؤذية ، كالطفل الذي يريد تقليد البطل الذي رآه في فلم الكارتون فيسبب مشكلة أو يكسر حاجة في المنزل أو يضرب أخاه (يقلد بذلك البطل في ضرباته للمجرمين) وهكذا.



ويبقى السؤال الذي بدأنا به وجعلناه عنواناً ...

إذا كانت الحياة قصصاً وتجارب تُروى وخبرات يتناقلها البشر بينهم ... فمن الذي يكتب أهم قصة وأخطر قصة بالنسبة لنا ، وهي قصتنا نحن .. قصة حياتي .. وقصة حياتك ؟

حياتك التي تريد لها أن تكون أجمل قصة وأحلى قصة ، وتريد لها أن تبدأ بداية جميلة ، وتستمر بهدوء وبدون مشاكل وتنتهي نهاية سعيدة.

قصة حياتك هذه .. هل فكرت يوماً من الذي يكتبها لك ؟

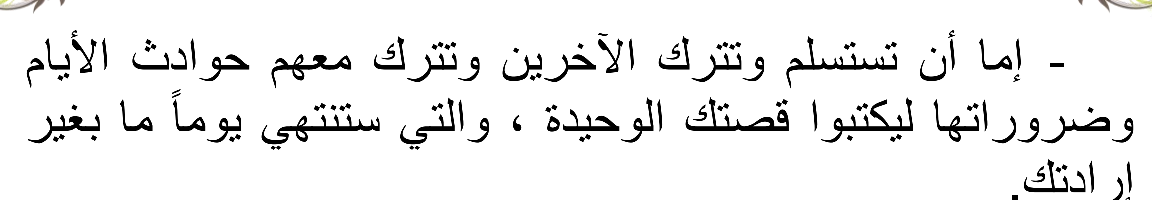
في الحقيقة كثيرون ممن حولنا يساهمون عمداً أو بغير عمد في كتابة قصة حياتنا ، قد تكون كلماتهم التي يضيفونها إلى قصتنا سيئة مزعجة ، أو جميلة ممتعة ، ولكن في النهاية نبقى نحن المسؤولون عن إخراج هذه القصة بشكلها النهائي كما نريد.

وإذا كان الإنسان اجتماعياً بطبعه وخلقته ، فإنه لا يستطيع أن ينعزل عن البشر في حياته وسلوكه ، لا بد من المخالطة لكي يشعر بإنسانيته ويشعر بغاية وجوده على هذه الأرض. ولأنه لا يستطيع الانعزال فلا مناص من أن يتدخل الآخرون بأسلوب حياته وعلاقاته ، ويتدخلون حتى في صياغة مشاعره وأحاسيسه ، وربما يؤثرون في خياراته وأهدافه سلباً وإيجابا.

إذا كان الأمر هكذا فلن نستطيع أن نتفرد بكتابة قصة حياتنا كما نريد وبمطلق حريتنا ، فالتدخل من الآخرين لا بد منه ، لأن هذا من سنن الله التي فطر البشر عليها .. ويبقى واجبنا الرئيس هو كيف نستطيع أن نكتب مسيرة حياتنا ونوجهها مع وجود هذه التدخلات؟.. كيف نستطيع إعادة صياغة الكثير من الفقرات السلبية التي يقحمها الآخرون بين السطور ، ونحولها إلى عبارات ايجابية تتناسق مع جو القصة الكلي فلا تزعجنا ولا توقفنا عن المسير؟

وعليه فكيفما كان أسلوب تدخل الناس في حياتك ومهما كان عمق هذا التدخل فأنت بين خيارين لا ثالث لهما.





- إما أن تستسلم وتترك الآخرين وتترك معهم حوادث الأيام وضروراتها ليكتبوا قصتك الوحيدة ، والتي ستنتهي يوماً ما بغير إرادتك.

- وإما أن تأخذ قرارك الخطير .. بأنك الوحيد الذي له الحق بكتابة هذه القصة لأنها حياتك أنت ، وعمرك أنت ، وأيامك التي ستعيشها ولا تعرف كم ستكون ، ولن يمكنك تعويضها إذا انتهت.

فإذا كنت من الصنف الأول .. سأروي لك ما سيحدث في فصول قصتك:

ستعيش فصلاً من فصول حياتك مكرهاً غير مختار (أو هكذا تظن).

سيبدأ هذا الفصل بعدم قدرتك على اختيار الكلية التي تحبها (بسبب المعدل)..

أو اختيار العمل الذي ترغب فيه (ليس لديك واسطة)..

أو الزوجة التي تحلم بها (لا تستطيع توفير طلبات أهلها)..

أو الدور الذي تتمنى أن تؤديه في الحياة (لم يحالفك الحظ)..

ثم يبدأ الفصل الثاني والذي تقارن فيه بين ما أنت عليه وما وصل إليه الآخرون ، فأنت أذكى من فلان ، وقد كنت في المدرسة معه ودرجاتك أعلى من درجاته ولكنه دخل كلية أفضل منك (لأن حظه كان جيداً في امتحانات الإعدادية)..

وأنت أكثر عبادة من فلان وتراعي الحلال والحرام في تعاملاتك ، وهو لا يفعل مثلك ، ومع ذلك فهو مرزوق وحالته الاقتصادية أفضل منك ويركب سيارة محترمة وأنت لا زلت تسير على قدميك.

وأنت أكثر أدباً وجمالاً وسيرة وأصلاً وفصلاً من فلان ، لكنك حين تقدمت لخطبة ابنتهم لم يقبلوا بك ، وحين تقدم هو لنفس الأسرة زوجوه..

ويستمر الفصل بهذه المقارنات.



ثم يبدأ الفصل الثالث عندما تقتنع أن كل ما يحدث لك ، وكل ما يحدث حولك لا يد لك فيه ، والذنب ليس ذنبك ، والخطأ ليس خطأك ، لأن الزمان أعوج وفكر الناس أهوج ، وستحفظ من أقوال الحكماء والشعراء أدلة على ذلك ، ألم يقل أحدهم:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد الأجرب

لقد صدق والله.

ألم يقل الآخر:

تموت الأسد في الغابات جوعاً   ولحم الضأن تأكله الكلاب

ورُبَّ عبد ينام على حريـــــر   وسيد قوم مفارشه التراب

أليس الأمر هكذا في زماننا ؟؟ نعم وألف نعم.

ألم يقل رسول الله ﷺ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ.

صدق رسول ﷺ .. فقد وسد الأمر إلى غير أهله ... ولذلك أهملوك ، لأنك من أهله حتماً.

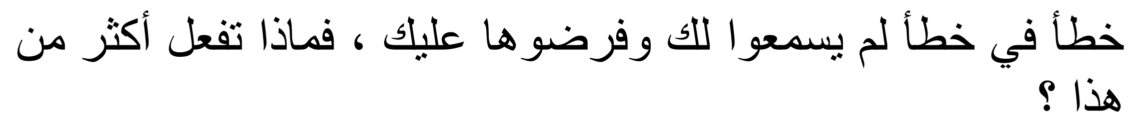
ويستمر الفصل إلى نهايته بهذه القناعات .

ويبدأ الفصل الأخير من قصتك حين يبدأ البطل (الذي هو أنت) بالبكاء على الأطلال ، والتأسف على الفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولا يبقى إلا انتظار العذاب الذي سينزل على رؤوس الناس الذين لم يقدروك ولم يضعوك في مكانك اللائق بك ، والذين لم يسمعوا نصحك وتوجيهك وكلامك الرفيع.

لقد أديت دورك وانتهى كل شيء وليس في الإمكان أحسن مما كان.

سيقع الخراب .. ولن يشملك بالطبع .. لأنه لا يد لك في كل هذه القصة ، فلست الذي كتبتها بهذه الصورة الكئيبة بل كتبها الآخرون لك ، وعندما حاولت نصحهم وتنبيههم أن قصتك هذه





خطأ في خطأ لم يسمعوا لك وفرضوها عليك ، فماذا تفعل أكثر من هذا ؟

تفوض أمرك إلى الله وتنتظر الساعة ...

وتنتهي قصتك بانتهاء هذا الفصل الأخير بعد أن توقع عليها باسمك وتكتب تحت التوقيع .. (الكاتب الذي لم يكتب منها حرفاً واحداً).

وقبل أن أنهي رواية قصتك هذه سأذكرك بآية أكتبها لك على الغلاف الأخير يقول تعالى ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ وأتركك لتفكر بها قبل أن تؤخذ قصتك للطباعة ، وتُهيأ لتعرض عليك يوم الحساب ، فتفاجأ بما لم يكن في حسابك ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾.

أما إذا كنت من الصنف الثاني فسأروي لك فصول قصتك هكذا كما أتخيلها:

يبدأ الفصل الأول والذي ستساهم أنت جزئياً في كتابته.

قد لا تحصل على الكلية التي تريدها وتقبل في كلية لا ترغبها أصلاً ، لا بأس ستبحث عن بدائل تستطيع أن تتعامل معها بنجاح ، قد تكون دراسة مسائية في تخصص تحبه ، أو كلية أدنى من كليتك ولكنك تحبها.

قد لا تحصل على العمل الذي تطمح إليه ، ومع ذلك لن تترك الحزن والهم يغلبك ستفكر كيف تنجح في عملك الحالي وقد تتغير نظرتك له بعد حين ، وقد تلاقي فيه من النجاح أكثر مما يمكن أن تحصل عليه في العمل الذي كنت تحلم به.

ربما تبحث كثيراً ولا تجد الزوجة بالمواصفات التي وضعتها ، لن تيأس ، ستدعوا الله عز وجل كثيراً وتستعين به وتستشير من



تظن فيهم الحكمة وربما تتواضع في شروطك وستحصل على ما تريد بإذن الله تعالى وأكثر.

ويبدأ الفصل الثاني بداية جميلة رائعة يتحقق فيها قول الحق تبارك وتعالى ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

كل ما في هذا الفصل رائع جميل ، نعم إن الحياة لا تخلوا من منغصات ومشاكل لأنها هكذا خلقت ، ولأن الله تعالى أراد لنا أن نكدح فيها ونتعب ، ولكنه كدح لذيذ طيب سوف تستشعر فيه الأجر والثواب.

سيقابلك الناس بالسوء وتقابلهم بالإحسان لأنك أرفع منهم أخلاقاً.

سيأخذون حقك ، ولكنك ستتنازل عن بعضه ليس عن خوف وجبن ولكن ترفعاً عن صغائر الأمور ، لأنك خلقت لما هو أكبر.

سيتكلمون عليك ، ولكنك ستكتب في هذا الفصل (عظموا أنفسكم بالتغافل).

ستبحث في هذا الفصل عن كل عبارة سيئة كتبها الآخرون لك (قد لا تستطيع إلغاءها) ولكنك بالتأكيد تستطيع إعادة صياغتها من جديد لتجعلها تتناسق مع الخير الأصيل الذي تكتب به قصتك كلها.

ستجد بقعة حبر لوثت صفحة من الصفحات (قد تكون سيئة أو ذنب ارتكبته أنت أو ارتُكب بحقك) إن لم تستطع إزالتها غطّها بحبر أبيض من عمل صالح أو دعاء في جوف الليل ، ولن تزعجك بعد ذلك.

والفصل الأخير وما أدراك ما الفصل الأخير سيكون أكثر جمالاً ومتعة من النهايات السعيدة التي نراها في الأفلام ، إنك لن تختم قصتك في هذا الفصل ... بل لن يكون لقصتك فصل أخير



كباقي قصص الناس الآخرين ... لأن حياتك السعيدة وعملك الصالح لن ينتهي ، سيبقى ممتداً في ذريتك وطلابك ، وكل من علمته وأفدته بكلمة أو نصح ، أو قدمت له خدمة ، أو أعنته في مشكلة.

ستحكي في هذا الفصل لكل الناس أن الحياة جميلة تستحق أن تُعاش ولكن في مرضاة الله تعالى

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

وأن كل ما يحدث من سوء ومشاكل فهي من صنع أيدينا وأفكارنا ولن يغيرها إلا نحن ، عندما نقرر أن نغير أفكارنا وأفعالنا، فنحن المسؤولون أولاً وآخراً

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

ستحاول في هذا الفصل أن تثبت لقراء قصتك أننا المسؤولون عن الإصلاح في الأرض كل الأرض نعمل ما نستطيع ونبذل الجهد وسنحقق ما نريد يوماً ما.

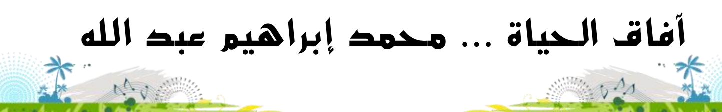
وستثبت للآخرين أن قصتك هذه قد كتبتها بنفسك ولم تدع أحداً يتدخل فيها ويشوه عباراتها ، نعم لقد سمحت للبعض أن يضيفوا عبارات جميلة إليها ، أما العبارات القبيحة فلا.

ولذلك ستوقع عليها بحبر جميل اللون ، وتكتب اسمك بالخط العريض وتعدها للطباعة جاهزة تحت الطلب. وإذا طبعت وعرضت عليك ستأخذها بيمينك بفرح وتقول لكل الناس

﴿هاؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾

وستأخذها معك إلى ﴿.. عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية ..﴾.





ولأنك كتبت قصة سعيدة لحياتك .. سوف تستمتع بها في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى ... وستوصي إخوانك ومن حولك أن يكتبوا مثلها وتعلمهم كيف يكتبونها.

والآن .. لقد قرأت قصتين فأيهما تريد .. وأيهما أحب إليك ؟

أرجوا الآن أن تقرر من سيكتب قصة حياتك ؟

أنت ؟

أم ستتركها للآخرين ؟





18

...أنظر في المرآة ... رجاءً







ومن منا لا ينظر في المرآة يومياً ، يرتب شعره ويعدل هندامه ليظهر بأفضل ما يمكن أمام الآخرين؟ .. فحب المظهر الجميل فطرة عند الإنسان السوي الطبيعي.

ولكني لم أقصد بالعنوان هذا النظر الطبيعي في المرآة كل يوم.

إنما أردت بالنظر إلى المرآة مراقبتك الدائمة لنفسك ... يستوي في هذه المراقبة المظهر الخارجي والمَخبرُ الداخلي ، بمعنى آخر.. الظاهر والباطن.

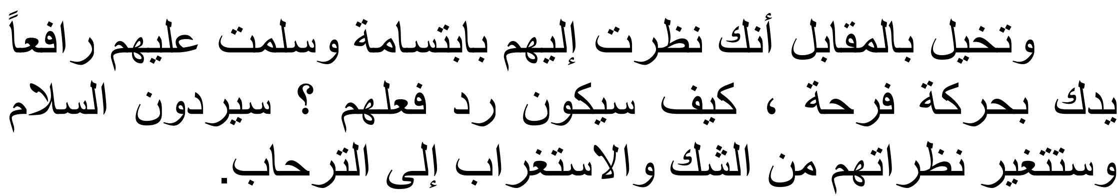
وإذا كانت المرآة الزجاجية المعروفة أداة لمراقبة المظهر فنحن أحوج ما نكون إلى مرآة من نوع آخر لمراقبة باطننا وتصرفاتنا وأخلاقنا .. وانعكاساتها في واقع حياتنا .. انعكاساتها علينا شخصياً وعلى الآخرين.

وبما إن الحياة وما نواجهه فيها يومياً ما هي إلاّ صدىً حقيقي لتصرفاتنا وسلوكنا وأفكارنا ، وهي مرآة حقيقية لهذه التصرفات والأفكار ، لذلك لا يصح أن نعتذر دائماً بأن الظروف هي السبب في المشاكل التي نواجهها يومياً ، أو أن الآخرين هم السبب ، أو أن الزمان فاسد والانحراف قد طمَّ وعم.

ونضرب لذلك مثلاً: تخيل نفسك وأنت تمر في طريق لأول مرة ، ووجدت بعض الأشخاص الجالسين على قارعة الطريق وهم ينظرون اليك باستغراب (وهذا شيء طبيعي في زماننا وظروفنا أن ينظر الناس الى أي غريب بعين الريبة) ، وتخيل أنك رميتهم بنظرة عابسة !

كيف سيكون رد فعلهم ونظرهم إليك؟





وتخيل بالمقابل أنك نظرت إليهم بابتسامة وسلمت عليهم رافعاً يدك بحركة فرحة ، كيف سيكون رد فعلهم ؟ سيردون السلام وستتغير نظراتهم من الشك والاستغراب إلى الترحاب.

ما الفرق بين الحالتين؟

لقد أطلقت سلوكاً كان له صدىً .. في الحالة الأولى كان الصدى سلبياً ، بينما في الحالة الثانية كان الصدى ايجابياً.

ونحن نحتاج دائماً الى مراجعة ومراقبة سلوكنا ليكون الصدى ايجابياً .. فما الحل؟

لا بد من مرآة ننظر فيها لنرى بوضوح الصور التي تنتج من أفكارنا التي نحملها وتصرفاتنا التي نقوم بها تجاه الآخرين.

وفي الحياة مرايا كثيرة تعكس صورتنا عند الآخرين وهي في مضمونها تشبه كثيراً المرآة التي نعرفها ونستخدمها لتحسين مظهرنا يومياً.

وأفضل المرايا ما ذكره النبي ﷺ بقوله: **المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه مـن ورائه.**

وورد الحديث أيضاً بلفظ: **إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى شيئاً فليمطه.**

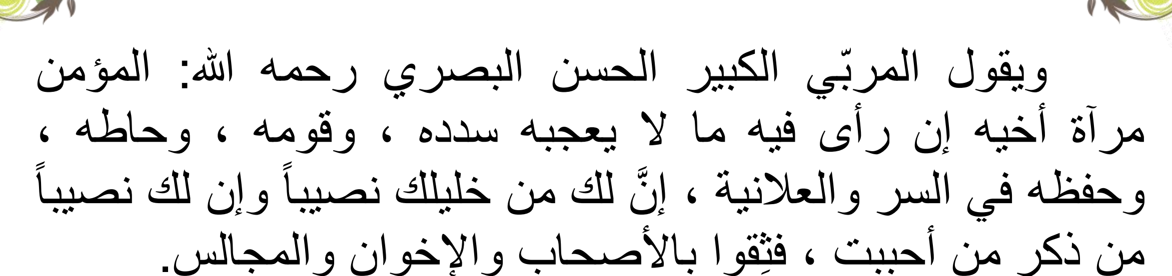
وفي رواية: **المؤمن مرآة المؤمن.**

وهذا الحديث عده العلماء من جوامع كلمه ﷺ.

ولا شك أن هذه مرآة غير عادية لأنها أتت وصفاً لإنسان متميز (وهو المؤمن) ، ولم يقل النبي ﷺ (المسلم) بل ذكر المؤمن، لأن العلاقة بين المؤمنين علاقة فيها رُقِي وتناصح ونظافة وسلامة صدر وتطلع الى كل ما هو جميل وسامٍ من التصرفات والمعاني التي ربما تغيب عن المسلم العادي.

وفي هذا المعنى يقول يحي بن معاذ: أخوك من ذكرك العيوب ، وصديقك من حذرك الذنوب.





ويقول المربّي الكبير الحسن البصري رحمه الله: المؤمن مرآة أخيه إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده ، وقومه ، وحاطه ، وحفظه في السر والعلانية ، إنَّ لك من خليلك نصيباً وإن لك نصيباً من ذكر من أحببت ، فثِقوا بالأصحاب والإخوان والمجالس.

ولذلك ستكون صفات هذه المرآة التي نحتاجها عالية الجودة ومنها:

١- تكون صافية ونظيفة قدر المستطاع ، وهذا يتطلب القرب من الله تعالى بالطاعات والذكر الدائم.

٢- ليس فيها تشوهات تؤثر على الصورة.

٣- تكون منبسطة غير مقعرة ولا محدبة ، لا تضخم الأمور ولا تقزِّمها.

٤- تظهر الصورة بصدق كما هي ، فالمرآة المادية لا تكذب أبداً ولا تحتال لإخفاء الحقيقة ولا تتلون باختلاف الظروف.

٥- كلما اقتربت منها زادت صورتك وضوحاً وازدادت فائدتها لك. فالقرب من الآخرين وبناء العلاقات لا يستدعي النفاق والتلون.

٦- سهلة المنال كلما احتجتها ، والأفضل أن تجدها في كل مكان تتواجد أنت فيه ، بمعنى أن تستكثر من الناصحين.

٧- صامتة لا تتكلم فصورتك هي التي ستتحدث ، فالعمل يغني عن الكلام.

٨- المرآة عادة لا تكشف العيوب لغير صاحبها ، فهي آمنة أمينة.

٩- لا تغيب المرآة عنك بعد كشف الأخطاء بل تبقى معينة على إزالتها. ولذلك فالمقاطعة للمخطئ غير مجدية أحياناً ، بل البقاء معه والنصح له أفضل.

١٠- لا تحفظ المرآة الصورة المتسخة إذا نظف صاحبها أخلاقه وسلوكه ، فالحقد والحسد والغيبة ليست من خصائص المؤمن.





وبالمقابل سيكون واجبك تجاه هذه المرآة ما يلي:

١- لا تغضب منها فهي تعكس صورتك أنت ، بل ابتسم لها لأنها تخدمك.

٢- احرص على صقلها وتقويمها كي تعكس صورة صحيحة عنك ليس فيها تشويه.

٣- احرص على نظافتها بالعناية والرعاية والتشجيع.

٤- المرآة قابلة للكسر وإذا كسرت لا تعود لشأنها الأول وإن أعدت تركيب أجزاءها فستبقى صورتك فيها مشوهة. لذلك احذر من أن تَغضب وتؤذي من نصحك.

٥- لا ترفض صورتك في المرآة المسطحة النظيفة لأن هذا لن يحل المشكلة مهما حاولت .. إلا أن تعالج الخطأ الذي وقعت فيه.

٦- المرآة لا تعمل إلا في النور فإذا أردت الاستفادة منها وجب أن تنير المكان الذي أنت فيه. فلا تتصرف في الخفاء وكن واضحاً مع الآخرين.

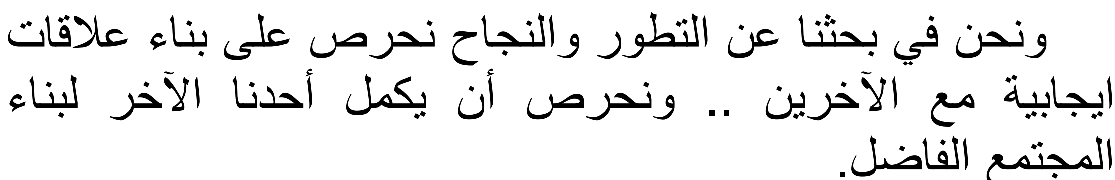
٧- احذر من المرايا المقعرة والمرايا المحدبة ، فالأولى (المبالِغة المتطرفة) صحيح أنها ستضخم صورتك .. ولكنها ستضخم بنفس الوقت الفضائل والرذائل وبالنتيجة فالصورة ستكون مضحكة ومدعاة للهزء من الآخرين.

وبالمقابل فإن المرآة المحدبة (المتكبرة المنفوخة) ستصغر صورتك وتقزم أعمالك .. وتدفعك الى الاحباط.

وكذلك احذر من المرايا المستوية غير الصقيلة فلا شك أنها ستخدعك في النتيجة بإظهار صورة غير مطابقة للواقع.

٨- حيثما وجدت مرآة صادقة (مؤمن صادق) لا تخف منها بل اقترب واستفد وعدل من شأنك لتكون دائما في أفضل صورة عند الله وعند الناس.





ونحن في بحثنا عن التطور والنجاح نحرص على بناء علاقات ايجابية مع الآخرين .. ونحرص أن يكمل أحدنا الآخر لبناء المجتمع الفاضل.

ولن تطيب حياتنا إلا بصحبة أناس وصفهم الشاعر قديماً فقال:

صديقٌ مرآةٌ أميط بـــها الأذى
وعضبٌ حسامٌ إن مُنعت حقوقي

وإن ضاق أمري أو ألمّت مُلمة
لجأت إليه دون كل شقيـــــــــقِ

كن مرآة صادقة للآخرين .. وحرّض غيرك على ذلك .. وانشر ثقافة الصدق ، لأنه طريق سريع للرُّقي والسيادة في الدنيا ، والجنة في الآخرة.



19

...طبيب أم مهندس ؟
أم .... ؟







لو سألتَ طلبتنا الأعزاء في مرحلة السادس الإعدادي : أي كلية تحبون الانتساب إليها ؟ سيكون الجواب الغالب : ... الطب ... الهندسة.

ولو سألتَ الآباء والأمهات ماذا تتمنون لأبنائكم وبناتكم أن يصبحوا في المستقبل ؟ لقالوا بلا تردد طبيب .. أو مهندس.

ونجد هذه الظاهرة بين المعلمين والمعلمات حينما يريدون تشجيع طلبتهم وامتداح المتفوقين منهم فيكتبون على ورقتهم الامتحانية عبارة (أحسنت يا دكتور) (أحسنت يا مهندس)!

وتجد هذا التصرف حتى في المراحل الابتدائية .. الأول والثاني الابتدائي ، أي في الوقت الذي يتشكل فيه عقل الطفل وتُنقش فيه المفاهيم والمبادئ والمثل.

أليس هذا شيء يدعوا للاستغراب !! هل اختُزلت العلوم والمهن في هاتين المهنتين ؟!

لا شك أن من حق كل إنسان أن يكون طموحاً ويطلب معالي الأمور.

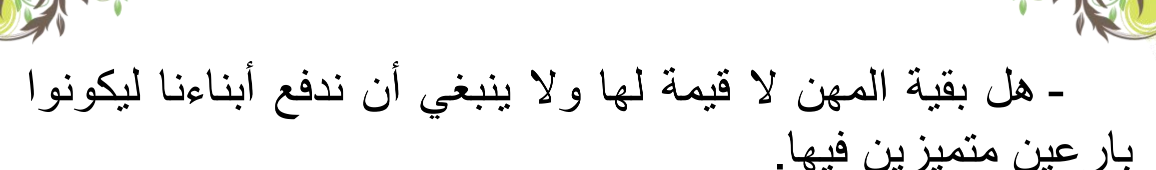
ولا نختلف كذلك أن من حق كل أب وأم أن يتخيلوا أولادهم بأفضل حال ويدفعوهم ويعينوهم ليكونوا محترمين ونافعين في مجتمعهم.

ولكن ألا نتوقف لنسأل ما هو الأنفع والأفضل لهم؟

ومع هذا سنطرح أسئلة أخرى ليتضح الأمر أكثر:

- هل كل أبنائنا مؤهلون للطب والهندسة ؟
- هل الموقع الاجتماعي المحترم مقتصر على طبيب ومهندس؟
- هل الوارد المادي الجيد لا يأتي إلا لمن امتهن الطب والهندسة ؟





- هل بقية المهن لا قيمة لها ولا ينبغي أن ندفع أبناءنا ليكونوا بارعين متميزين فيها.

وهذا نوع آخر من الأسئلة ولكن من منظور آخر:

- كم مرة بحثنا عن ميكانيكي ماهر ليكتشف الخطأ ويصلح سيارتنا بدون أن يعذبنا ؟

- كم نكون ممتنين لعامل كهرباء ماهر يصلح الخطأ ويعيد لنا الكهرباء التي قد تكون ضرورية لإنقاذ مريض يشرف على الموت .. أو لإنجاز عمل مهم جداً ؟

- هل فكرنا في المئات من الخبراء والحرفيين والفنيين المهرة الذين يعملون في الخفاء ليقدموا لنا نشرة أخبار من أرض الحدث .. أو برنامجاً وثائقياً نستمتع به ونطور عقولنا .. أو برنامجاً علميا أو ترفيهياً ... الخ

- لو ترشح للانتخابات طبيب ومهندس واقتصادي .. ووعدنا الأخير (بحكم تخصصه) بان لديه دراسة جادة وواقعية تفيد اقتصاد البلد وأول فائدة لها أنها ستضاعف من كمية ونوعية الحصة التموينية التي نستلمها شهرياً ... فمن سننتخب؟

كثيراً ما نظن أننا نختار القرارات المهمة في حياتنا بدون تدخل من الآخرين ، ولا نشعر بان هناك قوة أكبر تدفعنا دفعاً لرسم صورة حياتنا المستقبلية وحياة أولادنا.

وكلما غفلنا عن هذه القوى الدافعة والمحركة والضاغطة علينا كلما كان التحكم في قراراتنا أضعف ، وأخطر ما في الأمر اعتقادنا بأننا نتخذ قراراتنا المصيرية بحرية وبدون أي تدخل من الآخرين.

إن كثيراً من الأعراف التي سادت مجتمعاتنا وتجذرت فيها كوَّنت قوة ضاغطة لا يمكن للكثيرين مقاومتها.

ومن هذه الأعراف والمعتقدات الخاطئة النظر إلى المهن والتخصصات نظرة طبقية لا نظرة نفعية كما هو الأصل.



بمعنى آخر أن الطبيب مقامه اجتماعيا وماديا أعلى من المهندس .. والمهندس أعلى من المدرس والمدرس أعلى من المعلم.

وتترتب الطبقات الاجتماعية في أعرافنا بنفس ترتيب الكليات وتترتب الكليات بمقامها بنفس ترتيب الدرجات التي تقبل بها طلبتها.

بل الأغرب والأغرب أن بين أصحاب الصنف الواحد طبقية مشاهدة لا تنكرها عين الملاحظ ، فالمهندس المعماري ينظر إلى المدني من علو ، والطبيب الجراح ينظر للطبيب من اختصاص آخر نظرة علو.

والطبيب مهما كان تخصصه ينظر للصيدلي على أنه بقال أدوية ليس أكثر!!

فالقضية لا تتوقف بين أصناف المهن المختلفة بل بين نفس الصنف بأنواعه !

وهذه الأفكار المنكوسة التي ولدتها أعراف خاطئة لا تقتصر على عوام الناس بل أنها بين المثقفين تكاد تكون أظهر ، بل أنها ترسخت عند المربين الذين ائتمنّاهم على عقول أولادنا فأصبحوا يلقنوهم منذ الصغر أن التميز والتفوق يعني أن تكون طبيباً أو مهندساً لا غير.

ويقيناً أن الذي ساهم في تجذير هذه المفاهيم الخاطئة في مجتمعاتنا هو تخلفنا الثقافي أولاً ومن ثمَّ الاحتلال الذي بدأ يتحكم في مناهج التعليم في بلادنا بعد الحرب العالمية الأولى .. وأخذ يدفع باتجاه تقزيم المهن والفنون النافعة وحصرها في أضيق نطاق ممكن.

وهنا أثبت ملاحظة مهمة..

أن المحتل قديماً وحديثاً لو استطاع أن يلغي الطب والهندسة من قائمة اهتماماتنا لفعل ولكن حاجة الناس لا تسمح بهذا .. فدفع



باتجاه تقزيم كل المهن ما عداهما ليبقى جسم المجتمع عليلاً ولو كانت فيه مثل هذه المهن.

وبالتالي فان المجتمع العليل المتخلف لا يحترم ولا يقيم وزناً حتى لمثل هذه المهن وهذا ما شاهدناه قديماً ونشاهده حديثاً من التعدي على أصحاب الكفاءات من أطباء ومهندسين وغيرهم من المهن الأخرى.

والذي ساهم أكثر في هذه الأعراف الخاطئة نُظُم التعليم المتخلفة التي رضيت بتقليد الغرب في المظاهر ولم تقلد في المضمون.

ويا ليتها بقيت تقلد لأن الغرب غيَّرَ حتى في المظهر مرات ومرات ولكن بقيت نظمنا التعليمية متيبسة جامدة جمودنا على البذلة وربطة العنق.

وسأضرب أمثلة من واقع بلدنا تمثل المنطق المقلوب الذي نتعامل به مع المهن .. ولن ابعد إلى بلاد أخرى.

نحن بلد زراعي قبل أن نكون بلداً نفطياً وأرضنا من أخصب الأراضي ويسقيها نهران عظيمان فكم هو اهتمامنا بكلية الزراعة وتخصصاتها والمتخرجين منها ؟

ونحن بلد نفطي أيضاً .. ونملك أكبر احتياطي من النفط .. فكم كلية ومعهد عندنا للنفط وتخصصاته ؟

وفي بلدنا من المعادن ما فيه .. ومن الآثار ما فيه .. فكيف هو اهتمامنا بكليات الآثار وكليات الجيولوجي وأين يذهب المتخرجون منها ؟

إذا كنا نعتقد يقيناً أن القدرات تختلف والرغبات تختلف وكل ميسر لما خلق له ، فلماذا نرغم أبناءنا بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة على اختيار طريق لا يجدون فيه ذواتهم ولا يحققون فيه أحلامهم؟ لا لشيء إلاّ لتحقيق خيال يتوهم السعادة والمال والجاه في مهنة بذاتها.





هل الأفضل طبيب فاشل أم بستاني ناجح ؟
هل الأفضل مهندس فاشل أم تاجر صدوق ينفع الناس ويجلب لهم أفضل البضائع ؟

يوم أن كنا في السادس الإعدادي كان معنا طالب نبه ذكي وكنت أسأله أي كلية تتمنى أن تدخل ؟ فكان يقول لي : الهندسة ، كنت أسأله أي قسم من الهندسة تحب ؟ فيقول لا يهمني أي قسم المهم .. هندسة

وكنت أجاريه في السؤال: وإذا لم تحصل على الهندسة فماذا ستفعل ؟

فيقول : سأقتل نفسي

وفعلاً دخل هذا الطالب كلية الهندسة وبعد سنوات من الرسوب تخرج أخيراً.

والتقيته بعد أكثر من عشر سنوات من تخرجه .. ويا للعجب كان يعمل سائقاً بسيارة أجرة.

تخيل لو أني قلت له في ذلك الزمن أنك ستكون يوماً سائق تاكسي ، ماذا كان سيفعل ؟ ربما كان سيقتلني بدل أن يقتل نفسه.

ولا يُفهم من كلامي أنني أقارن وأقلل من شأن سائق الأجرة .. كلا بل إن كل المهن في اعتقادي مهمة ونافعة ومحترمة .. ولا تفضُلُ إحداها على الأخرى إلا بمقدار نفعها الحقيقي للمجتمع .. لا باسمها وصفتها فقط .. وهذا ما أدعوا إليه.

مثل آخر .. إن مهنة السياسة من المهن والتخصصات التي أهملناها ، وقد تتعَبُ الأمةُ بكل تخصصاتها وتبني البلد .. ولكن .. يُضيِّع كل هذه الجهود سياسي أحمق يتخذ موقفاً غير مسؤول.

ونحن في العراق نعرف هذا ربما أكثر من غيرنا.

وبالمقابل قد يدفع سياسي محنك البلد إلى مراقي النجاح ويختصر جهد الآلاف من كل التخصصات في بناء البلد .. فهل



اولينا اهتماماً حقيقياً لكليات القانون والسياسة .. ومرة أخرى أين يذهب المتخرجون من هذه الكليات؟

في النهاية أدعوا إخواني من الآباء والأمهات أن لا يشتطّوا كثيراً مع أولادهم .. وأن يتحققوا من قابليتهم ويوجهوهم إلى المهنة المناسبة قدر الإمكان.

لأن النجاح في الحياة لا يقاس بالدرجات التي نحصل عليها في الامتحانات ولا بالشهادات التي نعلقها على الجدران.

وماذا يفيد أولادنا أن يناديهم الناس بالدكتور فلان أو المهندس فلان أو الأستاذ فلان وهو مؤمن في داخله أنه إنسان فاشل لم يسر بالطريق الصحيح .. فمن المُلام ؟

أنا الآن اكتب نهاية المقالة .. وأنا أستمع لمنشد وكأن صوته لحن السماء .. يحلِّقُ بي كلما سمعته ويريحني من عنائي وتعبي .. إن نجاحه يتمثل في صوته وأدائه الرائع .. وقد اختار هذا الطريق واسعد الكثيرين غيري كما أسعدني .

فماذا سأفعل وماذا ستفعل أيها الأب وأيتها الأم إذا فاجأكم ولدكم بأنه يريد أن يكون ... منشداً ؟؟





20

...واحة الأمل







تمُرُّ بالإنسان في مسيرة حياته ظروف عصيبة ، تجعله يشعر بالخوف من مستقبل مجهول ، ويحس بالضيق حتى أن الأرض كلها بسعتها تصبح بالنسبة إليه كغرفة مقفلة.

وقد ينتابه شعور بالإحباط واليأس ممن حوله ومما حوله فلا يكاد يقتنع أن هناك جدوى من حركته وعمله وعلمه.

ونتيجة لتعقد الحياة وكثرة متطلباتها من جهة .. ونتيجة للظروف السيئة التي يعاني منها الإنسان العراقي خاصة من جهة أخرى .. فان هذا الإنسان يحس بالتعب والإرهاق في حركته وعمله وتعامله مع الآخرين وكل هذا يؤثر على حياته الخاصة والعامة فينعدم عنده الإبداع والطموح والتطلع إلى مستقبل أفضل ولا يكاد يفكر إلا بيومه وربما بالغد في أحسن الأحوال.

إن التعب والكدح هو الأصل في حياة البشر وهذا مصداق لقول الحق تبارك وتعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾.

فهو يكابد ويتعب في تحصيل الرزق وتربية الأولاد ومقاومة المرض والتعرض للمخاطر ولا يكاد يمر يوم إلا وهناك مشكلة من نوع جديد.

وتمر الأيام من عمر الإنسان وهو بين صعود ونزول تتقاذفه أمواج الحياة ... ترفعه مرة وتنزل به مرة وهو في كلا الحالتين خائف وجِلٌ من المستقبل .. فان كان في نعمة خاف من زوالها .. وان كان في محنة خاف من دوامها وبقائها.

ولنا أن نتخيل حال الإنسان وهو يقضي سنوات عمره على هذه الصورة ، إنها لا شك حياة تعيسة.



ولهذا يحتاج الإنسان بين فترة وأخرى إلى واحة يستريح فيها ويستعيد أمله في الحياة وأمله في قدراته وطاقاته ويجدد فيها حيويته لينطلق من جديد ويبدع في حياته.

وهكذا قدّر الله تعالى برحمته ولطفه أن يجعل لهذا الإنسان خلال مسيرة حياته واحات جميلة مريحة يلجأ إليها كلما اضطرب وتعالت عليه أمواج المشاكل والهموم ... يستريح في ظلالها ويرتوي من معينها العذب ويستقوي بها على مواجهة المصاعب .. وتُقوّي هذه الواحات يقينه وعقيدته بأن الأمل موجود ، وأن اليأس ليس من أخلاق المؤمنين وأن بعد العسر يسراً ، وأن الذي أنزل البلاء أنزل معه الرحمة والأجر ، وأعان عليه.

هذه الواحات تزرع الأمل وتجدده وتقويه كالواحة في الصحراء تعطي الأمل للمسافر بالنجاة بعد التعب والعطش حينما يجد فيها الماء العذب والأشجار الوارفة فيستريح ويرتوي ويتقوّى على مواصلة السير لبلوغ هدفه المنشود.

ومن رحمة الله تعالى لهذا الإنسان أن هيأ له واحات متنوعة الأوقات متنوعة الثمار متنوعة الأشكال ويبقى ذكاء المؤمن في كيفية الاستفادة منها واستغلالها.

فمن هذه الواحات ما نمُرُّ به يومياً كالصلاة ..

ومنها أسبوعية كالجمعة ..

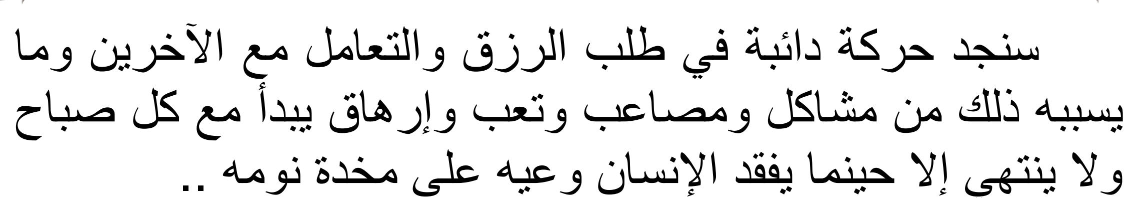
ومنها متوقف على الاستطاعة كالحج ..

ومنها سنوية كشهر رمضان ..

وسنتوقف عند واحة رمضان والتي نمر بها مرة كل سنة بما فيها من أمل عظيم برحمة الله تعالى ، وبقدرة الإنسان على الاستفادة والتغيير والعلو بروحه وجسده حينما يعيش في هذه الواحة شهراً كاملاً.

لو استعرضنا حركتنا خلال عام كامل كفلم سريع يعرض أمامنا ماذا سنجد ؟





سنجد حركة دائبة في طلب الرزق والتعامل مع الآخرين وما يسببه ذلك من مشاكل ومصاعب وتعب وإرهاق يبدأ مع كل صباح ولا ينتهي إلا حينما يفقد الإنسان وعيه على مخدة نومه ..

حركة دائبة لا تتوقف ، ومشاعر تتباين بين الفرح الغامر والحزن المحبط في دوامة مستمرة تحيط بنا ..

حتى إذا أقبل رمضان انتابنا شعور غريب ، وكأن الزمن قد توقف ..

وكأن الأرض غير الأرض وكأن الناس غير الناس ..

وكأن الطعام الذي نأكله لا يشبه ما كنا نأكل .. ويصبح للماء مذاق آخر ..

وهكذا الصلاة وقراءة القرآن والذكر ..

وهذا التغيير يظهر في كل بلاد المسلمين بل يظهر على المسلمين الذين يقيمون في دول غير إسلامية.

في هذا الشهر تتغير عادات الناس وحركتهم اليومية .. تتغير طبائعهم التي اعتادوا عليها .. من أوقات نومهم واستيقاظهم إلى نوع الطعام الذي يأكلون .. ولهذا تقوم سوق لبضائع ومأكولات في هذا الشهر لا يأبه الناس لها عادة في باقي أشهر السنة.

هذا التغيير في الحركة اليومية للمسلم سواء في عبادته أو حركته المعتادة لا شك أنه سيغير كثيراً في نفسيته ..

والذي نريد نحن في بحثنا الدائب عن التطور والنجاح والسعادة أن يكون هذا التغيير نحو الأحسن .. نريد أن نعيش في هذه الواحة الجميلة ونستغل وقت إقامتنا فيها أحسن استغلال ونتمتع بخيراتها لنخرج في النهاية وقد قويَ عزمنا ويقيننا وأملنا بأن المستقبل سيكون أفضل بإذن الله تعالى ..

وأن الذي سيصنع هذا المستقبل نحن لا غيرنا بل لا نسمح للآخرين أن يصنعوا مستقبلنا ..

ويقوى اعتقادنا بموعود الله لنا في قوله تعالى :





﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

وما نريد التذكير به هنا ليس العبادات ، لأن عبادات رمضان معروفة موصوفة وهي سوق عامرة لا ينفد ما فيها بكثرة الشراء فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقل.

الذي نريد التذكير به هو الانتباه لثمرة العيش في هذه الواحة العظيمة ..

بمعنى آخر ماذا سنأخذ معنا في رمضان وبعده من هذه الواحة الجميلة؟

يعرف كل من يسافر في صحراء أو غيرها أنه حين يتوقف في واحة أو محطة استراحة فانه يتزود بالوقود والماء والطعام لا لحاجته الآنية فقط بل يأخذ المقدار الذي يتوقع أنه يكفيه ويزيد عليه حتى يصل إلى محطة أو واحة أخرى وذلك تحسباً لمخاطر الطريق وانقطاع السبل.

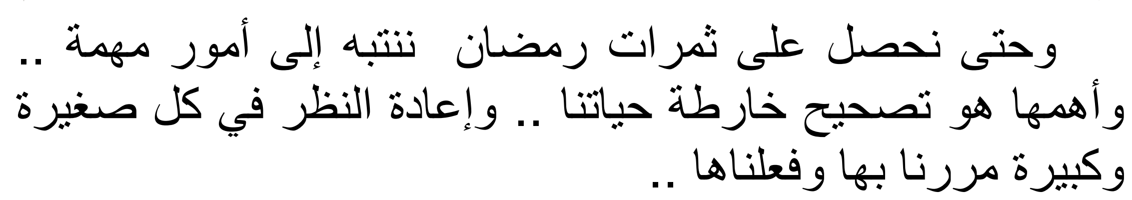
وهكذا ينبغي أن لا تكون حياتنا ومتعتنا في رمضان على قدر الشهر فقط فهذا لا يفيد ، لأننا سنعود بعد انقضاء الشهر إلى دوامة الحياة المتعبة المملّة مرة أخرى ... وما لم نأخذ معنا زاداً يكفينا للعام المقبل حتى نستقبل رمضان الآخر فنحن في خطر.

يشبه هذا حال رجل رأى واحة خضراء جميلة بعد طول سفر وعناء فاستراح فيها وتمتع بظلالها ومائها حتى إذا حان موعد سفره لم يأخذ معه من الماء والطعام شيئاً !! فماذا نحكم على مثل هذا المسافر؟

ونحن في سفر مستمر في هذه الحياة ولن نستقر إلا في القبر ..

ورمضان واحة عظيمة من واحات الأمل التي يسّرها الله تعالى لنا فلا ينبغي أن نغادرها إلا بزاد يبلغنا الواحة المقبلة.





وحتى نحصل على ثمرات رمضان ننتبه إلى أمور مهمة .. وأهمها هو تصحيح خارطة حياتنا .. وإعادة النظر في كل صغيرة وكبيرة مررنا بها وفعلناها ..

نصحح علاقاتنا مع الآخرين إن كان فيها خطأ وقصور ..

نصحح سلوكياتنا وأخلاقنا بما يخدم ديننا وأمتنا ..

نصحح أفكارنا فلا نأخذ إلا الفكر الواضح الطيب النقي ..

نصحح عبادتنا كما يحب الله ويرضى ..

نصحح نياتنا فلا نتمنى إلا الخير للناس كل الناس حتى الذين نختلف معهم ونخاصمهم ونكون كنبينا ﷺ رحمة للعالمين ..

نصحح نظرتنا للدنيا ونظرتنا للآخرة ونكون صادقين مع أنفسنا .. فلا نسجد لله في الظاهر ونسجد للدينار ولشهواتنا وللظالمين في الخفاء ..

إذا نجحنا في هذا التصحيح يكون زادنا من الواحة قد اكتمل ونكون مطمئنين إن غادرناها.

ربما نتوهم أن هذا التصحيح صعب ، ولكنه يسير على من يسره الله عليه.

وأفضل الأوقات لهذا التصحيح هو عندما نعيش في واحة الأمل .. في رمضان .. الذي نعيش فيه حياة خاصة تختلف عن باقي الأشهر ، وترتفع فيه الهمم للعبادة ، والاستكثار من الخير ، والتزكية ، والاستعلاء على الشهوات.

خاصة بعد أن نتعرض لنفحات الله ورحمته ، ونتخفف من أوزارنا وذنوبنا كما وعدنا الحق تبارك وتعالى.

قال رسول الله ﷺ: من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه.

إن نجاح الإنسان أي إنسان مقرون بالأمل الذي يحيا به .. والطموح الذي يحمله .. والهمة العالية التي يعيش بها.



هذا الأمل والطموح والهمة العالية هو من ثمرات رمضان ، من ثمرات التصحيح ومن لم يتزود منها فقد أضاع خيراً كثيراً.

وبهذا نكون قد صححنا خارطة حياتنا ومن ثم ننطلق بروح جديدة فيها طموح وأمل.

ويبقى رمضان واحة جميلة من واحات الأمل خصَّنا الله تعالى بها نحن المسلمين وزينها لنا ووعدنا فيها بالمغفرة والرحمة.

احرص عليها ولا تُضيِّعها واحرص أن تحمل معك ما استطعت من خيراتها لكي تكون من المؤمنين الناجحين الذين يبلغون أهدافهم بأقصر الطرق وأسرعها وأيسرها.

وكل رمضان وأنتم بخير





21

...الجائزة







حينما تتذكر يوماً نجحت فيه بشهادة متميزة أو قدمت عملاً متميزاً ونلت بسببه جائزة .. ما هو الشعور الذي يتملكك؟ ألا تتمنى أن يتكرر مثل هذا اليوم ؟

وحين تسلمت الجائزة في ذلك اليوم كيف كانت همتك واندفاعك للعمل والبذل؟ لا شك أنه كان في القمة .. فالنجاح يدفع للنجاح.

في الإنسان فطرة غالبة متجذرة فيه .. وهي أنه يحب أن يكافأ على عمله بصورة جائزة مادية أو معنوية ، ويتملكه فرح غريب وشعور لا يوصف حين يحصل عليها ، ولا يوجد إنسان في العالم يخلوا من هذه الفطرة أو يعاكسها رجلاً كان أم امرأة ، صغيراً كان أم كبيراً.

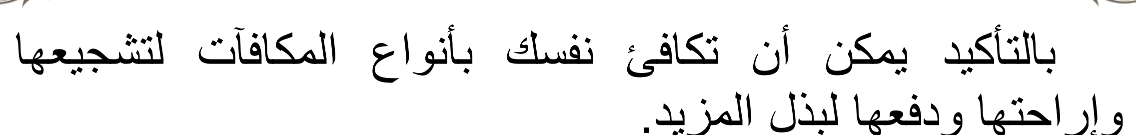
ولذلك من المفيد في مجال تربية النفس وتربية الغير أن لا نُغفل هذه الفطرة الغالبة ، وما تسببه من فرحة ايجابية دافعة ، وهنا ينصح علماء النفس والسلوك على ضرورة استخدام المكافأة كحافز مهم لا يخيب أبداً في التعامل مع النفس أو مع الغير.

فهي مع الغير تدفع الآخرين للإجادة وبذل الجهد والوسع في العمل وتدعم الإبداع ، وكلما كانت الجائزة قريبة من هوى الشخص المعني واهتمامه كلما كانت مؤثرة أكثر ، وإذا كانت بعيدة عن اهتمامه قد لا تؤدي الغرض المقصود.

فمثلا مكافأة شخص أُميٍّ بإهدائه كتاباً ثميناً قد لا يعني له شيئاً مع أن لهذا الكتاب قيمة مادية ومعنوية .. ولكن نفس هذا الكتاب عندما تقدمه هدية لأستاذ مثقف قد يعني له الكثير ويفخر به على أقرانه.

والجائزة كما هي مؤثرة مع الغير فهي مع النفس مؤثرة كذلك ... وربما تسأل كيف أعطي نفسي جائزة ؟!





بالتأكيد يمكن أن تكافئ نفسك بأنواع المكافآت لتشجيعها وإراحتها ودفعها لبذل المزيد.

يمكنك أن تكافئها براحة إجبارية أو بأكلة متميزة ، أو بلهو نافع مع الأهل والأولاد .. أو نزهة تغير بها الجو الرتيب الذي تعيش فيه.

وهذا كله إنما يكون بعد عمل مجهد ومتعب يستغرق بذلاً ووقتاً .. وإذا جربت مكافئة نفسك ستلمس الفرق الكبير والأثر الواضح الذي يؤثر على أدائك اليومي.

ولإشباع هذه الفطرة وتحفيز النفس والآخرين لتحقيق النجاح في الحياة ، كان التعامل مع الجائزة والمكافأة سلوك مهم أرشدنا إليه الإسلام بصور كثيرة:

منها مثلاً بصورة هدية من شخص لآخر ، كما قال النبي ﷺ:

- تهادوا تحابوا.

ومنها بصورة شكر (مادي أو معنوي) على خدمة قدمت إليك كما قال عليه الصلاة والسلام:

- لا يشكر اللّٰه من لا يشكر الناس.

ومنها بصورة جوائز تأتي من الحق تبارك وتعالى لعباده مباشرة في الدنيا.

وأشهرها وأوضحها مغفرته لعباده بعد أدائهم عبادتين عظيمتين هما الصوم والحج.

وهنا نتوقف عند هذه الجائزة وأثرها العظيم في حياتنا.

لعظَم هذه الجائزة كان يومها يوم عيد لكل المسلمين يفرحون فيه ويعلنون فرحهم رغم كل شيء ، رغم آلامهم ومتاعبهم وهمومهم.

وحين يأتي هذا اليوم فهو يوم فرح وسرور لا يجوز بل يحرم على كل مسلم أن يُظهر فيه مظهر حزن بلا مبرر قاهر.



فهو يوم تسلم الجائزة .. أعظم جائزة من الخالق العظيم .. والفرح بها لا يعدله فرح ، لذا كان إظهار الفرح في يوم العيد (الفطر والأضحى) عند المسلمين عبادة لا تقل عن العبادات الأخرى.

وهذين العيدين في حياة المسلمين يعتبران تغييراً إجباريا .. وسروراً وفرحاً إجباريا كذلك لكل من يرفض التغيير وتغلب الكآبة والحزن على حياته بسبب الوضع الصعب الذي يعيشه.

لذلك ترى لهذين العيدين أثراً غريباً يُشبه السِّحر في نفوس المسلمين .. فهم ينامون كعادتهم كل يوم ولكنهم يستيقظون على أصوات التكبيرات ويتوجهون للمساجد والبشر يعلوا وجوههم ويهنئ أحدهم الآخر مع إظهار الفرح والسرور ، فأي لمسة سحرية يمكنها أن تفعل هذا الفعل بين ليلة وضحاها في نفوس الملايين من البشر؟

إنها لمسة المكافأة .. الجائزة المفرحة .. والتي تتمثل هنا بقبول العمل ، والمغفرة بعد التعب الذي بذله الإنسان في عبادته.

ونريد هنا أن ننبه إلى هذا المعنى الهام:

حين نتسلم جائزة ونفرح بها ، لا نقبل من أحد أن يواجهنا بكلام كئيب يذهب فرحتنا ويقضي عليها.

لذلك لا يجوز لخطبائنا ممن تحركهم الحمية والعاطفة أن يواجهوا الناس في خطبة العيد بمآسي المسلمين وأحزانهم ، وينتقوا العبارات المليئة بالإحباط .. ويتناسون المئات من أبيات المتنبي التي يذكر فيها الهمة والإقدام والشجاعة ولا يذكرون إلا قوله:

عيد بأي حال عدت يا عيد .... !!

ثم يبدؤون بالتباكي على حال الأمة وما وصلنا إليه!!

والغريب أنهم يوصون الناس قبل إنهاء الخطبة بان لا يجددوا أحزانهم على أمواتهم ويُذكّرونهم بحرمة هذا الأمر وينسون أنهم قبل لحظات قد ملئوا قلوب الخلق حزناً وغماً بكلامهم.



إننا بفرحنا بهذه الجائزة (يوم العيد) نُراغم الشيطان لأن الله تعالى غفر لنا ... ونراغم أعداءنا لأن عباداتنا واحات أمل لنا.

وسنبقى برحمة الله تعالى وعونه متفائلين فرحين بهذه الرحمة.

إن فرحنا **عبادة** نتعبد الله بها وليست عبثاً .. نفرح بعيد الفطر بانتهاء عبادتنا بالمغفرة ، ونفرح بعيد الأضحى بالملايين الذين حجوا لله وغُسلت ذنوبهم وعادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم.

هذه الفرحة لها فعل عجيب ، فهي تجدد من همة الإنسان وأمله، وتدفعه للعمل وترك اليأس والبحث عن النجاح مع الاستعانة بالله .. الخالق العظيم الكريم الرحيم .. الذي أكرمنا بهذه الفرحة رغم ذنوبنا وتقصيراتنا وآثامنا .. بل طلب منا أن نفرح في هذه الأيام برحمته.

تخيل معي طالباً لا يبذل الوسع في واجباته ولا يكمل دروسه كما ينبغي وبالتالي تكون درجاته ضعيفة لا تليق ، ومع ذلك يحتفل به أستاذه ويعطيه جائزة يدفع بها عنه شعوره بالإحباط ويحفزه لبذل المزيد ، كيف سيكون شعوره؟

إن ما عند الله تعالى أكبر من هذا وأعظم (ولله المثل الأعلى).

لذلك من حقنا أن نفرح ونظهر سرورنا وفرحنا بهذه الرحمة ونتعلم منها درساً عظيماً هو:

إن حب الجائزة عند الإنسان أمر فطري يتعامل به الحق تبارك وتعالى معنا ويرشدنا أن نتعامل به مع بعضنا.

والفرحة التي تقترن بالجائزة فرحة خاصة بحجمها وآثارها، ولا ينبغي أن نستهين بها.

وكل منا ربما يذكر تكريماً حصل له يوماً ما أو جائزة أتته من شخص أو مؤسسة كان لها تأثير كبير على حياته وربما غيرت من توجهاته ومستقبله.

وإذا كانت الحياة مليئة بالمشاكل والمتاعب فهي بالمقابل مليئة بالفرص والوسائل التي يمكن أن نغتنمها لنصنع نحن بأيدينا ما



يسعدنا ويفرحنا ويجعلنا ننظر إلى نصف الكأس الممتلئ لنكمل ملؤه حتى يفيض بالخير على من حولنا .. ولا نتحسر على نصفه الفارغ فيقع من أيدينا ونخسر كل شيء.

إن لِجائزة العيد معنى عظيم إذا عممناه في حياتنا وفهمناه حق الفهم فلن يمر يوم علينا إلا ولنا فيه عيد من نوع خاص وشكل خاص. وليس هذا ادعاء مني بل هو وعد وبشارة من الله عز وجل.. اسمع لقوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾

ومن منا لا يريد الحياة الطيبة ؟

انتبه للجائزة وأثرها في حياتك وكذلك تأثيرها في الآخرين ..

واستعملها قدر استطاعتك مع زوجتك وأولادك وأصحابك فهي زاد كبير تعينك في مسيرة الحياة...

وهي مما خف حمله وعَلا أثره.





22

...سلم الارتقاء والحائط الصحيح







كل إنسان لديه طموح وأحلام يودُّ لو تحققت .. ودائماً يكون هذا الطموح متجهاً نحو الأعلى ونحو الأكثر بالنسبة للمكاسب المادية والمكانة الاجتماعية.

ولذلك نرى إشارة اليد بالنصر والتفوق تتجه دائماً إلى الأعلى، وإذا أراد الإنسان أن يعبر عن الفوز يشير بيده إلى الأعلى.

وهكذا ارتبط (الأعلى) بالتفوق والتميز وارتبط (الأسفل) بالخسارة والإحباط.

كما ارتبطت الكثرة بالخير غالباً ، والقلة بالفقر وضيق الحال.

كل إنسان يريد أن يرتقي صاعداً في المكانة الاجتماعية ، كما أنه يريد أن يستكثر من المال والمتاع والذرية .. وهذا شيء مشروع للإنسان طالما كان من الحلال وبالطرق الشرعية.

ومع هذا ينبغي الانتباه إلى أمر مهم حتى تتحقق الأماني ويستمتع بها الإنسان أبلغ استمتاع ، ولا تكون وبالاً عليه بعد تحققها ، وربما يتمنى لو أنها لم تتحقق.

هذا الأمر هو أن يكون السعي للنجاح متوافقاً مع الظروف المناسبة مكاناً وزماناً ، ومع أمور اخرى تختلف من هدف لآخر ..

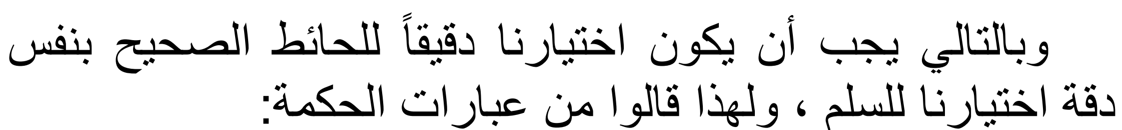
وهذا ما نسميه مجازاً (بالحائِط الصحيح) الذي تركنُ عليه سلم نجاحك.

مثلاً ... عندما نستخدم سلماً للوصول إلى مكان عالٍ لإنجاز عمل ما نحرص على اختيار سلم متين متماسك ، ويكون طوله مناسباً للغرض المقصود ، ثم نتأكد من وضعه في المكان الصحيح لنصل الهدف الذي نرجوه.

السلم وسيلة .. والحائط الذي يُركن إليه هو طريق يؤدي إلى الهدف .. بكل مستلزماته وتوافقاته الزمانية والمكانية.

وهكذا هي الحياة .. طريق يؤدي ... ووسيلة تساعد.





وبالتالي يجب أن يكون اختيارنا دقيقاً للحائط الصحيح بنفس دقة اختيارنا للسلم ، ولهذا قالوا من عبارات الحكمة:

ليس المهم أن ترتقي سلم النجاح ، المهم أن يكون على الحائط الصحيح

وبالتالي ليس غريباً أن نرى في حياتنا أفراداً حققوا ما كانوا يعتبرونه هدفاً لهم وكانوا يظنون أنه بمجرد تحقق هذا الأمر سيحصلون على السعادة وراحة البال.

ولكنهم بعد وصولهم لما يريدون ، عاشوا تعساء ولم يستفيدوا من تحقيق رغباتهم شيئاً .. لا السعادة ولا راحة البال.

لقد تسلقوا السلم حتى النهاية ولكن عندما وصلوا إلى النهاية اكتشفوا أن السعادة التي كانوا يرجونها بتحقيق هذا الهدف ليست هنا ، ولم يبق من العمر والاستطاعة ما يمكنهم من العودة وتكرار التجربة من جديد.

لقد اكتشفوا في النهاية أنهم اهتموا بالسُلّم وقضوا عمرهم في الصعود عليه .. ولم ينتبهوا إلى الحائط.

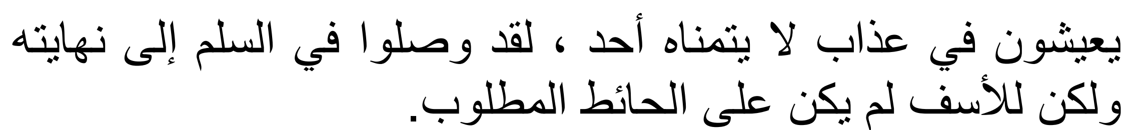
لم ينتبهوا إلى الطريق الموصل إلى أين سيؤدي بهم وما هي نتائج هذا الطريق .. وما الذي سيحصل بعد الوصول ؟ وهل هذا هو الطريق فعلاً ؟ أم أنه خداع للنفس بسبب الهوى ووسوسة شياطين الأنس والجن.

إن الطموح حق لكل إنسان .. بل إن فطرته لا تقبل إلا الطموح والارتقاء والاستزادة .. ويبقى عقله وتفكيره وحكمته تترجم له هذه الأحلام.

هناك أساتذة وتجاراً وسياسيين ومدراء وصلوا الى مراتب يحسدهم عليها الآخرون ويتمنون أن يكون لهم بعض ما عند هؤلاء.

لكن في حقيقة الأمر إذا قدر لك أن تطَّلع على حياتهم التي وراء الستار .. وتتعرف على مشاعرهم الحقيقية .. ستجدهم





يعيشون في عذاب لا يتمناه أحد ، لقد وصلوا في السلم إلى نهايته ولكن للأسف لم يكن على الحائط المطلوب.

وشيء آخر هو من البديهيات لكن الكثيرين لا ينتبهون له وهو أن السلم كلما كان عالياً كلما كان السقوط منه أخطر.

وتدارك الخطر والتوازن فوقه يكون أصعب.

لقد ارتقى هتلر سلم النجاح وكان له دولة وصولة فماذا كانت النهاية؟

وغيره من فراعنة المال والزعامة وأصحاب النفوذ ساروا على نفس المنوال ولم يتعظ اللاحق بالسابق.

صعدوا على حيطان متداعية رغم أن سلالمهم كانت تبدوا في غاية المتانة والقوة والزينة والأبهة.

وصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

ويبقى السؤال المهم هنا ..

ما الذي ينجينا من هذا المصير ويمكننا من اختيار السلم الصحيح والحائط الصحيح ؟

ورد في المأثور (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار). ولذلك:

- علينا أن **نقتنع أولاً** أننا مهما بلغنا من الذكاء والألمعية والاطلاع وخبرة الحياة .. فأن ما نجهله يبقى أكثر مما تعلمناه.

- وعلينا أن **نقتنع ثانياً** أن عمل عقلين أفضل من عمل عقل واحد ، وثلاثة عقول أفضل من عقلين وهكذا.



- وعلينا أن **نقتنع ثالثاً** أن الاستفادة من خبرات الآخرين وسؤالهم ليس عيباً وليس دلالة على قصور في عقولنا بل بالعكس هو دلالة على الذكاء والفطنة .. لأنك تستفيد من عقول الآخرين مجاناً حينما تسألهم ، ويكونون هم سعداء بتعليمك ، ولو طلبت منهم أقل الأشياء تفاهة من الماديات لما أعطوك بغير مقابل.. أليس من الذكاء أن تستفيد من الآخرين مجاناً ولا تخسر شيئاً ؟

- وعلينا أن **نقتنع رابعا وهو الأهم** أن الأخذ بالمبادئ الثلاثة التي ذكرناها أعلاه وبكل الأسباب الأخرى قد تفشل وتُقصِّر ما لم ندعمها بالاستخارة (استخارة الله عز وجل) وذلك بصلاة ركعتي الاستخارة والدعاء بدعاء الاستخارة المأثور.

فالاستخارة حصن حصين للمؤمن من المزالق الخفية في طريقه ، لأنك مهما فكرت وحسبت واستعنت بالآخرين فستبقى أشياء كثيرة خافية عليك ، وستبقى الكثير من الخيارات أمامك لا تدري بأيها تأخذ .. ولا يعينك على هذا إلا هداية الله عز وجل.

إذا اقتنعت بهذه المبادئ الأربعة وعملت بها .. فاصعد نحو الهدف ولا تخف.

لأن الله تعالى سيسددك .. كما أن استشارتك واستفادتك من عقول الآخرين ستصحح طريقك باستمرار.

فإذا مال السلم بك ستجد من ينبهك .. وإذا كان في الحائط خرق أو خلل ستجد من ينذرك ، وستجد من إخوانك وأصحابك من يمسك لك السلم كي لا تقع .. وستجد من ينتظرك في الأعلى ممن سبقك من الناجحين ليأخذ بيدك .. ولن تعدم من يدعوا لك بان يثبت الله تعالى قدميك ويعينك على الصعود.

وحينما تصل سيصل معك الكثيرون ممن سألتهم واستعنت بهم وأعنتهم وسيفرح بك السابقون ويسير على أثرك اللاحقون وهذه



هي السعادة الحقيقية ، وليست السعادة بوصول الإنسان وحده إلى الهدف فهذه أنانية سيدفع ثمنها ولا بد.
ولنا في قصص الأولين عبرة .. لقد وصل قارون إلى النهاية في الغنى وامتلاك المال حتى قال بعض قومه:

﴿يا ليت لنا مثل ما أُوتي قارون انه لذو حظ عظيم﴾

ولكنه ركن سلم النجاح إلى حائط متهرئ من الكفر بالله وظلم العباد واكل أموال الناس بالباطل والتفرد بالمكاسب ، حتى إذا وصل إلى الأعلى صرخ مفتخراً: ﴿ إنما اوتيته على علم عندي﴾.

فكانت نتيجة العلم الذي عنده وبالاً عليه افقده حياته وأمواله بنهاية بائسة لا يتمناها أحد ولو ملك كنوز الأرض.
ونجد صورة أخرى لرجل صعد سلم النجاح بقدم ثابتة وركَنَ سلمه إلى حائط قوي من الإيمان بالله والتمسك بالورع حتى إذا وصل أعلى السلم وضع لنفسه رقيباً زيادة في الحيطة لنفسه ودينه.
يقول هذا الرجل الصالح بعد أن وصل إلى أعلى السلم في الدنيا وهي الخلافة: إن لي نفسا تواقة كلما نالت شيئا تاقت لما فوقه وإنها اليوم تتوق إلى الجنة.
كان عمر بن عبد العزيز يتوق إلى العلم فناله واستشرف إلى الإمارة فنالها ، ثم استشرف إلى الخلافة فنالها .. وكان خلال حياته لا يخلوا من مُعلم أو ناصح يسدده ويوجهه ، ولكن بعد أن أصبح خليفة كان يعلم أنه لن يجرؤا أحد أن ينصحه أو يسدده .. إلا بحدود وسدود .. كالخلفاء الذين سبقوه من بني أمية.
كما كان يعلم أنه الآن في أعلى السلم وليس بينه وبين الله تعالى إلا عمله وانه سيحمل عبء هذه الأمة كلها ، فاستدعى رجاء بن حيوة وكان من العلماء الصالحين المقربين من بيت الخلافة وجعله عيناً عليه يسدده ويقدم له النصح والمشورة.



ولهذا يعد عمر بن عبد العزيز من أكثر الخلفاء الذين قدمت لهم النصائح والمشورة من العلماء والصالحين.

وسيبقى قدوة لولاة الأمر والناجحين لأنه استلم مسؤوليته في وقت فسد فيه الناس وفسدت الذمم ومع ذلك أصلح الأمور من غير ظلم وخوض في دماء الناس وأموالهم وأعراضهم.

إن طريق النجاح متعب ولكنه ملذ.

والسعادة التي تأتي في النهاية تُنسي الناجح كل تعب عاناه.

يبقى فقط أن تنتبه إلى سلم متين .. وحائط صحيح.





23

...بوابات العقل







ما الذي يجعل الكلام مؤثراً في المستمعين ؟

لماذا يشتهر بعض الخطباء ويتزاحم الناس لسماعهم بينما آخرون ليس لهم هذا التأثير ؟!

هل يمكن أن نتعلم بعض المهارات فيكون كلامنا مؤثراً أم أن المسألة فطرية وخارجة عن الإرادة ؟!

مثلاً لو سألنا عينة من المصلين بعد خروجهم من صلاة الجمعة السؤال التالي:

عن ماذا تكلم الخطيب ؟

سيقول لك أحدهم: إن خطبته رائعة وكأنه يتكلم بما في نفسي.

وسيقول آخر: إن خطبته مملة لم أفهم منها شيئاً.

وسيقول ثالث: هذا الخطيب في واد والدنيا في واد آخر.

وربما تجد منهم من نام في بداية الخطبة ولم ينتبه إلا بدعاء الخطيب .. ومنهم من سرح بفكره ولم ينتبه إلا إلى آية أو حديث.

لمَ هذا الاختلاف في التلقي ؟ رغم أن المتكلم واحد والموضوع واحد والمكان واحد.

قد نُرجع هذا إلى أمزجة المستمعين المختلفة وأذواقهم وطبائعهم وهذا صحيح ولكنه ليس كل شيء.

وقد نفسره بأنه حصيلة لاختلاف الناس بنوع همومهم ومشاكلهم التي يعانون منها ، وهذا أيضا صحيح ولكنه ليس كل شيء.

والمسألة قابلة لتفسيرات كثيرة ربما تكون كلها صحيحة ولكن تأثيرها يبقى محدوداً ، خاصة إذا كان المتكلم أو الخطيب يحرص على توفير كل الشروط الممكنة لإنجاح خطبته ، ومع هذا تبقى النتيجة كما ذكرنا.





ولذلك سنتكلم في موضوع ممتع وفعال عن بعض المهارات التي تنفع المتكلم والخطيب وكل من يواجه الجمهور ويريد إقناعه بآرائه وأفكاره.

وإذا أتقن المتكلم استعمال هذه المهارة فسوف تعينه بعد توفيق الله عز وجل على تجاوز الكثير من العوائق التي تقف حائلاً بينه وبين أن يفهمه الجمهور.. ويستوي في هذا أن يكون المستمع واحداً أو مئات.

وأكثر من هذا يمكن أن يستفيد الكُتاب أيضاً من هذه المهارة فيما يكتبون وبذلك تكون كتاباتهم أكثر سهولة وإقناعا.

هذه المهارة ليست صعبة بل يمكن تعلمها بسهولة ولكن يجب التدرب عليها حتى تصبح سجية يمارسها الكاتب والخطيب بلا تكلف.

تعتمد هذه المهارة أساسا على معرفة أسلوب تخزين المعلومات في عقل الإنسان وأنواعها وكيف يسترجعها حين الكلام ، وهذا ما يسمى بالأنماط التمثيلية وقد سميتُها **"بوابات العقل"** لأنها فعلاً تقوم بدور البوابة في إدخال وإخراج المعلومة والاستفادة منها.

يمتلك الإنسان خمس حواس .. وعن طريقها يتعرف على عالمه الخارجي .. وعن طريقها تدخل المعلومات المطلوبة إلى عقله فيتعامل معها ويحللها ثم يتخذ قراراً بشأنها.

وهذه العملية تحدث في كل لحظة .. إما بصورة واعية عندما يكون الإنسان منتبهاً ومركزاً بحواسه حين اتخاذه للقرار .. مثلاً عندما تحس بالعطش تتخذ قراراً بالتوجه إلى أقرب مصدر للماء وتشرب.

وأحيانا تحدث بصورة غير واعية .. عندما لا يكون الإنسان مركزاً بحواسه حينما يتخذ القرار .. مثلاً حينما تعود للبيت من طريق مألوف تعودت عليه فأنت تسير بدون تركيز على نفس



الطريق دائماً .. وقد يكون عقلك مشغولاً بالتفكير بأمور بعيدة لا علاقة لها بالطريق الذي تسلكه.

وهكذا نفس الشيء يحدث حينما تدخل المعلومات عن طريق الحواس .. فهي تدخل عندما تركز عليها بحواسك .. ولكن آلاف المعلومات الأخرى تدخل إلى عقلك آلياً بدون تركيز وتخزن هناك بانتظار الاستفادة منها.

وعادة ما تخزن المعلومة بنفس طبيعة البوابة التي دخلت منها، فان كانت المعلومة قد دخلت عن طريق النظر خزنت في العقل كصورة ، وان دخلت عن طريق الأذن خزنت صوتاً .. وهكذا.

وهذا الاسلوب في تخزين وتشفير المعلومات في العقل يبدأ مع الطفولة.. وكلما تقدم الإنسان في العمر سيتغلب أحد أنماط التخزين ويطغى على باقي الأنواع ولذلك أسباب كثيرة منها:

أسلوب التربية ، وطبيعة المكان ، والعائلة ، والمجتمع ، والمثيرات التي يتعرض لها الإنسان باستمرار ، ومتغيرات أخرى كثيرة.

فإذا تغلب أحد الأنماط كالنمط الصوري مثلاً على بقية الأنماط، سيقوم عقلك بتخزين المعلومات على الأغلب بشكل صور حتى ولو كانت أصواتاً أو روائح أو أحاسيس ، وحينما تريد استرجاعها ستنبض الصورة أولاً في عقلك ثم تستدعي الصوت المرافق أو المشاعر المرافقة.

وهكذا إذا تضخمت بوابة السمع وتغلب هذا النمط ، ستخزن المعلومات غالباً كأصوات ولو كانت صوراً أو أحاسيس ، وعندما تريد استرجاعها سوف تسترجع الصوت أولاً ثم ما يرافقه من إحساس أو صورة.

كيف يمكننا معرفة النمط المتغلب؟

أحد الوسائل لمعرفة هذه الأنماط هو كلام الإنسان والمفردات التي يستخدمها .. ويمكن التعرف عليها من أمور أخرى ليس هذا





مجال الكلام فيها ، ما يهمنا هنا في موضوعنا هو التعرف عليها من خلال كلام المقابل وكيف نستفيد من هذه المعرفة.

عندما يكون نمط الإنسان وبوابته الرئيسية صورية يغلب على كلامه مفردات مثل (أرى – وجهة نظري – في الأفق – واضحة للعيان – صورة رائعة – شاهدت – دعني أريك) وأمثالها.

وعندما تكون البوابة الرئيسية سمعية يغلب على الكلام مفردات مثل (سمعت – اسمع – قالوا – هل سمعت – قنبلة الموسم – خطبة لها دوي - سيكون لها صدى) وهكذا.

وإذا كانت البوابة حسية نسمع مفردات مثل (أشعر - أحس - إحساسي بهذه المسألة - خطبة شاعرية – سأجعلك تلمس الحقيقة بنفسك).

ونحن نستخدم هذه الكلمات كلها في حديثنا ولكن يغلب على كلامنا مفردات من نمط معين تشير إلى البوابة المفضلة لدينا في تخزين المعلومات واستخراجها.

لنتخيل ما الذي يحصل عندما نحادث شخصاً صورياً بمفردات سمعية ؟

إن عقله سيعاني ابتداءً في التعامل مع هذه المفردات لأنه بدل أن يحللها مباشرة ويفهمها سيضطر لتحويلها إلى نمطه الصوري المفضل ثم يتعامل معها.

وهذا يأخذ منه خطوة إضافية قد تقوده إلى السرحان أو الضجر أو عدم فهم غاية المقابل بسرعة ، وتزداد المعاناة إذا كان الخطاب غير مباشر له كما يحدث في خطبة الجمعة .. أو في المحاضرات العامة مثلاً ، فإنه لن ينتبه للكلام وسيكون انطباعه سلبياً.

فإذا غيرنا المفردات إلى مفردات صورية وخاطبنا نفس الشخص بها سيرتاح ويتفاعل مع الكلام ويفهمه بسرعة.



وكل هذا لا علاقة له بمضمون الخطبة ، أو إذا كان الخطيب يتكلم بصوت هادئ أو يصرخ (لأن البعض يعتبر الصراخ ضرورياً لشد الانتباه).

ولا علاقة له بدرجة ثقافة المستمع أو شهادته أو عمره .. فهي عملية عقلية تحدث لاوعياً ورغماً عنا (كسيرنا في الطريق إلى البيت بلا تركيز والذي ذكرناه سابقاً).

وتبقى مشكلة وهي: كيف يعرف المتكلم أو الخطيب أنماط الحضور ليكلمهم بما يناسبهم ، وقد يكونون بالمئات ؟

وحل هذه المشكلة سهل ، وهو ان يُضَمِّن الخطيب كلامه بمفردات من كل الأنواع كي تناسب كل الأنماط .. وهذا يتطلب تدريباً على استخدام هذه المفردات حتى يتقن المتحدث استخدامها بلا تكلف.

وكلما كان المتكلم والخطيب بارعاً في التنقل بين هذه المفردات كلما كان كلامه اقرب إلى الأفهام وأيسر في الإقناع.

ونضرب لهذا مثلاً واضحاً ورائعاً.

كل من قرأ القرآن الكريم أو سمعه يدرك وجهاً من أوجه إعجازه المتعددة ، وهو أن قارئه لا يَمل منه من كثرة التكرار، كما أن الناس كلهم يتفاعلون مع آياته وينفعلون بها بغضِّ النظر عن ثقافاتهم وأعمارهم ويستأنسون بسماعها وتلاوتها.

لكنا لا ندرك أحد الأسباب الرائعة في هذا التفاعل مع القرآن وهي :

إن القرآن الكريم يخاطب كل أنماط البشر التي ذكرناها سابقاً، فيخاطب الصوري بمفردات يستأنس لها عقله ، والسمعي كذلك والحسي كذلك ، وهذه المفردات مبثوثة في آيات القرآن الكريم بسلاسة معجزة لا تكاد تنتبه لها بوعيك .. لكن اللاوعي عندك ينفعل بها .. وهي تدخل بدون أي معاناة وبدون أي تركيز إلى عقل السامع فتفعل فعلها.



لنقرأ مثالاً من السور المكية:

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة (مفردات صوتية تقرع السمع)

يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش (صور)

فأما من ثقلت موازينه (إحساس) فهو في عيشة راضية (إحساس فرح)

وأما من خفت موازينه (إحساس) فأمه هاوية (إحساس بالسقوط)

وما أدراك ماهيه نار حامية (صورة وإحساس)

وهكذا لا يعاني العقل في تمثل آيات القرآن الكريم والتفاعل معها مهما كان نمطه ومهما كانت البوابة المؤدية إليه .. والقرآن الكريم مسموع ومقروء فمن قرأه استمتع به ومن سمعه استمتع به لا فرق.

وبنفس الطريقة يمكن للكاتب أو الشاعر استعمال المفردات اللغوية المتنوعة في الكتابة ، فيمكنه أن يستفيد من هذا الأسلوب لتطوير خطابه.

لنقرأ هذه الأبيات المشهورة للشاعر أبي القاسم الشابي من قصيدته (إرادة الحياة):

ودمدمت الريح بين الفجاج   وفوق الجبال وتحت الشجر
فعجت بقلبي دماء الشباب   وضجت بصدري رياح أخر
وأطرقت أصغي لقصف الرعود   وعزف الرياح ووقع المطر

في هذا النموذج من الأبيات نستنتج النمط الذي يستعمله الشاعر وهو نمط سمعي واضح من مفرداته (دمدمت – ضجت – أطرقت



– قصف – عزف) ولذلك ينفعل بهذه الأبيات الشخص ذو النمط السمعي أكثر من غيره.

جرب مخاطبة الناس بمفردات تناسب أنماطهم وتدخل من بوابة عقولهم المفضلة وسترى العجب.

ستحس بتفاعلهم معك وسرعة فهمهم لما تقول.





24

...أخلاق الأشجار وثقافة العطاء







أيهما أحب إليك ؟ الأخذ أو العطاء ؟

أيهما يشعرك بسعادة أكثر ؟ عندما تحوز شيئاً ما .. أم عندما يحوزه غيرك وبمساعدة منك ؟

إن حب التملك غريزة عند الإنسان تدفعه أحيانا إلى أن يظلم غيره ليحصل على ما يريد ، وغالباً ما يبرر لنفسه هذا الظلم بادعاء الحق مرة ، أو ادعاء عدم استحقاق الآخرين مرة أخرى.

وأياً كان التبرير سواء كان حقاً أم باطلاً فان ثقافة الأخذ والتملك ولو على حساب الآخرين هي الثقافة التي سادت في عالمنا المعاصر .. وهي ثقافة فردية يمارسها الفرد كما أنها ثقافة جماعية تمارسها الجماعات والمنظمات والدول.

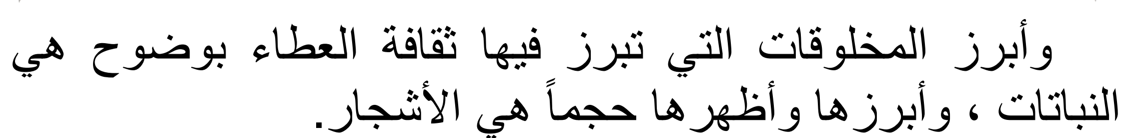
وربما يُعد بعض الناس هذه الثقافة نوعاً من الذكاء ويسميها (شطارة) فكلما حصلتَ على أشياء أكثر كنت أشطر .. ونتيجة لهذه الثقافة قُتل أناس أبرياء واستعمرت شعوب وسرقت خيراتها واستغلت بغير وجه حق .. بل إن هذه الثقافة دفعت إلى سرقة جهود الآخرين وابتكاراتهم ونسبتها لشخص السارق للاستفادة منها بغير وجه حق.

وبالمقابل ضَمرت ثقافة العطاء وأوشكت أن تختفي من الوجود بسبب أنانية الإنسان وحبه لذاته دون الالتفات لاستحقاقات الآخرين.

إن ثقافة العطاء هي الأصل في سنن الله تعالى في كونه والتي فطر الموجودات عليها من جماد ونبات وحيوان .. فكل هذه الموجودات تأخذ من الأرض بقدر ما تحتاج فقط وهي بالمقابل تعطي لمحيطها أكثر مما تأخذ.

إلا الإنسان (المُخيَّر) فهو يريد أن يأخذ فقط ، وإذا أراد أن يعطي بحث عن الفتات ليعطيه.





وأبرز المخلوقات التي تبرز فيها ثقافة العطاء بوضوح هي النباتات ، وأبرزها وأظهرها حجماً هي الأشجار.

إن الأشجار تأخذ من الأرض والهواء غذاءها ، وبالمقابل تعطي غذاء أكثر لمحيطها من الحيوان والإنسان.

وليس غريباً علينا نحن البشر أن نؤذي هذه الأشجار للحصول على ثمارها سواء بكسر أغصانها أو بقطعها حتى .. وتبقى هي ثابتة راسخة لا تغضب ولا تثور بل تعوض خسارتها لتنتج ثماراً مرة أخرى.

ولذلك قيل في الحكمة (كن كالشجر يرميه الناس بالحجر ويرميهم بالثمر).

إن العطاء صعب في البداية ولكنه يصبح سهلاً بالتكرار والتعود عليه .. وإذا رافقته نية صالحة باحتساب الأجر والثواب بهذا العطاء يصبح العطاء عبادة من أفضل العبادات.

والسعادة التي يورثها العطاء للآخرين لا يعلمها إلا من يذوقها، ولكن ربما يُنغص هذه السعادة عدم الوفاء من الآخرين وعدم ذكرهم للفضل ، ونكرانهم للجميل ، وكل هذا وارد بل هو من الحقائق التي نراها في معاملاتنا اليومية.

ولأن هذه المنغصات موجودة .. فهي تمنع البعض من العطاء بحجة انتشار اللؤم بين الناس.

فإذا أضفنا اليها حقيقة أن العطاء صعب على النفس ، وأن ثقافة الأخذ هي السائدة وهي التي يربى عليها الأولاد من رياض الأطفال وحتى القبر ، سنجد أن العلاقات بين الناس أصبحت قاسية والأنانية منتشرة ولا تكاد تجد من يقول خذ ، بل الكلمة الشائعة بين الناس هي (أريد).

وأصبح حالنا كحال ذلك الرجل الذي أوشك على الغرق وتجمع الناس لإنقاذه وكلما تقدم أحدهم لإنقاذه ويقول له (أعطني يدك)



ليسحبه ، يأبى هذا المسكين ، واحتار الناس ماذا يفعلون حتى تقدم أحد الأذكياء وصاح فيه: خذ يدي ، فتشبث الغريق بيده ونجا.

علم هذا الذكي أن هذا الرجل لم يتعلم على كلمة (أعطني) فهو يخاف منها ولو كانت لإنقاذه مما هو فيه ، ولذلك قال له (خُذ يدي) فالأخذ هو ثقافة شعوبنا.

فاذا كان الواقع هكذا ، ألا يجدر بنا أن ننتبه إلى أهمية ثقافة العطاء وإشاعة هذه الثقافة رغم كل العقبات التي ذكرناها سابقاً؟

إن المجتمع الأناني يقتل نفسه بيده.

المجتمع كالجسد الواحد.. تخيل معي أن الرأس يسرق من اليدين ويضعفهما ، واليدان تسرقان من القدمين وقد تبترهما، وتعتدي العينان على الأذنين .. واللسان على الأنف .. وتختفي ثقافة التكامل وتشيع ثقافة التآكل حتى يضعف الجسد ويموت.

وتبقى المسألة مسألة وقت وأي عضو يموت أولاً وأيها يبقى للنهاية .. ولكن النتيجة واحدة أن هذا الشعب سيهلك مادياً ومعنوياً.

وإذا أردنا أن نتعلم ثقافة العطاء فلنستفد من أخلاق الأشجار التي فُطرَت عليها ، ومن هذه الأخلاق:

– أنها لا تؤذي أحداً ابتداءً

– تنتج الثمار من غير طلب من الآخرين وتعطي للجميع بلا تمييز

– قد تتعرض للاعتداء ولكن هذا لا يثنيها عن الإفادة فقد تُرمى بالحجر لتسقط ثمارها ويتمتع بها آكلها

– قد تُكسر أغصانها بل قد يُكسر ساقها ومع ذلك تبدأ مباشرة بالتعويض والنمو من جديد ولا تكف عن إنتاج الثمار



– إنها زينة في نفسها ولو لم تنتج ثماراً فخضرتها وعنفوانها وأوراقها يتمتع برؤيتها الآخرون

– كل جزء منها نافع يستفيد منه الإنسان والحيوان .. ظلُّها .. أغصانها .. خشبها .. بل إن الكائنات التي تعتاش عليها وتعيش بين أغصانها أكثر مما نتصور.

لذلك شبه النبي ﷺ المسلم بشجرة وهي النخلة.

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال:

إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي.

فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت.

ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟

قال: هي النخلة.

فالنخلة لا يُهمل منها شيء فكلها مفيدة بلا استثناء وكل جزء منها له فائدة واستخدام .. كما أنها مفيدة وهي حية ومفيدة وهي ميتة.

إن الناس بطبعهم يكرهون الأناني المستأثر ، ولكنهم يمارسون هذا النوع من السلوك .. وهم بطبعهم يحبون الكريم الجواد ، ولكن لا يتعاملون بهذا الخلق إلا باستثناءات.

والسبب بالإضافة لما ذكرناه سابقاً هو خوفهم من أن يخسروا ما عندهم وخوفهم أن لا يقابلهم الآخرون بالمثل فيعتبرون أنهم قد تورطوا بالكرم لوحدهم.

وهذه أمور نفسية تراود الفرد وتمنعه من العطاء ..

ولا خيار عندنا لبث الخير ومقاومة الأنانية في المجتمع إلا بإشاعة ثقافة العطاء وتربية الأطفال عليها من الصغر ، فالعلم



بالتعلم والحلم بالتحلم. وممارسة الكرم والعطاء تجعله بعد فترة يصبح خلقاً وسجية لا يعاني منها صاحبها.

ومما ييسر عليك ذلك أن تفكر بمدى السعادة التي ستعطيها للآخرين ، وتستحضر الأجر من الله تعالى .. وتفكر بان الحياة صدى لأفعالك فإذا أسعدت الآخرين سينعكس ذلك سعادة عليك .. والعكس صحيح.

وييسر ذلك عليك اعتقادك بان الله تعالى جواد كريم سوف يعوضك خيراً عن كل ما فقدت وأكثر .. وخزائنه ملآنة لا تنفد بكثرة العطاء .. ولذلك قال أحد السلف حين عوتب على كثرة عطائه وأنه لا يمسك لأهله مالاً : لقد عودت ربي العطاء وعودني العوض عما أُعطي ، وإني أخشى إن تركت ما عودته أن يمنعني ما عودني.

ومن حِكَم الإسلام في العبادات التي تعبدنا بها هي إشاعة ثقافة العطاء في المجتمع .. ومنها الزكاة والصدقات بأنواعها، والإحسان في العمل ، وفعل الخير ، ومساعدة الضعيف والمريض ، ورعاية اليتيم ، والأضحية والنذور والأوقاف ... الخ

فإذا شاعت هذه الثقافة أمن الفرد في المجتمع ولا يعود يشعر بأنه لوحده ، ويتيقن أن الجميع سيكونون معه إن وقع في مشكلة .. كما أن المجتمع سيأمن من أن يُخرِّبه الأفراد أو يسيئون إليه بجرائم، بل بالعكس سيحافظون عليه سالماً نظيفاً من الأذى.

تخيل معي حينما تريد أن تريح أعصابك أين تذهب؟

لا شك أنك ستقصد الحدائق أو البرية وتطلب مكاناً هادئاً بين الأشجار.

وعندما نريد تزيين بيوتنا نزرع الورود والأشجار المثمرة الجميلة .. وما الجنة إلا حدائق وأشجارا وانهاراً.

فكلنا نرتاح ونستمتع في أحضان الطبيعة المعطاء التي فطرها الله تعالى على العطاء.



فكيف لو تخيلنا حياتنا كلها حديقة جميلة مليئة بالأشجار المثمرة والأزهار والروائح الزكية؟
بيدك أن تفعل ذلك إذا تعلمت من الأشجار .. ثقافة العطاء.





25

...همٌ وهِمَة







يحكى في قديم الزمان عن قرية صغيرة كانت تقع تحت سفح جبل عظيم ، وكان الجبل يحجب الشمس عن هذه القرية معظم اليوم فلا يتمتع الناس بأشعة الشمس الذهبية ولا يستقيم لهم عمل.

كانوا يتذمرون دائماً من هذا الحال ، ولم يخلُ مجلس من مجالسهم من الكلام والشكوى من الجبل الذي يمنع عنهم الشمس.

– إلى متى سنبقى لا نرى أشعة الشمس؟

– هل نترك قريتنا ونتحول إلى مكان آخر ؟ هذا صعب

– وكيف نترك ارض آبائنا وأجدادنا..؟

– هل نزيل الجبل ؟ هذا مستحيل لا يفكر به عاقل

.. وفي النهاية ينتهي نقاشهم وثرثرتهم بأنه لا يوجد حل.. وعلينا أن نرضى بهذا الحال.

وهكذا تتكرر الشكوى ويدور الناس في حلقة مفرغة وكلام عابث لا نتيجة له ... حتى جاء ذلك الصباح الغريب..

في صباح أحد الأيام استيقظ الناس ليشاهدوا منظراً عجيباً ..

"العم" هكذا كانوا يسمونه.. وهو رجل عجوز من كبار القرية .. حنى الدهر ظهره .. خرج عليهم وهو يدفع عربة صغيرة وفيها مسحاة ويعلن على الملأ أغرب خبر يسمعونه:

- لقد عزمت على تحويل الجبل ، لكي تشرق على قريتنا شمس الصباح.

قال له أحد الرجال بدهشة : يا عم وهل بقي من عمرك ما يكفي لتزيل الجبل بهذه المسحاة وهذه العربة الصغيرة ؟





أجابه العم بكل ثقة:

- سأبدأ الآن الحفر في الجبل وقد أوصيت أولادي وأحفادي أن يكملوا ما سأبدأ به ولا بد أن يأتي اليوم الذي تشرق فيه الشمس على بيوتنا .. وأكمل كلامه:

- ... يا بني لقد عشت حياتي وأنا أسمع التذمر من هذا الحال.. ولن يزيل هذا الجبل كثرة الشكوى ولن نستمتع بالشمس الجميلة ونحن نحلم فقط ، لا بد من البدء.

وهكذا قرر أن يبدأ..

(الهمَّ) وحده لا يكفي لتغيير أحوالنا وحياتنا الخاصة أو العامة .. لا بد من (همَّة) ترافق هذا الهم كي تبدأ الخطوة الأولى وتحمل راية التغيير.

إن الهم والهمة قرينان لا يفترقان إذا أردنا التغيير .. كالزوجين تماماً بهما معاً تبدأ حياة جديدة وتتكون أسرة .. ويولد أطفال جدد يجددون الحياة ويعمرون الأرض.

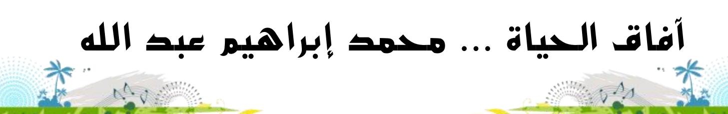
أما الرجل لوحده ، وأما المرأة لوحدها فلا يمكن أن يكونا أسرة أو ينجبا أطفالا.

هكذا الهم والهمة لا ينتجان تغييراً إن افترقا.

ونحن نرى ونسمع يومياً العشرات بل المئات من الشاكين والمتذمرين من الأحوال والظروف السيئة .. ترى الهم على وجوههم وفي ثنايا كلامهم .. الكل يشكوا ويتذمر ولكن أين الحل ومن سيبدأ به ويتحمل المسؤولية ؟

وفي المقابل يوجد آخرون كأنهم شعلة من نشاط يحملون في ثنايا أنفسهم همة تناطح السحاب.. ولكن لا قضية لهم يعملون من





أجلها .. ليس لهم همٌّ حقيقي وهدف نبيل يسعون له .. غاية احدهم أن يحقق ملذاته ومطامحه الشخصية وليكن بعده ما يكون.

الهم والهمة قرينان ينبغي لمن يريد التغيير أن يجمع بينهما .. وهذه معادلة قديمة مفقودة..

شكى من فقدانها سيدنا عمر رضي الله عنه عندما شخَّصَ ببصيرته النافذة نقص الهمة عند بعض الصالحين (مع حملهم هَمِّ الإسلام والمسلمين) فقال رضي الله عنه عنه متحسراً:

- اللهم إني اشكوا إليك جلد الفاجر وعجز الثقة.

كل شخص ناجح سواء كان رجلاً أم امرأة لا بد من أن يحمل هماً وهمَّةً.. همٌّ يترجم طموحه وهدفه وما يريد أن يصل إليه .. وهمة تترجم سعيه وجده واجتهاده واستغلاله للوقت والفرص ليحقق طموحه.

إننا كثيراً ما نعوق أنفسنا ونحبط همتنا بل همة الآخرين بقناعات ومعتقدات واهية مثل:

لا يمكن .. هذا مستحيل .. جربنا ولم ننجح .. هذا اكبر من إمكاناتنا .. فشلنا أكيد ..

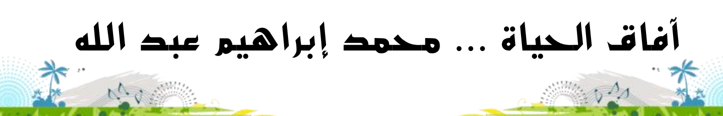
وغيرها من الكلمات الخطيرة والتي تبدوا في ظاهرها نصحاً وبراءة وسهلة في اللفظ .. لكن التخريب الذي تسببه للهمم والنفوس اكبر وأخطر مما نتصور.

رُوي أن أحد القادة سُئل مرة : كيف استطعت أن تولد الثقة والهمة في صفوف جيشك ؟

قال : كنت أرد بثلاث على ثلاث

من قال: لا أقدر ... أقول له: حاول





ومن قال: لا أعرف ... أقول له: تعلم
ومن قال: مستحيل ... أقول له: جرّب

إن الهم دلالة على يقظة المشاعر والأحاسيس والتفاعل مع الناس والأحداث.

والهمة دلالة على الثقة وقوة الشخصية والصدق مع النفس والآخرين في طلب الإصلاح والتغيير.

إنَّ كثرة الحزن والشكوى ونقد الأوضاع السيئة لن يجلب خيراً أو يدفع سوءاً ، بل لا يعتبر دلالة على صدق الشخص في شكواه ما لم يتبعه بخطوة صدق تعين على التغيير وتدفع نحو الإصلاح.

وهذا هو الاختلاف الذي يصنع الفرق بين الشخصيات الناجحة التي خلدها التاريخ وهي تعد على الأصابع ، وبين الملايين التي مات ذكرها بموتها وكأنها لم تخلق ولم تسع يوماً على هذه الأرض.

وفي هذا المعنى هتف محمد إقبال (الشاعر الباكستاني) يحرض المسلم أن يتحرك بهمة تغير من الواقع الأليم للعالم كل العالم :

أيها المسلم يـا مــــن خلقـا	ليكون الحق فيه خلقـــــا
انهضن يا صاح بالعبء الثقيل	أنت في الأرض عن الله وكيل
سطرن بالحق في هذي البلاد	واحكمن بالعدل ما بين العباد
أنقذ الإنسان من هذا الشقاء	وأزل من أرضنا هذا العناء
املأ الأرض بحب وصفاء	وسلام ووداد وإخـــــاء





والآن انتبـــــه..

إن كنت

- تتكلم كثيراً وتشتكي دائماً..
- أو كنت ممن تتساوى عنده الدقيقة والساعة في حديث بلا طائل..
- أو كنت ممن يأنس بأمثاله من الشاكين ويفرح كلما زادت الشكوى من الآخرين ..
- أو كنت ممن يكرر الكلام ، نفس الكلام في كل المجالس ..

فيمكنك أن تقول بلا تردد أنك صاحب هم سيقضي على وقتك أولاً .. ثم على أحاسيسك ومشاعرك ثانياً .. ثم على حياتك ثالثاً.

وان كنت

- ممن يتحرك بسرعة وبردود أفعال.. ولا تفكر أين سيؤدي بك الطريق (بحجة عدم القعود وعدم التكاسل)..
- أو كنت ممن يضجر من التخطيط والتحليل ..
- أو كنت ممن لا يصبر على ثني الركب في طلب معلومة أو قراءة جديد ..
- أو كنت ممن يشكو دائماً أن الوقت لا يكفي ..
- أو كنت ممن يقبل تكاليفاً يبدأ بها ولا يعرف كيف ينهيها ...

فأنت صاحب همة فقط ، ستتعبك كثيراً .. وتستهلك جسدك وقواك .. ولن تنجز في حياتك شيئاً تفخر به.





أما إن كنت

- ✓ ممن يفكر كثيراً .. ويبدأ بالخطوة الأولى حين يحين وقت العمل ..
- ✓ أو كنت ممن يعرف قدْره وإمكاناته فيقول لا أستطيع ولا أعلم الآن ولكني سأتعلم وأجهز نفسي مستقبلاً ..
- ✓ أو كنت ممن يعرف البداية وأسلوبها والطريق وتكاليفه، والنهاية كيف ستكون ومتى ..
- ✓ أو كنت ممن يستشير ويستخير (بصدق وليس ادعاءً) ويُقدم بعد ذلك ويتحمل المسؤولية كاملة ..
- ✓ أو كنت ممن يفكر بالحلول لكي يبدأ ولا يُغرق نفسه بالعوائق والمستحيلات ..
- ✓ أو كنت ممن يُيَسر لنفسه ولغيره الطريق ولا يضع العصا في العجلة ..

فأنت أنت .. صاحب همٍّ وهمة ..

أبشر بالنجاح وبتوفيق الله لك .. وسترى ثمرة عملك في الدنيا ... ويدخرها الله تعالى لك في الآخرة.





26

...غير طريقك أو غير طريقتك







حينما ننهض كل صباح للذهاب إلى عملنا لا شك أننا وبدون تفكير مسبق سنهيئ نفسنا للخروج .. ثم نسلك طريقاً معيناً.. نسير فيه كل يوم (على أقدامنا أو بأي واسطة نقل) لنصل إلى محل عملنا.

وإذا أردنا الذهاب للتسوق من مركز المدينة ربما سنسلك طريقاً آخر مخالفاً للأول ، وإذا أردنا الذهاب لزيارة قريب لنا سنسلك طريقاً ثالثاً ... وهكذا.

ما الذي يحصل إذا اقترح (أحدهم) عليك يوماً ما أن تغير طريقك إلى العمل والذي اعتدت أن تسير فيه يومياً وتستبدله بالطريق الذي يذهب بك إلى السوق .. ويحاول إقناعك أن هذا الطريق سيوصلك إلى عملك؟

لا شك أنك ستضحك من عقل وتفكير هذا الألمعي الذي اقترح عليك هذا الرأي الغريب.

لماذا؟

لأنك تعتقد جازماً أن طريق السوق لا يؤدي إلى مكان عملك .. كما أنك إذا سلكت طريق العمل فلن يؤدي بك إلى السوق .. ولذلك سترفض هذا المقترح وأنت تضحك من (غباء أو جهل) صاحبك.

ولماذا مرة أخرى ؟!

لأنك تؤمن بحقيقة وبديهية بسيطة ومعروفة للجميع أن الطريق الذي يؤدي إلى مكان ما سيوصلك إلى نفس المكان كلما سلكته .. ولن يوصلك إلى مكان آخر.

لنبقى نتذكر هذه القصة وننتقل لنرى ماذا نفعل نحن حقيقة في حياتنا اليومية.



كل منا قد اعتاد على طرق معينة وأساليب محددة يستخدمها لقضاء شؤونه اليومية من تعلم وتعليم وتجارة وزراعة وتربية، وأي سلوك آخر.

وكل منا قد وقر في ذهنه أن طرائقه في الحياة وتصوراته هي الأفضل ولا تتقبل الشك.. وأنها تؤدي إلى المطلوب والى الهدف.

فإذا حدث وأن فشل في طريق ما .. فانه وبإصرار غريب سيبقى يكرر السير في نفس الطريق ويصر على أن الخطأ ليس في الطريق أو الوسيلة بل الخطأ في أشياء أخرى.

وينسى البديهية السابقة (إن سلوك نفس الطريق سيوصل إلى نفس النتيجة).

وإذا اقترح عليه أحدهم يوما ما ، أن يغير من طريقه أو طريقته سيضحك منه علناً .. أو سراً في أحسن الأحوال .. لأنه قد جرب هذا الطريق (مرة) في حياته وأوصله إلى الهدف المطلوب .. ولا ينتبه أن هذه (المرة) ربما تكون قد حدثت قبل سنوات وأن أموراً كثيرة في الحياة قد تغيرت.

والأدهى والأغرب عند بعض البشر أنه ربما لم يجرب هو بنفسه هذا الطريق ، بل جربها أناس من عمق التاريخ حتى قبل أن يولد هو ونجحوا في الوصول إلى هدفهم ، وكل ما في الأمر أنه يحاول تقليدهم وهيهات.

إن طرق الحياة ووسائلها وتنوعاتها أكثر بملايين المرات من الطرق التي نسير عليها كل يوم .. وإذا بقيتَ مصراً أن تسلك نفس الطريق الذي اعتدت عليه ستصل إلى نفس النتيجة دائماً (تذكر مثالنا في بداية الكلام) ولن تصل إلى مكان آخر.

وإذا ثبتَ عندك بالتجربة أو بعد استشارة أهل الرأي أن هذا الطريق سيؤدي بك إلى الفشل .. فالحكمة تقتضي أن تفكر بالتغيير وبسرعة ، ولا تصر على السير بنفس الطريق أو إتباع نفس



الطريقة لأنها لن تجلب لك إلا الفشل (كما أنك لن تصل إلى مكان عملك وأنت تمشي في الطريق المؤدي إلى السوق).

ابدأ من الآن بالتفكير في طرقك وطرائقك في الحياة ولا تخف أو تخجل من التغيير .. وخير لك أن تتراجع عن الطريق الخطأ من أن تمشي فيه ثم تندم بعد انقضاء العمر وفوات الفرص.

ولذلك قالوا في الحكمة:

" المشي كالسلحفاة في الطريق الصحيح خير من الركض كالغزال في الطريق الخطأ "

إن التفكير في تصحيح طرقنا وطرائقنا في الحياة أمر مهم لأن أعمارنا لن تُعوَّض والذي يحدث في ممارساتنا اليومية أننا لا ننتبه إلى أخطائنا في السير ولهذا نحاول دائماً أن نلقي اللوم على الآخرين في عدم الوصول الى أهدافنا.

وقد نبَّهَ النبي ﷺ إلى مثل هذا المعنى فقال:

- الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ.

فقد يكون الخير أو الشر تحت أقدامنا ومن صنعنا ولا ننتبه له ، ولا نغير.

وحتى تنجَحَ في تغيير الطريق أو الطريقة بدون أن تعاني كثيراً.. أنصحُك بأن تجد لك بدائل لكل شيء قدر ما تستطيع.

فكر في بدائل في مجال الكسب..

في مجال تربية الأولاد ..

في العلاقات الاجتماعية ..

في الترفيه والتسلية ..

وحتى في العبادة .. فقد نوَّعَ الحق تبارك وتعالى العبادات علينا حتى إذا ثقُلت علينا عبادة تحولنا لأخرى ، عدا الفرائض فهي ثابتة، فمن ثقل عليه صوم التطوع واشتاق لقراءة القرآن فليفعل .. ومن لم يجد الوقت لقراءة القرآن واستمتع بالذكر والتسبيح فليفعل .. ومن



وجد متسعاً لركعتي ضحى ووافقت هواه فليفعل وكل ذلك طيب مأجور عليه .. كي لا تسأم النفس وتمل.

حتى إن الحق تبارك وتعالى جعل رمضان شهراً واحداً في السنة يدور على كل فصولها لتشتاق إليه النفس ولا يتكرر في فصل واحد دائماً.

فكر في البدائل دائماً واسبق الأحداث ولا تنتظر وقوع المصيبة .. التي تضعك في حرج.

إن مخاطر الثبات على طريق واحد وطريقة واحدة في إدارة شؤوننا اليومية و شؤوننا السياسية أو الاجتماعية كبيرة جداً ، قد لا ننتبه لها إلا بعد فوات الأوان .. ولا نستطيع آنذاك تدارك الموقف.

ومع بساطة هذه البديهية التي تكلمنا عنها ، فان المُشاهَدَ من واقع حياتنا أن الكثيرين لا يعترفون بذلك .. بل لا يمكن أن يتخيلوا خطأ الطريق الذي يسيرون فيه أو الطريقة التي يتبعونها .. يساعدهم على ذلك بطانة سوء أو صديق جاهل أو مغفل يرتدي لباس حكيم.

وهذا النمط من التفكير منتشر في مجتمعاتنا ، وصاحب هذا التفكير عادة لا يتقبل النقد وينزعج من تخطئة الآخرين له ، ويزداد اصراراً على الطريق المؤدي إلى الفشل وكلما وصل إلى النهاية الطبيعية لهذا الطريق وهي الفشل .. التفت يخطئ هذا وذاك ويلقي اللوم على المجتمع بأسره ، وأكثر من ذلك يبدأ بالبحث عن كل ما يؤكد له أن هذا الطريق وهذه الطريقة هي الصواب .. وأن الذنب ليس ذنبه ولكن الآخرين لا يفقهون.

قد ينطبق على هذا النوع من التفكير القول المأثور "ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري" .. فمن سيعلم مثل هذا (الصنم) ؟

إن أكبر مدرسة عرفتُها هي الحياة ، ولكنها تختلف عن المدارس العادية بان نتائجها مؤلمة ودروسها قاسية وقد تقضي على الشخص أحياناً ... ولا يتسنى له الوقت لتدارك ما فات.



وخطورة هذه المدرسة أنها تختبرك أولاً لكي تتعلم .. وليس كالمدارس التي نعرفها.

فالأصل في المدارس العادية أنك تتعلم أولاً ثم يأتي الاختبار لاحقاً.

ولكن الأصل في مدرسة الحياة أنها تمتحنك أولاً كي تتعلم .. ومع ذلك فان الواقع المشاهد أن الكثيرين لا يتعلمون منها رغم الفشل والنكبات.. فلا تكن منهم.

ما دمت على قيد الحياة فعندك دائماً الفرصة لتفكر وتعيد التفكير مراراً بطرقك التي تسير بها في حياتك ... وبطرائقك ووسائلك التي تتبعها مع نفسك ومع الآخرين .. فلا تخف من التغيير .. ولا تؤجل التفكير.

وتذكر انك إذا سرت في نفس الطريق الذي تسير به دائماً فستصل إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها سابقاً.. فلا تخدع نفسك.

وتذكر أن الطريق الذي يوصلك إلى السوق لن يوصلك إلى محل عملك مهما أوهمت نفسك بذلك.





27

...عندما تكون السعادة عبادة .. والعبادة سعادة







كلٌّ عام وأنت بخير .. أهنئك بعيد أتى بعد عبادة .. وسعادة إثر سعادة .. فكُلاً من رمضان والفطر .. عيد لنا.

ولكل منهما طعم خاص ومتعة خاصة نعيشها كل عام ونتمنى دوامها ، ولعل الحكمة البالغة فيها أنها لا تدوم .. حتى نشتاق إليها.

ولا شك أن العيد عند الناس مقترن بالفرح والسعادة دائماً ، لذلك يتهيئون له بأفضل ما عندهم من مأكل وملبس ويحرصون أن يقضوا أيامه بفرح لا يكدره شيء.

السعادة حلم جميل يراود الجميع .. والكل يبحث عنها .. ومنهم من يجدها فعلاُ ومنهم من يتوهم أنه وجدها .. ومنهم من لا يجدها رغم اعتقاده أنه سلك جميع السبل إليها.

فإذا سألتَ .. هل تكمن السعادة في المال ؟ هل تأتي مع الشهادة الجامعية ؟ أو عندما تمتلك بيتاً .. وتكون لك زوجة وأطفال ؟ .. وربما تأتي مع المكانة الاجتماعية والرياسة والتصدر؟

سيختلف الجواب بين الناس ولكنهم سيتفقون أن توفر أياً من هذه الأشياء وغيرها لا يستلزم ابداً أن يكون الإنسان سعيداً ، وهناك المئات من الشواهد على هذا.

وأجزمُ أن السعادة سمة تلازم الشخص الناجح في الحياة ، ولسنا نعني النجاح المهني فقط ، ولكن نعني النجاح الذي يُشعر الشخص أياً كان أنه قد أخذ من الدنيا وأعطاها ، وأنه قد نفع الناس، وأنه غير نادم على أيامه التي انقضت ، وهو مستعد للقاء المستقبل بصدر رحب ، وهو شخص يستمتع بعمله ويستمتع بخدمة الآخرين، ينظر إلى أحداث الحياة على أنها تحدٍ وأنه أهل لهذا التحدي.

الناجح هو الذي يقود في محيطه ويعلم الناس فنون النجاح ، وكل هذا مع تواضع وحياء وخفض جناح للآخرين.



والسعادة هدف مشروع للجميع ، لأنها مطلب فطري خلقه الله تعالى في نفوسنا .. والنفس تطلبها كما يطلب البدن الطعام والشراب ، ولا يمكن أن يستغني عنها أحد.

ولأنها مطلب الجميع .. فان أغلب الزعماء على مر العصور يعِدون شعوبهم بأنهم سيحققون لهم السعادة التي لم يحققها لهم (العهد البائد) .. وهذه دائماً هي الكذبة الأولى التي يصدقها الناس إلى حين.

ولأن النفس لا تستغني عن السعادة .. فقد أشبعتها شريعتنا التي اتسمت بالسماحة وبأنها دين الفطرة ، بشتى الطرق والوسائل وهيأت اسبابها.

وهذا ما فطن له المسلمون الأوائل .. وهو أن عبادتهم نوع جديد من السعادة .. لذلك كان أداء العبادات عند رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم سعادة لا تعدلها سعادة وكان يقول لبلال رضي الله عنه: " أرحنا بها يا بلال " يعني الصلاة.

وأي إنسان لن يكون سعيداً حقاً إلاّ إذا أحس فعلاً انه تخلص من **الهمِّ** الذي يحمله وشعر بالراحة.

فمثلاً .. الفقر هم كبير .. والإنسان يسعى لكسب المال ليدفع هذا الهم الكبير عنه ، وينجح فعلاً في الحصول على المال بعد سنين من الكد والتعب ، وعندما يكون المال في يده يكتشف أنه وقع في هموم جديدة بدل الهم الواحد ، منها كيف يحافظ عليه ويكثره كي يضمن عدم الافتقار مرة أخرى ، وربما يكتشف أنه بعد هذه السنين من التعب قد لحقه الضغط والسكري ، فكيف يستمتع بهذا المال وغالب الأطعمة محرمة عليه؟

ما هو الحل إذن ؟

هذه قاعدة مهمة تذكّرْها دائماً :



" إن كل الوسائل والأهداف من مال ومكانة وشهادة وغيرها هي ثمرات لجهد مبذول وليست سببا للسعادة ".

لأن السعادة هي حالة تحيا بها النفس حينما تعيش في توافق مع الكون الذي يحيط بها ولن تصل إلى هذا التوافق إلاّ بالعبودية الخالصة لله عز وجل.

كيف ؟

عندما تسعى لجمع المال وأنت تعتقد جزما أن الله تعالى هو المعطي والمانع ، فلن تبتئس إذا فقدته.

عندما تأخذ ما تشاء من مناصب وأنت تعتقد أن الله تعالى هو الخافض والرافع ، فلن تبتئس إن تركتها.

عندما تدرس وتتعلم وتأخذ الشهادات وأنت تعتقد أنها من فضل الله تعالى وتيسيره لك ، ستُعلِّم غيرك ولا تتكبر على من هو دونك في العلم.

وقس على ذلك ...

وهكذا يحصل التوافق مع المحيط الذي تعيش فيه .. وهكذا تنشأ السعادة والهناء.

وأكثر من هذا فقد أكرمنا الله تعالى نحن المسلمين بان جعل فرحتنا وسعادتنا نوع من أنواع العبادة نؤجر عليها بشرط بسيط وهو أن لا نرتكب معها امراً منكراً.

ومن هنا كانت أعيادنا عبادة نتقرب بها إلى الله تعالى.

بل كل عمل فيه لهو وترويح عن النفس واستمتاع مع الزوجة ، مع الأولاد ، مع الأصدقاء تُؤجر عليه إن كانت نيتك لله عز وجل.

نحن المسلمون نعتقد أن عبادتنا سعادة نستمتع بأدائها .. وعندما نكون سعداء لأي سبب فنحن مأجورون ما دامت النية لله ولم نرتكب منكراً.



ولا أعرفُ جماعة ولا نظاماً آخر في كل الأرض غير الإسلام يحمل هذا المبدأ ، ولذا كانت كل أحوال المسلم خيرا ، ونفسه من أكثر النفوس اطمئناناً وإقداماً .. أو هكذا يفترض أن يكون ..

إن الإنسان البائس الحزين لا ينتج ، والمجتمع الذي يعيش في مناخ من القهر والألم والشعور بالغبن والفقر لن يقدم للإنسانية شيئاً وسيبقى عالة عليها.

وحينما خاطبنا الحق تبارك وتعالى .. وصفنا بأننا خير امة أخرجت للناس ..

فكيف تغيَّر بنا الحال إلى نكون امة عالة على غيرنا ؟!

إننا نعيش اليوم في حزن دائم ...

فلا أكاد أجد طيلة اليوم شخصاً واحداً رجلاً كان أو امرأة يشعرني حاله ومقاله أنه سعيد!

فهل هذا هو الوضع الطبيعي لمخلوق كرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ؟

نعم قد يبرر البعض هذا الحال بما نراه يومياً من قتل وظلم واستبداد ، وهذا صحيح ولكن هل مر في تاريخ البشرية عصر اختفت منه هذه البلايا ؟

إن السعادة كما قلنا شأن داخلي للنفس البشرية ، قد يعيشها السجين ولا يحس بها الحر الطليق.

ولن يمنحك إياها احد ، إن لم تعرف أنت طرائقها وتسعى للحصول عليها فعلاً.

وتأكيداً لكل ما أسلفت من كلام ... وفي كل عام ... يُذكّر الحق تبارك وتعالى المسلمين في كل مكان .. أن دينهم دين السعادة والفرح في الدنيا والآخرة ، ويَظهر ذلك في عيدين عظيمين ..

ويُذكّرهم أن السعادة قريبة منهم جداً .. والمشكلة أنهم لا يسعون إليها ولا يبحثون عن طرقها الصحيحة.





ويُذكرهم أن العبادة يجب أن يعقبها سعادة ، فعبادة رمضان تنتهي بعيد وعبادة الحج تنتهي بعيد.

ويُذكرهم أن السعادة في الإسلام عبادة ، فلا يُضيّقوا على أنفسهم لأن الإسلام دين السماحة والفطرة.

ولكي تكون عبادتك سعادة وسعادتك عبادة:

راقب نفسك هل أنت سعيد في صلاتك ؟ هل أنت سعيد عندما تساعد الآخرين وتستشعر الأجر والثواب؟ هل تنفق وتتصدق براحة ورحابة صدر ؟

راقب نفسك في أوقات المحن والشدائد .. هل أنت مطمئن إلى قدر الله ؟ وهل تعتقد جزماً أن الله تعالى سينجيك مما أنت فيه ؟ وهل تدعوه وأنت موقن بالإجابة ؟

راقب نفسك حينما تكون سعيداً .. في قمة السعادة ، بسبب أمنية تحققت أو منزلة نلتها .. هل استحضرت في عقلك وقلبك أنها نعمة من الله تعالى ؟ فازداد شكرك له في تلك اللحظة ؟

راقب نفسك هل أنت سبب في سعادة الآخرين وتفريج كروبهم؟ هل أنت مفتاح للخير مغلاق للشر ؟

راقب نفسك هل تنأى بها عن ظلم الآخرين ولو بكلمة ؟ هل تكره الظلم ولو كان لحيوان أو نبات أو جماد ؟

راقب نفسك هل تجعل أوقات سعادتك ولهوك بالمباحات عبادة بانتباهك لنيتك واستشعار الأجر والثواب ؟

إذا كان جوابك **نعم** فهنيئاً لك السعادة التي أنت فيها ، احرص عليها بتحقيق العبودية لله تعالى أكثر.

وكل عام وأنت بخير وهناء.





28

...الآن ماذا ستفعل







يُروى من سير الصالحين أن أحد الفقراء قال يوماً وهو يقارن حاله بحال الخليفة:

- ليس من فرق بيني وبين أمير المؤمنين إلاً هذه اللحظة.

قيل له: كيف ؟

قال: أما البارحة فقد مضى بخيره وشره فنحن فيه سواء ، وأما الغد فلا نعلم ما خُبئ لنا فيه فنحن فيه سواء ، فلم يبق فرق بيني وبينه إلاً هذه اللحظة.

هذا الرجل لخص بكلامه حكمة عظيمة ، هي سر من أسرار النجاح في الحياة من عرفها وأتقنها فقد أوتي خيراً كثيراً.. ولنتكلم بالتفصيل.

إن الماضي بما يحمله من خير وشر إنما هو مَشاهدُ وخبرات خُزّنت في عقلنا يمكن أن نتذكرها ونستفيد منها .. ولكنه يبقى عبارة عن حدث مخزون في ذاكرتنا ، فهو لا يختلف عن الأحداث المكتوبة في كتب التاريخ إلا بشيء واحد وهو أننا كنا من أبطاله ومن شهوده.

وكذا المستقبل بأحلامه وأمانيه ما هو إلا صور وخيالات في نفس هذا العقل ... قد تتحقق في وقت ما ... لا ندري قد يطول أو يقصر.. وربما يكون هذا الوقت (الآن) أو بعد ساعة أو بعد سنة .. وبعد أن يتحقق ينتقل أيضاً ليكون خبرة من خبرات الماضي .. وهكذا تتسلسل الأحداث في حياتنا.

فكل مستقبل سيتحقق في زمان ما .. ووقت تحققه نطلق عليه (الآن) ثم يتحول في عقولنا إلى ما نسميه الماضي والذكريات.

ويترتب على هذا أن كل فعل يجري علينا في الحياة أو نقوم نحن به.. سيمر بثلاث حالات في عقولنا ، وكل حالة لها مشاعر



وانفعالات وأحاسيس تختلف عن الحالة الأخرى ، ونوضح ذلك بمثل.

قد تسمع عن شخص مشهور تحبه وتحترمه ، فتتمنى لقائه وتتخيل لو أنك التقيته ماذا ستقول له وماذا سيقول لك .. وكيف ستكرمه .. وربما تقرر أن تأخذ معه صورا تفخر بها على أقرانك .. وكلما فكرت في هذا الحدث ستنتابك مشاعر وأحاسيس بالفرح وتتمنى أن يتحقق هذا الحلم بأسرع وقت.

ويحدث أن تلتقي فعلاً بهذا الشخص بطريقة ما .. وفي لحظة اللقاء قد تكتشف أن الصورة الجميلة التي رسمتها لهذا اللقاء لم تتحقق كما تريد .. هنا في هذه اللحظة ستنتابك مشاعر وأحاسيس أخرى غير تلك الأولى عندما كنت تحلم باللقاء.

وبعد أن ينتهي اللقاء سيصبح ذكرى .. وعندما تتذكرها ستأتيك مشاعر من نوع آخر ثالث غير النوعين السابقين.

وهناك حالة رابعة وهي أن يُقدّر الله تعالى أن يموت هذا الشخص .. ولم يعد بإمكانك لقاءه مرة أخرى .. سوف تتذكر حادثة اللقاء السابقة معه وتتغنى بها أمام الآخرين .. وهنا سيكون لك مشاعر وانفعالات وأحاسيس غير الأولى والثانية والثالثة.

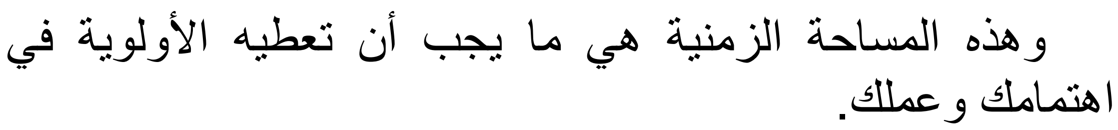
والآن لو سألناك أي من هذه المشاعر والأحاسيس هي الحقيقية فعلاً ؟ أي أنك شعرت بها بسبب واقعة حصلت فعلاً .. وهي هنا لقاءك بهذه الشخصية.

لا شك أنك ستجيب انها الحالة الثانية .. لأنها هي التي تحققت في الواقع .. أما الأحاسيس والمشاعر في الحالة الأولى والثالثة والرابعة فلم تكن إلا استجابة لحدث مرسوم في الذهن .. وهو في عقلك فقط.

ولذلك نقول:

إن أهم لحظة في حياتك ليست هي التي مضت ، وليست هي التي ستأتي .. إنما هي لحظة الآن





وهذه المساحة الزمنية هي ما يجب أن تعطيه الأولوية في اهتمامك وعملك.

إن الذي يغفل عن الدقيقة التي يعيشها الآن لن يحقق النجاح وإن خطط وإن تمنى.

وحتى في العبادات نبه علماؤنا أصحاب الذكاء والفطنة على ضرورة الاهتمام باللحظة التي تعيشها الآن .. وأن لا تقيدك أحداث الماضي وأوهام المستقبل ، فكلاهما لا وجود لهما إلا في عقلك فقط وحياتك الحقيقية هي (الآن).

وقد أطلقوا على هذا المفهوم اسم (فرض الوقت) وشددوا النكير على من ضيع فرض الوقت فيما لا ينبغي ، وضربوا لذلك أمثلةً بسيطةً ومفهومةً:

إذا أذن المؤذن .. ففرض الوقت هو الترديد معه وليس الاشتغال بعبادة أخرى.

وإذا أقيمت صلاة الجماعة وجب الالتحاق بها ولا يجوز الانشغال بصلاة السنة.

وإذا لحقَ الناسَ مجاعةٌ أو فقرٌ ففرض الوقت على الأغنياء بذل المال للفقراء وليس تشييد المساجد وتزيينها .. وهكذا.

وقالوا إن الذي يغفل عن (الآن) أو بتعبيرهم (فرض الوقت) وما ينبغي عمله فيه يكون قد خسر ثلاث مرات:

- مرة لأنه ضيّع ما ينبغي فعله في هذا الوقت

- ومرة لأنه انشغل بأمر آخر أقل شأناً ، أو بما لا يجب عليه في هذه اللحظة

- ومرة ثالثة فيما لو استدرك ما فاته من عمل في وقت آخر ، يكون قد ضيع وقتاً آخر كان بالإمكان أن يستغله بعمل هو فرض

ذلك الوقت ، فيكون قد ضيع فرض وقت آخر ، ولن يستطيع أن يستدرك مهما حاول .. لأن الزمن لا يمكن تعويضه أو الزيادة فيه.

كثيراً ما يعيش الإنسان في خبرات الماضي التي فشل فيها ويبقى مهموماً وخائفاً من تكررها في المستقبل .. ولا يدري أنه يعيش في وهمين .. وهذان الوهمان هما في عقله فقط .. فلا الماضي سيعود ولا المستقبل الذي يخاف منه قد تحقق بعدُ.

والنتيجة أن هذا الهم سيقعد بهذا الإنسان ويقيده عن الانجاز في لحظته التي يعيشها الآن.

ولو رسمنا صورة تمثيلية لهذا الكلام لكانت أشبه بمن يموت له شخص عزيز حبيب إلى نفسه .. فيجلس مهموماً يفكر كيف سيموت هو بعد ذلك .. أو كيف سيموت شخص آخر عزيز عليه .. ويشغله هذا التفكير وهذا الهم عما ينبغي فعله (الآن) من غسل الميت وتكفينه ودفنه.

هذا المثل المتطرف قد لا يحدث في الواقع ولكن آلاف الصور الشبيهة بهذا المثل يعيشها الناس في حياتهم يومياً .. فترى الكآبة والحزن والقعود عند كل مصيبة تحدث .. وهذا بدوره يقود صاحبه تدريجياً وبدون أن يشعر إلى الإحباط واليأس من التغيير والاستسلام للأمر الواقع.

وهذا الاستسلام يقود إلى إحباط وبدوره يقود إلى استسلام آخر حتى يتحول هذا الإنسان إلى كائن ميت ينتظر أمر الدفن.

إن الماضي ما هو إلا خبرات نستفيد منها ونتّعظ بها .. ولا ينبغي أن يكون قيداً يشلّنا عن الحركة .. لأنه ببساطة قد تحول إلى سطور من التاريخ في عقولنا ونحن الذين نقرر هل نستفيد منها أم لا.





وكذلك المستقبل شيء لم يوجد بعد ، فنحن نخطط له ولا نخافه .. نتوقع حدوثه ولكن لا نتعامل معه أنه قد حدث فعلاً .. وإذا أحسنّا التوقع والتخطيط ، سيكون لدينا لكل حادث حديث يناسبه.

لو دققت النظر في حياتك لوجدت أن ما يقودك فعلاً هو أوهام الماضي والمستقبل وهذه الأوهام تلهيك دائماً وببراعة عما ينبغي أن تفعله (الآن).

وكلما قويت هذه الأوهام ازداد تضييعك لوقتك وعمرك.. وتبقى أهدافك بعيدة المنال.

ومن يقرأ سِيَرَ الأنبياء والمصلحين والناجحين ينتبه إلى هذه الحقيقة ... حقيقة أنهم لم يتقيدوا أبداً بأوهام الماضي والمستقبل وأنهم استفادوا من خبرات الماضي وسخروا أحلام المستقبل لما يريدون انجازه الآن ، وفي كل لحظة عاشوها كانوا يركزون على ما ينبغي فعله الآن ، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

تحرر من وهم الماضي والمستقبل فليس لهما وجود إلا في ذهنك فقط.

استفد مما مضى وخذ العبرة .. وخطط للمستقبل بدون خوف .. وانتبه لما ينبغي أن تفعله الآن .. وهذا هو دأب الصالحين الناجحين.





29

...طريق السلامة





عندما كنا صغاراً كان الكبار ينصحوننا دائماً في كل حركة نتحركها ، أن لا نغامر وأن نسير دائماً في طريق السلامة .. فنسير دائماً على الرصيف ، وننظر عشر مرات والأفضل أن تكون عشرين يميناً ويساراً قبل أن نعبر الطريق.

والأفضل ان نذهب إلى المدرسة ونعود مع أصدقاء مثلنا (وغالباً ما ينتقيهم الكبار وليس نحن).

وأن لا نتأخر في العودة إلى البيت ، وإذا حدث وتأخرنا ، وهذا من عجائب القدر ، نجد أحد أفراد الأسرة ينتظرنا في منتصف الطريق والآخر في ربع الطريق والأخرى وراء الباب .. وهكذا.

كل ذلك حرصاً من الآباء والأمهات على سلامتنا .. ولا شك أن النية سليمة وصحيحة عندهم ، ولا اعتراض عليها فكل أب وأم يرجوا لأولاده السلامة والأمن والصحة والعافية .. ولكن الوسيلة حينما يكون مبالغاً فيها تؤدي إلى عكس المطلوب منها.

ما الذي يحدث حقيقة عندما يكون الحرص مبالغاً فيه من قبل الآباء ، وعندما لا يتركون مساحة من المغامرة لأولادهم ، وحينما يتدخلون في كل صغيرة وكبيرة من حياتهم حتى عندما يكبرون ويتزوجون وتكون لهم ذرية ؟[٦]

الذي يحصل أن الأولاد سيسيرون في واحد من طريقين ..

إما أن يرضخوا لهذه السيطرة ويستكينوا لها ، خوفاً في البداية عندما يكونون في عمر الطفولة ، ثم ميلاً إلى الراحة والتخفف من الأعباء في المراهقة والكبر.

لأن (طريق السلامة) سيجعلهم يعودون في كل صغيرة وكبيرة إلى الآباء وسيتحمل الآباء عنهم أثقالهم وأثقال ذريتهم .. وهذا مريح وممتع.

---

٦ - كلمة الأولاد في مقالي هذا أعني به الأبن والبنت سواء بسواء





وبالتالي ستُمسخ شخصية هذا الإنسان ولن يقدر على تحمل أي مسؤولية دون الاتكاء على الآخرين.

وهذا الطريق لن يوصل صاحبه إلى النجاح في الحياة أبداً ، لأن الحياة لا تعطي للعاجز والكسول ومن يتكئ على الآخرين .. وبهذا يكون الآباء قد جعلوا مستقبل أولادهم في خطر من حيث أرادوا لهم الأمن وطريق السلامة.

ولقد رأينا من هذا الصنف (أي صنف الأبناء المتواكلين) من يعتمد على كسب زوجته أو ثروتها في معيشته ، ورأينا من أصبح أباً وهو عاجز عن اتخاذ قرار في (حياته الخاصة) دون الرجوع لأبيه أو أمه أو حتى زوجته .. ونفس الكلام ينطبق على البنات لكن بصور أخرى.

أما الطريق الآخر الذي قد يسير فيه الأولاد فهو طريق التمرد على هذه السلطة ، وخاصة في مرحلة المراهقة ، التي يكون فيها المراهق على أتم الاستعداد للمغامرة واكتشاف الجديد بنفسه .. دون أي اعتبار لخبرات من هو أكبر منه سناً.

وهذا التمرد لا يقل سوءاً عن الطريق الأول .. ولا يخلوا من مشاكل ومصادمات مع الأب أو الأم.

وتجد هذا واضحاً فيما تسمعه من بعض الآباء مثل:

- أن هذا الجيل لا يساوي شيئاً
- رحم الله ايام زمان كيف كنا مع آبائنا
- هذا الجيل متمرد ولا يسمع النصيحة من أحد

والحقيقة أن هذا الكلام تسمعه من كل جيل على الجيل الذي يليه .. وبالتالي فلا نحن حققنا لأولادنا طريق السلامة .. ولا هم استفادوا من خبراتنا وحكمتنا.



وطريق المغامرة قد يقود صاحبه إلى النجاح في الحياة .. ولكن بنسبة ضئيلة .. وأشدد على كلمة (قد) .. لأن المغامرة ما لم تقترن بحكمة فستنتهي بصاحبها إلى كارثة.

وهذا الكلام ليس دعوة للآباء أن يتركوا لأطفالهم الحرية المطلقة في أن يفعلوا ما يشاؤون .. فهذا أخطر من طريق السلامة لأنه يهيئ الولد للتمرد على أي شيء وفي كل حال.

ولكني أدعوا إلى التوازن بين الشدة واللين .. لنصل إلى إقناع أولادنا بأننا أهل لنصحهم وإفادتهم دون أن نعتدي على شخصيتهم واستقلالهم.

كلنا يتمنى طريق السلامة لأولاده .. ولكن ينبغي أولاً أن نقنعهم .. وأؤكد على هذه الكلمة (أن نقنعهم) أننا فعلاً نريد لهم السلامة مع النجاح في الحياة ، دون أن نمسخ شخصياتهم بسلوكنا معهم كسلوك القائد مع الجندي ، أو بالعكس كسلوك النظير مع نظيره .. لأن الأول تعسف والثاني ضعف لن يقدره الأولاد.

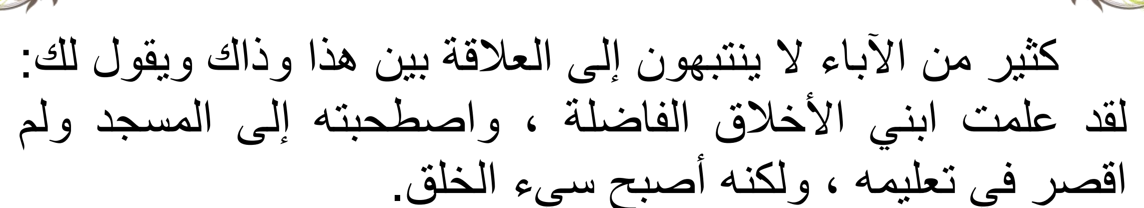
ويبدأ طريق الإقناع منذ الطفولة ، فنحن غالباً ما نغفل عن هذه المرحلة ونظن أنها مرحلة لعب ولهو وأن الطفل (لا يفهم) وبالتالي لا نتحفظ في تصرفاتنا وكلامنا أمامهم ، بل أكثر من ذلك قد نزرع في عقولهم سلوكيات وكلمات بذيئة دون أن ننتبه.

والطفل يُخزّن كل ذلك في عقله ليحتج علينا به في المستقبل سواء في العلن أو السر.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك:

عندما يجلس الأب والأم أمام التلفاز مع أطفالهم ويشاهدون مناظر الغناء والرقص ولا يتحفظان من ذلك .. وتتكرر هذه باستمرار .. سوف يستقر في عقل الطفل وبالممارسة العملية أن هذا لا بأس به .. فكيف يستطيع الأب بعد ذلك حينما يصبح ابنه مراهقاً أن يقنعه بان لا يضع نغمة أغنية ماجنة لهاتفه النقال مثلاً ؟





كثير من الآباء لا ينتبهون إلى العلاقة بين هذا وذاك ويقول لك: لقد علمت ابني الأخلاق الفاضلة ، واصطحبته إلى المسجد ولم اقصر في تعليمه ، ولكنه أصبح سيء الخلق.

وفي الحقيقة لا يوجد إنسان أبداً يصبح سيء الخلق بين ليلة وضحاها ما لم يكن لذلك مقدمات وجذور.

القدوة تبدأ من مرحلة الطفولة ولا ينبغي أن نستهين بهذه المرحلة أبداً فقد قيل "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر" وما نقش على الحجر لا يُمحى الا بخسائر تكون أحياناً فادحة.

وفي مرحلة الطفولة (قبل أن يبلغ الطفل ٦ سنين) ينبغي أن يوازن الأب والأم بين اللين واللعب مع الطفل فيما لا باس به ، وبين الزجر عندما يرتكب الطفل خطأ ما عن عمد ويكرر نفس الخطأ.

هذا التوازن سيجعل الطفل يتعلم أن منعه عن أشياء لا يعني أننا لا نحبه.

وعندما يبلغ الطفل مرحلة التمييز نقنعه ولكن بطريقة أخرى ، وذلك بان نعينه على التعلم ونتحين الفرص لنحمله مسؤوليات تليق بعمره فلا باس أن يتسوق من مكان قريب أو يقضي بعض الحاجات الصغيرة للبيت ، ونشعره بأنه يمكن الاعتماد عليه .. مع التصحيح المستمر.

وبقدر نجاحنا في هذه المرحلة ستكون المرحلة التي تعقبها وهي مرحلة المراهقة أسهل في التعامل معها .. لأن الولد (ابناً أو بنتاً) قد اقتنع قبل هذا أنه ان ارتكب الخطأ عن عمد سيعاقب مع يقينه أننا نحبه. ويكون قد اقتنع أنه أهل لتحمل المسؤولية والدليل أننا نعتمد عليه في أمور كثيرة ينجح في انجازها.

لذلك عندما يصل إلى المراهقة لن يتمرد اذا تكلمنا معه بحكمة .. لأنه سيكون قد اقتنع حقيقة أننا لا نريد أن نمنعه من



المغامرة ولكننا نريد أن يسير بها في طريق ايجابي ينفعه ولا يضره.

إن أكثر معاناة الآباء تبدأ مع أولادهم في مرحلة المراهقة .. وتكبر المشاكل كلما كبر الولد .. ولا يدري الأب أو الأم أنهم قد هيئوا الطريق لهذه المشاكل قبل ذلك بسنوات .. وأن الأمر ليس مفاجئة حدثت وإنما هي نتيجة لسلوكيات وممارسات سابقة.. ومع الأيام تتبخر أحلام الآباء بطريق السلامة الذي كانوا يتمنونه لأولادهم.

ولا يوجد في الحياة مصيبة أشد من خيبة أمل تصيب الأب أو الأم بأولادهم .. وخاصة عندما يتقدم بهم العمر.

إن طريق السلامة لا يعني المشي في الظل دائماً خوفاً من ضربة الشمس.

طريق السلامة .. هو أن تمشي تحت أشعة الشمس بشجاعة ولكن بطريقة حكيمة تنتفع بها من هذا الضياء الجميل وتتقي ضرره.. فإذا تعلمنا الدرس وعلمناه لأولادنا فلن نندم أبداً ، وسنسير معهم فعلاً في طريق السلامة.





30

...غذاء العقول







كلنا ننتبه عندما نجوع .. ونحاول بأسرع وقت أن نأكل لكي نتخلص من هذا الشعور المؤلم بالجوع . وأحياناً لا ننتظر أن يبدأ هذا الشعور الملح بطلب الطعام ، فنأكل ما تيسر كل ساعتين أو ثلاث . والأصل أن الناس قد تعودوا على ثلاث وجبات رئيسة في اليوم ، يتخللها وجبات فرعية.

ولا شك أننا نبحث دائماً (لنسدَّ جوعنا) عن أفضل الموجود من الطعام ، وان لم يكن موجوداً نسعى جاهدين للحصول عليه ، لأن تناول الطعام متعة بالإضافة إلى دوره الأصلي في سد الجوع وبناء الجسم.

وفي نفس الوقت نغفل أمراً آخر أكثر أهمية من ملء البطن ولا يشعر الكثير أنهم بحاجة إليه ... وهو غذاء من نوع آخر ، أجمل وألطف .. وهو الغذاء الوحيد الذي يميزنا عن باقي المخلوقات .. انه غذاء العقول.

وما يقوي هذه الغفلة عن غذاء العقول أننا لا نشعر بنفس الألم البدني الذي يدفعنا لتناول الطعام حينما تجوع عقولنا .. وهذا سر عجيب من أسرار التفوق والنجاح لقلة من ينتبه له.

فالإنسان العادي لا يشعر بحاجة عقله للغذاء الذي يجعله ينمو ويتطور.

بينما الإنسان الذي يبحث عن النجاح يؤلمه جوع العقل أكثر واشد مما يؤلمه جوع البطن ، بل انه يغفل كثيراً عن الطعام إذا ما كان منشغلاً بكتاب ممتع أو معلومة يعتقد أنها مهمة له.

إن تغذية العقل بصورة مستمرة دليل على التفوق والنجاح في الحياة ، لأن عقلك في النهاية هو دليلك إلى السعادة والنجاح وكلما زودته بطعام طيب ونظيف كلما أسرع بك إلى طرق النجاح الصحيحة في الدنيا والآخرة.



وغذاء العقول متنوع الأشكال والألوان .. فمنه القراءة .. ومشافهة الآخرين بالحوار .. والسؤال .. والسفر .. والسماع .. والبرامج المفيدة .. وغيرها كثير.

ولكني هنا أريد أن أركز على أهمها في تغذية العقل ، بل هي أصل الغذاء بالنسبة للعقل كما أن الخبز أصل الغذاء بالنسبة للبطن وهي القراءة.

وهي مهمة لسببين:

١- إن الله تعالى ابتدأ آخر رسالة لأهل الأرض بان أوحى لنبيه بكلمة عظيمة هي (اقرأ) مع أن النبي ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذه البداية بهذه الكلمة يجب أن نتأملها كثيراً .. فالقراءة شعار للمسلم .. لا يجوز التخلي عنها وهي مفتاح لكل ما بعدها من العقائد والسلوكيات والثقافات ، والبدء بهذه الكلمة من الخالق عز وجل دليل عظيم على قيمتها وأثرها لعقولنا.

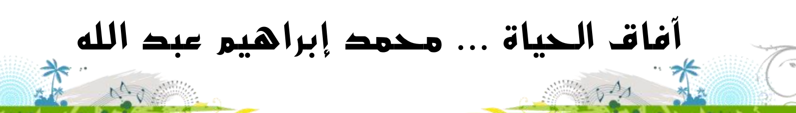
٢- إن القراءة يسيرة في كل زمان ومكان لا تحتاج إلا إلى قارئ ومقروء وليس بينهما واسطة .. فأنت لا تحتاج في القراءة إلى جهد عضلي أو مركز اجتماعي أو سلطة أو جهاز يعينك .. فمجرد حصولك على الكتاب يعني أن قراءته تيسرت لك.

وأكثر من ذلك أننا نحن المسلمين نعبد الله تعالى بالقراءة (بمجرد القراءة) وذلك عندما نقرأ القرآن الكريم .. فنؤجر بكل حرف من قراءتنا عشر حسنات.

إن القراءة غذاء عظيم للعقل ولذا كانت أول أمر الهي يسمعه البشر.. ليدركوا أهميتها في حياتهم ومعاشهم ومعادهم .. ولا تجد شخصية أحدثت أثرا في التاريخ إلا ولها من القراءة نصيب.

وقد أحسن الشاعر المتنبي وأبدع حينما قرن الكتاب بالفروسية والشجاعة في قوله:







وخير مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

لأن الإنسان من طبعه أن يفتخر بالشجاعة والحكمة..
وسروج الخيل مظنة الشجاعة ، والكتاب مظنة الحكمة.

وهو أفضل جليس لأنه لا يؤذيك بلغو الحديث ولا يصدع رأسك بالجدل ، ولا يجبرك على ما لا تريده.

فهو صامت .. يعطيك ولا يأخذ منك .. وان مللت منه وضعته جانباً .. ولن يغضب منك.

ويمكنك أن تعود إليه متى شئت فتجده مستعداً لخدمتك طائعاً بين يديك وناظريك .. فأين تجد جليساً مثل هذا ؟

إن حب القراءة دليل على وفرة عقل الإنسان رجلاً كان أم امرأة .. ووجود المكتبة في البيت دليل على عقول ساكنيه.

ونحن نجد الآن عزوفاً عن القراءة .. وهذا العزوف أسبابه كثيرة .. منها مثلاً منافسة الفضائيات والانترنت والجوال للكتاب في استهلاك الوقت .. ولذلك يعتذر الكثيرون بأنه لم يعد لديهم وقت للقراءة.

وهذا صحيح .. لم يعد هناك وقت للقراءة ، لأننا نسيء إدارة وقتنا ولا نستثمره بحكمة .. ولو فكرنا بهدوء لاكتشفنا أن لدينا وقتاً أكثر مما نظن ونستطيع استثماره في القراءة.

إن مصاحبة الكتاب تحتاج إلى تربية خاصة من الصغر لأن الذي لا يتعود على صحبة الكتاب واحتضانه في اليقظة والمنام لا يمكن أن يعد في زمرة القراء .. فالقراءة كما قدمنا غذاء للعقل .. وكما انك لا تشبع بوجبة واحدة في اليوم .. فهكذا العقل لا يشبع بكلمات قليلة تستعرضها في اليوم وتظن انك قد قرأت.

هذا في اليوم فما بالك بمن لا يمسك كتاباً ليقرأ في الأسبوع أو الشهر مرة .. ثم يريد أن يغير العالم ؟!



تخيل إنساناً لا يأكل في الأسبوع والشهر غير أكلة واحدة .. ماذا تنتظر من هذا إلا الموت في النهاية ... وهذا الموت لمن يغفل عن ملء بطنه.

ومن يغفل عن ملء عقله سيلاقي مصيراً أسوأ لأن الإنسان إذا مات من الجوع ، غادر الحياة ولم يعد فاعلاً وذهب بخيره وشره.

بينما الإنسان الذي يموت عقله المفكر فقط يعيش في الحياة ولكن بصورة مؤذية .. يؤذي نفسه بجهله .. ويؤذي الآخرين بحماقته ، بل قد يصل شره وحماقته إلى إيذاء الحيوان والنبات وحتى الجماد .. فيعيش مخرباً لمجتمعه ومحيطه ولا يسلم من شره إلا من كان اجهل منه (أحياناً).

وهذا مصير مرعب لكل مجتمع تكون العقول فيه جائعة.

لذلك يحرص المستبدون على إجاعة العقول .. بل قد يجيعون البطون لتنشغل العقول وتجوع هي الأخرى.

فالعقول إذا شبعت تنورت وأصبحت خطراً يهدد المستبد والظالم والمستعمر.

لقد فقدنا فاعليتنا كأفراد وكمجتمعات عندما غفلنا عن القراءة وظننا أن مقابلتنا للتلفاز ومتابعة الفضائيات تغنينا عن القراءة وهذا وهم خطير وقع فيه الكثيرون .. وبدورنا لا نريد لهذا الوهم أن يستمر.

كثيرون يحبون حقيقة أن يكونوا قراءً .. ولكنهم لا يعرفون كيف لأنهم لم يتدربوا من صغرهم على القراءة .. ولا يعرفون أسلوب القراءة الفعال .. ولا كيف يتعاملون مع الكتاب .. أو ماذا يختارون وبماذا يبدؤون .. وهذه أسئلة حائرة كثيراً ما يطرحها الشباب والكبار ممن يريدون فعلاً أن يغذوا عقولهم ، لكنهم لا يعرفون السبيل إلى ذلك.

وقد كان نظامنا التعليمي قديماً يدرِّب التلميذ منذ المرحلة الابتدائية على القراءة وحب الكتاب ، ولا أزال اذكر المكتبة



الصغيرة التي كانت في صفِّنا (في المرحلة الابتدائية) وكانت تحوي مجموعة من قصص الأطفال ، وكان معلم اللغة العربية يخصص لنا درسا في الأسبوع للمطالعة الحرة توزع فيها علينا القصص لنقرأها وتجمع في نهاية الدرس وكان هذا من أحب الأوقات لنا.

وفي المرحلة المتوسطة والإعدادية كان لدينا مكتبة للاستعارة ، نعرف الكتب الموجودة فيها من خلال قوائم معلقة خارج المكتبة .. نكتب اسم الكتاب الذي نريده وندفع مبلغاً زهيداً مقابل الاستعارة (عشرة فلوس) ويبقى الكتاب لأربعة أيام أو أسبوع حسب الطلب عليه .. وهكذا تربى الكثير من التلاميذ على حب المطالعة والكتاب.

هذا النظام افتقدناه في مدارسنا منذ زمن بعيد .. بل الأعجب والأغرب أن مكتبات الجامعات الآن مهملة .. وهي مع إهمالها ترفض إعارة الكتاب أو البحوث للطلبة خوفاً من فقده .. فهل تعجز الجامعة وهي منبع الثقافة في البلد عن توفير نسخ من الكتاب .. في حين تصرف المليارات على أبنية صماء فخمة ندعي أنها كليات .. كليات لمن ؟ لعقول متعبة لا تجرؤون أن تعيروها كتاباً.

لقد سمعتُ بعض طلبة الماجستير والدكتوراه في جامعاتنا يتحسرون على كتاب أو بحث ولا يجدونه ، فلا الأستاذ يعينهم .. ولا مكتبات الجامعة تعينهم .. فكيف نرجو في هذا الجو التعليمي الهابط أن نشيع الثقافة والحرية والعلم ؟

إن نظامنا التعليمي الآن يشيد الأبنية ويهدم العقول .. فكيف نريد أن يتقدم المجتمع ويتغير نحو الأفضل .. هذا لن يكون.

ونحن نأمل أن يراجع العقلاء ويستدركوا ، فالتصحيح ليس مستحيلاً إذا صدقت النوايا.

إن الإنسان الذي لا يقرأ قد حرمَ نفسه من خير عظيم ومتعة لا توصف .. وهو كالشجرة اليابسة بلا أوراق ولا ثمر ، لا يمكنك أن



تستظل بها ولا أن تأكل من ثمرها .. ومع كل هذا ستجرحك بأغصانها اليابسة.

ولا تصلح إلا وقوداً للنار وهذه هي فائدتها الوحيدة في الحياة.





31

...الرتبة الظريفة





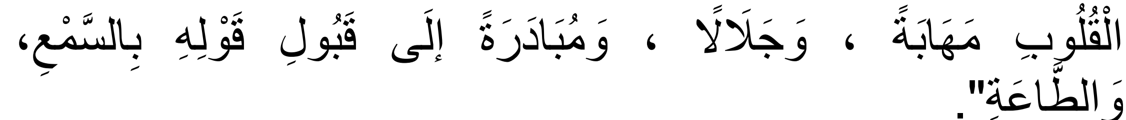
مع إشراق عام هجري جديد أحببت أن أطل معك عزيزي القارئ من نافذة التاريخ ، لنستمتع معاً بقمة رائعة من قمم تاريخنا الثقافي والسلوكي والاجتماعي ، والذي تمثل بوظيفة لطيفة ظريفة كانت موجودة في العالم الإسلامي آنذاك ، وتسمى هذه الوظيفة بالحسبة ، ويسمى القائم بها بالمحتسب ، وهي تقابل في زماننا هذا المراقبين والمشرفين في المهن والصناعات.

وإطلالتنا على هذه المهنة لها طعم خاص كونها تعكس ثقافة المجتمع الإسلامي .. وحضارته .. والتزامه بسلوكيات راقية لا نكاد نجدها الآن إلا نادراً. وسيكون عملي في هذه الإطلالة أن انقل لك مقتطفات من كتاب جميل ألف خصيصا كدليل عمل للمحتسب .. ولن اعلق بشيء لأن كلام المؤلف يغني عن أي تعليق.

اسم الكتاب (نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة) ومؤلفه هو العالم الجليل عبد الرحمن بن نصر ، وقد صنفه على أربعين باباً ، ذكر في كل باب صناعة من الصناعات وما ينبغي على المحتسب تجاهها.

يقول أولاً في صفة المحتسب " لَمَّا كَانَتْ الْحِسْبَةُ أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ ، وَإِصْلَاحًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُحْتَسِبُ فَقِيهًا ، عَارِفًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ ، لِيَعْلَمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ ، وَيَنْهَى عَنْهُ فَإِنَّ الْحَسَنَ مَا حَسَّنَهُ الشَّرْعُ ، وَالْقَبِيحَ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ... وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُحْتَسِبِ ، أَنْ يَعْمَلَ بِمَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَكُونُ قَوْلُهُ مُخَالِفًا لِفِعْلِهِ .. وَيَجِبُ عَلَى الْمُحْتَسِبِ أَنْ يَقْصِدَ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ ، خَالِصُ النِّيَّةِ لَا يَشُوبُهُ فِي طَوِيَّتِهِ رِيَاءٌ ، وَلَا مِرَاءٌ ، وَيَجْتَنِبُ فِي رِيَاسَتِهِ مُنَافَسَةَ الْخَلْقِ ، وَمُفَاخَرَةَ أَبْنَاءِ الْجِنْسِ ، لِيَنْشُرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ رِدَاءَ الْقَبُولِ وَعِلْمَ التَّوْفِيقِ ، وَيَقْذِفَ لَهُ فِي





الْقُلُوبِ مَهَابَةً ، وَجَلَالًا ، وَمُبَادَرَةً إِلَى قَبُولِ قَوْلِهِ بِالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ".

ويضرب لذلك مثلاً فيقول "وَذَكَرُوا أَنَّ أَتَابِكَ طُغْتِكِينَ ، سُلْطَانَ دِمَشْقَ ، طَلَبَ لَهُ مُحْتَسِبًا ، فَذُكِرَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ ، فَلَمَّا بَصرَ بِهِ قَالَ: إنِّي وَلَّيْتُك أَمْرَ الْحِسْبَةِ عَلَى النَّاسِ، بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ.

قَالَ : إنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَقُمْ عَنْ هَذِهِ الطَّرَّاحَةِ ، وَارْفَعْ هَذَا الْمَسْنَدَ ، فَإِنَّهُمَا حَرِيرٌ وَاخْلَعْ هَذَا الْخَاتَمَ ، فَإِنَّهُ ذَهَبٌ . فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ: " إنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي ، حِلٌّ لِإِنَاثِهَا ".

قَالَ فَنَهَضَ السُّلْطَانُ عَنْ طَرَّاحَتِهِ ، وَأَمَرَ بِرَفْعِ مَسْنَدِهِ ، وَخَلَعَ الْخَاتَمَ مِنْ أُصْبُعِهِ ، وَقَالَ: قَدْ ضَمَمْت إلَيْك النَّظَرَ فِي أُمُورِ الشُّرْطَةِ، فَمَا رَأَى النَّاسُ مُحْتَسِبًا أَهْيَبَ مِنْهُ.

" وَلْيَكُنْ مِنْ شِيمَتِهِ الرِّفْقُ ، وَلِينُ الْقَوْلِ ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ ، وَسُهُولَةُ الْأَخْلَاقِ عِنْدَ أَمْرِهِ لِلنَّاسِ وَنَهْيِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي اسْتِمَالَةِ الْقُلُوبِ ، وَحُصُولِ الْمَقْصُودِ ... وَلْيَكُنْ مُتَأَنِّيًا ، غَيْرَ مُبَادِرٍ إلَى الْعُقُوبَةِ ، وَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِأَوَّلِ ذَنْبٍ يَصْدُرُ مِنْهُ ، وَلَا يُعَاقِبُ بِأَوَّلِ زَلَّةٍ تَبْدُو ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ فِي الْخَلْقِ مَفْقُودَةٌ فِيمَا سِوَى الْأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ) وَإِذَا عَثَرَ بِمَنْ نَقَصَ الْمِكْيَالَ ، أَوْ بَخَسَ الْمِيزَانَ ، أَوْ غَشَّ بِضَاعَةً أَوْ صِنَاعَةً بِمَا يَأْتِي وَصْفُهُ فِي أَبْوَابِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْغُشُوشِ ، اسْتَتَابَهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَوَعَظَهُ ، وَخَوَّفَهُ ، وَأَنْذَرَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَالتَّعْزِيرَ ؛ فَإِنْ عَادَ إلَى فِعْلِهِ عَزَّرَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ التَّعْزِيرِ بِقَدْرِ الْجِنَايَةِ ".

" وَمِنْ الشُّرُوطِ اللَّوَازِمِ لِلْمُحْتَسِبِ أَنْ يَكُونَ عَفِيفًا عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، مُتَوَرِّعًا عَنْ قَبُولِ الْهَدِيَّةِ مِنْ الْمُتَعَيِّشِينَ ، وَأَرْبَابِ الصِّنَاعَاتِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِشْوَةٌ ، وَلِأَنَّ التَّعَفُّفَ عَنْ ذَلِكَ أَصْوَنُ لِعَرْضِهِ ، وَأَقْوَمُ لِهَيْبَتِهِ ".



ثم يبدأ الكاتب في استعراض الصناعات وواجب المحتسب تجاهها فيقول:

"وَيَجْعَلُ لِأَهْلِ كُلِّ صَنْعَةٍ مِنْهُمْ سُوقًا يَخْتَصُّ بِهِمْ ، وَتُعْرَفُ صِنَاعَتُهُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِقُصَّادِهِمْ أَرْفَقُ ، وَلِصَنَائِعِهِمْ أَنْفَقُ ، وَمَنْ كَانَتْ صِنَاعَتُهُ تَحْتَاجُ إلَى وُقُودِ نَارٍ ، كَالْخَبَّازِ وَالطَّبَّاخِ، وَالْحَدَّادِ ، فَالْمُسْتَحَبُّ أَنْ يُبْعِدَ حَوَانِيتَهُمْ عَنَّ الْعَطَّارِينَ وَالْبَزَّازِينَ ، لِعَدَمِ الْمُجَانَسَةِ بَيْنَهُمْ ، وَحُصُولِ الْأَضْرَارِ ".

" وَيَنْبَغِي أَنْ يَمْنَعَ أَحْمَالَ الْحَطَبِ ، وَأَعْدَالَ التِّبْنِ ، وَرَوَايَا الْمَاءِ ... وَالرَّمَادِ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ ، مِنْ الدُّخُولِ إلَى الْأَسْوَاقِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ الضَّرَرِ بِلِبَاسِ النَّاسِ ، وَيَأْمُرُ جَلَّابِي الْحَطَبِ وَالتِّبْنِ ، وَنَحْوِهِمْ إذَا وَقَفُوا بِهَا فِي الْعِرَاصِ أَنْ يَضَعُوا الْأَحْمَالَ عَنْ ظُهُورِ الدَّوَابِّ لِأَنَّهَا إذَا وَقَفَتْ وَالْأَحْمَالُ عَلَيْهَا أَضَرَّتْهَا ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَعْذِيبٌ لَهَا وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَعْذِيبِ الْحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَأْكَلِهِ" .

"ويأمر أهل الْأَسْوَاقِ بِكَنْسِهَا وَتَنْظِيفِهَا مِنْ الْأَوْسَاخِ ، وَالطِّينِ الْمُجْتَمِعِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّ بِالنَّاسِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ { لَا ضَرَرَ ، وَلَا إضْرَارَ } ".

ويقول عن الخبازين " يَنْبَغِي أَنْ تُرْفَعَ سَقَائِفُ حَوَانِيتِهِمْ ، وَتُفْتَحَ أَبْوَابُهَا ، وَيُجْعَلُ فِي سُقُوفِ الْأَفْرَانِ مَنَافِسُ ، وَاسِعَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الدُّخَانُ ، لِئَلَّا يَتَضَرَّرَ بِذَلِكَ النَّاسُ ، وَإِذَا فَرَغَ الْخَبَّازُ مِنْ إحْمَائِهِ ، مَسَحَ دَاخِلَ التَّنُّورِ بِخِرْقَةٍ نَظِيفَةٍ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْخُبْزِ ، وَيَكْتُبُ الْمُحْتَسِبُ فِي دَفْتَرِهِ أَسْمَاءَ الْخَبَّازِينَ وَمَوَاضِعَ حَوَانِيتِهِمْ ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ تَدْعُوهُ إلَى مَعْرِفَتِهِمْ ، وَيَأْمُرُهُمْ بِنَظَافَةِ أَوْعِيَةِ الْمَاءِ وَتَغْطِيَتِهَا ، وَغَسِيلِ الْمَعَاجِنِ وَنَظَافَتِهَا ، وَمَا يُغَطَّى بِهِ الْخُبْزَ ، وَمَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَعْجِنُ الْعَجَّانُ بِقَدَمَيْهِ ، وَلَا بِرُكْبَتَيْهِ ، وَلَا بِمِرْفَقَيْهِ ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ مَهَانَةً لِلطَّعَامِ ... وَيَكُونُ مُلَثَّمًا أَيْضًا لِأَنَّهُ رُبَّمَا عَطَسَ أَوْ تَكَلَّمَ ، فَقَطَرَ شَيْءٌ مِنْ بُصَاقِهِ أَوْ مُخَاطِهِ فِي الْعَجِينِ ، وَيَشُدُّ عَلَى



جَبِينِهِ عِصَابَةً بَيْضَاءَ ، لِئَلَّا يَعْرَقَ فَيَقْطُرُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْعَجِينِ ، وَيَحْلِقُ شَعْرَ ذِرَاعَيْهِ لِئَلَّا يَسْقُطَ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْعَجِينِ ، وَإِذَا عَجَنَ فِي النَّهَارِ فَلْيَكُنْ عِنْدَهُ إنْسَانٌ فِي يَدِهِ مِذَبَّةٌ يَطْرُدُ عَنْهُ الذُّبَابَ ".

" وَأَمَّا الْقَصَّابُونَ فَيَمْنَعُهُمْ الْمُحْتَسِبُ مِنْ إخْرَاجِ تَوَالِي اللَّحْمِ مِنْ حَدِّ مَصَاطِبِ حَوَانِيتِهِمْ ، بَلْ تَكُونُ مُتَمَكِّنَةً فِي الدُّخُولِ عِنْدَ حَدِّ الْمِصْطَبَةِ وَالرُّكْنَيْنِ ، لِئَلَّا تُلَاصِقُهَا ثِيَابُ النَّاسِ فَيَتَضَرَّرُونَ بِهَا. وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يُفْرِدُوا لُحُومَ الْمَعْزِ عَنْ لُحُومِ الضَّأْنِ ولا يَخْلِطُوا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ .. وَلَا اللَّحْمَ السَّمِينَ بِاللَّحْمِ الْهَزِيلِ ... وَإِذَا فَرَغَ الْقَصَّابُ مِنْ الْبَيْعِ ، وَأَرَادَ الِانْصِرَافَ أَخَذَ مِلْحًا مَسْحُوقًا ، وَنَثَرَهُ عَلَى الْقِرْمِيَّةِ الَّتِي يُقَصِّبُ عَلَيْهَا اللَّحْمَ ، لِئَلَّا تَلْحَسَهَا الْكِلَابُ ، أَوْ يَدِبَّ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مِلْحًا ، وَإِلَّا فَالْأُشْنَانُ الْمَسْحُوقُ يَقُومُ مَقَامَهُ ".

وللحلاقين نصيب ... يقول رحمه الله:

" وَيَكُونُ الْمُزَيِّنُ خَفِيفًا رَشِيقًا بَصِيرًا بِالْحِلَاقَةِ ، وَيَكُونُ حَدِيدُهُ رَطْبًا قَاطِعًا ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ الرَّأْسَ وَمَنَابِتَ الشَّعْرِ اسْتِقْبَالًا ، وَلَا يَأْكُلُ الْمُزَيِّنُ مَا يُغَيِّرُ نَكْهَتِهِ ، كَالْبَصَلِ وَالثُّومِ وَالْكُرَّاثِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ ، لِئَلَّا يَتَضَرَّرَ النَّاسُ بِرَائِحَةٍ فِيهِ عِنْدَ الْحِلَاقَةِ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْلِقَ الْجَبِينَ وَالصُّدْغَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِالْحَالِ ، وَلَا يَحْلِقَ شَعْرَ صَبِيٍّ إلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّهِ".

أما اصحاب المطاعم ...

" يُؤْمَرُونَ بِتَغْطِيَةِ أَوَانِيهِمْ ، وَحِفْظِهَا مِنْ الذُّبَابِ ، وَهَوَامِّ الْأَرْضِ ، بَعْدَ غَسْلِهَا بِالْمَاءِ الْحَارِّ ، وَالْأُشْنَانِ ، وَأَلَّا يَطْبُخُوا لُحُومَ الْمَعْزِ مَعَ لُحُومِ الضَّأْنِ ، وَلَا لُحُومَ الْإِبِلِ مَعَ لُحُومِ الْبَقَرِ ، لِئَلَّا يَأْكُلَهَا نَاقِهٌ مِنْ الْمَرَضِ فَتَكُونُ سَبَبًا لِنَكْسِهِ. وَيَعْتَبِرُ الْمُحْتَسِبُ عَلَيْهِمْ كَثْرَةَ الْإِدَامِ ، وَقِلَّةَ اللَّحْمِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسُلُّونَ الدُّهْنَ ، وَيُفْرِغُونَهُ فِي الْقِدْرِ ، فَيَطْفُو عَلَى وَجْهِ الطَّعَامِ ، فَيَغْتَرُّ بِهِ النَّاسُ ، وَيَظُنُّونَ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ ".





وعن الحيوانات وتطبيبها يقول:

"وهيَ أَصْعَبُ عِلَاجًا مِنْ أَمْرَاضِ الْآدَمِيِّينَ ، لِأَنَّ الدَّوَابَّ لَيْسَ لَهَا نُطْقٌ تُعَبِّرُ بِهِ عَمَّا تَجِدُ مِنْ الْمَرَضِ وَالْأَلَمِ ، وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى عِلَلِهَا بِالْجَسِّ وَالنَّظَرِ .. فَلَا يَتَعَاطَى الْبَيْطَرَةَ إلَّا مَنْ لَهُ دِينٌ يَصُدُّهُ عَنْ التَّهَجُّمِ عَلَى الدَّوَابِّ بِفَصْدٍ ، أَوْ قَطْعٍ ، أَوْ كَيٍّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَخْبَرَةٍ ، فَيُؤَدِّي إلَى هَلَاكِ الدَّابَّةِ ، أَوْ عَطَبِهَا ".

ولا أتوسع في الاقتباس أكثر من هذا . وحسبي أني فتحت لك هذه النافذة اللطيفة على حضارتنا المنسية .. وعليك فتح باقي النوافذ وتوسيعها حتى تتيقن أن التطور قد بدأ في حضارتنا من مئات السنين ولكننا لم نكمل الطريق.





32

...جيل الناجحين







عندما ندرسُ حياة الناجحين ، نجد أنهم كالمصابيح تومض على فترات متباعدة وأماكن شتى عبر التاريخ .. منهم من أفاد البشرية باختراعاته ، ومنهم من أفاد بمواقفه الإنسانية ، ومنهم من أفاد بتجارته أو صناعته ، ومنهم من أفاد بأفكاره وفلسفته.

وسنجدهم أفراداً وصلوا إلى النجاح بجهدهم الشخصي أو ربما بمساعدة محدودة من الآخرين .. ولذلك فهم قليلون وموزعون عبر الزمان والمكان.

ونحن هنا لا نقصد بالنجاح صورته الجزئية ، بمعنى أن الإنسان ناجح في عمله فقط .. ولكنه فاشل في علاقاته الأسرية والإنسانية ، أو ناجح كزوج رائع رومانسي ولكنه يستجدي معيشته.

ما نعنيه بالنجاح هنا تكامل الشخصية الإنسانية إلى أفضل ما يستطيعه الإنسان رجلاً كان أم امرأة.

أن يكون متوازناً في علاقاته في العمل وفي البيت.

أن يكون متوازناً في كلامه وعمله فلا يدعي ما لا يعمل.

أن يكون متوازنا في عواطفه ومشاعره فلا يبني مواقفه على مشاعر الحب والبغض.

أن يكون متخلقاً بكل ما من شأنه أن يرفع قدره كانسان اختاره الله تعالى خليفة على هذه الأرض ليعمرها ويترك فيها أثرا جميلاً يعقبه بعد موته.

مثل هؤلاء الناجحين لا نجدهم عادة بعدد كبير في زمان واحد ومكان واحد.

ولم نقرأ في التاريخ أنهم وجدوا بعدد كبير وبنماذج رائعة راقية إلا في جيل الصحابة الذين تربوا على عين النبي ﷺ فكيف حصل هذا ؟ ومع انه لم يتكرر ولكنه حصل.



وإذا أردنا أن نصف جيلاً في التاريخ بأنه جيل النجاح برجاله ونسائه .. بشيبه وشبابه .. بكباره وصغاره ، لقلنا وبكل ثقة بأنه جيل الصحابة.

وروعة هذا الجيل مع وصوله إلى السقف الأعلى من التميز البشري ، إنما كان بسبب عظمة المربي .. النبي الكريم الذي تكفل بتربية هذا الجيل وهو الذي قال عن نفسه:

"أدبني ربي فأحسن تأديبي" ..

وقال عنه الحق تبارك وتعالى شهادةً لهذا الكلام وتأكيدا له:

﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾.

فلا نعجب من جيل كامل يصل إلى مرتقى النجاح لأنه تربى على يد نبي ، ربّاه الله تعالى وأدبه .. فهي تربية ربانية نبوية .. فما ظنك بها وماذا تنتج غير الناجحين؟

لذا لا تجد صحابياً إلا وقد ترك أثرا من قول أو فعل تناقلته الأجيال وتربت عليه واستفادت منه إلى يومنا هذا والى ما شاء الله تعالى.

والنبي ﷺ حينما ربى صحابته علمنا الطريق والطريقة ..

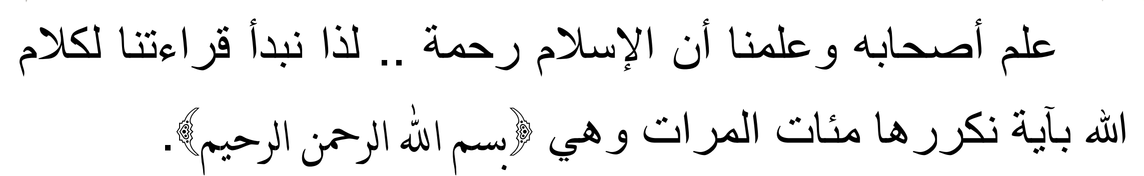
علمنا كيف نصل إلى القلوب ونساعد الآخرين على التغيير والوصول إلى النجاح .. علمنا الكثير في قوله وفعله وتقريره ..

إضافة إلى أنه كان قرآناً يمشي على الأرض كما وصفته سيدتنا عائشة رضي الله عنها .. يفسر آيات الله بقوله وفعله ويجسدها حتى تتحول إلى واقع يعيش بين الناس يأنسون بها ويطبقونها بكل يسر وسهولة.

ولذا كان يوجه أصحابه الكرام دائماً بقوله:

"يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا".





علم أصحابه وعلمنا أن الإسلام رحمة .. لذا نبدأ قراءتنا لكلام الله بآية نكررها مئات المرات وهي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

اختار الله تعالى هاتين الصفتين " الرحمن الرحيم " ليركز في عقولنا ونفوسنا أن الإسلام رحمة .. حتى عندما يعاقب .. فانه يعاقب ليبعد الإنسان عما يضره في الدنيا والآخرة لا لينتقم منه.

ولذا وصف الحق تبارك وتعالى مهمة النبي ﷺ بأداتي نفي وحصر ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .. رحمة خالصة لا غير .. رحمة في كل شيء حتى مع الحيوان والجماد.

وعلم أصحابه وعلمنا أن الإسلام دين عمل لا دين كسل والعمل قرين النجاح بقوله ﷺ:

" إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"

وعلم أصحابه وعلّمنا أن الإسلام دين عقل وفكر لا يخشى من الأفكار المنحرفة بل يواجهها بالحجة والبرهان ، لأن الله تعالى قد أعطاه حججا لا يملكها غيره.

وارتقى بالتحدي الى أقصى حد ﴿قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين﴾ شجاعة ومواجهة وتحد بالعقل وعلى المقابل أن يثبت.

علم أصحابه وعلمنا أن الإسلام حرية لا عبودية فيه لغير الله تعالى.

لا عبودية فيه لشخص أو لمؤسسة أو لحزب أو لفكرة.

حرية في الكلمة المؤدبة وحرية في الفعل والتصرف بما لا ينافي الذوق والمشاعر والآداب ولا يؤذي الآخرين " لا ضرر ولا ضرار ".



علم أصحابه وعلمنا أن الإسلام قوة.

لا يقبل بالدون من الأشياء ، فلا ينبغي أن يرضى المسلم بالدون من العلم أو بالدون من الصناعة والزراعة والثقافة .. الخ

قوة في كل شيء وارتقاء وعلو في كل مجالات الحياة " إن الله كتب الإحسان على كل شيء.. ".

في أي مجال لا يرضى المسلم إلا بالأحسن ، وكلما وصل إلى الأحسن طلب ما هو أحسن منه .. وهكذا هو في ارتقاء لا يتوقف.

هذه خطوط عريضة تصلح أن تكون عناوين لطرق النجاح التي ربى النبي ﷺ صحابته الكرام عليها .. والتفاصيل كثيرة.

فماذا بقي من الوسائل الموصلة إلى النجاح ؟

لقد أحاطت التربية النبوية بكل ما من شانه أن يصنع فرداً ناجحا وأمةً ناجحة بالمعنى المتكامل للنجاح .. عقل .. وفكر .. وعمل .. وشجاعة .. وحرية .. وطلب للأحسن دائماً .. وكل ذلك في دائرة من الرحمة والتواضع .. ولذلك لا نعجب عندما نقرأ عن جيل كامل من الناجحين صاحب هذا النبي الكريم.

ويبقى الدور علينا نحن الذين لم نسعد بهذه الصحبة الشريفة التي لا يعوض عنها شيء ولا يساوي فضلها شيء.

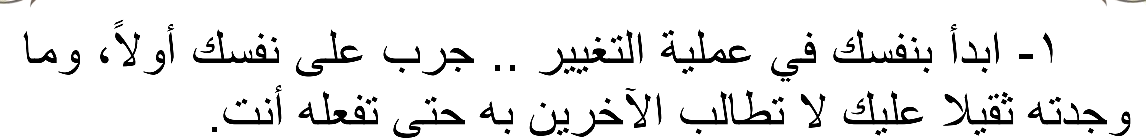
هل من الصعب علينا أن نصل إلى مستوى النجاح الذي وصله ذلك الجيل من الصحابة الكرام؟

قطعاً لا .. لأن الله تعالى قدّر أن يكون هذا الدين مصنعاً للناجحين في كل زمان ومكان .. وبين أيدينا نحن المسلمين كم هائل من الكنوز لا زلنا قاصرين عن استغلالها والانتفاع بها.

ويبقى السؤال كيف ؟

وهذا السؤال من أهم الأسئلة ولن أوفي الجواب حقه هنا .. ولكن سأذكر إشارات تفيد كل من يبحث عن النجاح ليتوسع فيها ويضيف ويدقق:





١- ابدأ بنفسك في عملية التغيير .. جرب على نفسك أولاً، وما وجدته ثقيلا عليك لا تطالب الآخرين به حتى تفعله أنت.

٢- لا تنفصل بمشاعرك وأحاسيسك عندما تقرأ سيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام .. استشعر الفرح إذا قرأت موقفا أفرحهم .. واستشعر الحزن في موقف أحزنهم . باختصار عش الموقف حتى تفهمه وتستوعبه.

٣- إن النجاح حاصل جمع خبرات ومهارات وتوفيق من الله تعالى .. وليس أصباغا نتلون بها فإذا قرأت مثلاً أن سيدنا عمراً كان قويا مهيباً .. فاعلم أن القوة ليست في عصاه أو شجاعته فقط .. بل في نفسه العفيفة ورحمته السامية فإذا غضب عرف من حوله أن هذه غضبة حليم وليست غضبة ارعن (حاشاه) .. وهذه هي التي تصنع المهابة وليست العصا.

٤- تخيل في كل موقف يشكل عليك ولا تعرف كيف تتصرف فيه .. لو كان النبي ﷺ حاضراً هذا الموقف ماذا كان سيقول أو سيفعل؟

٥- عامل الناس بخلق الرحمة والتسامح والإيثار وهذا سيكلفك الكثير من أعصابك وتحملك.. ولكن استعن بالله فالنجاح له ثمن.

٦- احترم رأي الآخرين لأنك مهما بلغت من العلم فأنت قاصر جاهل بأضعاف ما تعلمت.

٧- إذا أردت الوصول إلى النجاح في كل ما ذكرت لك .. أجهد نفسك بالقراءة في الأدب والتاريخ والسير والشعر وما تستطيع أن تقرأه في كل المجالات التي تفهمها وتستوعبها .. لأن التغيير والنجاح يحتاج إلى أطنان من الأفكار والخبرات لكي تستخرج منها غرامات قليلة تنفعك.

وأخيراً أهنئك بمناسبة مولد من أهدانا النجاح في الدنيا والآخرة وعلمنا طرائقه ويسره علينا ﷺ.





33

...الحرية البيضاء







حينما بدأ عصر الثورات في منتصف القرن الماضي وبدأت الدول العربية والإسلامية تتحرر الواحدة تلو الأخرى شاع في أدبياتنا بيت شهير لأمير الشعراء أحمد شوقي كنا نسمعه ونردده دائما يقول فيه:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يُدق

وقد صدق الشاعر فحرية الشعوب تحتاج إلى التضحية بالدماء وهذا ما دعاه إلى أن يلون الحرية باللون الأحمر (لون الدم) ..

ولكن مع مرور السنين اكتشفنا أن (الحرية الحمراء) لوحدها غير كافية للتخلص من العبودية للأقوياء والمتنفذين في هذا العالم .. ولا بد من التسامي إلى نوع آخر من الحرية له لون آخر ووسائل أخرى.

فالطاغية المستبد يعلم قبل غيره أن سلطانه سيزول يوماً ما .. طال الزمان أم قصر. ولا يوجد في التاريخ شعبٌ حيٌ بقي تحت نير الاستعمار والعبودية.

ولذلك فكر المحتل والطاغية بنوع آخر من العبودية أبقى وأدوم، ويضمن من خلالها تحقق مصالحه بدون خسائر وبدون أن يعرض نفسه لمواجهة الحرية الحمراء.

ومن هنا بدأ يفكر بغزو العقول والقلوب بوسائل محببة مبهرة، تمكن له فيما بعد وبسهولة بالغة أن يغزو الأراضي والأجساد .. وحينذاك لن يفكر احد بمواجهته كالحال التي كان يتعرض لها من قبل.

واستعباد العقول والقلوب هو نوع جديد لا ينفع معه اسلوب (الحرية الحمراء). بل يتطلب منا مواجهته بأن نفكر بنوع من أنواع الحرية هو أعلى وأسمى .. أسميتها:





الحرية البيضاء

إذا كان لا بد من تلوينها..

فإذا كانت الحرية الحمراء دلالة على التضحية والدماء.. فالحرية البيضاء دلالة على الفكر والعقل .. فكما أن لون الدم الأحمر هو الطاغي على القلب الذي يؤجج المشاعر ويشعل الحرية الحمراء ، فان اللون الأبيض يغلب على الدماغ الذي هو آلة العقل.

لقد بقينا لمئات السنين غافلين عن هذا النوع الرفيع من الحرية حتى فاجأتنا (العولمة) بمصطلحاتها وتطبيقاتها في السنين الأخيرة من القرن العشرين فانتبهنا الى أننا نسير في طريق التقليد والتبعية لكل ما يأتي من هناك ، من الغرب ، من سادة العلوم والثقافة وتحديداً من أمريكا.

واوكد على أمريكا لأنها امبراطورية العصر .. ولأنها لا تمثل بثقافتها تهديدا لنا ، فقط بل هي تهديد حقيقي حتى للدول الأوربية الاستعمارية الأخرى.

حيث غزتها بثقافتها وفنونها وأسلوبها في الحياة .. ولأن هذه الدول سبقتنا بحرية الفكر ، بهذه (الحرية البيضاء) لذا فهم قد انتبهوا قبلنا بكثير لهذا التهديد.

حتى صرح وزير الثقافة الفرنسي يوماً بأنه خائف من وقوع الشعب الفرنسي ضحية للاستعمار الثقافي الأمريكي.

فكيف حالنا نحن الآن وهذه فرنسا .. بلد الفن والثقافة تشعر بالتهديد الثقافي وليس أي دولة .. وكرَّر هذه المقولة كثير من المثقفين في الغرب الأوربي.

فهم يعلمون أن غزو العقول من أخطر أنواع الغزو.

ونعود لنقطة البداية لنتعرف على هذه الحرية البيضاء.

إن الإنسان لا يمكن أن يعتبر حراً إلا إذا كان حرَّ العقل والفكر .. وخلاف ذلك فهو عبد مهما كان في الظاهر يبدوا حراً طليقاً.



لذلك مكث النبي ﷺ خمسة عشر عاماً في مكة يعلم أصحابه ويدعوا الناس إلى هذه الحرية .. الحرية البيضاء .. حرية الفكر .. يعلمهم أن لا يكونوا عبيداً للحجارة ، أو للأسياد ، أو للشهوات ، يعلمهم أن ينطلقوا بفكرهم فيتعرفوا على خالقهم ، فإذا عرفوا مصدر القوة الحقيقية في هذا الكون فلن يغلبهم أحد ولن يكونوا عبيداً لأحد.

لذلك كان يقول لطواغيت قريش "قولوا كلمة واحدة تسودوا بها العرب وتدين لكم بها العجم"..

ولكنهم أبوا إلا أن يكونوا عبيداً لتراثهم ومصالحهم .. ولذلك أكلهم التراب ولم يذكرهم احد.

ولم ينتقل رسول الله ﷺ بأصحابه إلى طلب (الحرية الحمراء) إلا بعد أن أتقنوا فعلاً العيش بالحرية البيضاء وتشبعت بها نفوسهم .. فلم يعودوا عبيداً لشخص أو فكرة أو شهوة.

لذلك عندما طرقوا الأبواب بعد ذلك فتحت لهم بسهولة.

إن الدنيا لا تُسلّم كنوزها للعبيد لأنهم ليسوا أهلا للانتفاع بها .. والناس لا يُسْلِمون قيادهم للعبيد .. لأن البشر بطبعه يحب القوة ويعشقها.

فإذا اجتمع لفرد أو دولة حرية الفكر وحرية الجسد انقاد لها الآخرون.

وكي لا تختلط الأمور على البعض .. سأوضح ما أعنيه بحرية الفكر.

ما أعنيه بحرية الفكر هو: أن لا تؤمن بفكرة وتدافع عنها إلا بعد تقليب النظر بها ، والسؤال عنها والاستفادة من عقول الآخرين وخبراتهم فيها.

بل أكثر من هذا .. حتى لو اقتنعت بعد اعمال الفكر والنظر وبذل الجهد في التقصي .. وتوصلت أن فكرتك هي الحق الذي لا



باطل فيه .. يجب أن تُبقى هذه الفكرة خاضعة للمراجعة والتعديل والتبديل ، ولا تجعل عقلك يجمد عندها.

فقد يأتي الزمان بشيء جديد لم تكن تعلمه من قبل .. وقد حدث هذا كثيراً في تاريخ البشر .. كانت لديهم مسلمات تصل الى درجة العقيدة ثم بتقدم العلم أتى ما يفندها.

وقصة كروية الأرض ومركزها في الكون دليل على ما أقول.

فان درّبتَ عقلك على هذا الأسلوب في التفكير فلن تندم أبداً ..

إن العقل هو الأداة التي وهبنا إياها الحق تبارك وتعالى لنستخدمها في التعرف عليه وعبادته ومن ثم عمارة الأرض .. ولا يمكن أن نستخدمها إن قيدناها بقيود وهمية.

وهل يمكنك استخدام يديك إن كانتا مقيدتين؟ .. كذلك العقل لن يخدمك إلا إذا حررته من العبودية للأفكار والأشخاص والأشياء.

لقد علَّمنا الحق تبارك وتعالى أن نناقش أخطر الأمور في الكون بحرية مطلقة.

مثلاً: ليس هناك اخطر من فكرة التوحيد واثبات وجود الخالق عز وجل؟ فهي التي تحدد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة إلى أين هو ذاهب في حياته وبعد مماته.

ومع خطورة هذه المسألة ، ومع أن الخالق تبارك وتعالى أرسل الرسل وأيدهم بالمعجزات المادية ليقنع بها باقي الحواس عند الناس .. إلا أنه أكَّد في غير موضع من القرآن الكريم أهمية النظر في آيات الكون والخلق بل وفي خلق الإنسان نفسه .. للوصول إلى اليقين بالخالق وتوحيده.

وتحداهم أن يثبت احدهم العكس .. وتم هذا البيان وهذا التحدي بحرية لا مثيل لها .. لتكون القناعة دائمة ومستمرة وحرة لا يمكن أن يهزها شيء.





﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

كل هذه دروس لنا .. تُعلمنا أنه في اخطر قضية لم يمنع الحق تبارك وتعالى العقول من أن تناقشها .. لتؤمن بدون ضغط أو إكراه لأنه ﴿ لا إكراه في الدين ﴾.

وكل فكرة أو قضية غير هذه فهي أهون واقل شأناً فكيف يحق لأحد أن يمنع النقاش والرأي فيها.

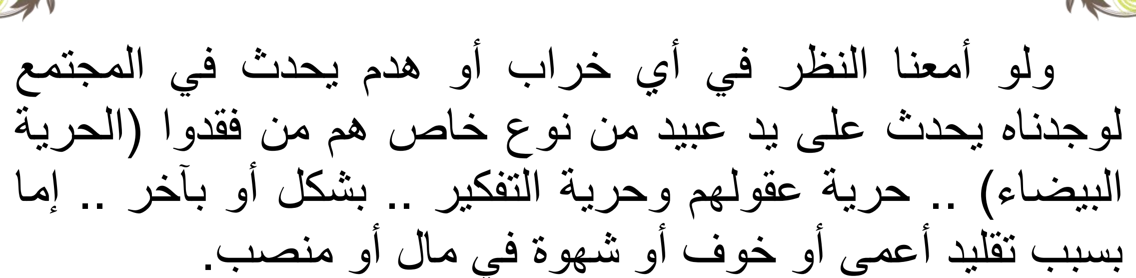
ومن هنا نقول إن الحرية خطوة أولى لكل نجاح في الحياة .. ولكل ناجح يريد التأثير والتغيير .. لأننا لم نسمع عن عبد غيَّر أو أضاف لهذه الدنيا شيئاً إلا اذا تحرر أولاً .. ولكي تتحرر الأجساد لا بد أن تتحرر العقول أولاً.

وقد خلقك الله تعالى حرَّ العقل والجسد فاحذر أن يستعبد عقلك أحد مهما كان.

إن عبودية الجسد أمرها هين وهي لا تدوم غالباً .. ولكن عبودية العقل تدوم وهي تَمسُخُ الإنسان وتحوله إلى آلة تعمل دون تفكير.

وقد يستطيع عدوك أن يستعبد جسدك ولكنه لن يقدر أن يستعبد عقلك إلا إذا أردت ذلك وتركت له المجال.





ولو أمعنا النظر في أي خراب أو هدم يحدث في المجتمع لوجدناه يحدث على يد عبيد من نوع خاص هم من فقدوا (الحرية البيضاء) .. حرية عقولهم وحرية التفكير .. بشكل أو بآخر .. إما بسبب تقليد أعمى أو خوف أو شهوة في مال أو منصب.

يُضحون بحرية عقولهم ليريحوا أجسادهم ، أو ليحققوا أحلامهم (هكذا يظنون) .. ثم يكتشفون بعد مضي العمر أنهم فقدوا عقولهم وأجسادهم.

لا شيء يجلب السعادة إلى الإنسان مثل شعوره بالحرية..

ولا شيء يعدل حرية العقل والفكر..

ويجب أن نعي أن كل محتل أو طاغية إذا انفق ديناراً لكسب الأرض فانه ينفق بالمقابل الملايين ليكسب العقول .. لأن التاريخ علمهم أن هذا الاحتلال أنفع وأدوم وأسهل في تحقيق أهدافهم..

فهل تعلمنا نحن .. وهل وعينا الدرس؟

كم من الأموال ننفقها لنحرر عقولنا ونطورها ونكسبها مهارات جديدة ؟

كم نبذل من الجهد لنستفيد مما وصل إليه الآخرون من إبداع وتقدم ؟

لا زلنا امة مستهلكة غير منتجة .. ولا يمكن أن تكون المؤسسات والمعامل والشركات في بلادنا منتجة ما لم تكن عقولنا أولاً منتجة.

ولن تكون عقولنا منتجة ما لم نحررها من التقليد والجمود .. ونحررها من الخوف من الرأي الآخر.

وإلى أن يحين ذلك الوقت سنبقى نطرق باب الحرية البيضاء بعقولنا وأفكارنا..

ولا بد أن يفتح هذا الباب يوماً ما.





34

...إختبار لا امتحان







مَنْ الكلمات التي سادت في مصطلحاتنا التربوية والأكاديمية كلمة (الامتحان) .. وهي من أكثر الكلمات التي تسبب خوفا بل رعباً عند أي طالب وفي أي مرحلة كان .. سواء كان طالب ابتدائية أم ثانوية أم كلية.

لقد استقر في أذهاننا أن كلمة الامتحان اسم على مسمى فهي تحمل كل معاني المحنة وشروحها وصورها.

وهذا ما تربينا عليه منذ أن كنا في رياض الأطفال نتعلم باللعب .. فحين يأتي موعد الامتحان فهذا يعني أنك إما ستُكرم أو ستُهان .. ومن الذي يرضى بالهوان ؟

واستمر هذا الشعور يكبر معنا كلما كبرنا ولم يفكر أحد من أساتذتنا الأفاضل رغم باعهم الطويل في التربية أن يغيروا هذه الكلمة والمعنى المتعلق بها .. فبقي الامتحان نتيجته كرامة أو امتهان.

وبما أن الإنسان بطبعه يعشق العزة ويرفض أن يهينه أحد ... لذا فان طالبنا العزيز قد يلجأ إلى كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لدفع الاهانة عنه ، فيغش ويكذب ويتمارض ، كل لك ليحصل على درجة النجاح ، ولا يهم بعد ذلك إن كان قد فهم ما امتحن فيه أم لا.

فلا الأهل يهمهم فهم الطالب لمقرراته الدراسية ولا المعلم ولا أستاذ الجامعة ، الكل يبحث عن درجة النجاح والتفوق أما الفهم فمسألة لا شأن لنا بها.

لذا لا نعجب أن وصلنا إلى مستوى مبتذل من التعليم إلى حد أن طالب الماجستير أو الدكتوراه لا يتوانى عن سرقة موضوع لرسالته ، ووضع اسمه عليه مع تغييرات طفيفة حتى لا تكتشف السرقة .. وهذا (الدكتور) هو الذي سيخرج الدكاترة بعده وهم



الطبقة الفكرية الراقية التي قد تصل إلى المناصب وتتحكم في عباد الله.

ورغم الأسباب العديدة لهذا التخلف والابتذال في التعليم إلا أن أبرزها هو قضيتين:

الأولى: أننا جعلنا الدرجة دلالة على الذكاء والنجاح وأن الأذكى هو الأعلى درجة والأغبى هو الأقل درجة.

الثانية: أنا جعلنا من الاختبار امتحاناً بكل معنى الكلمة حتى إن بعض الأساتذة يتلذذون برسوب طلابهم وتقليل درجاتهم وهذا مرض عقلي بالدرجة الأولى قبل أن يكون مرضاً نفسياً.

وأتمنى أن تلغى مفردة الامتحان من التداول ونعلم طلابنا على مفردة الاختبار .. لأن تغيير هذه المفردة بحد ذاته له تأثير نفسي لا ينكر على نفوس الطلاب.

فكلمة الامتحان تهدد الطالب بأنه مقبل على محنة كبيرة قد لا ينجوا منها ، بينما الاختبار لا يعطي انطباعاً بهذا التهديد فهو في النهاية قياس للخبرة ، فالطالب عنده خبرة بالمادة لا شك في هذا فهو قد درس وسهر الليالي ، وحين نُقر للطالب بأنه قد امتلك هذه الخبرة في المادة التي درسها فهذا يعطيه دفعة معنوية كبيرة ويبقى أن نقيس هذه الخبرة.

وعندما نقيس خبرة الطالب **(باختباره لا امتحانه)** سنجد أن عنده خبرة في المادة تصل إلى ستين في المائة وآخر تصل خبرته إلى تسعين وربما مائة بالمائة .. وهنا ستختلف نظرتنا ونظرة الطالب للأمر .. لأن القضية لم تعد درجة تشير إلى الذكاء أو الغباء بل درجة تقيس الخبرة.

وحتى الذي يحصل على درجة خمسين في المائة فهو يمتلك نصف الخبرة المطلوبة وليس غبياً.

وهذا الكلام ليس تشجيعاً على التكاسل وعدم التميز في الدرجات .. بل هو تصحيح لمفهوم خاطئ زرعه الاستعمار



الفكري لبلادنا ولا زال سارياً في حين رفضته المؤسسات التعليمية في الغرب منذ زمن بعيد.

المؤسسة التعليمية الرصينة تختبر ولا تمتحن ، وهذا ما أدى في الغرب إلى تفضيل التقني الذي يملك شهادة بسيطة ولكنه بارع في فنه (وليس في درجاته) على حامل الدكتوراه الذي لا يجيد عمله ، لأن المؤسسات هناك تتعامل مع خبرة الشخص ولا تمتحنه لتقيمه بالدرجات التي يحصل عليها.

عندما كانت الشركات الأجنبية تعمل في العراق أوائل السبعينات من القرن الماضي كان بعض العراقيين الفنيين يرسلون إلى الخارج في بعثات لتطوير مهاراتهم ، وقد روى لي أحد العاملين (وكان عمله في لحام المعادن) وهو لا يملك شهادة عليا .. أن احد المهندسين الأجانب كان يراقبه بدون أن ينتبه ، كيف يقوم بعمله في لحام المعادن ، وفي إحدى المرات انتبه إلى هذا المهندس وهو واقف وراءه يرقب عمله فلما التفت إليه قال له المهندس:

- أنا كنت أراقب عملك وانتبه إلى مهارتك في التعامل مع المعادن وأنا أقدم لك عرضاً في أن تبقى وتتعين في شركتنا بالراتب الذي تقترحه أنت.

وحينما أعود بذاكرتي إلى الماضي واحسب كم امتحاناً قد تجاوزت طيلة حياتي الدراسية .. واستشعر الحالة التي كنت أعيشها قبل كل امتحان .. أرثي حقيقة لطلابنا المساكين وما يلاقونه في حياتهم الدراسية .. لأننا على الأقل أدركنا في ما عشناه من أيام بقية إخلاص وتفان عند مدرسينا ، قد أصبحت في هذه الأيام نادرة جداً.

ومع ذلك كلما التقيتُ بأستاذ مدرسي أو جامعي أسمعه يشتكي من مستوى الطلبة المتدني .. ولا أسمع أحدا يلوم نفسه أنه مقصر مع هؤلاء الطلاب .. ومع هذا فهو مصر بان (يمتحنهم) بكل أنواع المحن .. ثم يضطر في نهاية الأمر أن يضيف من الدرجات ما شاء



ليحصل على نسبة النجاح التي تنجيه من العقوبة أو اللوم من المشرفين أو الوزارة.

وهكذا يَعبُر الطالب من مرحلة إلى أخرى دون فهم حتى يتسلم يوماً ما منصباً رفيعاً في هذا البلد المنكوب ... فماذا نتوقع أن يفعل؟ ستبقى عقلية الامتحان تلاحقه ويبدأ بامتحان الناس وامتهانهم في معاملاتهم وأرزاقهم وكرامتهم.

ربما كان من المنتظر أن اكتب نصائح لطلابنا الأعزاء كيف يذاكروا وينجحوا في **(امتحاناتهم)** والنصائح ممكنة وموجودة .. ولكن الأهم من ذلك المناخ النفسي الذي يجعل من هذه النصائح طرقاً فعالة ونافعة.

وأول ما أرجوه من الآباء والمعلمين أن يصححوا هذا المناخ النفسي في البيوت والمدارس والجامعات ، أن يستبدلوا كلمة (الامتحان) المهينة بكلمة (الاختبار) الأنيقة .. حتى يشعر طلابنا أنهم ليسوا مقدمين على محنة .. بل هم قد اكتسبوا خبرة لا باس بها وعلماً نافعاً والدرجات التي سيحصلون عليها هي مقدار ما كسبوه من هذه الخبرة .. وليس مقياساً لذكائهم.

وهنا أوصي طلبتنا الأعزاء أن يتهيؤوا لاختباراتهم بأن يقرؤوا بنية طلب العلم ، لكي تتغذى عقولهم ويكونوا أهلا لقيادة هذا البلد في المستقبل .. ويكسبوا الأجر والثواب على جهدهم وتعبهم.

وأن يبدؤوا بقراءة أحب المواد الدراسية إليهم لأنهم سيفهمونها بسرعة ويستفيدوا من الوقت الإضافي للمواد الأخرى.

وأن يكثروا من الدعاء وطلب التوفيق من الله تعالى والمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، فالصلاة بخشوع خير مدرب للطالب على التركيز وصفاء الذهن.

وأن يبدؤوا اختبارهم بالدعاء المأثور "اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت" وغيره من الأدعية ، قبل أن ينظروا في ورقة الاختبار.



وأن لا يسهروا ليلة الاختبار .. وفي الصباح يكفي تقليب الأوراق فقط والنظر في العناوين .. ثم الذهاب إلى الاختبار بنفس واثقة مطمئنة.

تمنياتي للجميع باختبارات مريحة ونتائج متميزة.





35

...مهم ... غير عاجل





منذُ أن بدأت القراءة في مهارات النجاح أعجبني كثيراً مربع الأولويات الذي ذكره الكاتب العالمي ستيفن كوفي في كتابه الرائع العادات السبع للناس الأكثر فاعلية.

وقد صنف الأنشطة تبعاً لأهميتها وعجالتها ، إلى أربع أصناف كما في الجدول التالي المقتبس من كتابه المذكور:

مصفوفة إدارة الوقت

	عاجل	غير عاجل
مهم	١ الأنشطة: الأزمات المشاكل الملحة مشروعات محدودة بمهلة زمنية	٢ الأنشطة: المنع ، أنشطة (ق !) بناء العلاقات إيجاد فرص جديدة التخطيط ، إعادة الابتكار
غير مهم	٣ الأنشطة: المقاطعات، بعض المكالمات الهاتفية ، البريد ، بعض التقارير ، بعض المقابلات ، أمور ملحة وشيكة أنشطة عامة	٤ الأنشطة: أمور غير مهمة ، الانشغال بالعمل بعض البريد بعض المكالمات الهاتفية مضيعو الوقت الأنشطة المبهجة

وأهمية هذا التقسيم تكمن في واقعيته وبساطته وخطورة النتائج المترتبة عليه.

فالملاحظ أن أغلب الناس يقضون أعمارهم في صراع مع مشاكلهم **(المربع١)** .. أو يهربون من هذه المشاكل فيضيعون أعمارهم في لهو ولعب **(المربع٤)** .. أو يقومون بأعمال وهمية لا تجدي نفعا ويسجلونها كإنجازات لهم **(المربع٣)**.



وهذه الحالات الثلاث تستهلك الإنسان وتجعله يعيش في دوامة أو في إحباط مستمر .. **خاصة إذا اقترن هذا مع الغفلة عن المربع الثاني الذي هو القاسم المشترك بين كل الناجحين في كل العصور والأماكن.**

والسؤال هو لماذا هذا المربع الثاني هو الأهم ؟ مع أن المربع الأول هو مهم أيضا وعاجل.

لأن المربع الأول بطبيعته لا يقبل التأجيل ، لذلك لا تستطيع إهماله .. مثلاً عندما تشعر بألم في احد أسنانك ولا تحتمل هذا الألم ستضطر للذهاب إلى الطبيب ولن تؤجل ، لأن الألم موجود وغير محتمل فهذه الحالة مهمة وعاجلة .. ولكن بالمقابل الاهتمام بنظافة الأسنان يوميا بالفرشاة والمعجون وحمايتها مما يؤذيها ، هي عملية مهمة ولكنها غير عاجلة .. لذا قد تنسى تنظيف أسنانك أياماً ولا تشعر بالخطر.

لكن لو افترضنا أنك التزمت بتنظيف أسنانك ، والتزمت بوقايتها مما يؤذيها ... **(وهذا العمل مهم وغير عاجل)**، هل سيفاجئك الألم ويمنعك من النوم ، وهل ستضطر إلى ترك عملك مع أهميته للذهاب إلى الطبيب؟

قطعاً لا.

المربع الأول: هو مربع الأزمات ومن يعش حياته في هذا المربع سيبقى في ضغط دائم .. وستكون حياته ردود أفعال مستمرة .. وكلما انتهى من مشكلة سيبدأ بأخرى.

ولا يعني هذا أن الإنسان الناجح ليس عنده أمور مهمة وعاجلة .. ستبقى هذه الأمور موجودة ولكنه بتخطيطه المسبق (في المربع الثاني) سيقلل من حجمها إلى أقصى الحدود.

المربع الثالث: مربع العاجزين الذين يوهمون أنفسهم بالإنجاز .. فتراهم يقضون الساعات الطوال في اجتماعات لا طائل من ورائها .. ويستهلكون أعمارهم في نشاطات هي في ظاهرها



انجاز وفي حقيقتها عبث بالوقت وخداع للنفس .. وحينما تلتقي بشخص من هذا النوع تجده يفخر مثلاً بأنه حضر في الصباح مؤتمراً للبيئة وناقش بعد الظهر اقتصاد السوق وفي المساء لديه أمسية شعرية...الخ

ثم ماذا !!

المربع الرابع: يمثل حياة اللاهين والمحبطين والذين يهربون من المربع الأول لينسوا الضغوط والمشاكل التي تحيط بهم، وهؤلاء من باب أولى لا يفكرون أبداً بالمربع الثاني.

ما هو التصرف الصحيح مع الحالات الأربع؟

المربع الثالث والرابع يفترض أن تبتعد عنهما ، إن كنتَ تبحثُ عن النجاح.

حاول تقليص المربع الأول إلى أضيق نطاق لكي تسيطر على وقتك وحياتك.

وتوسَّع في المربع الثاني واهتم به قدر ما تستطيع .. وانتبه إلى أن اخطر شيء في المربع الثاني هو كونه غير عاجل ، وهنا قد تقع في مصيدة التسويف ، وإذا سوَّفت ستجد نفسك في المربع الأول حتماً .. كالطالب الذي يسوف في الدراسة حتى يدركه الامتحان .. أو كما ضربنا لك مثلاً بالاعتناء بأسنانك.

عندما تركز على الأمور المهمة غير العاجلة ستخطط لمستقبلك على مستوى العائلة .. العمل .. العلاقات الشخصية .. الآخرة .. أي شيء وكل شيء.

وستبتعد عن الأزمات ، وتضييع الوقت ، وخداع النفس

﴿ .. وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.





36

...وَباءُ الإلغاء







أخطرُ ما يواجه المجتمعات هي الأوبئة .. وعادة ما يبدأ الوباء بأشخاص معدودين ثم ينتشر انتشار النار في الهشيم.

وغالبا لا تتمكن الحكومات وأجهزتها الصحية من السيطرة بسرعة على مثل هذه الأوبئة إلا بعد أن يَهلك الكثير .. ومن هنا جاءت خطورتها فهي ليست مرضاً عادياً يصيب أفراداً محدودين.. بل هي وباء ينتشر انتشار الريح فيشمل الجميع.

وفي عالم الأخلاق والسلوك هناك أوبئة تصيب المجتمعات كالأمراض تماماً ، تنتشر بين الناس بسرعة حتى تصبح ثقافة سيئة تميز شعبا عن آخر أو تميز مجتمعا عن آخر.

وخطورة الأوبئة في عالم الأخلاق اشد من خطورتها في عالم الأجساد لسبب بسيط ، وهو أن المرض الجسدي يهرب منه الجميع ويبحثون عن الوقاية منه .. وإذا أصيبوا به يفعلون المستحيل للحصول على العلاج .. كما إن المرض أمر ظاهر للعيان لا يخفى وخاصةً إذا كان وباءً.

بينما في عالم الأخلاق والسلوك يكون الوباء خافياً لا يلاحظه إلا قلة نادرة في المجتمع ، ويبقى في عالم الخفاء حتى بعد أن يستشري بين الناس .. ولكن خفاءَه أو بالأصح (إخفاؤه) يكون عن عمد ، ويصبح ثقافة يستأنس بها الجميع ويمارسونها دون تحفظ.

وزيادة على ذلك لا يعترف بوجوده أحد .. وإذا اقر البعض بوجوده ، فهم ينسبونه إلى خصومهم لا الى أنفسهم.

ومن الأخلاق السلبية التي تحولت في مجتمعنا إلى وباء لا تنكره الحواس هو خلق (الإلغاء) .. إلغاء ايجابيات الآخرين وجهودهم وثقافتهم وآرائهم وانجازاتهم ، وأخيرا إلغاءهم من الوجود إن أمكن.



والذي يصاب بهذا الوباء لا يعترف إلا برأيه ولا يصدق إلا نفسه .. ولا يقر بجهد أحد إلا ما بذله هو من جهد .. لذلك يحاول دائماً إبراز نفسه والتغطية على جهود الآخرين.

وقد تحول هذا الخلق السيئ إلى (ثقافة) تُمارس يومياً بغض النظر عن دين الشخص أو مذهبه ، ودرجة إيمانه أو عدمها ، وبغض النظر عن ثقافته وموقعه الاجتماعي.

ولعل سبب ذلك يعود إلى ما وصل إليه الانسان العربي عامة والعراقي خاصة من حالة الإحباط وشبه اليقين بان الإصلاح غير ممكن وان الجهود تضيع هباء في هذا البلد وان لا شيء ينفع .. وقد تشكلت هذه القناعة عبر عشرات السنين من القهر والظلم وامتهان كرامة الإنسان خدمة لشعارات يطلقها الحكام السابقون ، ليتبين فيما بعد أنها شعارات (كاذبة ورجعية) بنظر الحكام الجدد الذين ينتزعون السلطة منهم والذين يعيدون دورة القهر والظلم من جديد بشعارات جديدة .. وهكذا.

وأوضح ما يتمثل هذا الوباء في سلوك الحكومات التي تعاقبت على حكم هذا البلد طيلة قرن من عمر البشرية.

وخلال نفس هذا القرن ولكن في بلاد أخرى تحول الإنسان بثقافته واسلوب حياته نحو الأفضل .. في حين بقينا نحن نهتف لحكومتنا أن تعيش إلى أن تسقط .. ثم نكتشف من الحكومة التي تليها أن الأولى كانت رجعية وظالمة وعميلة للمستعمر.

ونعود لدورة الهتاف في الطبيعة .. للحكومة الجديدة .. حتى إذا انتهت صلاحيتها وسقطت ، أخبرتنا خليفتها أنها كانت رجعية وظالمة وعميلة للمستعمر!!

والغريب أن هذا الذي يحدث في بلدنا (وبلاد أخرى شبيهة من دول العالم الثالث عشر) لا يتعظ منه احد ، بحيث إن عملية الإلغاء تشتد بتقدم الزمن في الكم والنوع عن سابقتها ويتفنن اللاحق في إلغاء السابق.



ولا شك أن هذا الخلق الجهنمي[٧] يجعل الحياة أشبه بجهنم في البلد الذي ينتشر فيه هذا الوباء.

فلا يعود الفرد يشعر بالانتماء لوطنه ولا يضحي أو يبذل لمجتمعه .. ولماذا يفعل ذلك إذا كانت كل جهوده ستلغى يوما ما ؟

وإذا نزلنا إلى مستوى المؤسسات والدوائر نلاحظ أن وباء الإلغاء يأتي مع كل مدير جديد للدائرة أو المؤسسة ، فتراه يتفنن في إخفاء آثار المدير الذي سبقه ، ويتعامل مع المؤسسة وكأنه فاتح صنديد قد خلصها من براثن كافر.

فلا تسمعه يذكر انجازات من سبقه ، حتى وان كان هو الذي يقطف ثمارها .. ويشعر بالغضب والاشمئزاز إذا ذكر المدير السابق عنده بخير .. وربما يتمادى فيطال بعملية الإلغاء حتى الكرسي الذي كان يجلس عليه سلفه .. والمكتب .. والستائر.. لأنه لا ينبغي أن يَبقي أي شيء يُذكِّر الآخرين به.

وقد أصاب وباء الإلغاء حتى المثقفين من أساتذة وأطباء ومهندسين وعلماء وغيرهم ، فلا تكاد تجد احدهم يرضى عن الآخر بل ويتهمه وبكل سهولة وراحة ضمير بأنه (حمار) ولا يفهم شيئاً.

حتى أصبح لقب (الحمار) في مجتمعنا أسهل كلمة يمكن أن تجهز بها على الخصم مهما كان مركزه وموقعه[٨].

وإذا دققت أكثر على مستوى الأسرة ستكتشف هذا الوباء عند (الحماة) التي تلغي دور (كنّتها) وتعتبرها سارقة لابنها ، وبالمقابل ستجده عند (الكنّة) التي تريد إلغاء حماتها وتاريخها في الأسرة وتعتبرها الشيطان الأكبر الذي يجب جهاده.

---

٧ - نسبة لأصحاب جهنم .. لأن الله تعالى أخبرنا بانهم .. ﴿كلما دخلت امة لعنت أختها﴾

٨ - وأنا أرفض استخدام هذا الوصف.. أي التشبيه بالحمار.. ليس لأنه مسيء فقط ، بل لأنه في نفسه ظلم وعدوان وإلغاء لشخصية هذا الحيوان المفيد .. فتأمل كيف انتشر هذا الوباء ليطال حتى الحيوان دون مبرر.



إن ثقافة الإلغاء موجودة في كل المجتمعات كالأمراض بالضبط فلا يخلو بلد منها .. ولكن الفرق بيننا وبين الآخرين أن خلق الإلغاء أصبح عندنا (وباء) ينخر في مجتمعاتنا العربية .. وقد تركز هذا الوباء وظهر بأبشع صوره في بلدنا خاصة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحاصل هذا الوباء ونتيجته:

أن الجهد ضائع .. والعمل غير مقدَّر .. والمجتهد مُحارب .. والمبدع مُطارد.

وأضف ما شئت من العبارات السلبية التي لا تدع الفرد متعلقاً بوطنه ، ولا راغباً بخدمته .. بل يتحين الفرص ليغادر البلد ويعيش مهاجراً يخدم الغرباء .. لعل وعسى أن يجد ما افتقده فوق أرضه التي ولد عليها وارتوى من مائها.

وكما أن الوباء ينحسر إذا توفر الدواء الصحيح والمناخ الصحيح فان وباء الإلغاء يمكن محاصرته وتضييق الخناق عليه .. صحيح انه لن يُلغى بالكامل فهذا خلاف سنن الحياة ولكن المجتمع الناجح هو الذي يجعل هذا الخلق في أضيق نطاق ، بحيث يستحي حامله ويخشى من إظهاره كما يخشى حامل الايدز من اعلان مرضه.

وإذا راقبنا حال الأمم المتحضرة نجد أن أحد اسباب تقدمها ورقيها هو أنها فطنت لهذا الأمر وحاصرته .. بحيث أصبح اللاحق يكمل عمل السابق ويبني عليه .. ولا يعود إلى نقطة الصفر من جديد لينسب كل الفضل إليه ولا يلغي جهد من سبقه وانجازه .. بل نجد أكثر من هذا أن الشعوب تسجل مآثر حكوماتها ورجالها السابقين وعلماءها وعظماءها .. وتفخر بهذا.

ولسنا أقل منهم في شيء .. كل ما هو مطلوب إرادة التغيير .. وأن ننتبه لهذا الوباء ونسعى لمقاومته بكل ما أوتينا من قوة.



علينا أن نسعى لنشر ثقافة الإنصاف وذكر فضائل الآخرين .. ونعلم أبناءنا ومن حولنا أن اللص فقط هو الذي يتصيد الثغرات عند الناس ليسرق جهودهم وثمرات عرقهم وتعبهم.

لقد نبه علماؤنا رحمهم الله الى أمور دقيقة في هذا المجال حتى على مستوى الكلمة والفكرة فقالوا:

"من بركة العلم نسبتُه لقائله"

بمعنى أن علمك تزيد بركته ونفعه إذا اقتبست كلمة من الآخرين ولم تنسبها لنفسك بل قلت هذا من قول فلان ، وهذه الفكرة استفدتها من فلان ، وهذا العمل نبهني اليه فلان .. بغض النظر عمن يكون هذا الفلان .. خصم أو صديق.

ولقد عايشت أفراداً من (الأساتذة) يستنكفون أن يقولوا إن هذا من كلام فلان ، ظناً منهم أن هذا يقلل من شأنهم أمام الآخرين باعتبار أنه لا يجوز أن يكون أحد أفضل منهم في الإبداع والتفكير وخاصة إذا كان اقل منهم شهادة وعلماً.

إن وباء الإلغاء يمسخ الفرد المصاب ويحوله إلى لص يعيش على جهود الآخرين .. وكاذب لا يحترمه الذين يعلمون حقيقته.

وإذا شاع هذا الخلق في مجتمع فلن يتقدم خطوة واحدة نحو الأفضل .. لأن الهدم سيكون مستمرا لكل بناء يبنى.

وتخيل مدينة تُبنى فيها أفضل العمارات وكلما جاءها حاكم جديد هدم هذا البناء وانشأ مكانه بناء جديداً .. فكيف يمكن أن تستقيم أمورها وتستقر؟

احذر من هذا الوباء .. وافحص نفسك فان وجدت انك لم تصب به بعدُ فاسجد لله سجدة شكر واهرب منه هروبك من أسوأ الأمراض.

وان كنت مصاباً به لا قدر الله فانتبه لنفسك إن كنت تريد النجاح في الحياة وتخلص منه وعوِّد نفسك أن تبدأ من حيث انتهى العقلاء وكن كأحدهم .. ليُكمِلَ بناءَكَ من يأتي بعدك.





37

...أضف لعمرك أياماً







كلّنا نشكو من قلة الوقت وكثرة الأعباء ، ولا نكاد نستمتع بشروق الشمس حتى تغرب .. ولا تكفينا ساعات الليل لمتابعة برامجنا المفضلة أو حتى للنوم والراحة !

الكل يدور في دوامة البحث عن الرزق من الصباح وحتى المساء .. فما رأيك لو جاءك من يقول لك: يمكنك أن تضيف لعمرك أياما أخرى مجاناً .. وبدون مقابل ؟

وهل يملك احد من البشر أن يضيف لعمرك ولو ساعة واحدة؟ ولو افترضنا أن هذا قد تحقق فهل تستطيع استغلالها بما ينفعك؟

وأنا لست من الذين يستطيعون ذلك ..

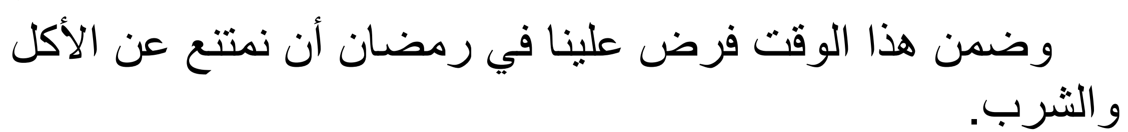
ولكن ما سأفعله هو أني سأنبهك الى طريقة بسيطة في استثمار الوقت ستضيف بها أياماً الى عمرك حقيقة ويبقى عليك مهمة استغلالها فيما تراه نافعاً .. والغفلة عن هذه الأيام المضافة ستخسرك أياما ثمينة لن تستطيع تعويضها .. خاصة وأنت تشكو من ضيق الوقت وكثرة الأشغال.

وليس هذا لغزاً .. بل هو حقيقة واقعة نعيشها جميعا في شهر رمضان المبارك .. وهو شهر كل ما فيه رحمة للمؤمنين وفائدة ، وتبقى كثرة هذه الفائدة أو قلتها منوطة بمقدار انتباهنا لما في هذا الشهر من أسرار وحكم.

ومن هذه الأسرار البركة في الوقت .. ولا شك أن كل ناجح في الحياة يبحث عن الوقت الإضافي فكيف إذا رُزق بأيام تضاف لعمره؟

سر الوقت في رمضان يبدأ مع فريضة الصيام عن الطعام من الفجر وحتى المغرب ، هذا الوقت قد يمتد الى ١٢ ساعة وربما يزيد عن هذا أو يقل حسب شهور السنة.





وضمن هذا الوقت فرض علينا في رمضان أن نمتنع عن الأكل والشرب.

وإذا حسبنا الوقت الذي نستهلكه يومياً في الطعام والشراب سنجده كثيراً .. ونحن لا نحس بهذا الوقت لأننا نقضيه في أمر ممتع لنا ولذلك يمر سريعاً رغم طوله.

لو افترضنا أننا نقضي في تناول الفطور صباحاً نصف ساعة .. وفي تناول الغداء مع ملحقاته من الشاي وخلافه ساعة .. والعشاء كذلك ، ولو احتسبنا ما يتناوله البعض بين هذه الوجبات بنصف ساعة .. سيكون مجموع ما نقضيه يومياً في تناول الطعام ثلاث ساعات ، هذا بالنسبة للرجل.

أما ربة البيت فتقضي ضعفي هذا الوقت تقريباً في إعداد الطعام ثم بعد ذلك في (إزالة آثار العدوان) من غسل الصحون والتنظيف .. فيكون مجموع ما تقضيه في المطبخ تسع ساعات تقريبا تزيد أو تنقص.

وإذا ألغينا من حسابنا في رمضان وجبتي الفطور والغداء والوجبات الإضافية .. وأبقينا على وقت العشاء لأنه يقابل الإفطار في رمضان .. ولم نحتسب السحور لأن وقته ليلاً وليس ضمن نطاق العمل اليومي .. نكون بهذا قد وفرنا ساعتين يومياً للرجل وست ساعات للمرأة .. وبحساب بسيط نكون قد أضفنا لأعمارنا ستين ساعة من وقت العمل الفعلي في النهار للرجل ... ومائة وثمانون ساعة من وقت العمل الفعلي للمرأة.

هذه هدية رمضان .. بركة في الوقت يمكن استغلالها كما تحب وتريد .. ونلفت النظر أننا قد احتسبنا الحد الأدنى من الوقت .. وهناك من يصرف أضعاف هذا الوقت في طعامه وشرابه.

بالمقابل نجد صورة مأساوية لمن يغفل عن هذه الهدية والبركة في الوقت فيقتلها في النوم والكسل فيخسر من عمره ساعات لا تقل عن الساعات التي احتسبناها وربما كانت أكثر .. وهو بالنتيجة



يُقصِّر من عمره بهذه الغفلة مئات الساعات التي كان يمكن أن ينتفع بها في عمل الدنيا أو عمل للآخرة.

ولعلنا اشرنا الى جزء يسير من بركة رمضان في أعمارنا ووقتنا .. وهذا الجزء يهم كل من يريد النجاح في حياته .. لأن عمرنا هو في الحقيقة مجموع هذه الساعات التي نستثمرها أو نقتلها .. وبالتالي نستطيع أن نضيف الى أعمارنا أو أن نقصر منها.

ولا شك أن الاستعداد لاستثمار الوقت الذي نقضيه في تناول الطعام يبدأ **بان نفكر ملياً بهذا الأمر حتى يصبح هذا التفكير معتقداً راسخاً يدفعنا لأن نأخذ الأمر بجدية** .. لأن رمضان شهر قصير يمر بسرعة ولا يكاد يبدأ حتى تجد نفسك تتهيأ للعيد ، ولن يأتيك الا بعد عام آخر.

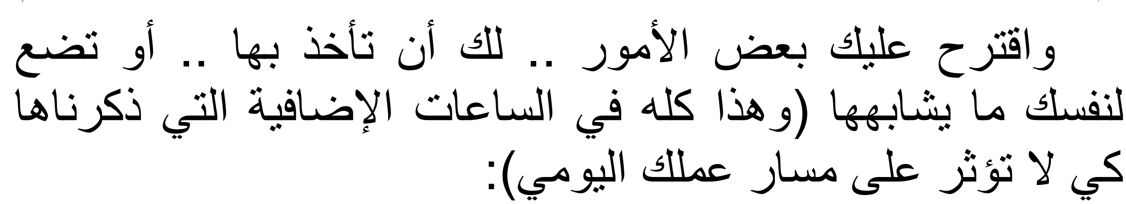
وهذه القناعة والجدية هي التي تعينك على استثمار وقتك الإضافي ، وتعينك على تجاوز الشعور بالتعب والعطش والجوع.

وهناك مسألة غريبة ومفيدة ، وهي أن الإنسان المنشغل بالعمل (في الأيام الاعتيادية) قد ينسى أنه جائع او عطشان ولا ينتبه لهذا الا إذا اخذ استراحة فيبدأ عنده الشعور بحاجته للطعام والشراب .. وهكذا الذي يستغل وقته في رمضان بعمل نافع لا يكاد يشعر بالساعات وهي تمر ويفاجأ بموعد الإفطار .. فلا يهتم بمشاعر الجوع والعطش.

بينما الإنسان العاطل الذي لا عمل له .. يعد الساعات عداً ويتمنى أن تنقضي ولو بالنوم ومع ذلك يبقى يحس بطولها .. ويبقى يحس بمعدته وهي تصرخ وتستغيث وهذا قمة الألم.

ويبقى استعدادك لهذا الشهر واستغلال الوقت المضاف فيه أمراً تقرره أنت ، لذا من المستحسن أن تبدأ بالتفكير قبل قدوم رمضان بفترة مناسبة كي ترتب أمورك من اليوم الأول ، ولا تضيع هديتك.





واقترح عليك بعض الأمور .. لك أن تأخذ بها .. أو تضع لنفسك ما يشابهها (وهذا كله في الساعات الإضافية التي ذكرناها كي لا تؤثر على مسار عملك اليومي):

١- تختم القرآن الكريم مرتين.
٢- تضع لك جدولا للأذكار تلتزم به.
٣- تقرأ كتابا نافعاً.
٤- تقدم خدمة للآخرين أو تساعد في أعمال المنزل.
٥- تخص وقتاً للتأمل فيما مضى من حياتك بنية الاستدراك وتصحيح الأخطاء والتخطيط للمستقبل.
٦- مساعدة الأولاد على استثمار وقتهم بأنواع النشاطات لنعلمهم أن رمضان شهر عمل لا شهر كسل.

وتبقى إبداعاتك هي الأصل وما ذكرته إنما هو على سبيل المثال .. أتمنى لك رمضانا كله سعادة وبركة في العمر والعمل.





38

...ضاعف أرباحك







كلٌّ من يبحث عن النجاح في الدنيا يفكر في الربح النقدي .. وهذا تفكير مشروع .. لأن الربح وتنمية المال جزء من نجاح الإنسان المادي ، وهناك حكمة تقول أن الربح يجلب الربح والنجاح يغري بالنجاح .. فترى التاجر المجتهد يحرص أن يربح أكثر وان لا يتوقف ربحه ابداً لأن الربح والنجاح في تجارته يغريه بأن يكسب المزيد .. ولا نهاية لطموح الإنسان ابداً.

ولعل المشكلة الكبرى عند الناجحين أن أعمارهم أقصر من طموحاتهم وتطلعاتهم .. ويتمنون مضاعفة أعمارهم ليربحوا أكثر ويحققوا أمنياتهم التي ليس لها نهاية.

نفس هذه الصورة المادية نراها ولكن بشكل آخر عند الإنسان المؤمن الذي يريد النجاح ليس في الدنيا فقط .. بل وفي الآخرة أيضاً .. ويبذل جهده في العمل الصالح ليرضي طموحه في نوال الجنة والخلود في دار النعيم ... ولكنه أيضاً لديه نفس المشكلة .. فالعمر لا يكفي لأنواع العبادات ، والمعاصي المبطلة للعمل كثيرة ومستمرة .. وهو يعلم أن الحسنات يذهبن السيئات .. ولكن السيئات تمحق الحسنات كذلك ، فما العمل؟

إن غالب أعمار البشر اليوم لا تكاد تتجاوز الستين في المعدل وحصة العبادة من هذا العمر لا تتجاوز بضع سنين (خمس سنين في المعدل إذا قدرنا ساعتين في اليوم مخصصة لكل أنواع العبادات) .. وهذا لا يرضي طموح المؤمن في الأجر ولا يطمئنه على مصيره مع وجود المعاصي.

ونحن نؤمن أن الإسلام دين النجاح والناجحين .. فالمؤمن الحق إنسان ناجح ولا بد .. وإلا ففي إيمانه نظر.



لذلك حفزنا الإسلام على النجاح حتى في مجال الأجر والعمل الصالح .. فوعدنا بالأجر الكثير على العمل القليل كي لا نيأس وتكون لنا همة عالية .. فالحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها فقط

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

هذا في الأحوال العادية ، وحتى يرفع من همتنا أكثر جعل لنا أمكنة وأزمنة تضاعف فيها الحسنات كأمثال الجبال كل هذا لتعويض العمر القصير عند الإنسان ولإرضاء طموحه ، ويبقى عليه الجد والاجتهاد.

منها مثلاً الصلاة في المسجد النبوي والمسجد الحرام. عن جابر أن رسول الله ﷺ قال:

صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه. إلا المسجد الحرام. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه.

ومنها الصلاة في بيت المقدس عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس.

قال: أرض المحشر والمنشر. ائتوه فصلوا فيه. فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره.

قلت: أرأيت أن لم أستطع أن أتحمل إليه؟

قال: فتهدي له زيتا يسرج فيه. فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه.

ومنها الصلاة في مسجد قباء قال سهل بن حنيف:

قال رسول الله ﷺ : من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، فصلى فيه صلاة ، كان له كأجر عمرة.



هذه أمثلة على أمكنة تضاعف فيها الحسنات أضعافاً كثيرة .. ولكن ليس كل الناس يستطيع الوصول إلى هذه الأماكن فهل يحرمون من مضاعفة الحسنات؟

لقد امتنَّ الله تعالى علينا بأزمنة تضاعف فيها الحسنات من أدركها واجتهد فيها نال ما يطمح إليه .. ومن تكاسل فلا يلومن إلا نفسه ، كالتاجر الذي ينام ويغفل عن صفقة مربحة حتى تفوته.

وهذه الأزمنة يدركها كل الناس لا فرق بين غني وفقير ومستطيع وغير مستطيع .. يدركها الإنسان ويستفيد منها أينما كان في زيادة ربحه ورصيده من العمل الصالح والحسنات.

ومن هذه الأزمنة رمضان حيث تضاعف الحسنات إلى حد لم يبينه الله تعالى لنا لأن ثواب رمضان مفتوح لا تحده حدود وهذا بحد ذاته تحفيز للتاجر الناجح على استغلال هذه الصفقة إلى ابعد حد بالإكثار من العمل الصالح في هذا الشهر الفضيل.

عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. يقول الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته من أجلي. للصائم فرحتان فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وقال ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

فأي ربح أعظم من هذا؟؟ ومع ذلك هناك زيادة على هذا الربح.

عن أنس بن مالك قال: دخل رمضان ، فقال رسول الله ﷺ:

إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم.



ليلة واحدة خير من ألف شهر .. احسب معي .. ألف شهر يعني (٨٣) سنة وأربعة أشهر .. ثم احسب معي مرة أخرى كم رمضانا صمت واضربها في هذا الرقم لتتخيل قول النبي ﷺ (ولا يحرم خيرها إلا محروم).

وأضف إلى كل هذا الربح في رمضان .. تكليف لطيف أمرنا به الحق تبارك وتعالى وهو زكاة الفطر .. ومعلوم أن زكاة الفطر مقدار من طعام أو قيمته يخرجه الصائم عن نفسه ومن يعول .. ولا يعفى منها أحد إلا من كان لا يملك قوت يومه .. وهذا تكليف يُشعرُ المسلمين بالتكافل في شهر الصيام .. وتنبيه لكل المسلمين أن الجميع من حقه أن يفرح بحلول عيد الفطر .. وحتى تكمل هذه الفرحة يجب أن يساهم بها الجميع فيُخرجوا من طعامهم وأموالهم قدراً لن يرهقهم لأنه قليل ، فيصل الخير إلى الجميع ويشعر الفقير أن الفرحة بالعيد له أيضاً.

والغرابة واللطافة في هذا التكليف أنه يشمل الجميع تقريباً فهو ليس خاصاً بالأغنياء الذين يملكون النصاب بل يجب على كل من ملك قوت يومه.

وهذه إشارة إلى نعمة الله عز وجل على الإنسان وتنبيه له أنه مهما ملك من أموال فليس له منها في الحقيقة إلا قوت يومه .. ولا يدري ما سيحدث في الغد فقد يفوتها بالموت أو تفوته بالفقد.

وهو تنبيه للفقير أنه حينما يملك قوت يومه فهذه نعمة عظيمة لا ينبغي أن يغفل عنها .. كما قال رسول الله ﷺ:

من أصبح منكم معافى في جسده ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا.

رمضان شهر الخير ، زمن يمر وينتهي ، فيه صفقات مربحة كثيرة والأمر لك أيها التاجر فكر في الربح ولا تفكر في الكسل والحر والعطش .. فالنجاح في النهاية هو ربح دائم في كل شيء..



وعمرك لا يكفي فهو قصير وهذه فرص تضيف لك مئات السنين من الأجر ، ولا تحتاج منك إلا إلى فطنة وبصيرة ، وهمة الناجحين .. وكل عام وأنت بخير ونجاح.





39

...أجنحة الملائكة وطريق الجنة







مع اشراقة عام دراسي جديد تتجدد أحلام كثيرة عند الآباء والأبناء .. فهذا عام جديد ، والذي يعني تحدٍ جديد لكل طالب ، عليه أن ينهيه بجدارة وتفوق قدر ما يستطيع ليحقق حلم والديه بأن يكون متميزاً وناجحاً في حياته.

ومن مبادئ النجاح أن كل عمل يقدم عليه الإنسان بحب ومتعة وهمة سينجح فيه ولا بد .. والدراسة من أهم الأعمال في حياة الإنسان ، لأنها ترسم طريقه ومستقبله في المجتمع ، لذا يحرص الآباء دائما على أن يكون أبناءهم من المتفوقين في الدراسة وخاصة في الصفوف المنتهية (السادس الإعدادي) لتكون له خيارات جيدة في الكلية التي سيختارها.

ولا شك أن الدراسة كأي عمل يحتاج إلى قدر كبير من التحفيز .. وخاصة في بلد كالعراق يمر بظروف غير طبيعية وغير مشجعة على الدراسة .. وهذا واجب الآباء وواجب المدرسين كذلك.

واجب المدرسين في أن يوفروا لأبنائنا الطلبة جواً مريحاً يدفعهم إلى طلب العلم ويجعل مجيئهم إلى المدرسة متعة وليس نقمة وبلاء .. وواجب الآباء أن يوفروا لأبنائهم في البيت أجواءً محفزة للدراسة ، ولا يتعسفوا في التعامل معهم وتحميلهم ما لا يطيقون.

كما لا يجوز أن يُسيئوا معاملتهم أو يُحسنوا معاملتهم بناء على الدرجات التي يحصلون عليها .. لأن هذا سيجعل الابن أو البنت في رعب دائم وخوف من الفشل لأنه سيترتب عليه عقاب من الوالدين.

وأريد في هذا المقام مع بداية العام الدراسي ، وتوجه أبنائنا وبناتنا كل صباح إلى مقاعد الدراسة أن أذكرهم واذكر الآباء أيضاً



بحقيقة مهمة نسيناها ربما بسبب التربية العلمانية التي حكمتنا وحكمت مناهجنا سنين طويلة.

هذه الحقيقة هي أن الدراسة نوع من العبادة نتقرب بها إلى الله تعالى ، بل هي من أفضل العبادات إذا كانت نيتنا لله في طلب العلم .. بمعنى أن نُسخر كل ما سنتعلمه لخدمة ديننا ومجتمعنا والبشرية جمعاء .. وهل يوجد في الدنيا أسمى من هذا الهدف؟

واذكر أبناؤنا الطلبة والطالبات والآباء أيضا بحقيقة ثانية تدعم الحقيقة الأولى .. وهي أن ديننا هو الدين الوحيد الذي جعل طلب العلم عبادة يؤجر الإنسان عليها .. بل زاد على ذلك بان جعل طالب العلم في مكان مرموق بين البشر .. وأكثر من ذلك جعله في مكانة تسموا على الملائكة وتجعل الملائكة تعامله بسمو وتواضع كلما غدا أو راح إلى مدرسته أو كليته .. وزيادة أخرى بوعد الله تعالى له أن طريقه لطلب العلم سيكون طريقاً إلى الجنة.

فأي إكرام وتحفيز أكثر من هذا ؟ اقرأ معي هذه الرواية ..

عن كثير بن قيس قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال:

- يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة ، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ.

قال: فما جاء بك تجارة ؟

قال: لا

قال: ولا جاء بك غيره ؟

قال: لا

قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم.**



وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض. حتى الحيتان في الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. أن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

لاحظ كيف انتبه أبو الدرداء وسأل الرجل ليتأكد هل جاء فعلاً ليطلب العلم فقط ، أم أنه جاء لغرض آخر وأراد بنفس الوقت أن يستفيد من وجوده ليسمع الحديث ، فلما تأكد انه أتى بنية طلب العلم لا لشيء آخر .. ذكر له حديث رسول الله ﷺ ليحفزه أكثر ويشعره بالسعادة ويشعره انه على خير كثير بطلبه للعلم.

وانتم أيها الطلبة والطالبات تخرجون كل يوم لمقاعد الدراسة وليس لكم عمل غير ذلك .. فإذا جعلتم نيتكم لله في خروجكم لطلب العلم فزتم بهذا المقام السامي .. أن تضع لكم الملائكة أجنحتها وييسر الله لكم طريقا إلى الجنة.

ولا تنسوا أن تُتْبِعوا هذه النية الشريفة بنية أخرى وهي أن تستخدموا هذا العلم فيما ينفع الناس لا فيما يضرهم .. فالمؤمن يكون دائماً مفتاحا للخير مغلاقاً للشر لا يستخدم علمه إلا فيما يفيد.

قال رسول اللّه ﷺ :

ما من رجلٍ يسلك طريقاً يطلب فيه علماً إلا سهل اللّه له به طريق الجنة ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

فالنية الصالحة الصادقة يترجمها عمل صادق صالح .. وعندما يكون عمل الإنسان مضراً بالآخرين لن ينفعه علمه.

تذكر يا طالب العلم ويا طالبة العلم كلما خرجتم إلى مقاعد الدراسة ، أن الملائكة تحييكم في الطرقات وان هذا الطريق الذي تسيرون فيه يؤدي بكم إلى الجنة .. وعندما يستشعر الطالب والمدرس والأب والأم هذه الحقيقة سيتحول العام الدراسي إلى موسم عبادة راقية وثواب عظيم للجميع.



وأود أن أُذكّر بحقيقة ثالثة أن طلب العلم لا يتوقف أبدا عندنا نحن المسلمين بأخذ شهادة أو الحصول على وظيفة .. بل هو عملية مستمرة طالما بقيت حياً .. فليس هناك اشرف من طلب العلم والاستزادة منه.

واسمع لهذا الكلام العظيم الذي ميَّزنا نحن المسلمين عن غيرنا حتى أقمنا حضارة عظيمة لمئات السنين.

عن عمرو بن كثير عن الحسن قال:

قال رسول الله ﷺ : **من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة.**

هذا المقام السامي لا يناله إلا طالب العلم ... والى متى ؟ إلى أن يدركه الموت.

أعزاءي الطلاب استبشروا خيراً واجعلوا من عامكم الدراسي عبادة عظيمة واستمتعوا بتهنئة الملائكة لكم كل يوم عندما تخرجون بنيتكم الصالحة ، وتنبهوا أنكم تسيرون بطريق يؤدي إلى الجنة.

وكل عام وانتم بخير وهنيئا لكم مقدماً على تفوقكم ونجاحكم.





40

...نحوَ السماء.. رحلة للتجديد







كَمْ مرة سمعت مثل هذا الكلام ؟

لو توظفت قبل سنين لكان حالي الآن أفضل .. لو سافرت في شبابي لعشت حياةَ أفضل مما أنا فيه .. لو لم اقل لفلان كذا لكان كذا .. أتمنى أن يرجع الزمن إلى الوراء لأفعل كذا .. أنا نادم لأني ضيعت هذه الفرصة من يدي ... وغيرها من أشباه هذا الكلام.

كثير منا يستخدم كلمة (لو) للتعبير عن ندمه أو ضجره من عمل قام به أو قرار اتخذه وتسرع به .. ويتمنى أن يعود الزمن إلى الوراء ليصحح ويستدرك.

وأكثر ما يزعج الإنسان المسلم الذي يفكر بالآخرة ، ما يرتكبه من ذنوب ومعاصي .. ويبقى جافلاً من هذه الذنوب هل غُفرت أم لا .. ويبقى في شك من قبول عبادته.

وتمضي أيام العمر والإنسان يتأرجح بين الخوف والرجاء ولا شيء يضمن له النتيجة .. ولكن الله تعالى برحمته وحكمته لا يدع عباده في هذا القلق الدائم .. لأن المسلم المؤمن هو الإنسان الوحيد على هذه الأرض الذي يعيش في توازن مريح في حياته ، وبسبب هذا التوازن فهو على الدوام سعيد وأمره كله الى خير.

يقول نبينا ﷺ : **عَجِبْتُ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْراً لَهُ.**

وحتى يحافظ المسلم على هذا التوازن دائماً ويعيش بسعادة ينبغي أن يتخلص وباستمرار من كل ما يعكر هذا التوازن في حياته .. ومن أهمها ما ذكرناه من قرارات خاطئة ومعاصي مقلقة تشغل ذهنه دائماً.



وبما أن الإنسان يبحث دائماً عن نتائج واضحة يرتاح لها ولا يريد أن يبقى أسير الظنون ، فهو بالتالي يبحث عن مغفرة أكيدة لهذه الذنوب لا يتطرق لها احتمال قدر المستطاع.

وهنا تأتي النعمة العظيمة من السماء لهذا المسلم بهذه المغفرة الأكيدة التي لا يتطرق إليها ظن ، وهذه النعمة تتمثل في عبادة عظيمة يجتمع فيها مع غيره من المسلمين الذين أتوا من أطراف الأرض .. وهي الحج الى بيت الله الحرام.

وقد تأتي هذه الرحلة غالباً بعد أن يمضي من عمر الإنسان أكثره ، وقد يؤديها لمرة واحدة (وهذا هو الفرض) ثم لا تسمح له ظروفه بتكرارها.

هذه الرحلة التي يشتاق إليها ملايين المسلمين هي رحلة تتم على الأرض ، ولكنها في نفس الوقت رحلة للروح في آفاق السماء ، تتطهر الروح خلالها من أثقالها ومعاصيها وماضيها المتعب ، لتعود روحا فتية مشرقة تقبل على الحياة من جديد وكأنها نُفِخت الآن في الجسد.

وحتى هذا الجسد بما فيه من ثقل اللحم والعظم والعصب تتغير خصائصه هناك ، فلا يشعر البدين بثقل جسده ، ولا المريض بمرضه ، ولا الضعيف بضعفه.

عجيب أمر هذه الرحلة ترى الجميع فيها يتسابقون إلى الطاعة بلا كسل وربما سبق الشيبُ والعجزةُ الشبابَ في سعيهم وطوافهم وأدائهم للشعائر!

من أين تأتي هذه الطاقة لهذا الإنسان .. لقد كان في بلده يشعر بالتعب لأدنى جهد بينما هو هنا يهرول في السعي ويتدافع في الطواف ليقبل الحجر الأسود.

من أين أتته هذه الطاقة العجيبة ؟

إنها رحلة وتوجه نحو السماء كتحليق الطير بخفته وليونته وانسيابيته بين طبقات الهواء .. هي رحلة للتجديد في كل شيء ..



تجديد في الماضي السيئ بما يحمله من هموم وغموم ..
تجديد لهمة الإنسان في عبادته ..
تجديد لطريقة تعامله مع الناس ..
تجديد في نظرة الناس إليه حتى في اسمه لأنه بعد هذه الرحلة لن يناديه معارفه بابي فلان بل بالحاج فلان فهذا التجديد سيطال اسمه كذلك.

وكل هذا التغيير سيبدو واضحاً جلياً على سمت الكثيرين وطريقة تعاملهم مع الآخرين ، ويزداد هذا التغيير بازدياد فهم المسلم لمقاصد الحج وحكَمِهِ .. فيعود وقد ازداد حلمه وحكمته في التعامل واتخاذ القرار وازدادت رحمته بالخلق لما رأى من رحمة الله تعالى بعباده بان غفر لهم ذنوبهم وعادوا كيوم ولدتهم أمهاتهم.

لقد اعتاد الناس أن يسموا الحجاج حين وجودهم في البيت الحرام بضيوف الرحمن ، وربما أطلقوها من باب التكريم للحجاج وإشعارهم أن خدمتهم واجبة وشرف لأهل البلد وليسوا ضيوفا عليهم بل هم ضيوف الرحمن .. وهذا صحيح من جهة.

ولكننا نشير إلى معنى آخر لهذه التسمية يتداوله كبار السن وتتناقله الأجيال وهو أن الحج (دعوة واستضافة) من الله تعالى ، فمن شاء الله تعالى أن يستضيفه يسر له الأسباب ، ومن لم يقدِّر له الحج فلن يحج ولو توفرت له كل الأسباب .. وكم من الناس من أحرم وهو في الطائرة ولم يبق بينه وبين الحرم إلا دقائق وإذا بالطائرة تعود به إلى بلده لسبب أو لآخر!! ومهما كان السبب فالله تعالى لم يأذن له بالحج هذا العام.

وهذا سبب آخر لفرحة من يُتم حجه بصورة صحيحة وهو شعوره بأن الله تعالى قد دعاه ليستضيفه في بيته الحرام ويسر له الأسباب وأعانه على إتمام حجه.

هذه الرحلة الأرضية للجسد ، والسماوية للروح تعيد التوازن لجسد الإنسان وروحه .. تعيد له الطمأنينة التي افتقدها طويلاً



بسبب معاصيه وأحزانه .. وتطوي ما سبق ليبدأ إعلان ولادة جديدة لهذا الإنسان بصفحة جديدة خالية من الذنوب والأحزان.

ولذا تسمع البعض يمتدحون فلانا بأنه مات بعد الحج أو أثناء الحج .. لأن الظن غالب بان هذا الإنسان قد غسلت ذنوبه وذهب إلى ربه راضيا مرضياً.

ونقول لكل من يسر الله له الحج هذا العام استمتع بحجك وعبادتك ولا يشغلك عنه شيء وهيء نفسك لحياة جديدة سعيدة لك ، وتُسعد بها من حولك.

وهنيئا لك المغفرة.





41

...المبادرة طريق للنجاح







يقولون " الحركة ولود والسكون عاقر"
ودروس الحياة تؤيد هذا ، فلم نسمع أن بليداً أو قاعدا أو كسولاً حقق النجاح في حياته ونبغ واصبح علماً يقتدى به.
بل إن الحياة ومظاهرها تؤكد العكس .. فالطيور تغادر أعشاشها من الصباح الباكر بحثا عن رزقها .. والنبات الذي يبدو لك ساكناً في مكانه .. هو في الحقيقة مستمر في مدِّ جذوره في الأرض نحو الأعماق بحثا عن الماء والغذاء ، ومستمر في مد أغصانه في السماء نحو النور فينمو ويزهر .. ولا أحد في الحياة ينتظر أن يأتيه الخير بغير مبادرة بالسعي.
والإنسان أحق المخلوقات بهذا السعي .. والمسلم يفترض أن يكون أولى الناس بهذا السعي والجد والاجتهاد .. لأنه مأمور بهذا شرعاً إضافة لما يأمره به عقله.
إن من أسباب النجاح المهمة أن تعرف إمكاناتك وما تستطيع أن تقدمه لهذه الدنيا التي تعيش فيها .. وتحاول دائماً بذل الجهد لتأخذ وتعطي لهذه الحياة وتترك فيها بصمة تُذكر لك إذا غادرتها.
لذلك يؤكد الباحثون والمتخصصون في تنمية مهارات الإنسان وسلوكياته على صفة مشتركة من صفات الناجحين وهي المبادرة.
والمبادرة هي أن تبدأ فوراً بعمل ما ، بعد التفكير والنظر دون تحفيز أو دعوة من أحد بل ينبع التحفيز من ذاتك وتكون سباقاً للآخرين.
يقول الشاعر :
تبلد في الناس حب الكفاحِ
ومالوا لكسبٍ وعيش رتيب
يكاد يزعزع من همتي
سدور الأمين وعزم المريب



المبادرة دليل على شجاعة الإنسان وهمته وطموحه وثقته بنفسه .. فالمبادر لا ينتظر الأحداث لتقوده وتسيره بل هو الذي يبدأ ويقود الأحداث .. بل يصنع الأحداث أحياناً.

كتب الكثيرون عن صفات المبادرين الناجحين في العالم .. ونحن نملك أفضل مثل وقدوة تمثلت فيه صفات النجاح كلها ، ومنها صفة المبادرة ، وهو نبينا ﷺ.

وأكثر من هذا أنه كان ينبه أصحابه ، والمسلمين جميعاً من بعدهم إلى هذه الصفة المهمة للنجاح في الدنيا والآخرة كذلك .. ويسميها باسمها ويقول لهم : بادروا .. بادروا.

اسمع لقوله ﷺ:

بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

واقرأ قوله ﷺ:

بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِى كَافِرًا أَوْ يُمْسِى مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا.

ويضرب المثل للآخرين بفعله ﷺ وليس بالقول فقط ، تأمل هذا المشهد:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، قَالَ وَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً سَمِعُوا صَوْتًا ، قَالَ فَتَلَقَّاهُمُ النبي ﷺ عَلَى فَرَسٍ لأَبِى طَلْحَةَ عُرْىٍ ، وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ فَقَالَ« لَمْ تُرَاعُوا ، لَمْ تُرَاعُوا».

لم ينتظر ﷺ خروج احد ليعرف خبر الصوت الذي افزع الناس .. بل بادر بنفسه سابقاً القوم وركب الفرس بلا سرج



استثماراً للوقت ، ولم ينس سيفه .. حتى إذا خرج الناس وجدوه عائداً يطمئنهم.

أيها الباحث عن النجاح في أي مجال من مجالات الحياة عود نفسك على المبادرة في الأمور ولا تنتظر هدوء البحر لتسير بسفينتك .. فالربان الماهر هو من يستطيع قيادة السفينة بأمان حين هياج البحر .. لا حين شروق الشمس واعتدال الريح ، فكل بليد يدعي النجاح والبراعة في هذه الأجواء.

لا تكن اقل شاناً من الطائر الصغير والنبتة الرقيقة فكل مخلوقات الله تأخذ من هذه الحياة وتعطي .. وما تعطيه أكثر مما تأخذ وأنت أحق مخلوقات الله بهذا.

بادر وتقدم خطوة بتوكل وإخلاص وبصيرة .. وثق بعون الله تعالى لك ولن يحرمك من النجاح .. في الدنيا والآخرة.





42

...أولادي الأعزاء







ابني الحبيب .. ابنتي الحبيبة

عندما كنتَ صغيراً كنتُ ألهو معك واجد سعادتي العظمى حينما تقترب مني وتلعب معي وتضحك من كل قلبك .. وهذه الضحكات كانت تنسيني هموم النهار ومتاعبه.

كنتُ أرى فيك وأنا العب معك صورة الرجل (أو المرأة) الذي سيكبر وسيكون له شأن بين الناس ويخلفني بعد أن أغادر هذه الحياة .. ويُبقي ذكري طيباً بين الناس بسلوكه الحسن وأخلاقه الرفيعة ونجاحه في عمله.

وعندما أكون في عملي احرص دائماً أن ارجع وفي يدي أي شيء أتوقع انه يُسرك ويُفرحك .. وعندما ادخل وأعطيك ما اشتريته لك وارى الفرحة ترتسم على وجهك ينتابني شعور باني أسعد إنسان على وجه الأرض.

ابني الحبيب ، ابنتي الحبيبة

لقد كبُرتَ الآن وبدأتَ تنتقلُ بنجاح من مرحلة إلى أخرى ، وأنا أراقب نجاحك بفرح وكأنه نجاح لي .. وأحزن كثيرا إذا تأخرت في بعض الدروس ولم تكن درجاتك بالمستوى المطلوب. وقد أغضبُ وأسمعك كلاما جارحاً .. ولكني أريدك أن تعلم أنني عندما اغضب ، فإنما اغضب لك ولا أغضب عليك .. اغضب حباً فيك لأني أريدك أن تكون ناجحاً في حياتك متفوقاً يحتاج الناس إليك ولا تحتاج إلى أحد.

أريدك أن تعتقدَ وتتأكد باني احبك في كل أحوالك .. لأنك ابني .. وليس لأنك ناجح في امتحاناتك أو انك متفوق على أقرانك .. فأنا لن أكرهُك إذا عاكسَتك الظروف يوماً وفشلت ،



سابقي أحبك وسأحاول أن أعينك بكل ما استطيع كي تتجاوز الفشل وتعود إلى طريق النجاح.

أريدك أن تعلم أنَّ حبي لك غير مشروط بشيء ، ولا يمكن أن يتغير لأي سبب .. لأنك ابني وحسب.

فإذا فهمتَ هذا الكلام لا شك أنك ستعذرني إذا حرمتك يوماً من شيء تحبه ، حتى تتفرغ لدراستك ، خاصة وان الامتحانات على الأبواب.

ولا شك انك ستعذرني إذا طالبتك وألحَحتُ عليك بان لا تضيع وقتك وأن تستغل الساعات والأيام لتحضير دروسك كي يكون الامتحان سهلاً يسيراً عليك.

وسأحاول جهدي أن أوفر لك الجو الذي سيعينك على الدراسة .. لن أُرهقك بعمل ولن أُشغل وقتك ، وستجد مأكلك ومشربك من أفضل ما يمكنني أن أوفره لك.

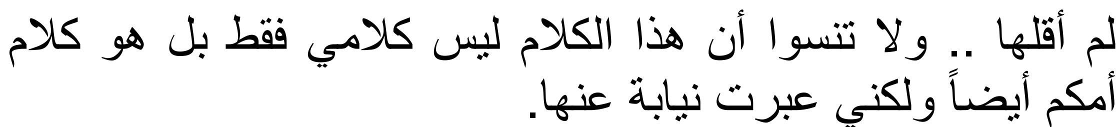
ابني الحبيب ، ابنتي الحبيبة

لا أريد لنفسي أي شيء مقابل حبي وخدمتي لك .. كل ما أريده أن تنتبه لمصلحتك .. لأنك يوماً ما ستواجه هذه الحياة لوحدك ، وأريدك في ذلك اليوم أن تكون قوياً ناجحاً حكيماً .. تستطيع أن تنشرَ الخير والصلاح بين الناس .. بل تقود من حولك إلى ما يسعدهم في دنياهم وآخرتهم .. إني احلم أن تكون هذا الرجل ، الذي سيكمل طريقي ويضع بصمته في هذه الحياة .. ولا يعيش ضعيفا مغمورا لا يأبه له أحد.

ابني الحبيب ، ابنتي الحبيبة

سيكون لكم يوماً ما عائلة وأطفال ، ورجائي أن تحتفظوا بهذه الرسالة لأنكم ستكررونها لأولادكم .. وربما تضيفون عليها أشياء





لم أقلها .. ولا تنسوا أن هذا الكلام ليس كلامي فقط بل هو كلام أمكم أيضاً ولكني عبرت نيابة عنها.

ارجوا لكم التوفيق في امتحاناتكم المقبلة وسأدعو لكم (ووالدتكم كذلك) في كل يوم أن ييسر الله تعالى عليكم امتحاناتكم ويبيض وجوهكم ويجعلكم من الناجحين السعداء فانتم أهل لذلك.

التوقيع

والدكم



43

غير عالمك...







قديماً روى لنا الشاعر الباكستاني محمد إقبال رحمه الله في بعض مناجاته انه كان يتألم من هذا العالم الذي ينتشر فيه الظلم والقهر وعدم المساواة .. فسمع يوماً هاتفاً يقول له:

- إن لم يعجبك هذا العالم فاهدمه ثم ابن عالماً آخر بدلاً عنه.

وهل من السهولة أن نبني عالما جديداً ... ولا نستسلم لما نسميه (الواقع) ؟

نسأل أولاً: هل ما في أذهاننا من صور وتحليلات عن العالم الخارجي هو مطابق فعلاً لهذا العالم؟ أم انه صورة مبسطة مجتزأةٌ من الواقع؟

كثير منا يعتقد أن ما في أذهاننا هو الواقع فعلاً وهو الحقيقة التي لا تقبل الشك .. ولذلك ندافع عن تصوراتنا لهذا الواقع ونحاول أن نثبت أن تحليلاتنا وفهمنا هو الحقيقة .. ونستغرب عندما نجد الآخرين لا يرون ما نرى ولا يتفقون معنا في الرأي .. بل نغضب إذا أراد منا الآخر أن نكون واقعيين ، فالواقع هو ما في ذهني فكيف يرى هو واقعاً آخر؟

حاول أن تسأل مجموعة من أصدقائك كيف يصفون واقعنا العراقي؟ وسوف تسمع أجوبة عن الواقع بعدد من سألتهم !

فأيُّهم يعبر عن الواقع الحقيقي ؟

إن ما في أذهاننا خريطة مبسطة جداً عن الواقع الخارجي .. فالواقع الخارجي أغنى واعقد مما في أذهاننا عنه.

كيف؟

مهما كنا منتبهين فإننا لن نرى إلا جزءً من المشهد الذي يحصل أمامنا ، ومهما أصغينا فلن نسمع الا اقل بكثير مما حصل فعلاً.





بل إن ما نتعرف عليه بحواسنا كلها لا يطابق الواقع بصورة كاملة لأن حواسنا قاصرة وقد تخدع بسهولة.

وهكذا يُرسم في ذهن كل إنسان عالم خاص به لا يشابه عالم شخص آخر ولو كان هذا الشخص هو أخوه التوأم .. فكل إنسان لديه تفسير وتحليل لما يعيشه ، وبالتالي سيبني عليه أفكاره وسلوكه وتصرفاته الايجابية أو السلبية.

إن ما يؤثر علينا ويدفعنا لسلوك معين ليس هو الواقع الخارجي بل نظرتنا وتفسيرنا لهذا الواقع.

لذا تجد اثنين يعيشان في نفس الظروف ولكن احدهما يرى أن الواقع تعيس ولا يليق به ومعوق لنجاحه ، والآخر يجد أن الواقع جيد وليس معوقاً للنجاح.

ونقرأ من تاريخ سلفنا الصالح كلاماً لابن تيمية رحمه الله في أيامه الأخيرة عندما سُجن، يقول " ماذا يريد أعدائي أن يفعلوا بي إن سجني خلوة وتغريبي سياحة وقتلي شهادة "

.. عجيب!

فالسجن هو السجن لا يتمناه أحد، ولكن نظرة هذا العالم الصالح للسجن وتحليله لهذا الواقع هو الذي رسم هذه الصورة الجميلة في ذهنه.

انه لم يخرج من السجن بهذا التفكير ولكنه جلب السعادة إلى داخل السجن .. فتغير عالمه من سجن كئيب إلى أنواع من السعادة ... وأغرب من هذا ، ما يرويه تلميذه ابن القيم حيث يقول:

"كنا إذا ضاقت علينا الدنيا نذهب إلى الشيخ في محبسه فيسري عنا بكلامه"

أحرار يذهبون إلى سجين ليسري عنهم !

ولذلك نستطيع أن نغير عالمنا وبسهولة إذا استطعنا تغيير ما في أذهاننا من خرائط خاطئة عن هذا العالم.



وأول خطوة في التغيير ، أن نفهم واقعنا من كل جوانبه بايجابياته وسلبياته ، ولا نكتفي بما في أذهاننا من أمنيات وأهواء نحبها ونريد أن نحققها ، واذا لم تتحقق فهذا العالم في نظرنا لا يساوي شيئاً.

لا الأمر ليس كذلك إن في واقعنا أمور كثيرة جميلة وانٍ في الناس خير كثير .. ولكن السلبيات تجذبنا أكثر فنعتقد خطأً أن التغيير صعب .. وهو يسير على من يسره الله عليه.

وحتى يكون يسيراً عليك تفكَّر في قوله تعالى

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

ابدأ بنفسك وغير عالمك ولا تستسلم للأوهام فالخير أمامك كثير.





44

...عبادة تُغيّر العادات







إذا أردت أن تكتسب عادة جديدة كررها لمدة شهر.

وإذا أردت أن تغير عادة سيئة إلى عادة حسنة ، اترك العادة السيئة ، ومارس العادة الحسنة لمدة شهر وستحل العادة الجديدة محل القديمة؟

لماذا الشهر؟

انه ليس رقماً سحرياً ، ولكنه مدة زمنية كافية لتغيير العادات أو لتكوين عادات جديدة.

ونحن بحكم طبيعتنا البشرية تحكُمُنا الكثير من العادات ، منها عادات حسنة جميلة ومنها سيئة رديئة ، ولا شك أن الإنسان العاقل يرفض العادة السيئة عقلاً ، لكنه قد لا يستطيع تركها في الواقع.

فكم من الناس يبادرك بالقول إن السجائر مضرة بالصحة وبالجيب ، ويؤكد لك قناعته بذلك ، لكنه يعترف بأنه لا يقدر على تركها لأنه اعتاد على ذلك وهو لا يقدر على ترك تلك العادة.

وكم من المسلمين من يؤمن بأهمية صلاة الفجر وضرورتها وقدرها ، لكنه يشكوا من عدم استطاعته الاستيقاظ للصلاة في وقتها.

وكثير من الأمثلة الأخرى تبين لنا سطوة وقوة العادات التي تتحكم بنا من حيث نشعر ولا نشعر ... فالثرثرة عند البعض عادة ، والغيبة عادة ، والنظر إلى المحرمات عادة ، والأكل المفرط ، والنوم الكثير ، واللهو المستمر .. كلها عادات تحكم حياة الكثير من الناس وحين تحاورهم تكتشف أنهم أصبحوا عبيداً لهذه العادات لا يستطيعون منها فكاكاً.

فهل العادة بهذه القوة ؟ نعم هي بهذه القوة.



إن العادة تَقوى وتتحكم بنا كلما غفلنا عنها ولم ننتبه لها ، إنها كالخيوط الدقيقة التي تُبرم ويضاف بعضها إلى بعض حتى تصبح حبالاً متينة يصعب قطعها.

وإذا قويت العادة أصبحت جزءاً من الشخصية والهوية ، لا يستطيع الإنسان منها فكاكاً إلا بصعوبة.

والغالب أن الإنسان لا يقاوم العادات السلبية خاصة إذا كانت ممتعة أو تحقق هوى أو شهوة للنفس ولو كانت مضرة.

وحتى يستطيع الإنسان أن يغير من عاداته السلبية يحتاج إلى ظرف خاص قاهر يمنع عنه هذه العادة .. مثل المدخن الذي يبتلى بنوبة قلبية حادة لا تترك له الفرصة ليدخن ولو ربع سيجارة ، ستجده يترك التدخين بسهولة غريبة.

ولكن من نعم الله تعالى علينا انه لم يتركنا هملاً لمثل هذه الظروف القاهرة التي قد تكون قاتلة أحيانا لنغير عاداتنا ... فأنعم علينا بشهر خاص فيه عبادة خاصّة قاهرة ، تعلوا على كل الرغبات والشهوات .. وهي الصوم وما يفرضه من تغيير في النظام اليومي للنوم والاستيقاظ والأكل والشرب.

فتجد في هذا الشهر من كان يدّعي عدم قدرته على الاستيقاظ لصلاة الفجر ، في الصف الأول لصلاة الفجر .. وتجد من كان ينكر قدرته على ترك التدخين ، يبقى كل النهار بلا تدخين.

ونريد أن نستفيد أكثر من هذه العبادة التي تعيننا على تغيير عاداتنا السلبية .. فنترك كثرة الكلام والثرثرة ، لنتأمل ولنقرأ كتاب الله تعالى .. ونترك عادة الغيبة إلى كلام حلو جميل .. ونستبدل النوم واللهو العابث بذكر وعلم نافع .. ونستبدل شهوة الأكل الكثير بالصبر والاعتدال في كل أمر.

إن رمضان شهر عبادة .. لكنها عبادة خاصة أرادها الله تعالى أن تكون سبباً لتغيير عاداتنا السلبية إلى عادات ايجابية .. ولحكمة ربانية كان الصوم شهراً كاملاً .. لأننا إذا كررنا العادة الايجابية



مدة شهر مع الصدق والنية الصالحة ، ستتكون هويّة جديدة لشخصية جديدة تستمر بعد رمضان.

وكل عام وانتم بخير





45

...الساعات الذهبية





لا زال الذهب علامة على الرخاء والغنى بين البشر .. ولا زال هو المعدن الوحيد الذي تتطلع إليه عيون وأفئدة الأغنياء والفقراء على حد سواء. لأنه المعدن الأغلى الذي لا يفقد قيمته بمرور الزمن وتقلب الأحوال.

لذا حرص الناس على اقتنائه وكنزه بشتى الوسائل والأسباب .. وأكثرُ من هذا دخل الذهب في أمثالنا الشعبية وتشبيهاتنا للأمور المهمة ، فشاع بين الناس أن الوقت من ذهب .. وهذا الشخص أخلاقه كالذهب .. وهذه الأرض كالذهب .. وقلبك في طيبته كالذهب ... وهكذا.

ونحن نعيش رمضان سأستعمل هذا التشبيه ، وأخبرك عن ثلاث ساعات من ذهب بل هي أغلى .. لأن الذهب قيمته في الدنيا وحسب ، وهذه الساعات قيمتها تتعدى إلى الآخرة يوم لا دينار ولا درهم ، فاحرص عليها حرصك على الذهب وأكثر ، فهي نافعة لك في الدنيا والآخرة.

الساعة الأولى

هي الساعة الأخيرة من صيامك كل يوم قبل أن تفطر

والكثير يغفلون عن هذه الساعة غير عامدين ، بسبب تعبهم من الصوم طيلة النهار ، وانشغال الرجل في عمله ، وانشغال المرأة بعملها وبتحضير الفطور ، والكل يترقب لحظة الإفطار لتبتلَّ العروق ويثبت الأجر إن شاء الله تعالى.

في هذه الساعة يُستجاب للصائم دعاؤه ويعظُم أجره .. لذا أكثِر فيها من الدعاء بما تشاء من خير الدنيا والآخرة ولا يلهيك التعب ورائحة الطعام ومنظر الماء البارد عن الدعاء .. فهذه ساعة ذهبية لا ينبغي أن تفوت بلا استغلال.



تخيل نفسك قد تعبت طول النهار وفي آخر اليوم أعطاك رب العمل سبيكة من الذهب مكافئةً لك على تعبك ، فانشغلت عن حملها بحجة انك مرهق ، وتركتها وذهبت.

هل تتخيل نفسك وأنت تفعل هذا .. لا شك انك تقول الآن في نفسك: لا يوجد عاقل يفعل هذا .. وكلامك صحيح.

عن أبي هريرة ﵁ قال:

قال رسول الله ﷺ : **ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر** (وفي رواية حتى يفطر) **والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين.**

وروى ابن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ **: إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد.**

قال وسمعت عبد الله يقول عند فطره اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي.

الساعة الثانية
وهي ساعة السَحَر

والأمر عندك في رمضان هين لأنك ستستيقظ لتتسحر ، فلا تُضيّع هذه الساعة الذهبية التي يقول فيها ربنا تعالى:

هل من سائل فأعطيه ، هل من مستغفر فاغفر له.

الساعة الثالثة
بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس

وفيها يكتب لك اجر حجة وعمرة تامة .. أليست بحق ساعة ذهبية ؟





أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامّة تامّة تامّة.**

لديك من هذه الساعات الذهبية - **تسعون ساعة** - خلال هذا الشهر .. ولا زال الخير أمامك فكن تاجراً ناجحاً ولا تفرط في ساعاتك الذهبية.





46

...التجديد سرّ الحياة







هلْ لاحظت أن الشمس تشرق كل يوم من جهة تختلف عن اليوم السابق؟
وهل لاحظت أن القمر يطل علينا كل يوم بوجه جديد وفي وقت جديد؟
هل لاحظت أن الأرض تغير جلدها ومظهرها كل فصل؟
وهل لاحظت الأشجار والأزهار كيف تنمو كل يوم ويتجدد مظهرها؟
لعلك تلاحظ ذلك ، أو ربما لا تنتبه إلى التجديد الذي يحدث كل يوم بسبب أنك قد ألفتهُ ، ولأنه يحتاج إلى إرهاف في الحواس لا يملكه كل إنسان.
مع ذلك فان التجديد موجودٌ سواء لاحظته أم لم تلاحظه .. موجود في كل شيء حولك ، في الجماد والنبات والحيوان ، وهذا هو سرّ الحياة العظيم .. أنها تجدد نفسها باستمرار .. هكذا خلقها البارئ سبحانه وتعالى وقدّر لها أن لا تثبت على حال.
وذكاء الإنسان وتقدمه ونجاحه يكمن في انتباهه لهذه السُنّة الإلهية في الخلق .. وكيف يمكن أن يستفيد منها في حياته.
ومن تساوى يوماه فهو مغبون ، فالكسول الخامل وحده يرضى أن يكون يومه مثل أمسه وغده مثل يومه .. فكيف يطلب النجاح في الحياة وكيف يخدم دينه وأمته ؟!
التجديد سر الحياة .. ولعل من أسرار رمضان العظيمة انه يجبرنا على التجديد في حياتنا اليومية فنعيش في جو إيماني يختلف عن كل أشهر السنة ، بل إن مفردات حياتنا تختلف كلياً عما اعتدناه في باقي العام.
وهذا درس يستفيد منه العقلاء ..



جدّد في طريقة نومك وطعامك ولا تكن جامداً على روتين واحد.
جدّد في قراءتك وثقافتك ولا تتيبس على نوع واحد من العلوم.
جدّد في تواصلك مع الآخرين واكتشف نقاط الضعف عندك في التواصل وعالجها.
جدّد في نظرتك للحياة ولا تتمسك برأي واحد تُفني عمرك بالدفاع عنه ، وبعد أن يمضي العمر تكتشف أنك كنت مخدوعاً أو مغرراً بك.
إن كنت مُعلماً جدّد في طريقة تعليمك لطلابك.
وان كنت خطيبا أو واعظا جدّد في أسلوب خطبتك ووعظك.
وان كنت صاحب دكان جدّد في ترتيب بضاعتك وحول بعضها مكان بعض وستجد أن صورة دكانك قد تغير.
إن التجديد ليس صعباً ولكنه يحتاج إلى اقتناع به وشجاعة كافية لتنفيذه.
وأول واخطر تجديد يفعله الإنسان الناجح هو التجديد في الفكر .. لأن الجمود والنجاح لا يجتمعان في عقل امرئ مؤمن.
ولو بحثنا في تاريخنا وتاريخ الأمم الأخرى لوجدنا أنها سادت عندما آمنت بسُنّة التجديد .. ثم بادَت عندما كفرت بهذه السنة وحاربتها.
وسنن الله تعالى في الخلق لا تُحارَب ولن يغالبها احد إلا غلبته .. ولكن الله تعالى أذن لنا أن نستخدم هذه السنن فيما ينفعنا لأعمار الأرض.
وإذا تركنا دروس التاريخ ، وبحثنا في سر تقدم الأمم في عالمنا المعاصر لوجدنا أن السر الأعظم يكمن في إيمانها بالتجديد المستمر ، وكلما أتقنَتْ استخدام هذا السر كلما تقدمَت على غيرها.
ونحن المسلمون أولى من غيرنا بالتجديد ، أو هكذا يفترض .. لأن ديننا العظيم أعطى للعقول مطلق الحرية في التفكير والتجديد



في كل شيء باستثناء أركان الإيمان والإسلام .. وكل شيء سواها خضع لبحث العلماء .. وجاز فيه اختلاف الآراء ومؤلفات علماء السلف في هذا واضحة جلية.

ويبقى القرار لك وحدك .. هل تريد أن تقف ويتجاوزك الزمن وتعيش كالميت بين الأحياء لا جديد في أيامك؟

أم تريد أن تجدد في حياتك وتستمتع بها ؟





47

...الخريطة الذهنية







في كل عام دراسي جديد .. يبدأ طلبتنا الأعزاء بالتهيؤ لتحدٍّ جديد يختلف عن العام الذي سبقه ، وأكثر ما يخيف الطالب في أي مستوى دراسي هو الامتحانات ، وما قد يتعرض له من مشكلة النسيان وعدم استطاعته الحفظ والتذكر لمواده الدراسية .. والكثير من الطلبة يشكون من أنهم يذاكرون بجد .. ولكنهم أمام ورقة الاختبار ينسون اغلب المعلومات التي حفظوها.

وهناك وسائل فعالة تعين الطالب على استذكار دروسه واستيعابها وحفظها بسرعة وسهولة.

من هذه الوسائل المفيدة جداً ما يسمى بالخريطة الذهنية ، وهي تطبيق سهل وممتع يستطيع الطالب من خلاله أن يلخص المادة الدراسية ويتذكرها بسهولة متى احتاجها.

وتتلخص فكرة الخريطة الذهنية في أننا سنضع المعلومات التي نريد فهمها وحفظها على الورق ولكن بطريقة تتناغم مع عمل العقل ، بحيث يتقبلها العقل ويحفظها بسرعة ويستمتع بها ، وبالتالي يكون احتمال نسيانها اقل بكثير من طرق الدراسة والتلخيص التقليدية التي نستخدمها.

وتعتمد هذه الطريقة على استخدام الألوان والرسوم بقدر الإمكان لأن العقل يفهم ويحفظ بسرعة عندما يتعامل مع اللون والصورة.

كما أننا سنرسم المعلومات بخطوط وتفرعات غير منتظمة تشبه تفرعات الخلية العصبية في الدماغ ، وهذا ما يجعل التناغم أكثر مع العقل ومع طريقة عمله في الاستذكار.

ويمكن أن يتعلم الطالب هذه الطريقة سواء كان في المرحلة الابتدائية أو مرحلة الدراسة الجامعية لا فرق.





نبدأ إذاً بشرح هذه الطريقة:

١- بعد أن تحدد المادة التي تريد حفظها وفهمها ، اقرأها أولاً، ثم ابدأ برسم خريطة لها.

٢- استخدم ورقة بحجم A4 على الأقل ، ضعها أمامكَ بالعرض لتتسع للرسوم والكتابة.

٣- ضع في منتصف الورقة العنوان الرئيس للمادة الدراسية ويمكن أن تمثله برسم (كلما استخدمت الرسوم كان أفضل).

٤- ابدأ برسم خط من هذه النقطة الوسطية كما تشاء وعلى السجية ، ولا تفكر بطوله وعرضه واستقامته ، بل ارسمه كيفما اتفق واكتب في نهايته أحد العناوين الفرعية للمادة.

٥- ارسم خطا آخر لعنوان آخر وهكذا ، استمر برسم خطوط متنوعة حتى تُكمل العناوين الفرعية.

٦- قد تحتاج لكلمات بسيطة تكتبها بجانب العنوان الفرعي لشرحه أو صورة لتوضيحه.

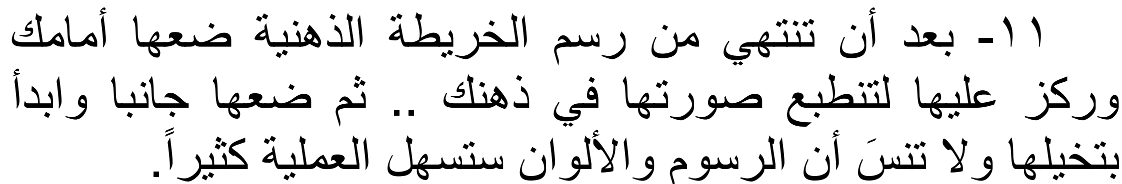
٧- إذا كان العنوان الفرعي يحوي على عناوين أخرى اسحب منه خطوطاً كما فعلتَ سابقاً واكتب هذه العناوين وارسم صوراً تمثلها.

٨- لا تنسَ أن تستخدم الألوان والرسومات لأن العقل يأنس لها ويحفظها بسرعة.

٩- يمكنك رسم ما تشاء من التفرعات ، وكلما استخدمتَ الألوان والرسومات كان ذلك أفضل في الحفظ والتذكر.

١٠- عندما تبدأ برسم الخريطة الذهنية للمادة الدراسية قد تكتشف أن ورقة واحدة لا تكفي وهذا طبيعي ، لذلك ستحتاج إلى عدة خرائط للمادة الواحدة ، فقد يكون لكل عنوان فرعي خريطة مستقلة.





١١- بعد أن تنتهي من رسم الخريطة الذهنية ضعها أمامك وركز عليها لتنطبع صورتها في ذهنك .. ثم ضعها جانبا وابدأ بتخيلها ولا تنسَ أن الرسوم والألوان ستسهل العملية كثيراً.

ستكتشف انك بمجرد النظر إلى الخريطة التي رسمتها مرة أو مرتين ستحفظ مكوناتها بصورة مدهشة .. ولن تنساها بسهولة ..

وكل ما تحتاجه في الامتحان هو أن تتذكر صورة هذه الخريطة لتلتقط بداية المعلومة التي تحتاجها ، وتستطيع الإجابة بسهولة على أي سؤال يتعلق بالمادة.

وأخيراً .. يوجد في النت المئات من الصور للخرائط الذهنية يمكنك البحث عنها بسهولة وملاحظتها كنماذج.

لكن انتبه ، لا تقلد الأشكال ، بل ارسم خريطة خاصة بك.

وفقك الله





48

...إياك وعبادة المتسوِّلين





كلّ إنسان مهما كان موقعه الاجتماعي يريد أن يعيش كريماً غنياً محترماً .. لا يمنُّ احد عليه بشيء .. وغاية العقلاء في الحياة هو هذا .. ولكن بعض الناس ممن فترت هممهم وأضاعوا كرامتهم لسبب أو آخر .. لا يخجلون من أن يقضوا حياتهم متسولين.

ولا أعني بكلمة المتسول هنا من يمد يده للناس في الطرقات .. فهذا ابسط أنواع التسول وأكثره وضوحاً واقل الأنواع انتشاراً .. وتجدهُ بين أناس طحنهم الفقر والجهل.

إنما اعني بهذه الكلمة رجال يمشون بين الناس بأبهة وفخر .. ويرتدون أفضل الثياب وإذا رايتهم تعجبك أجسامهم .. وتظنهم من مظهرهم رجالاً أعزة .. لا تكاد تحملهم الأرض التي يمشون عليها.

لكنهم في دواخلهم (متسولون) بأقبح أنواع التسول ، فتراهم منكسرين أمام أصحاب المناصب أو ذوي الثراء ، يلوون رقابهم بخضوع وخنوع ويتلونون في الكلام ليحصلوا على ما يريدون.

هؤلاء المتسولون لا يجدون غضاضة أن يتكبروا على الفقراء ويمارسوا معهم شتى أنواع الظلم ، ولكنهم بالمقابل يتذللون للأقوياء كي يحققوا مصالحهم.

فتجد الفقير وضعيف الحال مطرود من أبوابهم لا تقضى له حاجة ولا ييسر له أمر ولا يجد له وظيفة أو عمل ، وبالمقابل فان الغني والمعرَّف لديهم مقضي الحاجة وان لم يطلبها.

هؤلاء المتسولون لا يدورون في الشوارع يسألون الناس ، بل هم يشغلون المناصب ويجلسون على كراسي الإدارة والتعليم والاقتصاد والسياسة وحتى الدين .. ولا تكاد تجد مؤسسة كبيرة أو صغيرة إلا وفيها عدد لا بأس به من هؤلاء المتسولين.

ولا تخدعنَّك الثقافة في هذا النوع من التسول ، فقد تجد منهم أستاذ جامعة ، ومشرف تربية ، وطبيب ، ومهندس.



ولا تخدعنَّك المظاهر ، فكثير من العمائم واللحى والبدلات السبور لا تمنع أصحابها من أن يكونوا من هذا الصنف الرديء .

ولا تخدعنَّك الألقاب والكنى والأنساب ، فإنها لم تكن يوماً عائقاً لهؤلاء من ممارسة هذه المهنة الرائجة.

والتسول صفة نفسية ، تلحق من يشعر في داخله بأنه ضعيف مقهور لا يستطيع أن يحصل على ما يريد إلا بالتملق والتلون للأقوياء .. وهو حين يقوم بذلك فانه لا يبذل أي جهد حقيقي غير التملق ولا يكلف نفسه عناء العمل والمواجهة ليحصل على ما يريد بعزة نفس.

وسبب انتشار هذه المهنة ورواجها ضعف الشخصية ، وقصور الهمة ، والعبودية لغير الله عز وجل.

لان من يفهم العبودية لله حق فهمها لا يمكن بحال أن يرضى بان يعيش متسولاً منكساً رأسه لغير الله عز وجل.

لذلك علمنا الله تعالى أن نبتعد عن هذا الخلق الذميم ، حتى في عبادته تعالى ، ليتدرب المسلم على العزة والعمل لا على التملق والهوان والكسل.

واليك مثال واحد على ذلك:

إن الله تعالى قادر على أن يغفر ذنب العبد كله وهو في داره يستغفر ويدعوا .. ولكن شاء الله عز وجل أن يعلمنا أن لا نعبده عبادة متسول ضعيف الهمة بل نعبده عبادة قوي متوكل يَتعب ليحصل على المغفرة.

ومن هنا جعل الله تعالى الحج إلى بيته العتيق ركنا من الأركان الذي بُني عليه الإسلام .. فالمسلم يتعب ويسافر ويتغرَّب مهما كان بلده بعيداً ليؤدي هذه الفريضة التي لا تصح إلا في مكان معين وزمان معين لينال المغفرة الكاملة التي لا تنال بغير هذه العبادة فيعود كما ولدته أمه طاهراً نقياً من الذنوب.



الحج درس في الهمة والعزيمة ، ودرس لكل مؤمن يريد النجاح في حياته ، يعلِّمنا:

أن قضاء الحاجات لا ينال بالدعاء فقط وأنت جالس في مكانك لا تفعل شيئاً ولا تقدم معروفاً

فهذه عبادة المتسولين والله تعالى غني عن هذه العبادة ..

إن النجاح يحتاج إلى تعب ونصب وأسباب لا بد أن نسلكها ، ثم بعد أن نبذل الجهد ونتعب ونعرق ، ندعوا الله تعالى ، ولا شك أن الإجابة ستكون قريبة في هذه الحالة لأنها دعوة صدرت من نفس عزيزة كريمة.

أما دعاء المتسول القاعد الذي لا يعمل ، ومع كسله يخضع لغيره من البشر ويرجوا منه ضراً أو نفعاً فمردودة على صاحبها ولا كرامة.

كن عبداً لله ، سيداً بين البشر ، وإياك وعبادة المتسولين.





49

...التاريخ لمن ؟







صحيحٌ أن بعض التاريخ يكتبه المنتصرون ... وصحيحٌ أن بعض التاريخ مزور ومكذوب ... ولكن هناك مساحة كبيرة من التاريخ فيها قصص وعبر .. وتذكرة وعظة .. كما أن فيه مساحة كبيرة تروي قصص المستضعفين وانتصارهم ، وقصص الظالمين ونهايتهم.

وأقرب القصص الحيّة إلينا قصة تونس ومصر وليبيا ونهاية طغاتها ، ثم ما حصل فيها بعد ذلك.

ولكن لمن هذا التاريخ ؟ وما الفائدة منه ؟

هل نستفيد فعلا من قراءة التاريخ .. أم انه قصص للتسلية نقرأها ونرويها لغيرنا فقط؟

وهل يمكن أن تكون هذه القصص دروسا مفيدة تنفعنا في حياتنا اليومية وتضيف لعمرنا القصير خبرات المئات بل الآلاف من أعمار الذين سبقونا وعاشوا على هذه الأرض؟

من أسرار النجاح العظيمة قدرة الإنسان على قراءة الماضي ثم الاستفادة من تجارب الذين سبقوه والبناء عليها ، وهكذا قامت الحضارات وتقدمت العلوم والابتكارات واكتشف الإنسان من أسرار الكون الكثير.

حتى إننا لو تخيلنا أن فردا ممن عاشوا قبل مائتي عام أو ثلاثمائة عام بعث الآن وشاهد الاختراعات التي نستخدمها لعدها من ضروب السحر وأفعال الجان.

واستفادة الإنسان من خبرات السابقين صفة تميزه عن غيره من المخلوقات .. ولولاها لما تقدم في الحياة خطوة واحدة .. ولبقي يسكن الكهوف ويعيش على الصيد وشيء من الزرع.

وهذه الصفة .. أي الاستفادة من التاريخ البعيد أو القريب ومن خبرات السابقين قد تبدوا لنا من المسلمات أو البديهيات ولا تحتاج



إلى تذكير وكتابة مقال عنها ... ولكنا لو انتبهنا لأنفسنا قليلاً ولو انتبهنا للناس من حولنا ، سنكتشف أننا نَغفلُ كثيرا عن هذه البديهية، بل قد نهملها عمداً ، بل أحياناً نصر على عدم الاستفادة ممن سبقنا ، ونجد حججاً جاهزة ، أو نختلق حججاً لنبرر تجاهلنا لها.

ويبقى السؤال .. التاريخ لمن ؟

والجواب برأيي:

إنه للأذكياء الحكماء

فالتاريخ لا يفيد المغفلين ، لا يفيد المتكبرين ، لا يفيد الطغاة.

ولا اقصد بهذه الكلمات أصحاب الحُكمِ والمناصب فقط ، بل يشمل أي فرد فيه صفة الغفلة أو التكبر أو الطغيان ، ولو مع أهل بيته .. لن يستفيد من دروس من سبقه في هذه الحياة.

إن الله تعالى اعتبر الحكمة من أعظم النعم التي يهبها لعباده

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾

الأذكياء فقط (أولوا الألباب) ، هم الحكماء الذين يقرؤون الماضي ويضيفون لعقولهم مئات العقول التي سبقتهم وجربت في هذه الحياة ، ونجحت وأخفقت.

أولوا الألباب هم الذين يدرسون نجاح غيرهم ليبنوا عليه ، ويدرسون الفشل وأسبابه ليتجنبوه.

وهناك حكمة تقول: لا تكن كالذبابة

لأن الذبابة ترى المئات من بني جنسها قد أكلت من السم وماتت في مكانها ، ثم تجدها تقع على نفس السم وتأكله فوق جثث أخواتها ، ولا تتعظ من حال من سبقها ، لأن السم مذاقه حلو وهذا يروق لها.



لا تستغرب فهناك كثيرون من الأفراد أو المؤسسات أو الدول يسلكون سلوك الذبابة ، لا يستفيدون ممن سبقهم ويقعون في نفس الأخطاء ، لا تعظهم دروس التاريخ ولا أحداثه.

والآن نترك الأخطاء والعبر إلى الجانب الايجابي المشرق في التاريخ ، أليس من أعجب العجب أننا امة نملك أعظم سيرة لأعظم نبي ﷺ .. ثم إن لدينا سيراً لأعظم رجال عاصروه .. وزيادة على ذلك عندنا سِيراً لسلف صالح يحق لنا أن نُباهى بهم الأمم .. ومع ذلك فمكاننا في آخر الركب ولا نستفيد من كل هذا ؟

فمتى يكون التاريخ لنا ؟

سؤالٌ أنتَ جوابهُ ...





50

...ليسَ عيباً ... انه زوجُكِ







سأدخلُ في الموضوع بلا مقدمات ...

حافظي على زوجك ... فأنت سنده الأول والأخير بعد الله تعالى .. ويكفي أن رجلاً مثل سيدنا عمر ﵁ يقول : ما رزق امرؤ بعد الإسلام خيرا من زوجة صالحة.

اذكري أيتها الزوجة الكريمة أن الله تعالى يسر لك قريناً في هذه الحياة ، من بين المئات من بنات جنسك اللواتي لم تُطرق أبوابهن ولم يفتح لهن باب الزواج ، وهذه نعمة لا يجب أن تغفليها، فنسيان النعم أذان بزوالها.

ولكي تحافظي على زوجك ، تذكري أولاً أن كثيراً من الأستار قد أزيلت بينك وبين هذا الرجل الذي ارتبط بك بعقد وثَّقَهُ الله تعالى ورسوله.

فليس عيباً أن تكوني عوناً لزوجك عندما تضيق به السبل ، فلا ترهقيه بكثرة الطلبات فقد قالوا قديماً:

- المرأة والطفل الصغير يحسبان الرجل على كل شيء قدير.

وأنت تعلمين أن هذا الكلام غير صحيح فللرجل قدرة وحدود تستطيعين زيادتها بصبرك الجميل وكلامك الواثق.

وليس عيباً أن تخدمي زوجك .. فهو يكد من الصباح إلى المساء ليخدمك ، وكل رجل يتمنى لو انه حاز الدنيا كلها ليضعها أمام أهله ويتمتع بها معهم .. قابلي هذا الكد بكلام طيب وهدوء حين يريد الراحة ، وبطعام لا يكرهه مهما كان بسيطاً.

وليس عيباً أن تمتدحي عمله أياً كان داخل البيت وخارجه وأمام اهلك وجيرانك فهذا يشعره بالفخر والزهو .. ويناطح برأسه الثريا ... أسمعيه المديح ولا تخافي من المبالغة فالرجل مغرور بطبعه ويحب من يُرضي غروره.



وليس عيباً أن تتملقي لزوجك ببسمة وفستان ولمسة حانية ومظهر جميل .. فليس بينك وبينه خطوط حمراء .. أليس غريباً أن تتزيني لصديقاتك وضيوفك (وأنت تعلمين أنهن سيتكلمن عليك وينتقدن مظهرك مهما فعلت) ولا تتزيني لزوجك ؟! وقد خُلقَ لك وخلقتِ له .. وهو سكن لك وأنت سكن له.

خاصة وأنت تعلمين انه يرى في مكان عمله وطريقه وفي الفضائيات من صور الحُسن ما لا يخفى .. فلا تكوني أسوأهن ، بل كوني ملكته المفضلة.

وليس عيباً أن تتغابي قليلا أمام (ذكائه المفرط) حينما تناقشين معه أمراً فالرجل لا يريد في البيت حكيمة أو واعظة أو معلمة ، تؤكد له بالدليل القاطع العقلي المنطقي انه مخطئ.

اعذريني هذا لن يفيدك أبداً بل سيعقد الأمور .. وكأنك تقولين له بلسان الحال أنا أذكى واعلمُ منك ، أو بعبارة أخرى (أنت غبي وتصرفك خاطئ).

ويمكنك أن تقنعيه بكلام غير مباشر ، وإذا رفض لا تُلحّي بالنقاش ، بل وافقيه مؤقتا واقتنصي أي فرصة يكون فيها مرتاحاً وكرري الكلام غير المباشر ، وحفزيه بان توحي له انه صاحب الفضل إذا عمل كذا وكذا.

وليس عيباً أن تبادريه بالصلح إذا غضب ، وبالبسمة إذا عبس، وبالكلام إذا سكت ، فان الذي بينك وبينه من علاقة ومودة أكبر مما بينك وبين أبويك على عظم قدرهما .. وإرضاؤه ليس تنازلاً وليس اهانة لكِ ، وحتى لو كان بسلوكه وأخلاقه كالخشبة اليابسة ، فعندك القدرة على إحيائها وتحريكها ... وهذه القدرة أعطيت لكم معاشر النساء حصراً وهذه من سنن الله في خلقه .. وأنت بذكائك تعرفين ما اقصد فلا داعي للتفصيل.

أخيراً إياك إياك من كلمة أو فعل يتصور أنها اهانة له (حتى لو كنت لا تعتبرينها كذلك) لان التعامل مع الآخر منوط بما يفهم هو ،



لا بما نفهم نحن ، فأنت آخر ملاذٍ له يشعره برجولته ، فان أتته الإهانة منكِ فلن يغفرها بسهولة.

(حافظي على زوجك) فزماننا فاقَ التصور في مغرياته وانحرافه فلا تكوني عوناً للشيطان عليه بل كوني حرزاً وحافظاً له.

ولا زال الشعار صادقاً (وراء كل رجل عظيم امرأة)
وبيدِكِ أنتِ أن تجعليه عظيماً.



51

...ليسَ عيباً ... إنها زوجتُكَ







قلبي أيها الزوج معك ... ولكن مقالي عليك ، وارجوا أن لا يقع بيد زوجتك فتقرؤه . وأنت تعلم أن آخر ما أوصى نبينا ﷺ:
"استوصوا بالنساء خيراً".

ولعلك حين أقدمت على خطبة فتاتك كنتَ تمشي مرفوع الرأس .. تتخيل انك فارس زمانك بمجرد أن تقبل بك هذه الفتاة ، وقد قبِلَت.

فما الذي تغير بعد مرور السنين وغلبة الأولاد؟

فأنتَ لا زلتَ ذلك الفارس ، ولا زالت هي تلك الفتاة التي طلبتها.

ليس عيباً الآن بعد مرور السنين أن تُحبَّ زوجتك من جديد ... لا تستغرب كلامي فالحب ليس مجرد مشاعر .. لأن المشاعر قد تبرد وتضعف وهذا ما يحصل غالباً بمرور السنين بين الأزواج.

الحب سلوك وأفعال وليس مجرد كلام منمق جميل.

لذا أذكِّركَ أنه **ليس عيباً** أن تنتبه لحاجة تتمنى زوجتك شراءها مهما كانت تافهة ، ثم تفاجئها بها رغم إنها لم تطلبها منك.

وليس عيباً أن تيسر عليها إرضاؤك ، بان تكون متواضعا قليل الطلبات لا تدقق في الطعام والشراب ولا تتدخل في كل كبيرة وصغيرة في شؤون البيت التي هي من واجبها.

وليس عيباً أن تدخل البيت وبيدك وردة جميلة تعطيها لها أو ترسلها بيد طفلك ليعطيها لها ، لتُفهمَ أولادَك انك تختصها بذلك دونهم.

وليس عيباً أن تكرم ضيوفها وصديقاتها وأهلها بما لا يرهقك ، فالنساء غالباً ما يقسنَ مدى تدليل الرجل لزوجته بقدر سخائه



عليها .. ولن ينفعك عدم اقتناعك بهذا المقياس وانه خطأ.. فانا مثلك ليس عندي أي حجة لدحض هذا المقياس.

وليس عيباً أن تمتدح بعض ما تفعله زوجتك من طعام أو سلوك أو كلام .. ولا يوجد تشجيع يوازي أن تمتدح فعلها أمام أقرانها وأهلها خاصة.

وليس عيباً أن تتذكر تاريخ زواجك فتأتيها بهدية بسيطة تفاجئها بها .. لأن فرحك بهذا اليوم يعني الكثير .. يعني أنك تحبها ، وأنك لست نادما على اختيارك ، وانك لا تبغي عنها بديلاً ، وهذا يرضي قلبها ومشاعرها.

وليس عيباً أن تساعدها في شؤون المنزل والأولاد ، ولك في رسول الله أسوة حسنة .. لأنها إن كانت ربة بيت فلا شك أنها مرهقة طوال النهار في عمل مستمر ، وان كانت موظفة فقد حمَّلْتَها عبئا إضافياً فهي مثلك في العمل والتعب إضافة لأعباء المنزل.

واجعل لك أياماً تحضِّر أنت فيها العشاء ، على أن يكون لذيذاً .. وان لم تكن تُتقن ذلك فتعلّم (وأؤكد لك عن تجربة انه ليس صعباً).

وليس عيباً أن تُحضِرَ معك يوما ما عشاءً لطيفاً جاهزاً من مطعم ، فتُدلّلُ زوجتك ذلك اليوم وتريحها ، وتغيّرُ الجو.

وليس عيباً أن تتزين لزوجتك وتكون ريحك طيبة ، ولا تنتظر حتى تنتشر رائحة قميصك وجواربك المزعجة فتلقيها إليها لتغسلها .. واعلم أن النظافة أخلاق وسلوك ولا علاقة لها بنوع العمل .. فللعمل ملابس وللبيت ملابس .. وحسبك قول ابن عباس ﵄: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تزين لي لأن الله عز وجل يقول ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ﴾.



ولا تنسَ أن المرأة خُلقت بطباع خاصة قد يكون فيها ما يروق لك وما لا يروق لك وعليك أن تقبلها كلها ، وكما قال نبينا ﷺ: **لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي آخر.**
والفركُ البغضُ.

فطباع المرأة لا تتجزأ .. فاقبلها كما هي وعاشرها بالمعروف.

واحذر أخيراً أن تنتقد ذوقَ زوجتك ، فذوق المرأة مهما كان لا يعلوا عليه شيء برأيها .. ولا تنس أن من ذوقها قبولها بك زوجا لها.

أيها الزوج لا تلتفت يمنة ويسرة وتحلم بحورية في الدنيا فهذا خيال (مريض).

فكر بجد .. كيف تجدد حبك لزوجتك وقد أعطيتك أمثلة قليلة .. واترك الباقي لذكائك وحسن تطبيقك ... والسلام





52

...أريد أن أغير بدلتي!







قرأتُ في أحد اعداد مجلة الرائد مقالاً بعنوان (أريد أن أغير زوجتي)!! ، ووجدته عنواناً مثيراً فقرأت المقال مرتين وثلاثاً.

فوجدت الطرافة فيه أن الكاتبة عالجت الموضوع وكأنَّ السائل مظلوم فعلاً ، لذا فهي توجهه في النهاية بأن ينصح زوجته فان لم ينفع يهجرها فان لم ينفع يضربها تأديباً لها.

وكنت أتمنى أن تُناقَش مثل هذه المواضيع الخطيرة بأسلوب أعمق من هذا .. فحتى لو سلّمنا أن السائل (حقيقيا كان أم وهمياً) على حق في ادعائه .. فكيف تَسمع زوجتُه نصيحتَه وهو يدَّعي أنها لا تستجيب له كما ذكر .. وهل الهجر والضرب سيحل المشكلة ؟

ابتداءً أقرر أني احترم وجهة نظر الكاتبة في نصحها ولكني كنت أتمنى أن تركز على الجذور وليس المظاهر .. لأن كثيراً ممن طبقوا هذه النصائح وصلوا في النهاية إلى الطلاق .. وليس هذا هو المآل الذي وجهنا إليه الحق سبحانه وتعالى ولا النبي ﷺ.

ثم لا يفهم من كلامي أنني في موقف دفاع عن هذه الزوجة .. فانا اعلم أن بعض النساء تستحق (جدول الضرب بأكمله) .. ولكني ادعوا للإنصاف والعمق في مثل هذه المشاكل التي زادت كثيراً في مجتمعنا بعد (الانفتاح) والذي تعاملنا مع سيئاته أكثر مما تعاملنا مع حسناته.

ما حُدِّد لي من مساحة للكتابة لا يكفي لذكر التفاصيل ، ولكن أنبه هذا الزوج ومن يمر بمثل مشكلته أن ينتبه لنفسه أولا ، فقد يكون هو السبب ولا يدري. قد يكون ممن يتصرف بأساليب تدفع زوجته دفعا للعناد وعدم الطاعة .. وقد يكون مغروراً بما فيه الكفاية ليفسر أي تصرف منها بأنه نشوز وإعراض.



واذكِّر بحقيقة مهمة وهي أن حياتنا صدى لتصرفاتنا ، وسلوك الآخرين صدى لسلوكنا ، فنحن لا نراقب أنفسنا بما فيه الكفاية .. كيف نتكلم ، وكيف ننصح ، وما هي تعابير وجهنا تجاه المقابل ، وقد حدث كثيرا أن بعض الأشخاص يمزح بكلام غير لائق ليرفه عن زوجته ، فتعتبره هي اهانة لها ويتوتر الجو وينتهي بمعركة.

أن تكون أيها الزوج في داخلك طيبا لا يكفي .. أظهر هذه الطيبة لزوجتك .. وأن تكون محباً لها في سرك لا يكفي ، اظهر حبك لها. وأن تكون قدوة صالحة للناس لا يكفي ، كن قدوة لأولادك أولاً ، وتحسس مدى احترامهم لك في كلامهم وأفعالهم.

لا توجد امرأة تريد أن تهدم بيتها إلا إذا فقدت عقلها ، أو وصلت إلى قناعة أن الحياة مع زوجها باتت مستحيلة .. لذا اسأل نفسك أولاً أيها الزوج: ما الذي أوصلها إلى هذا السلوك الذميم خاصة وأنت تقول إن لك منها أطفالاً ؟

إن الله تعالى عندما أوصانا بالوعظ ثم الهجر .. طلب منا أولاً أن نكون رجالاً ، لا ذكوراً فقط ، لأن ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ وليس الذكور.

فالرجل له هيبة واعتبار ومكانة في القلوب ، واهم مكان له هو قلب زوجته ، فان كان (رجلاً) سيكون لوعظه اثر فيها ، وسيكون لهجره اثر فيها.

وان كان ذكراً فقط فلا يلومن المرأة فالنساء مكمِّلات للرجال ، قلوبهن تهفوا للخشونة والرجولة والعزة والهيبة ، ويحبِبن أن يجدنها في أزواجهن .. ولا تميل المرأة السويّة إلى الناعم الضعيف.

نعم الفراقُ يكون أحياناً ضرورياً لبعض الأسر ، ولكن الرجل هو من يتحمل المسؤولية الأولى لبناء بيت سعيد أو تعيس.



ولنا مثلٌ عظيم في الأنبياء الكرام الذين ابتلوا بزوجاتهم .. كسيدنا نوح وسيدنا لوط .. لم يتخليا عن مسؤوليتهما لآخر لحظة ، وكان باستطاعتهما أن يفارقا زوجتيهما من البداية .. ولكنهما كانا قمة في الرجولة فلم يؤثر هذا الابتلاء فيهما حتى أمضى الله تعالى قدره ونجاهما من زوجتيهما ومن الكافرين.

أيها الزوج تذكر أن الزوجة ليست بدلة تغيرها كلما اتسخت أو صغُرت عليك .. فأنت الرجل وأنت المسؤول ، ابحث عن الخطأ عندك أولاً ، ولا تَخدع نفسك فتتوهم انك ملاك مظلوم تعيش مع شيطانة مريدة.

واعلم أن النجاح الحقيقي في الحياة يبدأ من بيتك أولاً.





53

...هويتك تصنع مستقبلك







في كل دول العالم يحتاج الفرد رجلا كان أم امرأة أن يحمل معه ما يثبت شخصيته وجنسيته ، وبعض المعلومات البسيطة عنه.

وعندنا في العراق نسمي هذه البطاقة بالهوية الشخصية .. وهي على صغرها لا يستغني عنها أحد في مراجعاته للدوائر الرسمية .. أو ليعرِّف نفسه للجهات الرسمية عندما تطلب منه ذلك.

وهذه البطاقة مع أهميتها الكبيرة تبقى مقتصرة على الرسميات .. بينما الآخرون من أفراد المجتمع لا تهمهم هذه البطاقة ، بل تهمهم هويتك الحقيقية والتي تعكسها شخصيتك.

هذه الهوية أوسع من البطاقة التي تحملها في جيبك وهي التي تقدمك للناس لأنها شخصيتك الحقيقية ، وهي التي تصنع مستقبلك مع الناس.

والإنسان الناجح هو الذي يتقن صنع هويته الحقيقية ويعتز بها .. ولا يترك هويته بيد الآخرين ليعبثوا بها ويزوروا قدراته وصفاته الايجابية ويحولوها إلى سلبيات وتفاهات.

تخيل بطاقتك الشخصية وقد وقعت بيد مزورين مجرمين فماذا تتوقع أن يفعلوا بها ، سيستخدمونها أسوأ استخدام فيغيروا صورتك ويضعوا صورة أخرى ثم يرتكبون بها الجرائم وربما تركوها في مكان الجريمة بعد أن يعيدوا صورتك ، فتكون أنت المتهم الأول ولا ينفعك ادعاء البراءة حتى تثبتها بعد تعب وجهد.

وهكذا فان أي قوة محتلة غاشمة تسعى جاهدة أن تغير من هوية أبناء وبنات الشعوب المستضعفة المحتَلة وتمسخها .. لكي تضمن بقاء سيطرتها وهيمنتها على البلد.

ومن صور مسخ الهوية التي يروج لها المحتل هي الثقافة الهابطة الخليعة ، فالمحتل لا يعلم أبناء البلد المظلوم كيف يطور نفسه ويرتقي بمعيشته وأسلوب حياته ، بل ينشر ثقافة الفساد



ويسهل أمر الوصول إليها بأيسر الطرق عن طريق الفضائيات والانترنت والمجلات والكتب وغيرها من الوسائل.

ومن صور مسخ الهوية نشر الأزياء الغريبة والتي تعكس ضياع الشباب وضياع أهدافهم في الحياة.

ومن صور مسخ الهوية المحاولة الدائمة والمستمرة لإبهار المستضعفين بالتقنية والمنجزات التي يقوم بها المحتل والتي يعود نفعها له ولا ينفع الآخرين بها إلا بالفتات القليل.

ومن صور مسخ الهوية قتل معنى الوطنية في نفوس الشباب فلا يفكر احدهم في خدمة بلده بل يفكر في الهجرة إلى الدول المتقدمة ليعيش في الجنة التي يتخيلها .. وإذا لم يستطع الهجرة فانه يجهد لخدمة نفسه فقط .. ويفكر فيما سيكسبه ومن أي طريق ولو كان فيه خراب البلد.

وبما أن الإنسان مفطور على حب القوة والأقوياء والافتتان بهم لذا فمن السهل أن يقع شبابنا فريسة لهذا التضليل في المفاهيم والملابس والمبادئ والطموح ، ويرون فيه تحرراً وانعتاقاً وسيراً في طريق الحضارة والتقدم ، وفاتهم أن ما يقدمه المحتل هو أمراض قاتلة للشخصية والهوية السوية ، يصدّرها لنا بلا أي وازع من ضمير ، بل إن عقلاء الغرب وحكماءهم يحذرون منها ويرون فيها انهياراً للحضارة الغربية نفسها قد لا يتأخر.

وهذا الذي يحصل لنا ليس فريداً من نوعه فقد حصل سابقاً لشعوب أخرى وقعت تحت الاحتلال .. منها من ثبت وبصلابة على هويته وحافظ عليها إلى الآن كاليابان وألمانيا .. ومنهم من أضاع هويته وانتماءه كبعض بلادنا العربية.

الخطوة الأولى للاستدراك تبدأ من الانتباه لهويتنا التي تميزنا عن غيرنا من الشعوب وتسليط الضوء عليها وهذا واجب الدولة أولا ببرامجها وإعلامها ومؤسساتها.



ثم واجب مؤسسات المجتمع المدني الوطنية[٩] والتي بإمكانها أن تضع البرامج التثقيفية لشبابنا وشاباتنا كيلا يُتركوا فريسة للمنظمات الوافدة التي تسعى لتحقيق أهداف من يمولها ولا يهمها صلاح البلد أو خرابه.

ويشترك في هذا الواجب المعلمين والمعلمات .. من المراحل الابتدائية إلى الدراسات العليا .. لأنهم قدوة لأبنائنا وكلامهم مقدس عند التلاميذ ، خاصة في المراحل الابتدائية والمتوسطة.

ويشترك في هذا العلماء والخطباء ، فالناس تسمعُ لهم وتثق بهم وهم أولى من غيرهم بحمل أمانة الحفاظ على هوية شعبنا.

ويساندهم المفكرون والمثقفون وكل من له أدنى تأثير فيمن حوله .. لأن صيانة الهوية عمل عظيم لا يمكن لفئة واحدة أن تستقل به.

وللبيت دور مهم في هذا الشأن .. فعلى الأب والأم أن يكسبوا ثقة أبنائهم ويكونوا مرجعا لهم في سلوكياتهم وملبسهم وعلاقاتهم وهذه حصانة مهمة للشاب خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة.

تبقى ملاحظة مهمة أخيرة ..

إن الإنسان إذا أصابه داء خفي لا يستشير أحداً وربما رفض العلاج ، لأنه لا يعتقد أصلاً انه مريض.

لذا ننصح كل الجهات التي ذكرناها آنفاً أن تتعامل مع فئة الشباب خاصة بهدوء وروية ، وتقنعهم أولاً بخطورة تقليد سلبيات المحتل في المظهر والمخبر ، وتقنعهم أن هذا الطريق مقصود لكي يحرم البلد من طاقاتهم البناءة .. وإذا اقتنعوا فإنهم سيُغيرون من حالهم وبسرعة وسيعودون لنبعهم الأصيل وهويتهم النظيفة ... أما المواجهة المباشرة والعنف معهم فانه لا ينفع .. قد تختفي المظاهر

---

٩ ـ وأؤكد على المؤسسات الوطنية لأن الكثير من مؤسسات المجتمع المدني في ظل اوضاعنا اليوم لا يهمها الا التمويل ولها ارتباطات مشبوهة بمؤسسات خارجية لا تهمها مصلحة البلاد وانما لها اغراض محددة تريد تحقيقها.



السلبية مؤقتا ثم تظهر أقسى واعنف مما هي الآن إذا حانت لها فرصة.

ولنا عبرة بالمجتمعات التي سبقتنا في هذا الطريق.





54

...من هنا يبدأ التحرير







مِن طبائع البشر التي فُطروا عليها بغضهم للاستعباد والظلم وان تُغتصبَ حقوقهم .. وإذا أردنا أن نجمع هذه الكلمات السيئة في كلمة واحدة ستكون ... الاحتلال.

إذا احتل شعب قوي بلداً آخر سيحاول بأي طريقة استعباد أفراده وظلمهم واغتصاب حقوقهم المادية والمعنوية.

ولا يوجد عاقل يثق بمن احتل بلده ، نعم قد يخضع للمحتل بسبب ضعفه إلى حين .. وقد يُطيع القويَّ إلى حين .. ولكنه بمجرد أن يمتلك القوة ويخرج من ضعفه .. فانه سيحاول بكل وسيلة إخراج المحتل كما يحاول الجسم المريض إخراج الجراثيم التي غزته في غفلة من مناعته كي يستعيد صحته وعافيته.

وتختلف الشعوب في مقاومتها للغزاة باختلاف ثقافاتها وطبيعة أرضها وتأريخها ، ولكنها تتفق كلها في نقطة البدء ، ولم أجد في التاريخ القديم ولا الحديث من شذَّ عن هذه البداية.

ما هي هذه البداية ؟

ومن أين يبدأ التحرير ؟

انه يبدأ من العقول

كل من أراد التحرر قديماً وحديثاً ، بدأ أولاً بإخراج المحتل من عقله .. فالمقاومة تبدأ من العقل والفكر أولاً ، فان لم تكن البداية من هنا فان النهاية ستكون مؤسفة.

المحتل في عصرنا لا يعتمد على قوة السلاح فقط ، فهو قبل غيره وبخبرته المتراكمة ، يعلم أنها اضعف الوسائل للسيطرة والغزو ، وقد تيقنَ من هذا بالتجربة الطويلة وفي حروب كثيرة.

وهو يعلم جيداً انه لا يمكنه البقاء في غير أرضه لفترة طويلة لأن الشعب المقهور سيرفضه بأرضه وسمائه كما يرفض الجسد



الحي جرثومة المرض ، انه يعلم انه سيخرج مهما طال الزمان أم قصر.

لذا فالمحتل في هذا العصر يركز على احتلال العقول وبصورة خفية ، حتى إذا اضطر للخروج بقيت آثاره وثقافته ومصطلحاته وأسلوبه في الحياة ، وهذا هو المطلوب.

فالقوي في النهاية يريد من الضعفاء أن يتبعوه ويصطبغوا بصبغته .. وهكذا يحقق الهيمنة والسيادة.

من عقولنا يبدأ التحرير

لأن ثقافة المحتل السيئة غزتنا عن طريق وسائل الإعلام ووسائل الاتصال ، واضرب مثلا بالفضائيات والانترنت ففيهما خير كثير لا شك في ذلك ، ولكن الشر الذي فيهما أيضا كثير .. ولم نعد نأمن على فتياننا وفتياتنا من الصغار والمراهقين وحتى الكبار من هذا الشر.

علينا أن نفكر بجد .. أن الاحتلال الحقيقي لنا هو ثقافة الانحلال والانحراف الأخلاقي والخيانة والاختلاس واللاوطنية والمخدرات التي غزت مجتمعنا.

وعندما نبدأ التحرير ، نبدأ مع شبابنا وفتياتنا برفع مستوى ثقافتهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم إلى الحد الذي يفرقون به بين السم والدسم ، إلى الحد الذي يعتزون فيه بدينهم وتراثهم وأخلاقهم وأعراف مجتمعهم .. وهذا الخطاب هو نفسه للمسلم والمسيحي وكل الطوائف الأخرى .. فالانهيار إذا حدث في المجتمع نحو الجريمة وانحطاط الأخلاق لن يفرق بين أفراد المجتمع بل سيشمل الجميع بمذاهبهم وطوائفهم ودياناتهم.

إذا حررنا عقولنا سنعود شعباً واحداً مترابطاً ... وإذا بقي الاحتلال في عقولنا سيقتل بعضنا بعضاً.

إذا حررنا عقولنا ستكون مصلحة البلد فوق كل شيء ... وإذا بقي الاحتلال في عقولنا ستكون مصالحنا الشخصية فوق كل شيء.



إذا حررنا عقولنا ستكون الأخلاق الرفيعة العالية هي القائدة لكبارنا وصغارنا ... وإذا أبقينا عقولنا محتلة سينتشر الانحطاط الأخلاقي ولن يسلم أحد من هذا الخراب.

إذا حررنا عقولنا سنبدأ بتنمية الإنسان والمجتمع ، وشعبنا ذكي أصيل لا تنقصه الكفاءات ... وإذا أبقينا عقولنا محتلة سنخرِّب الإنسان ويتبعه المجتمع بالتأكيد.

إذا حررنا عقولنا لن تخيفنا المؤامرات والدسائس الدولية ... وإذا بقيت عقولنا محتلة سنخاف من بعضنا البعض ولن نشعر بالأمان.

من هنا نبدأ التحرير .. من عقولنا

نبدأ من رياض الأطفال والمدارس والجامعات ومؤسسات المجتمع المدني ، من الندوات والمؤتمرات ، في الإعلام ، مكتوباً ومقروءاً .. نرفض بكل وضوح ثقافة المحتل المنحطة ... في الكلام ، في اللباس ، في الطعام ، في السلوك.

ونستفيد من نفس التقنيات التي سخرها لاحتلال عقولنا .. في الإعلام والاتصالات والكومبيوتر والانترنت ، نستفيد منها ومن غيرها لنقلب السحر على الساحر .. نستخدمها في الخير والصلاح وهذا من حقنا.

ونستخدمها لتحرير عقولنا أولاً...

ومن هنا يبدأ التحرير الحقيقي.





55

لا تنتظر الامتحان...







اقتربت امتحانات العام الدراسي الحالي .. ولكني لن أتكلم عن هذه الامتحانات في هذا المقام .. فقد اكتشفت بعد أن قضيت على مقاعد الدراسة أكثر من ٢٢ عاما ، أنهيت فيهما تخصصين ودراسة عليا ، أن هذه الامتحانات يسيرة وسهلة إذا ما قورنت بامتحانات الحياة.

عندما كنا طلاباً كان أساتذتنا ينصحوننا دوماً أن لا ننتظر الامتحان لكي ندرس ، لأن الوقت لن يسعفنا .. وكان عندنا متسع من الوقت لندرس ونتهيأ للامتحان (وقد كنت ولا زلت اكره كلمة الامتحان وأفضل عليها كلمة الاختبار).

وكان الأذكياء يحضرون دروسهم يوماً بيوم وعندما يحين موعد الامتحان يقبلون عليه بثقة ويخرجون منه بدرجات عليا.

وعندما فارقتُ مقاعد الدراسة ودخلت مدرسة الحياة وجدت الوضع مقلوباً..

فقد كان عندنا في المدرسة معلم يعلمنا وينبهنا ويؤدبنا .. أما في مدرسة الحياة فلا احد يعلمك إلا نادراً وقد يعلمك بأسلوب ينفرك ويبعدك عن الحق ، وإذا أخطأتَ وجدتَ اللوم حاضراً ولا أحد يعذرك.

في مدرستنا العادية كنا نقرأ منهجاً معلوماً ونمتحن فيه .. أما في مدرسة الحياة فكل حركة وقرار تتخذه يحتاج إلى منهج خاص وفهم خاص ، وهذا يتطلب منك التعب والبحث عن ناصح أمين (متخصص) ليفهمك ويعلمك كي لا تتورط فيما لا تعلم.

في مدرستنا عندما كان الطالب يرسب في الامتحان يُعطى فرصة ثانية وثالثة ليعوض ما فاته .. أما في مدرسة الحياة فالامتحان مرة واحدة وقد لا تجد فرصة أخرى أبداً.





في مدرستنا كان الامتحان يأتي في موعد محدد وله وقت محدد .. أما في مدرسة الحياة فان الامتحان يأتيك فجأةً ، وسواء كنت جاهزاً أم لا فان الحياة لا تعذرك ، ويمكن إن تفشل في أتفه الامتحانات.

واغرب ما اكتشفت واخطر ما اكتشفت هو أن الامتحان في مدرستنا يأتي بعد الدراسة والتحضير ، فأنت تدرس وتتعلم ثم تمتحن .. أما في مدرسة الحياة فان الامتحان يسبق التعلم .. فالحياة تمتحنك أولاً ثم تتعلم منها الدروس والعبر (إذا أردت) .. أما إن لم ترد التعلم ولم تتعظ فهناك امتحانات أقسى بانتظارك.

وما أجمل قول الشاعر الحكيم حين ترجم هذا المعنى فقال:

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركُموا مني ابتسام
فقولي مضحك والفعل مبكي

هكذا وجدتُ مدرسة الحياة .. تمتحنُ لتعلّمْ .. وغالباً ما يكون امتحانها صعباً ومبكياً.

الذكي الذي يبحث عن النجاح لا يتكل على نجاحه في مقاعد الدراسة وشهاداتها ، بل يستمر في التعلم والتعلم ولا يكف عن البحث والتعلم مهما تقدم به العمر ومهما زادت الأعباء .. ويبقى دائمَ البحث عن علم جديد وحكمة جديدة.

يبقى دائم البحث عن:

- العلم بالله وبسننه في الحياة وبما يرضيه تعالى.
- العلم بنفسه وخيرها وشرها.
- العلم بالناس وطبائعهم.
- العلم بطرق الخير ووسائل نشره.
- العلم بالسعادة وينابيعها.
- العلم بالشيطان ومكائده.





هذه نماذج للعلم المطلوب ، وضاعفها مائة ضعف كي تتهيأ لامتحانات الحياة التي تواجهك يومياً .. ولتعيش بأمن وسلام مع نفسك ومع الآخرين ، ولتكون ناجحاً في دنياك وآخرتك.

إن الذي يأخذ نفسه بالأدب ويهيئ نفسه لامتحانات الحياة بالعلم والتقوى وبنية صالحة وقلب سليم سيعينه الله تعالى ولا بد على اجتياز هذه الامتحانات.

أما الذي يعيش سبهللاً لا هو في أمر الدنيا ولا في أمر الآخرة ولا يؤدب نفسه .. فانا اضمن له أن الحياة ستؤدبه قبل أن يموت، وستُبكيه كثيراً على ما فرّط .. لأنه لم يفقه أن مدرسة الحياة غير مدرسة الحكومة.

ولم يتعلم أن الحياة تمتحن الغافلين ليتعلموا ، فان لم يتعلموا ستُصَعِّب الامتحان في المرة القادمة.

ولم يفقه أن الحياة تمتحنُ ثم تُعلم ، وليست كالمدرسة تعلم ثم تمتحن.

وهكذا سيُمضي حياته يتقلب بين المِحن والامتحان.

ولذا أذكرك أيها الساعي إلى النجاح بما بدأتُ به مقالي:

- لا تنتظر الامتحان





56

...مهارات الصيام







للنجاح في الحياة مهارات تختلف باختلاف الصنعة التي تريد أن تنجح فيها ، فقد تجد أستاذاً ماهراً في التعليم ، وتجد رجلاً ماهراً في التجارة ، وسيدةً ماهرةً في تربية الأطفال وتعليمهم.

والمهارة عند الناجحين تعني إتقان الصنعة بسلاسة ، ثم التميز فيها ، ثم الإبداع.

فأن تكون متقناً لعملك ، فهذه درجة في سلم النجاح ..

وان تتميز في العمل فهذه درجة أعلى ..

وإذا أبدعت في عملك ، أي أتيت بشيء غير مسبوق ، فقد وصلت أعلى الدرجات في النجاح ، ويبقى عليك مهمة كبرى هي أن تحافظ على هذا النجاح.

وفي أجواء رمضان المباركة والماتعة ، نريد أن ننتبه إلى بعض مهارات النجاح التي يمكن أن نستفيدها من رمضان والتي سميتها (مهارات الصيام)

أولاً لكي تتقنها ..

وثانياً لكي تتميز فيها ..

وثالثاً كي تبدع فيها ..

ومهارات الصيام كثيرة بكثرة أفعال الخير ، فكونك تتصدق هذا عمل خير ، ولكن أن تتصدق في رمضان فهذه مهارة إضافية تتفنن فيها.

وان تبتسم للآخرين عمل حسن ، ولكن أن تبتسم في رمضان رغم جوعك وعطشك فهذه مهارة تتفنن فيها ، وقِسْ على ذلك باقي الأمور.

وسأقتصر في هذا المقال على مهارة تعتبر من أعلى مهارات النجاح وهي مهارة (ضبط النفس).



من الصفات العظيمة التي يتصف بها الناجحون في الحياة هي أنهم باستطاعتهم ضبط أنفسهم ورغباتهم.

ويختلف الناجحون في نوع الحاجات والشهوات التي يستطيعون ضبط أنفسهم فيها .. ولكن الجميع يتفقون على أن أي إنسان .. رجلاً كان أم امرأة .. يمكنه أن يرتقي أكثر في مدارج الإنسانية والنجاح .. كلما كان أكثر ضبطاً لنفسه ولشهواته.

فالقائد الذي يغضب بسرعة ويعاقب بسرعة قد يكون ناجحاً، ولكنه لا يرقى إلى مستوى القائد الذي يملك نفسه عند الغضب.

والخطيب الذي لا يستغني أثناء محاضرته عن كأس الشاي لأنه يشعر بدوار إذا انخفض منسوب الشاي في دمه قد يكون ناجحاً ولكن بصورة اقل من مثيله الذي لا يهتم حتى بوجود الماء أمامه.

من هنا نقول إن رمضان مدرسة لمهارات وفنون ضبط النفس .. واستفادتك من رمضان ستكون بقدر انتباهك لهذه المهارات والفنون وممارستها خلال الشهر لتصبح عندك خلقاً وسجية بقية العام.

ومن أمثلة ضبط النفس

إذا كنت كثير الكلام .. تعلم مهارة الصمت في رمضان.

إذا كنت كثير الأكل .. قلل من نسبة ما تأكل.

إذا كنت مدمناً على الشاي والقهوة .. تعلم تركها تدريجياً.

إذا كنت تدخن السكاير .. تدرب على تركها.

إذا كنت سريع الغضب .. تعلم مهارة ضبط أعصابك.

إذا كنت ترى في نفسك كبراً وغروراً .. تدرب على مهارة التواضع وأخْفِ نفسك وعبادتك في رمضان.

إذا كنت متذمرا من كل شيء وفي كل وقت .. انظر حولك إلى نعم الله تعالى التي حرم غيرك منها وتعلم مهارة التفكر في نعم الله وداوم على الحمد.

إذا كنت بخيلاً .. تدرب على مهارة الإنفاق.





إذا كنت مسرفا .. تدرب على الاقتصاد.

وبذكائك تستطيع اكتشاف مهارات أخرى تتدرب عليها في هذا الشهر الكريم لتضبط نفسك وشهواتك.

وقد اعتاد الناس أن يصفوا رمضان بالكرم ، فيقولون "رمضان كريم" لأنه شهر الخير والبركة والمغفرة ، وهي تجليات الكرم الإلهي على البشر.

ومن كرمه انه منعك في ساعات معدودة من الطعام والشراب ، ليس بغرض أن تجوع ، فالله تعالى غني عن جوعنا وعبادتنا فهو الكريم .. ولكن لينبهنا أن أقسى الحالات في ضبط النفس ، وهي الجوع والعطش ، يمكن أن يتعود الإنسان عليها خلال أيام.

فكلما مرّت أيام رمضان تعوّدنا أكثر على نمط الحياة الغريب هذا .. وهذا درس (عملي) لنا لنتيقن عملياً أن التغيير ممكن في حياتنا .. مهما كان صعباً وغريباً.

فإذا كان المنع من الطعام والشراب في أيام الحرّ والبرد يمكن التعود عليه ، فمن باب أولى بقية المهارات الصالحة التي هي من أخلاق وسمات المؤمنين الناجحين يمكن أن نكتسبها ونداوم عليها في رمضان وبعده.

وبهذا لا عذر لمن يقول لا استطيع ترك التدخين ، أو لا استطيع أن أتمالك أعصابي ، أو لا اقدر على النوم بدون عشاء ..الخ

فأنت تستطيع أن تفعل أي شيء مع نفسك كي يسلس لك قيادها وتكون أنت صاحب القرار ، وليس شهواتك وضعفك.

وهذه فرصة لتتدرب في رمضان ، فاستعن بالله يفتح لك بكرمه الأبواب الموصدة وتكون من الناجحين.





57

...الدور الثاني







يمرُّ الكثير من طلبتنا الأعزاء وفي مختلف المراحل الدراسية بتجربة غير مفرحة حين تعاكسهم ظروفهم ويرسبون في بعض المواد ، ومن ثم يتهيئون للامتحان فيها مرة أخرى.

ونسمي هذا الامتحان المرّ بالدور الثاني ، وفي هذه التسمية نوع من التخفيف النفسي ، وكأن الأمر الطبيعي أن يكون في حياة الطالب دور أول ودور ثانٍ.

وهذا من الايجابياتٍ التي يفترض بالطالب أن يحسن استغلالها .. فلا بأس إن لم ينجح في المحاولة الأولى أن يكرر التجربة وينجح في المحاولة الثانية ، وربما يحصل على درجات أعلى وأفضل.

وفي الحياة عموما يمثل الفشل في أمر ما تجربة يستفيد الأذكياء منها ، فلا يكررون أخطاءهم مرة أخرى ، ومن هذا الفشل وأمثاله يكتسب الإنسان خبرة عظيمة تفيده في مسيرة النجاح.

فسنة الله تعالى في خلقه أن الإنسان كي ينجح في الحياة عليه أن يتحرك ويجرب ويغامر أحيانا ، وهذه التجارب تكون أحياناً مقرونة بالفشل ، فلا نجاح بدون حركة وتجربة ، ولا يخطئ إلا من يتحرك ويجرب .. وإلا لكانت الأحجار من أفضل المخلوقات لأنها لا تخطئ ولا تفشل ، لأنها لا تتحرك أصلاً.

وليس عيباً أن يخطئ الإنسان أو يفشل في حركته ولكن العيب أن يكرر الخطأ نفسه ويقع في ذات الفشل ولا يتعظ من أخطاءه.

ولا ننكر على أبنائنا وبناتنا من الطلبة أن يرسبوا ببعض المواد (لأي سبب كان) فأمامهم فرصة أخرى ليعوضوا ما فاتهم .. ولكن نطالبهم بان يكونوا أذكياء باستغلال هذه الفرصة.

ابتداءً .. من الخطأ أن يقرن الطالب ذكاءه بالنجاح أو الرسوب في مادة ما (وهذا الكلام للآباء أيضاً) فلا علاقة بين الذكاء



والدرجات .. فكل طالب أو طالبة ذكي بدرجة ما ولكنه أساء استغلال ذكائه في الدراسة.

والآن يفترض أن تتصرف بذكاء في التحضير للدور الثاني وتتجاوز بعض الأخطاء التي أدت إلى فشلك في هذه المادة أو تلك.

وهناك أمور اجتماعية ونفسية تتعلق بذات الشخص أدت إلى فشله في الدور الأول وهذه لن أتكلم عنها ، لأن لكل حالة كلام خاص ولا يمكن حصرها ، ولكن سأعرض أموراً يشترك فيها غالب الطلبة عندما يذاكرون استعداداً للاختبار:

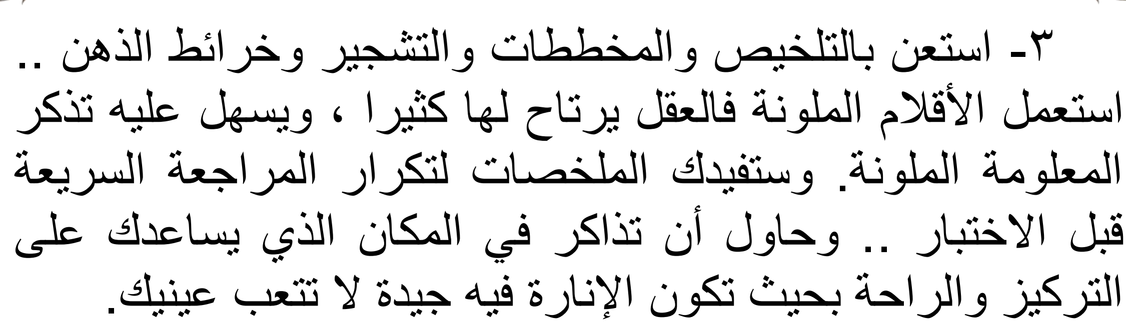
١- نبدأ بوقت الدراسة: قد لا يختار الطالب الوقت المناسب للدراسة فيقرأ المادة طيلة النهار حرصا منه على إتمامها وفهمها .. وهذا يؤدي به إلى الإرهاق والتعب .. وإذا تعب الذهن بدأ السرحان والضجر ثم تتمدد فترة الدراسة .. والصفحات التي تتطلب ساعة سيقضي بها ساعتين .. وكلما طال الوقت زاد الضجر وقلَّ الفهم وهكذا.

الحل: اجعل وقت دراستك عندما تكون نشيطاً في أي وقت من النهار ، وقسم وقت الدراسة (أقصى وقت ٤٠ دقيقة) لكل مرة ، خذ بعدها استراحة إجبارية لعشر دقائق أو ربع ساعة ، وعد بعدها لأربعين دقيقة أخرى وهكذا.

٢- ومع ذلك قد يقع طالبنا العزيز في السرحان وعدم التركيز فيعيد الصفحة مراراً وتكراراً ويظن أن عنده مشكلة في الفهم بينما مشكلته الحقيقية في التركيز.

الحل: القاعدة في التحضير لأي اختبار ليس طول فترة الدراسة وليس الحفظ عن ظهر قلب بل التركيز .. اهتم بهذه الكلمة .. التركيز .. القراءة بتركيز لمدة عشر دقائق تعدل قراءة بلا تركيز لساعة وأكثر ، وكلما دربت نفسك على التركيز وحضور الذهن عند القراءة ستكون دراستك فعالة أكثر وفهمك وحفظك أكثر.





٣- استعن بالتلخيص والمخططات والتشجير وخرائط الذهن .. استعمل الأقلام الملونة فالعقل يرتاح لها كثيرا ، ويسهل عليه تذكر المعلومة الملونة. وستفيدك الملخصات لتكرار المراجعة السريعة قبل الاختبار .. وحاول أن تذاكر في المكان الذي يساعدك على التركيز والراحة بحيث تكون الإنارة فيه جيدة لا تتعب عينيك.

٤- كن واثقا من ذكائك وقدرتك على اجتياز الدور الثاني ، وكن واثقاً أن فشلك في هذه المادة ليس سببه مشكلة في عقلك وفهمك ، وليس سببه صعوبة المادة ، بل هناك أسباب في طريقة الدراسة أو ظروفها أدت إلى هذه النتيجة.

٥- قبل كل ما ذكرنا وبعده .. لا تنس أهم عامل في توفيقك وتيسير أمرك وهو الدعاء ، ادع الله أن يعينك ، ولا تقصر في الأسباب التي ذكرناها وستجد النجاح أمامك.

تمنياتنا لكل أبنائنا وبناتنا بالنجاح والتوفيق .. ونرجو من الآباء أن يكونوا عونا لأبنائهم ومصدراً لتشجيعهم وتوفير الظروف المناسبة للتخفيف عنهم.





58

...دعوة للتفكير





في كل أنظمتنا التعليمية والتربوية هناك اهتمام كبير بكم المعلومات التي تعطى للطالب ، والتي يجب عليه فهمها وحفظها ليستطيع تجاوز الامتحانات التي سيواجهها خلال مسيرته الدراسية.

وغالباً ما يعاني طلابنا من صعوبة الفهم والحفظ ، وخاصةً للمناهج الجديدة التي تتغير باستمرار ، لتلاحق التطور المتسارع في العلوم.

ومع ذلك فإن هذه المناهج كلها تخلو من أي مادة تعين الطالب على تعلم وإتقان عملية التفكير السليم ، وكيف يتعامل مع هذا الكم الهائل من المعلومات التي تعطى له خلال مسيرته الدراسية.

لذا أود لفت أنظار أعزاءنا المدرسين والمشرفين ومن يقنن المناهج الدراسية إلى نظم جديدة بدأ العالم المتقدم يأخذ بها من عشرات السنين ، وهي اعتماد برامج تطوير التفكير ، وتقنيات ومهارات التفكير ، ضمن المناهج الدراسية.

وقد قطع الغرب أشواطاً كبيرة في هذا المجال وظهرت نظريات كثيرة تستحق الدراسة ويمكن ان نأخذ منها ما يفيدنا.

عندما التقي مع بعض الطلاب والطالبات غالباً ما اسمع شكاوى متكررة مثل:

- ذاكرتي ضعيفة ، هل هناك طريقة لتقويتها ؟
- الوقت لا يكفيني للدراسة ، فكيف تريد مني أن اقرأ كتباً خارجية ؟
- إنا لا افهم المادة بسهولة.
- المدرسون لا يشرحون لنا المادة بصورة مفهومة.
- لا تعجبني قراءة الكتب ، والكتب المنهجية مملّة.

وكنتيجة طبيعية لهذه المشاكل اليومية للطالب ، ونتيجة لغياب مهارات التفكير السليم عند المعلم والطالب .. ظهرت في مجتمعنا



تقليعتين جديدتين لم نكن نعرفهما أيام كنا طلاباً في أعمارهم ، أو كانت موجودة لكن بحدود ضيقة جداً.

الأولى هي ظاهرة (الملازم) التي تُلخص فيها المادة وتُحشر فيها مجموعة من الأسئلة والأجوبة ، ويقوم بوضعها مدرسون فنانون في مثل هذا العمل ، وتباع للطلاب أو تباع في الأسواق ويشتريها الطالب مضطراً ، لأنه يعلم أن المدرس الذي وضعها سيضع أسئلة الامتحان منها ، والمضحك أن هذه الملازم أصبحت تشمل كل المواد وكل المراحل حتى في المرحلة الابتدائية !

والظاهرة الثانية هي (الدروس الخصوصية) وهذه تحتاج وقفة أكثر من الظاهرة الأولى ، لأنها ممارسة لها بعد أخلاقي واجتماعي.

اذا عدنا سنوات الى الماضي ، أيام كان التعليم بخير وأيام كان للمعلم مهابة ومكانة في المجتمع ، كان المعلم يفِرُّ من الدروس الخصوصية فراره من الأوساخ التي يخشى أن تلوث ثوبه .. لأنه كان يرى في عمله قدسية ورسالة ، والمعلم الناجح هو الذي لا يحوج طلابه إلى غيره.

واذكر جيداً أن أساتذتنا ومعلمينا الأجلاء كانوا يحتقرون المعلم الذي يعطي دروساً خصوصية ، وينظرون إليه بازدراء ، ومن يُبيح لنفسه مثل هذا الأمر يُخفيه وكأنه يرتكب منكراً ، وكانت هذه النظرة السائدة في المجتمع آنذاك تضبط المعلمين وتدفعهم للإخلاص في عملهم أكثر مما يدفعهم الخوف من عقوبة الوزارة.

هاتان الظاهرتان أي الملازم والتدريس الخصوصي كبرتا مع الأيام وأصبحتا وسيلة مربحة في غياب أساس صحيح لنظام تعليمي رصين ، لأن الأساس الذي يقوم عليه تعليمنا يتكون من معادلة غير مكتوبة ولكن الكل تواطأ عليها وهي:

احفظ + املأ ورقة الامتحان = درجة جيدة = طالب ذكي ومحترم





لقد هَجَر النظام التعليمي في العالم المتقدم هذا الأسلوب المتخلف وأصبحت المعادلة عندهم:

علِّم الطالب أسلوب التفكير الصحيح + وجهه إلى العلم الذي يرغب فيه = إنسان منتج في المجتمع = إنسان محترم ومقدر.

وكنتيجة لهذا النظام الصحيح في التعليم لم يعد للشهادة تلك القدسية التي كانت لها من قبل ، بل أصبح المجتمع يحترم صاحب المهارة في صنعته حتى لو لم يحمل شهادة عليا أو غير عليا.

إن تعليم مهارات التفكير لأبنائنا الطلبة ليس صعباً أو مستحيلاً بل هو يسير جداً وخاصة بعد الثورة التكنولوجية وثورة المعلومات ودخولنا عصر الفضائيات والانترنت ، لكنه يحتاج لإرادة صادقة من أصحاب القرار واهتمام حقيقي من إخواننا المعلمين ، وأول هذا الاهتمام أن يهتموا هم بتطوير أنفسهم ويتدربوا على مهارات التفكير وأساليبه وهي سهلة ميسرة.

لذا لم اعد أعجب كثيراً حين يأتيني مدرس مثقف يشكوا من انه لا يستطيع إقناع ابنه بالدراسة ، وهو في نفس الوقت يصف ابنه بالذكاء والعبقرية ، فإن كان صاحب المهنة لا يمكنه أن يفيد اقرب الناس إليه فأي تعليم يرجى بعد ذلك !

لا يوجد إنسان لا يفكر .. حتى المجنون لديه نوع تفكير خاص به .. **لكن التفكير شأنه شأن أي قدرة عند الإنسان إن لم نُمارسها بصورة صحيحة ، وإذا لم نُطورها سوف تضعف بمرور الأيام وتهزل .. ولا يعود الإنسان الذي كرمه الله يفكر بأكثر مما يفكر به القِطّ الذي يعيش قربَ بيته.**

بمناسبة بدأ العام الدراسي الجديد ، أتمنى لأبنائنا طلاباً وطالبات كل التوفيق والنجاح ، وأدعوا كل من يهمّه الأمر للاهتمام بمهارات للتفكير.





59

...سر الحكمة







عشقَ الإنسانُ الحكمةَ من قديم الزمان ولا يزال .. لأنه يرى فيها سمو العقل البشري واقترابه من الكمال.
وقد بين الله سبحانه وتعالى عظمة الحكمة فقال تعالى:

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾

هذا وصف الله تبارك وتعالى للحكمة فتأمل.
وعندما يصف الناس شخصاً ما بالحكمة ، فهم يرون فيه عقلاً راجحاً ، وهم قد اختبروا عقله في السراء والضراء فانتفعوا بنصحه وتوجيهه.
لذا فان هذا الحكيم يكون محترماً بين الناس ولا يعترض على كلامه احد ، ويسمع نصحه الصغير والكبير ، بل إن الجميع يتسابق إلى سؤاله وطلب مشورته ، والجميع يفخر بنقل كلامه ويفخر بتنفيذ أوامره وتوجيهاته ، وأكثر من ذلك يوصون الآخرين بها وينشروها بين الناس.
إن منزلة الحكماء أعلى بكثير من منزلة الملوك والحكام، وذكرُهم أبقى ، وسيرتهم وكلامهم خالد تتناقله الأجيال.
وكل إنسان يطمح أن ينال هذه المنزلة ، ولكن النوادر من أهل الهمم العالية هم من يصلون الى هذه المنزلة بأسباب وتوفيق.
أما التوفيق فمن الله تعالى ولا رادَّ لأمره ، وأما الأسباب فهي مناط كلامنا.
والسؤال هو: **هل هناك أسباب توصل الإنسان إلى الحكمة أم إنها موهبة ربانية فقط لا يد للإنسان فيها.**



هي في الحقيقة موهبة ربانية ، ولكن الله تعالى يهبها لمن استكمل أسبابها من البشر وهذه الأسباب يمكن تعلّمها ومع الهمة العالية تؤتي اكلها.

ومن أهم الأسباب الموصلة إلى الحكمة هو السؤال الصحيح

الحياة من حولنا كثيرة المتغيرات وهي معقدة أكثر مما نتصور ولكننا نُسطحها ونبسطها في تعاملنا اليومي ، لذلك لا نسأل كثيراً، وبالتالي نفاجأ بنتائج غير متوقعة ، ولا ندري كيف ولم حصلت هذه النتائج.

وكل ذلك لأننا لم نتعلم كيف نسأل السؤال الصحيح ، بل لم نتعلم أن نسأل من الأصل إلا إذا اضطررنا للسؤال.

والتدرب على السؤال هو مفتاح التعلم .. والصحيح أن ندرب أبناءنا منذ الصغر أن يسألوا ولا يخافوا أو يستحوا من السؤال لأنه طريق العلم والحكمة.

نعلمهم كيف يسألوا السؤال الصحيح ، ونجيبهم بوضوح على أسئلتهم ولا نعنفهم أو نقول لهم هذا عيب لا تسألوا هذا السؤال ، أو نقول أنت صغير وهذه الأسئلة لا تليق بك الآن.

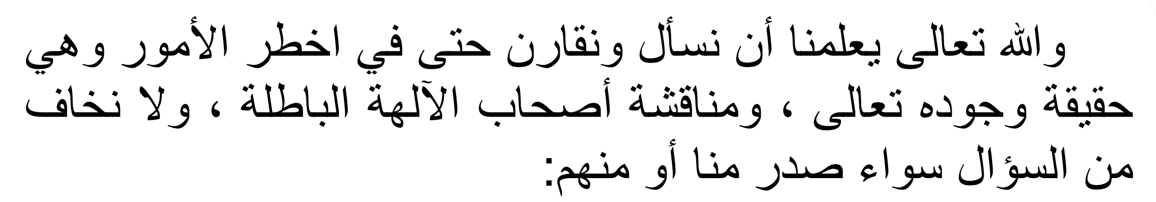
كل البشر يسألون بطريقة ما ، **ولكن السؤال الصحيح هو فن يتقنه الحكماء فقط ...** ونحن امة في تاريخنا المئات من الحكماء وقد ورثنا آلاف الكتب وآلاف المقولات من الحكمة.. والدور علينا في الاستفادة من هذه الكنوز التي ورثناها.

ولا يكفينا طباعة الكتب وقراءة الحكمة وروايتها ، بل الواجب أن نتدرب نحن وندرب أبنائنا للوصول إلى ما وصل إليه سلفنا الصالح ، واهم الطرق التي وصلوا بها إلى هذه الحكمة هي إتقان السؤال الصحيح.

وهنا دروس ثلاثة رئيسة:

أول درس نتعلمه .. أن السؤال مباح في أي شيء طالما كان بنية التعلم ، وبالتالي لا يوجد سؤال محرم.





والله تعالى يعلمنا أن نسأل ونقارن حتى في اخطر الأمور وهي حقيقة وجوده تعالى ، ومناقشة أصحاب الآلهة الباطلة ، ولا نخاف من السؤال سواء صدر منا أو منهم:

﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾ ؟ سؤال

﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم ﴾ ؟ سؤال

﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ ؟ سؤال

﴿ فإن كنتَ في شَكٍّ مّمّا أَنزَلنا إِليكَ فاسأَلِ الذين يقرؤون الكتاب مِن قبلك لقد جَاءكَ الحقُّ مِن ربّك فلا تَكُونَنَّ من الممترين ﴾ أمر بالسؤال.

والدرس الثاني .. أن يكون السؤال صحيحاً ودقيقاً ، فلا يكفي أن نسال لمجرد السؤال.

فالجواب يعتمد على صيغة طرح السؤال ، وتستطيع الحصول على اجوبة متعددة في القضية الواحدة اذا غيرت طريقة السؤال وصيغته.

والدرس الثالث .. أن نسأل السؤال في الوقت المناسب والمكان المناسب ، لأن السؤال في غير وقته ومحله لا يجدي نفعاً.

لقد برع سلف هذه الأمة في الحكمة عندما لم يتهيبوا من السؤال وبهم نهضت الأمة وبنت حضارتها.

ولمّا ترك الخلفُ السؤالَ ، واكتفوا بتقليد الأوائل جمدت العقول وتوقفت الأمة ثم انحدرت ، وتقدم غيرها من الأمم ، لأنهم فطنوا لسر الحكمة وهو **السؤال الصحيح** وهذا مثال على ذلك:



آلاف من البشر عبر الأزمان شاهدوا الأشياء تسقط على الأرض ولكن شخصاً واحداً فقط سأل السؤال الصحيح: لماذا تسقط الأشياء على الأرض ؟

وبعبارة أخرى ، آلاف من البشر رأوا تفاحة تسقط على الأرض فاكتفوا بان يلتقطوها ويأكلوها ، ولكن نيوتن انتبه وسأل لماذا؟ [١٠] .. فكانت فتحاً جديداً في علم الفيزياء نقل العلم من حال إلى حال واكتشف حقيقة تؤثر في كل المخلوقات وهي الجاذبية.

تعلم كيف تسأل ولا تستح من السؤال .. درب نفسك على أسئلة مثل (لماذا ... ، كيف ... ، أين ... ، متى ...، ماذا لو ... ، لم لا ...).

اسأل السؤال الصحيح ، في التوقيت الصحيح ، تنل ومضات الحكمة بإذن الله تعالى.

---

١٠ - إذا صحت هذه الرواية .





60

...إرادة النصر من الغار إلى بدر







كلٌّ شخصية ناجحة في الحياة تستصحب دائماً في داخلها إرادة قويةً ، وبريقاً لا يخبوا ، وإصراراً على النصر في أي تحد تواجهه في الحياة.

وبين يدي عام هجري جديد اكتب هذه الخاطرة عن أهم وأخطر حادثتين مر بهما نبينا ﷺ ومعه الأمة كلها وكيف كانت إرادة النصر في قلبه ثابتة راسخة.

وفي كلتا الحالتين كان الصاحب القريب من النبي ﷺ هو أبو بكر رضي الله عنه .. وعند تأملي في هاتين الحادثتين وجدت فارقاً غريباً في الحال والمقال بين الاثنين يسترعي الانتباه .. لأنه يشير بوضوح إلى حكمة أراد النبي ﷺ أن يعلمنا إياها كي نحمل إرادة النصر بوضوح وأمان ونصل فعلاً إلى النصر ، ولا يبقى مجرد أماني وأوهام.

أما الحادثة الأولى فهي عندما كان النبي ﷺ وأبو بكر في غار ثور ، رجلين مجردين من أي قوة مادية تحميهما ، وهما مطلوبان حيين أو ميتين من قريش .. وصل مشركو قريش إلى قرب مدخل الغار ، حتى إن أبا بكر يقول للنبي ﷺ " لو أن احدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا " ثم تسيل دموع أبي بكر فرقاً أن يمس رسول الله ﷺ أذى إذا اكتشف مكانه .. وهنا نشهد الحال العجيب الأول:

يلتفت إليه رسول الله ﷺ ويقول بهدوء الموقن بالنصر "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟" وفي رواية "اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما".

إيمان راسخ بموعود الله تعالى ، صنع إرادة تقول لا تخف سنخرج من هذا الغار منتصرين ولا بد ، وهكذا كان.



صورة النصر واضحة عند النبي ﷺ انعكست في هدوئه وكلامه الواثق لأبي بكر.

ننتقل للمشهد الثاني وأمامنا الآن ساحة المعركة في بدر ونرى موقفا عجباً ، في ظاهره يبدوا لنا عكس الموقف الأول..

نرى رسول الله ﷺ واقفاً رافعاً يديه إلى السماء يدعوا ويدعوا ويلح في الدعاء حتى يسقط رداءه عن عاتقه .. ونرى أبا بكر يقف وراءه يعيد رداء النبي ﷺ على منكبيه الشريفين ويقول له: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك.

حال آخر غير الحال الأول كما يبدو للوهلة الأولى.

في المشهد الأول أبو بكر مشفق خائف ورسول الله ﷺ يطمئنه بهدوء عجيب ، ولم يكن معهم آنذاك حرس ولا مقاتلين ولا سلاح.

بينما في مشهد بدر معهما السلاح والمقاتلون الذين يفتدون رسول الله ﷺ بأرواحهم ، وهنا أبو بكر هو الذي يطمئن رسول الله ﷺ ؟!!

وهنا يتضح الدرس العظيم بين حال الغار وحال بدر

إرادة النصر عند رسول الله ﷺ قطعاً لم تتغير فهي راسخة ثابتة لا تتزعزع ، سواء كان لوحده أم بين جنده ، ولكن مظهر هذه الإرادة اختلف واليك البيان.

في الغار كان رسول الله ﷺ قد اتخذ كل الأسباب التي يمكن للإنسان أن يتخذها في مثل حاله ولم يقصر في اتخاذ أسباب التخفي والاحتياط .. وعندما وصل المشركون إلى الغار انتهى دور الأسباب ، وبقي الاطمئنان والثقة بنصر الله له ، لذا كان موقفه هادئاً غير مضطرب ولا خائف.

أما حال بدر فشيء آخر فهنا مقاتلون وسلاح وقوة ، وهذا مظنة الغرور ، وقد يقع أي قائد في وهم التمكن ، فالسلاح في أيدينا ورجل برجل وقد سيطرنا على آبار المياه فممَّ نخاف ؟



لذا كان الحال الأرقى هنا هو عدم الاعتماد على أسباب القوة الظاهرة ، والتضرع واللجوء إلى الله تعالى خوفا من الافتتان بالأسباب ، واعتقاد أنها هي التي ستؤدي إلى النصر.

ومرة أخرى كان حال النبي ﷺ هو الأرقى والأعمق من تصور أبي بكر للمسألة .. فالتضرع والإلحاح بالدعاء هو المطلوب في هذا الموقف.

لأنَّ الإنسان عادة عندما يشعر بأنه وحيد بمفرده ليس له ظهير فانه يرتجف ويخونه قلبه ويلح في الدعاء.

وإذا وجد قوة أو ظهيراً زهد في الدعاء ، وظن أن الأمر مقضي في صالحه حتماً.

بينما رسول الله ﷺ يعلمنا في موقفين فاصلين من حياة الدعوة أن حالك مع الله (بعد اتخاذ الأسباب) وان كنت لوحدك هو الاطمئنان والهدوء والثقة بموعود الله.

وان حالك مع وجود القوة والاقتدار ، هو دوام التضرع والإلحاح بالدعاء كي لا تقع في فتنة الاعتماد على الأسباب فيكلك الله إليها.

وإذا وعيتَ هذا ، ستبقى إرادة النصر ثابتة لا تتزعزع عندك ، ويتحقق النصر بإذن الله في كل ما تواجه في حياتك من مصاعب ومتاعب.





61

...إقرأ لتُغيرَ حياتك





اقرأ .. بهذه الكلمة بدأ أعظم اتصال من وحي السماء لأهل الأرض .. ليُعلن بيان الحرية للعقل البشري ، وليعلن اكتمال النضوج والبلوغ في مسيرة الإنسان على هذه الأرض.

وقد صدر هذا الأمر لأكرم أنبياء الله ﷺ ، وهو لا يعرف قراءة ولا كتابة .. وبذلك لم يُبقِ عذراَ لمن يعرف القراءة والكتابة بان لا يقرأ.

خطاب مباشر لا لبس فيه.

اقرأ .. لتفهم من أنت

اقرأ لتعرف حقوقك وواجباتك

اقرأ لِئلا تخدعك شياطين الإنس والجن

لم تعد أيها الإنسان بحاجة لمعجزات لتغير حياتك

فقط .. اقرأ

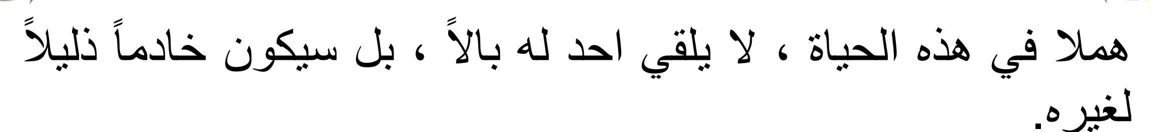
ومهما تخيلنا أعظم وأفضل كلمة يمكن أن يبدأ بها وحي السماء لآخر دين وآخر نبي .. لما خطرت هذه الكلمة على بالنا .. ولو تخيلَ معنا كل من عاش في وقت نزول الرسالة .. لما خطرت هذه الكلمة على بال احد منهم .. ولو تمنينا أروع بداية وأجمل بداية يمكن أن يبدأ بها خطاب الخالق تبارك وتعالى لمخلوقاته لما كانت أفضل من هذه الكلمة.

اقرأ .. بداية لتحرر الإنسان من أوهامه فلا يعبد الحجر والشجر والبشر.

اقرأ .. بداية لانطلاق الإمكانات العظيمة المخزونة في النفس البشرية ، والتي يستحيل على الجاهل أن يكتشفها ويستخدمها.

اقرأ .. تنبيه على أن من يحمل هذه الأمر بجد سيسود الأرض مادياً ومعنوياً .. وتحذير لكل من يستهين بهذا الأمر انه سيعيش





هملا في هذه الحياة ، لا يلقي احد له بالاً ، بل سيكون خادماً ذليلاً لغيره.

وهكذا كان ..

فطالما كانت امة الإسلام تقرأ وتنشر نور العلم ، سادت بين أمم الأرض ، وكانت حواضرها كبغداد ودمشق والقاهرة والقيروان والأندلس منابع للحضارة يأتيها طلاب العلم من كل مكان.

ولمّا تركت امة الإسلام القراءة ، حصل لها ما نعيش آثاره إلى يومنا هذا ، ولا يخفى حالنا على عاقل.

وعندما أسألُ بعض المثقفين عن قراءتهم يصيبني الإحباط .. فبعضهم لا تزيد قراءته على الشريط الإخباري في الفضائيات، ومنهم من يقرأ المجلات والصحف ولا يزيد ، ومنهم من يقرأ كتاباً أو اثنين في العام ، ومنهم من يقول لي بفخر وزهو انه يقرأ كتاباً في الشهر.

وكل هؤلاء يظنون أنهم يقرؤون .. ومن عجب انك حين تسأل البعض لم لا يقرأ ، يقول لك: ليس عندي وقت.

ولله في خلقه شؤون.

إن كم المعلومات الهائل في عالم اليوم يتطلب من الأمة الحية ومن المثقفين فيها أن يواكبوها ، وإلا فان الزمن لا ينتظر أحداً.

واعرف من المثقفين والدعاة من لا يزال يعيش في عالم ما قبل الحرب العالمية الثانية ، ومنهم من لا يزال يجتر أفكاراً مضى عليها عقود وأعوام وتجاوزها الزمان والمكان.

وسأعطيك أرقاماً يمكنك من خلالها أن تعرف واقع المعلومات في عالمنا ، وهذه الأرقام يذكرها الكاتب الأمريكي د.لوري روزاكس في كتابه القراءة السريعة .. يقول:





- الطبعة الواحدة من صحيفة نيويورك تايمز تحتوي على معلومات تفوق ما تعلمه شخص في القرن السادس عشر طوال حياته.
- يصدر خمسون ألف كتاب في الولايات المتحدة سنوياً.
- تصدر سبعة آلاف دراسة علمية يومياً في أنحاء العالم.
- صدرت في الخمسين عاماً الماضية كمية من المعلومات تفوق ما صدر في الخمسة آلاف عام الماضية.
- كمية المعلومات المتاحة تتضاعف كل خمس سنوات.

وأضيف لك حقيقة خطيرة أخرى كشفها تقرير التنمية الثقافية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي .. وهي أن المواطن العربي يطالع في المتوسط ٦ دقائق في العام ، قياساً بالمواطن الأوربي الذي يقرأ نحو مائتي ساعة في العام.

إن سنن الله تعالى لا تحابي أحدا .. والأمة التي لا تقرأ ستبقى امة مهانة ، والفرد الذي لا يقرأ سيبقى في قاع المجتمع ، وان تقلدَ المناصب وحمل الألقاب .. ولن يزيد على أن يكون أضحوكة لأولي الأيدي والأبصار.

وعليك أن تتعلم المهارات الحديثة في القراءة ، كي تنتفع مما تقرأ وتزيد سرعتك في القراءة وتأخذ نفسك بجد في أن تقرأ كتابين كل أسبوع ، هذا غير المقالات والصحف والمجلات الخفيفة.

وهذه هي البداية لتغير حياتك.





62

...ثقافة الشكوى







عندما ينهزم أي شعب أمام عدو قاهر ، تنعكس هذه الهزيمة على أفراده وتؤثر فيهم سلباً ، وعند هذه النقطة تفترق الشعوب إلى صنفين رئيسَين ، وبينهما أطياف وأنواع.

صنف يقاوم هذه الهزيمة بشتى أنواع المقاومة ، ومثل هذا الشعب يمكن أن ينهض من كبوته .. وصنف آخر يستسلم للهزيمة ومثل هذا الصنف تشيع فيه ثقافة سلبية ، وهي ثقافة الشكوى.

وهذه الثقافة مدمرة للفرد والمجتمع ، تنتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم ، لأنَّ الشكوى سائغة للنفس البشرية ، خاصة إذا وافقت هواها ، وأرادت أن تغطي بها عيوبها وهزيمتها.

وثقافة الشكوى تقتضي إلقاء التبعة دائماً وفي كل الأمور على الآخرين ، في الفشل ، في الهزيمة ، في عدم تحقق الأهداف.

ثقافة الشكوى من وجه آخر هي نتيجة طبيعية لعدم تحمل المسؤولية ، وعدم اتهام النفس بالتقصير.

وهي تبدأ بتدمير المجتمع ابتداء من الفرد نفسه ، وسترى حينئذٍ انعدام المبادرة ، وعدم تحمل المسئولية ، وإلقاء التهم جزافاً على الناس ، فالكل متهم عند الكل.

وستجد كل فرد يتهم الآخرين ، ويتهم المجتمع بأنه السبب في فشله في الحياة ، وستجد إصراراً غريباً من كل فرد على انه هو وحده على الحق ، وان كل من سواه أغبياء ولا يفهمون ، وأنه مضطهد لأنه ذكي وألمعي ، وأن الآخرون يحسدونه ويضعون العراقيل في وجهه.

كل هذا وأكثر ستسمعه من المجتمع الذي يُبتلى بثقافة الشكوى، والغريب أن الكل يتكلمون علناً أو يحملون في سرائرهم مثل هذه الشكوى من الآخر ، وان لم يتكلموا بها في العلن ، ولا يقبلون



مجرد التفكير وإعادة النظر في هذه الشكوى ، هل هي حقيقة أم وهم ؟

لأنه إذا كان كل فرد في المجتمع يعتبر نفسه ذكياً المعياً ، ومع هذا لم يعطه المجتمع أو المؤسسة أو الجامعة أو أسرته الفرصة ، ولم يضعوه في المكان اللائق .. إذا كانت المسألة هكذا فمن هو الظالم إذاً ؟ النتيجة أن الكل مظلومون ، لأنهم لم ينالوا فرصتهم ، ولأن الآخرون أغبياء ويحسدونهم ، ولأن الحق معهم فقط.

تخيل مجتمعاً تسود فيه ثقافة الشكوى إلى أين سيصل؟

تخيل معي شعباً:

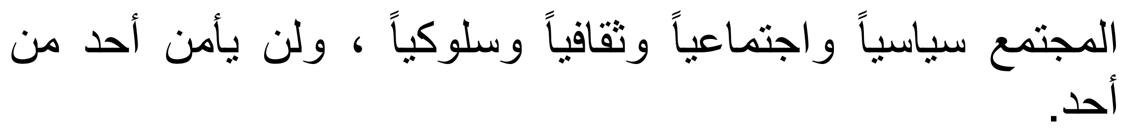
- كل فرد فيه متأكد انه مظلوم والآخرون هم الظالمون
- كل فرد ذكي والآخرون ليسوا بذكائه
- كل فرد كان يمكن أن يكون ناجحاً والآخرون وقفوا عائقاً في طريقه
- كل فرد يعتقد أن الحقيقة معه فقط
- كل فرد يعتقد أن الله تعالى سيأخذ له بحقه من هذا المجتمع المجرم ، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة
- كل فرد يعتقد أنه هو وحده النظيف والنزيه والآخرون مشبوهون

تخيل معي شعباً يفكرُ أفراده بهذه الطريقة ، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات والتجمعات ، ما الذي سيحصل له في النهاية؟

النتيجة الطبيعية لهذا المجتمع ستكون كالجسم الذي يصاب بالسرطان ، فتتوحش خلاياه وتؤذي الخلايا المجاورة لها ، والنهاية موت الجميع.

هذا ما سيحصل في المجتمع الذي يحمل ثقافة الشكوى .. كل فرد فيه سيتمكن يوماً من تقلد سلطة ما .. سينتقم بطريقة أو أخرى من هذا المجتمع الذي هضمه حقه كما يعتقد .. والنتيجة موت





المجتمع سياسياً واجتماعياً وثقافياً وسلوكياً ، ولن يأمن أحد من أحد.

خطورة هذه الثقافة أنها تبدأ بالفرد ، وأول تخريب عنده سيبدأ بأسرته ، فهو غير مرتاح لأن أهله هم السبب في مشاكله ، أو زوجته هي السبب أو أولاده هم السبب.

والموظف غير مرتاح ، لأن المدير هو السبب في مشاكله أو زملاؤه هم السبب.

والحكومة فاشلة ، لأن الشعب هو السبب.

والشعب غير مرتاح ، لأن الحكومة هي السبب.

الكل هو السبب في فشل الكل.

ولا يتوقف احد ليسأل نفسه:

وأنا أليس لي دور؟

هل أنا بهذه التفاهة لأكون فرداً مسيراً يتلاعب بي الجميع؟

ومن المسؤول عن حياتي أنا أم الآخرون؟

وهل فعلا يملك الآخرون هذه السلطة ليجعلوا حياتي تمثيلية محزنة ، أم هذا مجرد وهم لأهرب من حقيقة أني أنا المسؤول ، واني لم اتخذ الأسباب الصحيحة واني كسول وغير مبادر؟

لا تنس أنك خليفة الله في أرضه ...

ولا تنس أن التغيير يبدأ منك ...

ولا تنس أنك ستقدمُ على الله فرداً وتحاسب عن حياتك فرداً ...

فلا تكن من زمرة أهل الشكوى ...

احذر من هذه الثقافة أن تصيبك ، فأنت ستكون أول ضحاياها.



63

...الحياة بعين واحدة







كثيرٌ من البشر يعيشون بعين واحدة .. فينظرون إلى الحياة من ثقب ضيق ، ولا يرون إلا مساراً واحدا لحياتهم ، وحلاً واحداً لمشاكلهم.

ولا يرون الاّ طريقاً واحداً للنجاح .. وأسلوباً واحداً في العبادة .. ورأياً واحداً لا يحيدون عنه ، وكثيراً ما ترى الفشل رفيقاً مصاحباً لهم في حياتهم.

وسأروي لك قصة فيها دلالة على ما نريد:

يحكى أن فلاحاً عجوزاً هرب حصانه الوحيد ، ولأن جيرانه يعرفون أن الحصان عماده الأساسي في حياته فقد توافدوا عليه لمواساته ، لكنهم عجبوا حين واجههم الشيخ بقوله:

- ومن منا يعرف أين الخير وأين الشر؟ .. وكأنه يرفض مواساتهم.

بعد بضعة أيام عاد حصانه مصطحباً معه حصاناً برياً .. وتوافد أصدقاء العجوز مهنئين له ، وأيضا فوجئوا برفض العجوز لتهانيهم قائلاً:

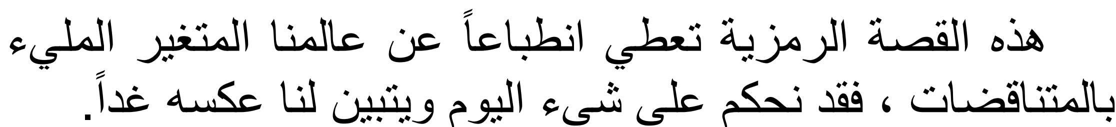
- ومن منا يعرف أين الخير وأين الشر؟

لم يمض سوى بضعة أيام حتى حاول ابن الرجل العجوز أن يمتطي ظهر الحصان البري ، فأطاح به من فوق ظهره وانكسرت ساقه ، وتوافد الأصدقاء ليعبروا عن حزنهم لمأساة الابن ، فقال لهم العجوز كعادته:

- لا أحد منا يعرف أهذا خير أم شر.

وبعد أسابيع أتى مندوبو الجيش إلى القرية لتجنيد القادرين على حمل السلاح من الرجال إجبارياً لخوض الحرب ، وبسبب إصابته أعفي ابن العجوز من الخدمة... انتهى





هذه القصة الرمزية تعطي انطباعاً عن عالمنا المتغير المليء بالمتناقضات ، فقد نحكم على شيء اليوم ويتبين لنا عكسه غداً.

فالحياة لا تُفهم دائما بظواهرها ، بل هناك أسرار ووجوه أخرى لحوادث الحياة تتطلب منا نظراً وتأملاً دقيقاً.

وكلما تقدم بي العمر وظننت أني قد فهمت جانبا من الحياة يأتيني موقف ما يثبت لي أني ما زلت في قمة الجهل بأسرار الحياة وتقلباتها وطبيعة النفس البشرية وسلوكها.

وهذه حكمة إلهية توقف الإنسان المتأمل المفكر عند حده ، فلا يتملكه الغرور والعجب بعقله وذكائه ، فكأنها تخبرنا بلسان الحال وتقول: " تعلّمْ ما شئت وسأثبت جهلك بأصغر عقبة في طريقك"

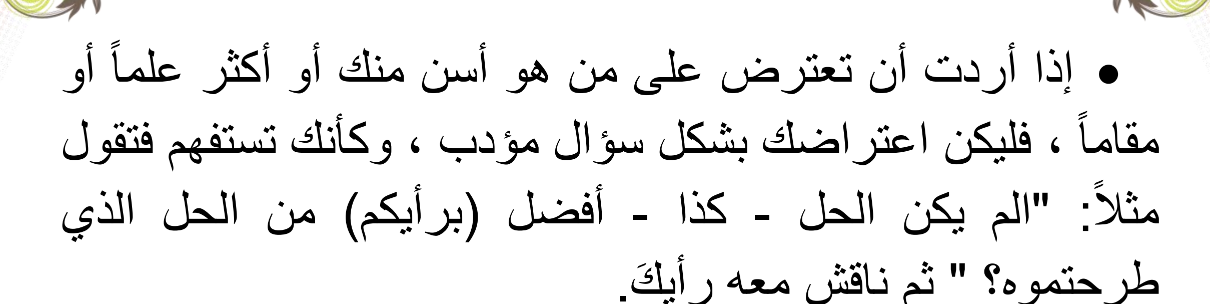
وحتى تعيش حياتك بأقل الخسائر ، وتحقق فيها أفضل النجاحات ، اليك بعض التوصيات المفيدة:

- لا تستعجل بالحكم على الأمور ، حتى تتضح لك كالشمس في رابعة النهار.
- لا تجادل في ما ليس لك به علم.
- كن دائم البحث عن الحقيقة وإذا ظننت انك وجدتها فتأكد من أنها فعلاً هي الحقيقة وليست وهماً في عقلك فقط.
- لا تقلد الآخرين بغير علم وكن ناقداً فطناً ، وليس مجرد معترض سخيف ، فهناك فرق بين النقد الذكي والاعتراض السخيف الذي يُهرج به البعض بدون علم لمجرد إظهار النفس.

ولقد رأيتُ كثيراً من هذا النوع من البشر ، الذي يعترض، ليتبجح أمام الآخرين بأنه اعترض على فلان وغلبه.

- إذا واجهتك مشكلة فانظر إليها من كل الجهات الممكنة ، وإذا ناقشت أمراً فاستحضر من وجوهه ما استطعت.





- إذا أردت أن تعترض على من هو أسن منك أو أكثر علماً أو مقاماً ، فليكن اعتراضك بشكل سؤال مؤدب ، وكأنك تستفهم فتقول مثلاً: "الم يكن الحل - كذا - أفضل (برأيكم) من الحل الذي طرحتموه؟ " ثم ناقش معه رأيكَ.

ولا تقل: أنا رأيي أن الحل الذي طرحته خاطئ وكان الأفضل أن يكون كذا.
فهذه سماجة في عرف الأدباء ، وجهالة في عرف العلماء.

- لا تكن متوترا وحدِّياً إذا عرضتَ رأيك ، وابق لك مساحة من المرونة كي تستطيع فيما بعد أن تتراجع إذا ثبت لك العكس.
- استخدم كل حواسك بدقة وبراعة ، فالله تعالى انعم بها علينا لنصل بها إلى النجاح في الدنيا والآخرة.
- ولا تنظر إلى الحياة بعين واحدة فتخسر الكثير من العلم والحكمة والسعادة ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾





64

...التفاحة الرابعة







مَنْ سيحمل لقب التفاحة الرابعة ؟

بهذه الجملة أنهت المعلقة تقريراً في قناة الجزيرة الفضائية بعد وفاة ستيف جوبز عام ٢٠١١ ، وهو المدير التنفيذي السابق لشركة ابل كبرى الشركات العملاقة لصناعة الحواسيب والهواتف الذكية ، وهو صاحب الأفكار الرائعة الخلاقة والذي غير وجه عالم الاتصالات في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين.

فما قصة التفاحات الثلاث؟

قيل إن ثلاث تفاحات غيرت وجه البشرية.

- تفاحة آدم التي أخرجت أبوينا من الجنة
- وتفاحة نيوتن التي كشفت للإنسان سر الجاذبية
- وتفاحة جوبز التي غيرت وجه العالم الرقمي (شعار شركة أبل تفاحة مقضومة من احد جوانبها).

قصص النجاح كثيرة في هذا العالم بعدد الناجحين ، وكلما قرأتُ قصة أو شاهدتُ فلماً عن شخصية ناجحة رسخت عندي قناعة مفادها "أن المثابرة والإصرار وبذل الجهد" هو الطريق الذي سلكه كل هؤلاء الناجحين ، وهنا أتكلم عن عالم الأسباب وهذا لا ينافي التوفيق والتسديد الرباني.

والنجاح في الحياة درجات ، تبتدئ من النجاح الشخصي الذي لا يتعدى الدائرة القريبة للإنسان .. فتجده ناجحاً في حياته الزوجية، وناجحاً في عمله وعلاقاته مع الناس ، ومورده المالي جيد ، ولا يطمح لأكثر من ذلك .. وهذا النجاح لا ينفع غير صاحبه ومن حوله ، وينتهي بموت صاحبه.



وهناك الدرجة العليا من النجاح ، والتي يضع الإنسان فيها بصمته في دنيا البشر ، فنجاحه يتعدى حياته الشخصية والدائرة القريبة منه ليشرك كل الناس في هذا النجاح ويفيدهم ويغير من حياتهم ، كما فعل ستيف جوبز بابتكاراته المذهلة في أجيال أجهزة الاتصال التي حملت بادئة "الآي" آيباد – آيبود – آيفون.

والملايين التي استخدمت هذه الأجهزة والملايين الذين سيستخدمونها يدينون بالفضل لهذا الرجل حتى وان لم يسمعوا به.

وبين هذا وذاك درجات وألوان من النجاح.

والعبرة من هذا الكلام .. أن الله تعالى أعطى الإنسان إرادة وبصيرة وعقلاً لا حدود له في عالم الشهادة والأسباب ، وكلما وصل هذا الإنسان لمستوى من التطور وظن انه لا يوجد زيادة على ذلك ، فاجأنا إنسان آخر في مكان آخر بمستوى أعلى وصنعة أدق وابتكار أجمل ، وفي عالم اليوم أصبحنا نصحو على خبر ابتكار جديد وننام على خبر ابتكار آخر.

لقد تقارب الزمن وتسارعت المنافسة ، والعالم كله يسرع ويزيد من سرعته وأصبحت الغلبة بالدقائق لا بالأيام.

ونحن في عالمنا العربي والإسلامي نسرع أيضا ولكن لنستهلك ما يرميه الآخرون في الزبالة ، لأنهم استغنوا عنه وانتقلوا إلى شيء جديد ، وكلما زدنا من سرعتنا بهرتنا مخلفات الغرب الكثيرة والهائلة من (البالة بحذف الزاي) والتي نشتريها بأثمان باهظة ، والشكر لنزاهة ورحمة تُجارنا الذين يشترونها بالكومة ويبيعونها لنا بعد تغليفها بالنايلون بأضعاف مضاعفة.

نحلم أن يأتي اليوم الذي يصحوا فيه مثقفونا وحكومتنا وتجارنا من غفلتهم ، ويكتشفوا أننا نعيش عالة في هذه الدنيا نستهلك فتات غيرنا في الأفكار وفي التقنية وفي الغذاء والدواء وفي السياسة والاقتصاد.





ونحلم أن يفهم هؤلاء أن من يعيش عالة على غيره سيموت ذليلاً كسيراً وهذا سيشملهم جميعاً ، التاجر والمثقف والوزير والخفير ولن يسلم من هذه الذلة أحد فكلنا شركاء في مركب واحد.

إن ستيف جوبز وغيره من المبتكرين كان يمكنهم العيش بهدوء بما ملكوه من ملايين الدولارات ولا يتعبوا أذهانهم بالتفكير في ابتكار جديد .. ولكنهم عاشوا بروح المنافسة والسباق لا بروح الخدر والتسول ، فكانوا شعلة مضيئة في مجتمعاتهم.

طريق النجاح لا يعرف الخدر والنوم والتسول ، بل البذل والجهد والعرق والسهر.

طريق النجاح لا يسير فيه من يرتضي لنفسه العيش على فتات الآخرين .. وهل يعجبك أن تأكل تفاحة قضمها غيرك واستمتع ببعضها ورماها ؟

جوابك سيحدد طريقك ، ولعلك تكون صاحب التفاحة الرابعة ...

من يدري ؟





65

...من سينجح في الامتحان؟







عندما تنتهي الامتحانات ويحين موعد تسلم النتائج ينقسم الطلبة إلى قسمين .. ناجحين .. وغير ناجحين (سواء كانوا مكملين في بعض الدروس أم راسبين) .. وبطبيعة الأمر ترى السرور والبشر على وجوه الناجحين .. وقد ترى عكس ذلك عند الطرف الآخر.

هذا ظاهر الأمر الذي يحدث في كل العالم حيثما وجد طالب ووجد امتحان .. ولكن ما وراء هذا الظاهر أمر مهم انتبهت له المجتمعات المتحضرة ، وهو أيضا مهم لنا وليس من المصلحة أن نغفله.

وهذا الأمر المهم هو جواب لسؤال بسيط ..

من الذي نجح في الامتحان ؟

الطالب فقط ؟ أم أن هناك أطرافاً أخرى يمثل نجاح الطالب مؤشراً لنجاحها أيضاً ومن حقها أن تفتخر بهذا النجاح؟

في الحقيقة هناك عدة أطراف تشترك بصورة مباشرة في نجاح الطالب أو فشله.

من هذه الأطراف بالدرجة الأولى الأب والأم .. فنجاح الابن أو البنت هو في الحقيقة نجاح لأبويهما ، وهو نجاح يؤشر إلى جهود الوالدين في توفير الجو المناسب لأبنائهم أيام الامتحانات ، وتشجيعهم وبث روح التفاؤل عندهم ، وتوفير الغذاء المناسب لهم ، وعدم إشغالهم بغير دروسهم ، وتوجيههم إلى أهمية العلم وبركته على مستقبلهم.

صحيح أن كثيراً من الآباء لا يهتمون بهذه الأمور ، ولكننا نلفت النظر فقط .. فنجاح الابن والبنت نجاح للأبوين ، وفشلهما هو فشل لسياسة الأبوين وإدارتهما للأسرة ، ولا يجوز أن نحمل الطالب وحده مسؤولية الفشل.



الثاني من الأطراف الناجحة هو المعلم وإدارة المدرسة .. لا شك أن المعلم الناجح والإدارة الناجحة هي التي تشيع ثقافة النجاح عند طلابها وتزرع الأمل في نفوسهم وتحفزهم لطلب العلم .. وأنا اعلم أن من يقرأ هذا الكلام سيقول في نفسه هذه مثاليات وأحلام فأين مدارسنا من هذا الكلام .. كما اعلم أن كثيراً من المعلمين والأساتذة وصولاً إلى الجامعة لا يقدم من جهده إلا النزر اليسير.

ولكن هذا الكلام هو لفتة نظر إلى أن النجاح والفشل جهد مشترك يتحمله المعلم مع الطالب ، وان المعلم الذي لا ينتج أفراداً ناجحين نافعين لمجتمعهم ، هو في الحقيقة احد المخربين الأساسيين لهذا المجتمع ، ولا شك أن هذا الخراب سيطاله يوماً ما.

وثالث الأطراف التي تنجح مع الطالب هي السياسة التعليمية المتمثلة في وزارة التربية ومديرياتها ومناهجها ومفتشيها ووزارة التعليم العالي وجامعاتها.

وأنا أعجب من بعض المربين في السلك التعليمي عندما يشكونَ دائماً من تخلف الطلاب وسوء سلوكهم وقلة مستواهم الدراسي ، ولا يشكونَ من تخلف النظام التعليمي وسياساته وما ينتج عنه من بطالة فكرية وعقم في الإبداع ، ثم أليس المساهمة في تصحيح هذا النظام من واجبهم ؟.. والاّ ما هو واجب المربي إذاً ؟

وهل يريد الاستاذ طلاباً من الملائكة والعباقرة ليتعامل معهم ؟ أليس النظام التعليمي الصحيح هو الذي يصحح السلوك وينتج العباقرة ؟

وهذا مقياس لا يقبل الجدل من العقلاء ... إن كثرة الرسوب مع تدني المستوى العلمي لطلبتنا يعني شيئا واحداً وهو فشل النظام التعليمي بكل المستويات الدراسية.

الكفاءة العلمية لطلابنا تعكس نجاح أو فشل نظامنا التعليمي ، والكفاءة لا تقاس بالدرجات فقط ولا بعدد الخريجين من الجامعة .. بل بالإنجاز الحقيقي للطالب.





واضرب لذلك مثالاً واحداً:

... جمعني يوماً مجلس مع احد الأساتذة الأفاضل وكان يُقَوِّمُ رسالة ماجستير لأحد الطلبة لغوياً.

قال لي: لا يوجد سطر واحد في رسالة هذا الطالب خالٍ من خطأ إملائي .. واستدرك قائلاً:

هل تعرف بأي تخصص هذه الرسالة ؟

قلت له: لا

قال: في اللغة العربية !!

لم أجد حقيقة ما أقوله .. وما الذي يقال في طالب يقدم رسالة ماجستير وتخصصه في اللغة العربية ، ومع ذلك رسالته مليئة بالأخطاء الإملائية ؟

طبعا هذا الأستاذ الفاضل وغيره يعرفون حق المعرفة أن النظام التعليمي الفاشل من رياض الأطفال إلى الجامعة هو الذي أوصلنا لهذه النتيجة النكدة.

وهذا ما نريد أن نلفت إليه أنظار الآباء والمعلمين والمشرفين وأصحاب القرار.

وهو أننا كلنا سننجح مع أبنائنا ... وكلنا سنتحمل نتائج الفشل لا قدر الله.

ولا ننسى المقولة القديمة "العلم نور والجهل ظلام" ونحن جميعا نتحمل مسؤولية أن نعيش في النور أو نعيش في الظلام.

والكل ينبغي أن يفكر ملياً في جواب هذا السؤال:

من سينجح في الامتحان ؟





66

العقل والمعدة...







بمناسبةِ رمضان يرِدُ سؤال غير بسيط كما يبدوا من النظرة الأولى .. وأيضاً نتائجه خطيرة وعظيمة.

وهو .. لماذا الامتناع عن الطعام والشراب (كاحتياج أساسي نهاراً) لمدة شهر من كل سنة ؟

ولماذا اعتبرت هذه عبادة عظيمة لا يجزي عليها ولا يقدِّر أجرها إلا الله تعالى حتى نسبها له " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به ".

معلوم أن الله تعالى عرفهُ الناس بالعقل ، وكل الأنبياء حفزوا أتباعهم على النظر في خلق الله تعالى ليستدلوا على عظمته عز وجل .. والقرآن الكريم هو قمة الرسالات في هذا الشأن.

والعقل هو الميزة الوحيدة ليكون الإنسان إنساناً .. وإلا فهو مشترك مع الحيوان فيما عدا ذلك.

وإذا قرأت في تاريخ الأديان الصحيحة أو الباطلة ستجد أن الصيام قاسم مشترك لتطهير النفس والارتقاء بالعقل والتفكير، وناتج ذلك الصوم هو معرفة الله تعالى .. والتقوى .. وهذا ما نبه له القرآن الكريم

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾

ما هذه العلاقة الغريبة التي أكد عليها الإسلام والأديان الأخرى في أهمية الصيام للعقل والقلب ؟

وهل الاستنتاج المنطقي الطبيعي لهذه العلاقة ، أن هناك علاقة عكسية بين العقل والقلب من جهة والمعدة من جهة أخرى ؟

وهل يؤكد هذه العلاقة توصية النبي ﷺ:



مَا مَلأَ آدمي وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ الآدمي لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الآدمي نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ.

وهل يؤكد هذه العلاقة العكسية بين المعدة والعقل توصية المربين من سلفنا الصالح بالاقتصاد في الطعام والشراب ، وذم الكروش والبطون المنتفخة وخاصة إذا ظهرت عند عالمِ دين أو قدوةٍ بين قومه ؟

وهل يؤكد هذه العلاقة الحكمة المشهورة (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء) ؟

كل هذه المقدمات تشير بوضوح أن المعدة هي مجرد وسيلة لاستمرار للحياة وليست غاية لكي نهتم بملئها .. ولو من الحلال.

وأن العقل تخمد جذوته إذا امتلأت المعدة .. ويتحرر ويتألق إذا اعتدلنا في طعامنا وشرابنا واكتفينا بالقليل.

ودليل هذا أن الإنسان يميل إلى النوم والخمول كلما ملأ معدته بالطعام.

وبما أن الإنسان يجد في الطعام لذة لا تقاوم فهو يغفل عن هذه الحقيقة أو يتغافل.

ولإخراجه من هذه الغفلة فرض الله تعالى الصيام (فرضاً) على الأمم ليثبت لهذا الإنسان بالدليل العملي ..

أن الشبع لا يحتاج إلى التكالب والخوض في ما حلِّ وحرُم ..

وان الشبع لا يحتاج أن نضيع أعمارنا وديننا من أجله ..

وان الشبع لا يستحق أن نستهتر بعقولنا وقلوبنا من أجله ..

ورمضان يقول لك ، أنك مهما كنت شرهاً فلن تستطيع أن تأكل بعد إفطارك إلا لقيمات قليلة .. مع الماء .. تستعيد بها توازنك وعقلك وقلبك .. والعاقل من اتعظ بهذا الدرس العملي.



ومن عجائب الزمان أنك تسمع في زماننا هذا من المثقفين والنخب في مجالسهم كلاماً كثيراً عن الطعام وفوائده وألوانه ، أكثر مما تسمع عن كتاب جديد قرؤوه أو رأي فريد سمعوه.[١١]

وهذا مؤشر خطر إذا شاع في المجتمع ، يؤشر لك أي الفريقين له الغلبة .. العقل أم المعدة ؟

رمضان يعظنا كل عام موعظة مفروضة مكتوبة عنوانها:

" اقتصدوا في طعامكم ولا تقتصدوا في عقولكم "

حتى تتحقق النتيجة المطلوبة من الصيام وهي:

﴿ لعلكم تتقون ﴾

وكل عام وعقولنا بخير.

---

١١ - ومنها ما انتشر في مواقع التواصل عن فوائد بعض المأكولات والمشروبات والثمار ، وأغلبها دجل لا قيمة علمية له ، ويتناقلها الناس دون تثبت.





67

لن أطيل عليكم...





اعتدنا أن نسمع عبارة (ولا أريد أن أطيل عليكم) من الخطباء والوعاظ كثيراً .. وهو عادةً لا يقولها إلاّ بعد أن يكون قد أزهق أرواح عباد الله لأكثر من نصف ساعة أو ساعة كاملة في خطبته أو وعظه ، وخاصة في صلاة الجمعة ، وينسى أن كثيراً من الحضور الذين يسمعونه يعانون من الحر في الصيف أو البرد في الشتاء.

ويعتقد في نفسه أن إطالة الكلام ستقنع المقابل ، وستُفهمه ، وستُفحمهُ ، وستدفعهُ للعمل ، وغيرها من التبريرات التي يوهم نفسه بها.

وينسى وصف رسول الله ﷺ للخطيب الناجح بقوله:

- إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة [١٢] من فقهه فأطيلوا هذه الصلاة واقصروا هذه الخطب فإن من البيان لسحراً.

ومفهوم المخالفة يقتضي أن طول خطبة الرجل وقصر صلاته دليل على ضعف فقهه وقلة علمه .. مهما علا صوته وتضخمت عباراته.

إن الخطابة علم وفن ، وليست رفعَ صوت ، وإذلالاً لخلق الله بذكر العيوب والنقائص فيهم ، فهذا يستطيعه كل من وهبه الله تعالى حنجرة قوية وصوتا جهورياً.

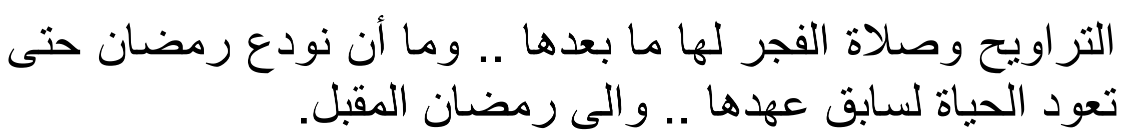
ولكن الذي لا يستطيعه إلا النوابغ من الخطباء هو التأثير في الجمهور ، وترغيبهم في الخير ، ودفعهم لمعالي الأمور ومحاسن الأفعال ، بكلام بليغ قليل مؤثر.

وكلما أتى رمضان ، استبشر المسلمون خيراً أن شيئاً ما سيحدث وأن إيمانهم سيرتفع ، وأن الإقبال على المساجد وصلاة

---

١٢ - مئِنة: أي علامة ودلالة على فقهه.





التراويح وصلاة الفجر لها ما بعدها .. وما أن نودع رمضان حتى تعود الحياة لسابق عهدها .. والى رمضان المقبل.

لماذا هذا الحال؟

مع أن الوعاظ يتعمدون في رمضان أن يكثروا من الكلام بدروس بعد العصر .. وبين ركعات التراويح .. وبعد التراويح .. ويطيلون ويعيدون .. حتى يُنسي الكلام بعضه بعضاً .. ثم ماذا ؟!

وأسمع بعض الوعاظ يشكوا كثيراً أنه ينصح الناس ولا يستجيب لنصحه أحد .. ويعتقد أن المجتمع بلغ درجة من الضلال لا ينفع معه كلام ولا نصح .. ولا أدري من أي الأمور أعجب ؟

أأعجب من غرور هذا الواعظ وقلة فقهه بطبائع البشر .. وقد بلغ به الغرور أن يعتبر كلامه أمراً منزلاً يجب على كل من يسمعه أن يطيع ويتغير في دقائق وثوان.

أم أعجب من قلة انتباهه لنفسه وأسلوب كلامه ووعظه وتعامله مع الآخرين ؟

لقد كان السلف الصالح يتهمون أنفسهم أولاً .. عندما لا يجدون استجابة من الناس لكلامهم .. خوفا من عدم الإخلاص أو العجب بالنفس أو الهوى .. يخافون أن يكون سبب عدم قبول كلامهم هو من هذه الأمور .. بينما نسمع من وعاظنا أحكاماً غليظة ظالمة على الناس .. ولو كان الأمر لهم لفعلوا بخلق الله الأفاعيل.

أحلم وأتمنى على كل واعظ وداعية أن يتعب نفسه قليلاً ويتواضع لله ويتعلم شيئاً من علم النفس وشيئاً من علم الاجتماع .. ويقرأ ما لا ينبغي الجهل به من فنون ومهارات الخطابة ويطبقها .. ويتعب نفسه قليلاً فيدخل دورات في هذه المهارات يطور بها نفسه وأداءه.

وأحلم وأتمنى أن يقتنع واعظنا بأن إفهام الناس ونصحهم ليس بإطالة الكلام حتى يملّه السامع .. فكلام السلف كان قصيراً ومؤثراً.



وأتمنى أخيراً .. أن يقتنع بترك هذه العبارة التي أصبحت ممجوجة من كثرة تكرارها والعمل بنقيضها في نفس الوقت وهي عبارة (ولا أريد أن أطيل عليكم).
فهذه علامة الفشل الصريح لو كان يدري.





...التعليم أولاً







كلّما فكرنا بالتنمية والتطوير لبلادنا .. تخيلنا أننا بحاجة لسياسيين بارعين .. وبحاجة لاقتصاديين بارعين .. وبحاجة لعلماء .. ولصناعيين .. ولعمال مهرة .. ويذهب خيالنا أكثر من هذا فنتخيل أننا بحاجة لعلوم الذرة والفضاء والسلاح.

ثم نفيق من خيالاتنا ونتلفت يميناً وشمالاً ، فنرى حالنا كما وصفه الشاعر قديماً:

إني لأفتح عيني حين افتحها
على كثير ولكن لا أرى أحدا

لماذا ؟ وأين الخلل ؟

أنه في التعليم أولاً

لم لا نتقدم خطوة إلى الأمام ، رغم كل النوايا الصادقة ، والجهود المبذولة والأموال الطائلة التي تنفق على مشاريع وأفكار؟

المشكلة في التعليم أولاً

عندما يتخرج طالبنا من الابتدائية وهو لا يعرف القراءة السليمة .. لن تكون هناك تنمية.

عندما ينهي الطالب المرحلة الإعدادية وهو يكتب بخط لا يمكن لأحد قراءته .. لن تكون هناك تنمية.

عندما يتخرج الطالب الجامعي بعد أن يقضي سنوات الدراسة الجامعية باللهو واللعب ، ولا أقول الغش والعلاقات النفعية مع الأساتذة .. لن تكون هناك تنمية.

عندما تُنقل بحوث الماجستير واطروحات الدكتوراه من الانترنت وتناقش بسطحية ، ومع ذلك تمنح الشهادة بتقدير امتياز .. لن تكون هناك تنمية.



عندما يكون الهم الأول لرئيس الجامعة والوزير والمدير أن تُنشر صوره في المجلات والصحف وتعدد مآثره بلا أي خدمة ظاهرة للبلد .. لن تكون هناك تنمية.

وكل هذا وأكثر يحدث لأن نظامنا التعليمي مريض.

ولأن المرض يبدأ من المعلم في الابتدائية وصولاً إلى التعليم العالي.

إن التعليم ليس كتباً ملونة تطبع .. بل أخلاق وممارسات يتربى عليها الطفل بالمشاهدة والسماع والقدوة من معلميه .. وهي التي ستقود سلوكه عندما يكون قائداً في مؤسسة من مؤسسات الدولة.

كيف نريد من مسؤول أن لا يغش في عمله وهو قد تعلم أن يحصل على درجاته وينجح بالغش منذ طفولته المبكرة ، وقد يكون معلمه هو من يغششه ؟

كيف نطلب من مسؤول أن لا يرتشي .. وقد نال شهادته (وقد تكون شهادة عليا) بالرشوة ؟

كيف نطلب من وزير أن لا يبيع البلد وقد رأى العشرات من معلميه يبيعون الدرجات والشهادات ؟

باختصار .. إصلاح التعليم هو إصلاح البلد ، وخراب التعليم هو خراب البلد.

إن مظاهر الحضارة من بنايات حديثة وأجهزة الكترونية ومصابيح براقة في الشوارع هي أشياء تُشترى بالمال .. ويمكن تنفيذها بسهولة كما يمكن تخريبها بسهولة.

ولكن بناء الإنسان المخلص الغيور على دينه وبلده لا يمكن أن يأتي بالمال فقط .. بل يأتي بنظام تعليمي سليم يبدأ معه من البيت فالمدرسة فالمجتمع.

وإذا بُني الإنسان بناءً سليماً سيكون نافعاً حيثما حل وارتحل .. سيكون نافعاً إذا كان مديراً .. وسيكون نافعاً إذا كان عاملاً بسيطاً.

كل الدول التي نمت وتطورت وازدهرت بدأت بالتعليم.



وكل الدول التي انهارت وخربت ، كان أول خرابها بهدم التعليم.

ومرة أخرى التعليم ليس كتباً تحفظ ويمتحن الطالب بها .. التعليم قيم وآداب وسلوكيات ومبادئ .. يتربى الطفل عليها من صغره ليطبقها فيما بعد على مجتمعه عندما يكبر ويكون مسؤولاً .

وكل من له علاقة بنظام التعليم ابتداء من الأب والأم ثم المعلم، صعوداً إلى الحلقات الأخرى ، هم المسؤولون عن مستقبل هذا البلد .. لأن من يحكم اليوم كان فيما مضى طفلاً صغيراً يتعلم ، وهو الآن يطبق ما تعلمه في السابق .. إن خيراً فخير وان شراً فشر.

التعليم أولاً ..

وإلا فسنبقى نحلم ونحلم حتى نموت في منامنا ، غير مأسوف علينا ، لأن النائم لا قيمة له.





69

...جمعية الإحباط







لماذا يصاب الإنسان بالإحباط ؟

لأنه ببساطة يقتنع في لحظة ما ولسبب ما ، أنه رغم كل إمكانياته قد فشل في تحقيق هدف كان يود الوصول إليه .. بل ويقتنع أكثر بأنه لن يصل إلى هدفه مهما حاول .. وهنا يتلبسه الإحباط.

لذلك يعتبر الإحباط الصديق الوفي لكل الفاشلين في الحياة.

ومن غرائب الحياة أن هؤلاء قد شكلوا في بلداننا جمعيات ناجحة في تخريج الفاشلين والمحبطين .. وبدون مبالغة فان انجح الجمعيات التعاونية عندنا هي جمعية المحبطين.

لأنها تتعامل مع الملايين .. وينتمي إليها الملايين .. وتخرِّجُ الملايين سنوياً .. ولا يكاد عملها يتوقف ، ولا تشكوا يوماً من قلة الزبائن .. ولله في خلقه شئون.

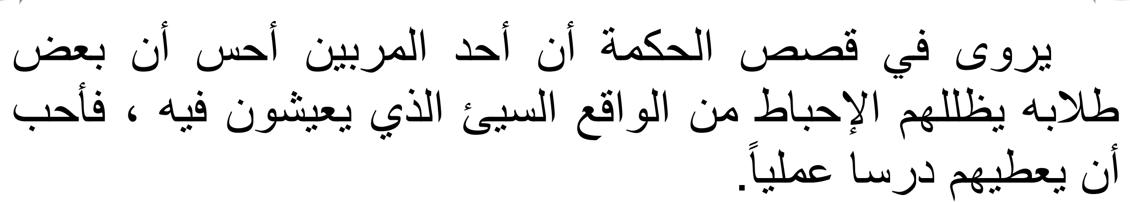
ومهما كنت متميزاً ومتفائلاً ، ما إن تجلس في إحدى هذه الجمعيات إلا وتخرج وقد تغير العالم في نظرك وانقلب الأبيض اسوداً .. وتبدأ بالإحساس أن الحل الوحيد لمشاكلنا أن تقوم القيامة لنذهب نحن (المظلومون) إلى الجنة ، ويذهب (أعداؤنا الظالمون) إلى النار ، فالعمل لا يفيد والكلام لا يفيد وبذل الجهد لا يفيد.

ولا تسألني أين هذه الجمعيات .. فهي موجودة في كل مكان ، في البيوت .. في المدارس .. في الجامعات .. في الأسواق .. بين الأميين والمثقفين (لأن عضويتها مفتوحة للجميع).

والشرط الوحيد للانتماء إليها ، وبإرادتك الحرة ، توفر ثلاث خصال.

أن تكون كسولاً ، بليداً ، جباناً .. فقط .





يروى في قصص الحكمة أن أحد المربين أحس أن بعض طلابه يظللهم الإحباط من الواقع السيئ الذي يعيشون فيه ، فأحب أن يعطيهم درسا عملياً.

وفي احد دروسه فاجأ طلابه بقوله:

- من يريد هذه؟

ورفع يده ممسكا بورقة من فئة ١٠٠دولار ، رفع معظم الموجودين أيديهم .. فقام بكرمشة الورقة ومن ثم سألهم:

- والآن من يريدها؟

بقيت الأيدي مرتفعة وطامعة بها.

- حسناً ، ماذا لو فعلت هذا ؟

ورمى ورقة النقد على الأرض .. وقام بوطئها بحذائه .. ثم رفعها وهي متسخة ومليئة بالتراب .. وسألهم:

- من منكم مازال يريدها؟

فارتفعت الأيدي مرة ثالثة.

فقال: الآن يجب أن تكونوا تعلمتم درسا قيماً ، مهما فعلتُ بالنقود فمازلتم تريدونها .. لأن كل ما فعلتُه لم يُنقص من قيمتها فهي مازالت ١٠٠ دولار.

والعبرة أننا في مرات عديدة من حياتنا نسقط على الأرض ، وننكمش على أنفسنا ، ونتراجع بسبب القرارات التي اتخذناها أو بسبب الظروف التي تحيط بنا.. فنشعر حينها بأنه لا قيمة لنا.

وهذا خلاف الواقع ... فمهما حصل فأنت لا تفقد قيمتك لأنك شخص مميز .. حاول أن لا تنسى ذلك أبداً .. ولا تَدَعْ خيبات آمال الأمس تلقي بظلالها على أحلام الغد.

كلما تعرفت على قدراتك أكثر ، كلما هرب منك الإحباط أكثر.

كلما تعرفت على واقعك وفهمته ، لن تستسلم للإحباط.

وطريق ذلك العلم والعمل بجد واجتهاد ، وترك قتل الوقت والعمر أمام الانترنت والفضائيات والأخبار.



لأن من أهم أسباب الإحباط عند أغلب الناس هو كثرة سماعهم للأخبار السيئة وهذه الاخبار هي الغالبة .. لا بأس أن تعرف ما يجري في العالم ، ولكن لا تلح كثيراً حتى تصل إلى حد اليأس والوسوسة.

فتكون كالذي يتابع أخبار الأمراض وانتشارها في العالم ، ويحصي كم قتلت ، وكم عوَّقت ، حتى يصبح ويمسي وهو مريض حقاً من كثرة تفكيره بالمرض.

تعلَّم .. وعلِّم غيرك .. اجعل يومك خيراً من امسكَ .. تفاءل بالخير .. الجأ إلى الله تعالى بالدعاء والذكر .. لا تلتفت للمثبطين .. وصاحب الأكفاء والناجحين .. اقرأ أخبارهم .. قلدهم وتشبه بهم.

وازرع بذرة الإصلاح ، وتيقن أنها ستنبت يوما ما ليأكل من ثمرها أولادك وأحفادك.

وما يدريك لعلك تتمتع أنت أيضا بها في حياتك.



70

...لقد ركلتُ الملك







روى ديل كارنيجي في أحد كتبه الحادثة التالية:

كان أمير ويلز والذي أصبح فيما بعد ادوارد الثامن طالباً بكلية دارتماوث في ديفونشاير ، وكان عمره أربعة عشر عاماً ، وذات يوم شاهده أحد ضباط البحرية يبكي ، فسأله عما يضايقه ، وفي البداية رفض الأمير الإفصاح عن شيء ، ولكنه في النهاية اعترف بالحقيقة: **لقد كان طلاب البحرية يركلونه.**

فقام عميد الكلية البحرية باستدعاء الطلاب ، وأوضح لهم أن الأمير لم يشك شيئاً ، ولكنه هو نفسه كان يريد معرفة السبب وراء معاملتهم العنيفة للأمير دون سواه.

واعترف الطلاب بعد كثير من التلعثم والتردد أن السبب هو أنهم يريدون عندما يصبحون في المستقبل ضباطاً أو قادة في الأسطول الملكي ، أن يكون باستطاعتهم حينئذٍ أن يقولوا أنهم **ركلوا الملك ذات يوم.**

ثم يعقب كارنيجي بقوله: فتذكَّرْ عندما يقوم أحد بركلك ونقدك ، أن السبب وراء ذلك عادةً أنه يمنح الشخص إحساساً بالأهمية .. وأنك جدير بالاهتمام.

أليس كثيراً من الناجحين في عالمنا العربي يعانون من هذه الركلات المؤلمة .. والتي قد تكون أحياناً محطمة لآمال وطموحات هذا الإنسان الناجح والنابغ .. لا لشيء إلا لأن بعض المتخلفين عقلياً ممن يعتبرون أنفسهم مسئولين أو مثقفين أو أساتذة يرون في هذا النابغ تهديداً لمراكزهم.

وهذا الناجح المسكين لم يفكر أساساً بأن يأخذ مكان أحد منهم، وكل ما يحتاجه كلمة تشجيع واعتراف بفضله ، وأنه قدم خدمة لمجتمعه أو مؤسسته.



ولكن قتلة الإبداع وإرهابيو الفكر يضنون عليه بهذا التشجيع الذي لا يكلفهم شيئاً ، بل انه يزيد من قدرهم لو أنهم تأملوا قليلاً.

احذر أيها الشاب الناجح وأيتها الشابة الناجحة أن تيأس وأن تستسلم لركلات الآخرين .. لأن هذا دليل على أنك بدأت تؤثر فيمن حولك .. ودليل على بزوغ نجمك .. وكلما فهمت المعادلة أكثر كلما تقدمت في طريق النجاح أكثر.





71

...الهروب إلى الأمام







عندما كنّا صغاراً تعلمنا أننا لكي نهرب من شيء مخوف فإننا نركض في الاتجاه الذي يعاكسه أي أننا نبتعد عنه.

وبقينا نعتقد أن هذا هو المنطق الصحيح في التعامل مع أي أمر يخيفنا سواء كان مادياً كحيوان شرس أو إنسان شرس ، أو معنوياً كالإحباط والغم والكآبة.

ولما بلغنا مرحلة المراهقة ، اكتشفنا أن هناك جزءاً لا يستهان به من البشر يهربون إلى الأمام ، باتجاه الشيء الذي يخيفهم ويهددهم .. وعن سبق إصرار وقصد ، من باب العناد والاعتداد بالنفس والغرور بالشباب.

مثلاً تقول لفلان لا تأكل من هذا الطعام لأنه سيؤذيك ، فيأكله عمداً ولا يبالي بالمرض.

وتقول لعلان لا تمشِ من هذا الطريق لأنه مغلق ، فيصر على المشي فيه ويضيع الوقت ، ثم يعود إلى كلامك.

وتقول لفلتان لا تتخذ هذا القرار .. وتقسم له بأغلظ الأيمان أنه خطأ ، ومع ذلك يتخذ القرار ببطولة نادرة .. ولما يتبين له الخطأ يقول لك اجتهدنا فأخطأنا ولنا أجر الاجتهاد.

وبقينا لفترة لا بأس بها نعتقد (بحكم الشباب والمراهقة) أن هذا يسمى إقداما وشجاعة.

ثم بلغنا الكهولة فاكتشفنا أن الهروب إلى الأمام يمارسه نوعان من البشر.

أحمق لا يدري أين يتجه الاتجاه الصحيح ..

ومفلس جاهل يريد أن يغامر لعل الحظ يخدمه ..

ولما اطّلعنا على تجارب البشر والأمم ، وجدنا أن الهروب إلى الأمام ليس حكراً على الأفراد فقط ، بل تمارسه الجماعات والدول والأمم.



وتأكدنا بالدليل القاطع أن كل من مارس هذه اللعبة البلهاء انتهى إلى نهاية واحدة .. هي الفشل.

ولكن الإنسان بما وهبه الله تعالى من عقل ، له قدرة على التبرير والخيال والوهم ، يستطيع بسهولة أن يتخيل الفشل نصراً .. ويتخيل المحنة منحة .. وكل هذا في خياله المريض لا في الواقع ، ثم يقنع نفسه ومن حوله بهذا.

ولا ننكر أن تحويل المحنة إلى منحة في فقه النجاح يعتبر شيئاً مطلوباً وجميلاً ، لكن بشرط مهم .. أن نستفيد من الدرس المؤلم ، فلا نعود إلى نفس الخطأ مرة أخرى.

ومن هنا اعتبر النبي ﷺ أن علامة المؤمن أنه لا يلدغ من جحر مرتين .. لأن المؤمن لا يكون أحمقاً ، ولا مفلساً ، ولا جاهلاً ، ويستفيد من دروس الفشل ليصل إلى النجاح.

وبالتالي فان المؤمن يستفيد ممن سبقه .. يستفيد من تجاربه .. يستفيد من إخفاقاته .. ولا يكرر نفس الخطأ مرتين.

ولا يمارس لعبة الهروب إلى الأمام لأنها لعبة الفاشلين.





72

...انزع نظارتك







يا من ترتدي نظارات سوداء أو ملونة أو طبية .. أستسمحك في أن تنزع نظارتك للحظات وتنظر الى العالم ، لا شك أنك ستجده مغايراً لما تراه من خلال نظارتك ، وغالباً ما يكون غير مريح بالنسبة لك ، لذا ستصبر لحظات وستعود للبسها من جديد.

يا من ترتدي نظارة العِلم أو القيادة أو المشيخة أو التجارة أو السياسة .. أستسمحك أن تنزع نظارتك للحظات ، أعلمُ أن المنظر لن يريحك ، وبإمكانك أن تعود للبسها.

يا من ترتدي نظارة المعلم أو الأب أو الطبيب أو الأستاذ .. وأنتِ يا من ترتدين نظارات الأم أو المربية أو المعلمة .. انزعوا نظاراتكم للحظات ستجدون ما لا يريحكم ، وقطعاً ستعودون للبسها كي تشعروا بالأمان والاطمئنان.

عندما تطلب من أي إنسان أن ينزع نظارته المعنوية التي يرى من خلالها العالم سينزعج ويرفض بشدة .. وسيحلف لك بأغلظ الأيمان أنك لا تفهم شيئا من هذا العالم لأنك لا تشاهد العالم من خلال نظارته.

وفي هذا الحال ستضطر لأحد أمرين:

إما أن تجهد نفسك في نقاشه وإقناعه ، وغالباً لن يقتنع ، وسيتعبك هذا النقاش الذي سيتحول إلى جدل عقيم.

أو ترتدي نفس نظارته وتحاول بهدوء أن تقنعه بأن هناك لون آخر للعالم ، وربما في هذه الحالة قد تستطيع أن تقنعه بان ينزع نظارته للحظات ، ليتأكد أن هناك لون آخر للعالم .. وهذا نجاح كبير فلا تستهن به.

وطبعاً النجاح الأكبر هو أن تقنعه أن نظارته قد تصلح لزمان ما ومكان ما ، وليس لكل زمان ومكان كما يعتقد ، وليس مع أي إنسان.





وخطر عدم الانتباه إلى هذه النظارة المعنوية يتجاوز الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة .. اسمع لهذا التهديد الرهيب

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾

يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟

كيف ولماذا يحسبون ؟

لأنهم ألغوا عقولهم بتشبثهم بنظارة الكفر والأهواء.

ونعود إلى الدنيا ...

أيها المعلم البس نظارة الطالب وتعامل معه ..

أيها الأب أيتها الأم ، إلبسا نظارات أبنائكم وتعاملا معهم ..

أيها القائد البس نظارة جنودك وتعامل معهم ..

أيها المدير البس نظارة موظفيك وتعامل معهم ..

أيها الواعظ البس نظارة مستمعيك ثم عِظْهُمْ وعلمهم ..

أيها الإنسان الباحث عن النجاح .. اعلَمْ أنك ترتدي نظارات معنوية تلون لك العالم وتصنع له هيئات ووقائع في ذهنك (بعضها صحيح وبعضها خطأ) .. ولن تصل الى الحقيقة حتى تنتبه إلى هذه النظارات المعنوية التي تصنع عالمك الخاص ، وتحاول نزعها وتغييرها واستبدالها .. إن ثبت لك أنها معطوبة أو مشوهة.

أيها الباحث عن النجاح .. اعلَمْ أن العالم بحقائقه أجمل مما تتصور ، ومطلوب منك أن تعَمِّر هذا العالم بخلافتك التي انتدبك الله تعالى لها .. ولن تعمر الأرض بنظارات معطوبة.

واعلم أن الفهم هو الحل.





73

...القراءة السريعة







هلْ تحب القراءة ؟

إذا كان جوابك نعم فعليك أن تتعلم مهارات القراءة السريعة ، كي تستثمر وقتك أفضل استثمار .. ولكي تستطيع بسهولة أن تقرأ عدداً من الكتب أكثر مما تقرأ الآن ، بل أكثر مما تتوقع أن تقرأه .. مع نسبة فهم جيدة ، وربما تكون أكثر من نسبة الفهم في قراءتك الاعتيادية.

وسأذكر لك بعض الفوائد ، يمكنك أن تعتبرها علامات في الطريق نحو القراءة السريعة:

🕮 متوسط سرعة القراءة عندنا (في العالم العربي) هو ١٦٠ كلمة في الدقيقة ، وهذا يعني أنك كي تقرأ كتاباً من ١٠٠ صفحة (يحوي على ١٥٠٠٠ كلمة) ستستغرق ساعة ونصف تقريباً.

فإذا نجحت في زيادة سرعتك إلى ٢٥٠ كلمة في الدقيقة ستقرأ نفس الكتاب في ساعة واحدة فقط .. أي انك كسبت ثلث الوقت.

وتستطيع أن تتخيل كم ستستغرق في قراءة هذا الكتاب لو زدت سرعتك أكثر.

🕮 في بداية تدربك على القراءة السريعة لا تركز كثيراً على الفهم .. لأنك في هذه المرحلة تحاول أن تُخرج عقلك من منطقة الأمان التي كان يتعامل بها مع المعلومة إلى منطقة جديدة لم يألفها .. وحتى يتعلم عقلك على هذه السرعة تحتاج بعض الوقت.

🕮 أول خطوة في التدريب على القراءة السريعة هو أن تحسب سرعتك الحالية في القراءة أي : كم كلمة تقرأ في الدقيقة ، وفق هذه المعادلة البسيطة:





عدد الكلمات في السطر × عدد الأسطر في الصفحة × عدد الصفحات التي قرأتها ÷ الوقت الذي استغرقته في القراءة = ؟ كلمة / دقيقة

🕮 استخدم مؤشراً وأنت تقرأ وليكن قلماً رفيعاً تسحبه بسرعة متوسطة تحت السطر.

🕮 اجعل حركة المؤشر مستمرة لا تتوقف ، ولا ترجع لقراءة الكلمة السابقة حتى لو لم تفهمها .. وتذكر أنك تتدرب فلا تخاف من عدم الفهم.

🕮 ابدأ في التدريب بالكتب البسيطة كالروايات والقصص .. وكلما ازدادت سرعتك في قراءة هذه الكتب ستزداد تلقائياً في الكتب الأخرى.

🕮 عقلك هو الذي يقرأ وليس عيناك .. وإليك هذه المعلومة المدهشة ... **عقلك يرتاح ويفهم بسرعة ٤٠٠ ك/ د** ، وأسلوب التعليم الخاطئ عندنا وبعض المعتقدات الخاطئة هي التي حرمتنا من هذه الميزة العظيمة.

🕮 يعتقد الكثيرون أن البطء في القراءة ضروري للفهم وهذا خطأ زُرع في عقولنا عن غير قصد .. وعندما تمارس القراءة السريعة ستفاجأ كم كنت محروماً .. وكم كنت تضيع الوقت نتيجة هذا المعتقد الخاطئ.

🕮 وأريد أن أزيد رغبتك فأقول لك: اذا تدربت على مهارات القراءة السريعة ذاتياً أو بمشاركتك بالدورات المتخصصة في القراءة السريعة ، فانك ستستطيع بإذن الله تعالى أن تقرأ على الأقل كتابين متوسطين في الأسبوع .. والآن احسب معي :

كتابان في الأسبوع
٨ كتب في الشهر
٩٦ كتابا في السنة



وهذا ليس خيالاً ، بل أجزم أنك ستقرأ أكثر ، فقط إذا توفرت الرغبة والإرادة ، وتدربت على القراءة السريعة.

ولست بحاجة لأن أذكرك أن القراءة طريق لا يُستغنى عنه للفهم في كل مجالات الحياة.

ولا تنس دائماً أن ...

الفهم هو الحل





74

...وهم الحرية

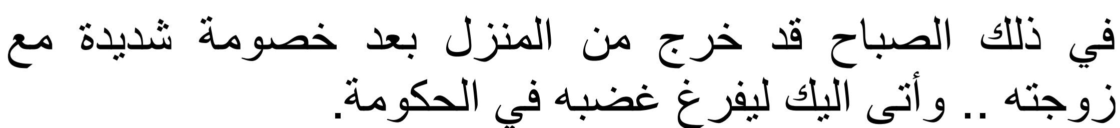






هَلْ نمارس حياتنا بكل حرية ؟
ونتخذ قراراتنا بحرية ؟
ونفكر بحرية ؟
هل أفكارنا فعلاً ملكنا ١٠٠% ... ولا سيطرة لأحد عليها ؟
لستُ ممن يؤمنون بالجبر في افعال البشر.
لكنّي من المؤمنين وبشدة أننا في كثير من أمورنا والتي نظن أننا نقررها بعقولنا وبحرية ، انما نحن عبيد لأطراف عدة من غير أن نشعر.
لعواطفنا .. أولاً
لتجارب حياتنا الجيدة والسيئة .. ثانياَ
لأسلوب تربيتنا .. ثالثاً
لبيئتنا .. رابعاً
لثقافتنا .. خامساً
وهناك سادساً وسابعاً وثامناً ... الخ
وكلما عشنا في (وهم الحرية) كلما خضعنا أكثر وأكثر في عبوديتنا لهذه الخرائط المخزونة في عقولنا.
الم تسمع من يقول لك: أنا أستطيع الاصلاح حتى وأن كنت داخل منظومة فاسدة ولن يؤثر علي أحد .. وبعد مدة تجده ينزلق معهم في الفساد .. ويفتي لنفسه ويلتمس المعاذير.
الم تسمع من يقول لك: أنا حر استطيع أن اقول لا للمدير أو المسؤول الفلاني .. وعندما تحين ساعة الحقيقة يتخاذل ، ويبرر لنفسه أن التعقل والحكمة مطلوبان.
ألم يأتك أحدهم يوماً ما غاضباً على الفساد والمفسدين ويصرخ طالباً قلب نظام الحكم .. وبعد أن تسأل وتستقصي تجد أنه





في ذلك الصباح قد خرج من المنزل بعد خصومة شديدة مع زوجته .. وأتى اليك ليفرغ غضبه في الحكومة.

كل انسان يعتقد أنه عاقل ومفكر ... ولا سيطرة لأحد على تفكيره ..

لكن قلّةً من البشر هم من يراجعون عقولهم باستمرار ليتخلصوا من العبودية المعشعشة فيها .. وليحصلوا على الحرية الحقيقية لا الموهومة.

(وهم الحرية) يقود الناس الى مآسي لا تصدق أحياناً ..

القتل ، الظلم ، أكل أموال الناس بالباطل ، الخيانة ...

كل ما يتصوره عقلك من مآسي مرجعه أن الانسان يقرر أن يتصرف تصرفاً ما .. ويبرره لنفسه .. ويظن أنه قد فكر وقرر بحريته وبدون أي مؤثر.

والله تعالى لم يرتض هذا العبث والضياع لعباده .. فقد ميزهم بالعقل وبحرية الارادة عن بقية المخلوقات.

لذا نبهم بأكثر من آية لخطورة هذه الحرية الموهومة .. ونبههم أن هناك مؤثرات ستُرديهم في الدنيا والآخرة .. ما لم يحذروا منها.

فصل لنا هذه المؤثرات في مواطن كثيرة ، وجمعها لنا في مواطن أخرى بكلمة واحدة معجزة وهي " الهوى "

كل ما ذكرناه من مؤثرات في عقولنا تصنع هوىً من نوع ما لقرار او سلوك ايجابي أو سلبي.

واذا تجذرت هذه المؤثرات وقويت تصنع من (الهوى) الهاً لا يُناقش.

تأمل في قوله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ﴾





تأمل في قوله تعالى ﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾

ثم تأمل في قول رسولنا ﷺ :

لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.

الأصل عند البشر (نتيجة اهمالهم لهذه المؤثرات المترسخة في عقولهم) هو أن يُقادوا بالهوى ، والذي هو نتيجة حتمية لهذه المؤثرات التي ذكرنا بعضها.

وقلة من البشر انتبهوا الى الخطر الكامن في عقولهم فبدأوا يفتشون عن الحقيقة .. ويراجعون كل افكارهم باستمرار .. خوفاً من أن يقعوا في العبودية التي لا ترضاها الفطرة .. وخوفاً من أن يعيشوا وهم الحرية.

الحياة الدنيا ستعيشها مرة واحدة .. وستحاسب عليها .. صحيح أن المؤثرات التي ذكرناها قد تكون غير ظاهرة .. لكن الله تعالى ورسوله ﷺ وكل العقلاء الأحرار نبهوك عليها .. فانتبه.

وليس لك عذر بعد ذلك أن تعيش عبداً وتقنع نفسك ، بل تخدع نفسك .. بوهم الحرية.

حاول أن تعيش حياتك بذكاء وبحريَة حقيقية وليست حرية موهومة .. فالله تعالى وهبك هذه الحرية في عقلك وبدنك .. فلا تكن عبداً لغيره تعالى .. ولا تكن عبداً حتى لأفكارك.

راجع عقلك وأفكارك باستمرار ، ولا تخف من المراجعة.

وانتبه لكل الخرائط الخاطئة في عقلك ، وصححها باستمرار.

واستعن بالله ليهديك صراطاً مستقيماً ، وتعوذ بالله من الهوى وقاومه لأنه سبب كل بلاءٍ يحل بك.

ولا تعش في وهم الحرية .. بل كن حراً بحق.





75

...خيبات الانتخابات، ما الحل؟

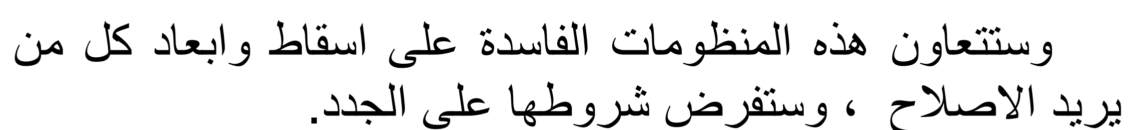






يسألُ البعض .. ما الحل ؟ ونحن قادمون على الانتخابات ؟
الوجوه المعروضة مستهلكة .. ولا ثقة لأحد فيها .. وسينتخبها أصحاب المصالح والمنافقون وضعاف النفوس وسيجثمون على قلب هذا البلد لأربع سنين قادمة.
فان لم نشارك فهل البديل أن نجلس في بيوتنا ؟
والجواب التقليدي: طبعاً لا.
لذا تجدُ أصحاب النوايا الطيبة يحاولون أن يشاركوا كمرشحين .. عسى ولعل أن يستطيعوا تقديم بعض الاصلاح (في ظنهم).
وكأنَّ الحياة السياسية عند هؤلاء قد اختزلت في خيارين .. إما أن نشارك في السلطة .. أو أن نجلس في بيوتنا.
ألا يوجد خيارات أخرى؟ .. أحدها مثلا أن لا نشارك وأن لا نجلس في بيوتنا ؟
وهل الاصلاح هو عمل السياسيين المشاركين في الحكومة فقط؟
وهل خدمة المجتمع لا تأتي الا عن طريق الحكومة ؟
وهل دمَّرَ المجتمع طيلة السنين السابقة غير السياسيين والحكومة ؟
رأيي الشخصي: أن المشاركة في المنظومة الفاسدة لن يغير شيئاً .. لقوة المنظومة الفاسدة من جهة ، ولضعف الفرد المشارك (النزيه) من جهة اخرى.
لذا لم ولن تتغير الأحزاب والجماعات والهيئات العاملة في العراق نحو الأحسن .. لأنها منظومات فاسدة إما مادياً أو فكرياً .. أو كلا الاثنين معاً.





وستتعاون هذه المنظومات الفاسدة على اسقاط وابعاد كل من يريد الاصلاح ، وستفرض شروطها على الجدد.

تبدأ بشروطٍ بسيطة ، وتنتهي بإقحام الجديد في الفساد حتى يبدأ وبملءِ ارادته بالدفاع عن منظومة الفساد والتبرير لها ، بدل ما كان يحلم به من التغيير.

لأنه ببساطة سيدخل عالماً جديداً لم يعرفه ولم يألفه من قبل .. وستسحره الأضواء والامتيازات وينزلق بالتدريج فيكون جزءاً من آلة الفساد.

يبقى السؤال قائماً .. ما الحل ؟

الحل ... هو البدء بتكوين منظومة جديدة تبتعد كل البعد عن منافسة هذه الطبقة الفاسدة ، وتنشغل لسنين قادمة بخدمة الناس خدمة حقيقية ، وبرعاية مصالحهم ، كل حسب مهنته.

الطبيب ، المحامي ، الموظف الحكومي ، المعلم ، المدرس ، الجامعي ، العامل ، الأديب ، الاعلامي ، التاجر.

وأقصد بالخدمة الحقيقية أن لا تكون بغرض الدعاية والاعلان، كما تفعل المنظمات الاغاثية ، والسياسيون التافهون ، من التقاط صور مع البسطاء والمحتاجين ، ودفعهم للثناء عليهم أمام الكاميرات.

وهم في حقيقة الأمر قد سرقوا ما يعلمه الله من هذه المساعدات أو سربوها لغير مستحقيها.

خدمة الناس ورعاية مصالحهم أولاً .. هو الذي سيجعل الناس تثق بهم وتقدمهم وتسلمهم أمانة البلد باطمئنان.

ثقة الناس لا تكتسب بالشعارات ولا تأتي بسهولة .. تحتاج الى بذل واخلاص في البذل دون انتظار مقابل.

ونحن نسمع الكل يتذمر ، ويتهم الآخرين بالفساد..

ما الذي يمنع هؤلاء المخلصين من التجمع لخدمة البلد بدل التذمر ؟ أياً كان المذهب أو الطائفة أو الدين ؟



وهذا التجمع لا فضل فيه لأحد على أحد الا بمقدار خدمته لبلده وشعبه.
ولماذا اعتقد أن هذا هو أحد الحلول الممكنة والواجبة على كل مخلص في المجتمع اليوم ؟
لأن كل الطبقة السياسية والاحزاب والجماعات والهيئات في العراق .. وبكل الوانها الدينية والعلمانية .. فقدت ثقة الشعب بامتياز .. ولا يتبعها اليوم الا منتفع أو منافق أو جائع.
هذه الطبقة الفاسدة تدعمها قوى خارجية سياسياً ومالياً وهذا ليس سراً.
وهذه الطبقة أو بعضها على اقل تقدير لم تكن كما هي الآن فساداً وسلوكاً قبل ان تصل الى الحكم.
والسير في نفس الطريق الذي سارت فيه سيؤدي الى نفس النتيجة ولا بد.
لذلك أقول لا بد من تغيير الطريق والطريقة.
وقد رأينا بأعيننا كمثال مصغر .. ما فعلته تجمعات الشباب العفوية من خدمة للموصل ونينوى عموماً ومؤسساتها بعيداً عن الحكومة والاحزاب والجماعات والهيئات.[١٣]
وليس لأحد من أولئك الفاسدين فضل عليهم.
بل عمل هؤلاء الشباب بعفوية واخلاص ودون مقابل من أحد.
وفي اعتقادي أن كل حل لا يأتي من داخل المجتمع هو حل فاشل.
سنبقى نتنقل من يد لص ليد لص آخر حتى يستيقظ هذا المجتمع من غفوته.

---

١٣ - بعد تحرير الموصل من داعش ، بدأ الشباب بالعمل في تجمعات خدمية للتنظيف وازالة الانقاض وقدموا ما استطاعوا بعيداً عن الاحزاب .. لكن الأمر لم يستمر هكذا ، فسرعان ما قامت الأحزاب بما تملك من نفوذ ومال بكسب هذه التجمعات ، أو المتنفذين فيها ، واستخدامها لصالحها سراً أو علناً.





لا أقول كل المجتمع لأن هذا غير ممكن.

لكني أعني الطبقة المثقفة المتنورة المخلصة التي لا ترضى بهذا الواقع وتريد أن تنقذ البلد بإخلاص.

وهذا التجمع الذي أحلم به ، لن يستطيع أي منافق أو انتهازي أن يشترك فيه ، لأنه ببساطة سيبذل لسنين دون مقابل ، وهذا ما لا يستطيعه الكذبة والدجالون.

أثق كثيراً بوجود أناس من هذا المستوى الراقي فكراً وسلوكاً في مجتمعنا لكنهم متفرقون .. لذلك لا صوت لهم ولا قوة بأيديهم.

لكن ان قرروا التجمع سيكونون قوة لا يستهان بها .. وسيحسب لها حساب .. ولن يقدر احد على اسقاطهم لأن أعمالهم ستتحدث عنهم.

قد يكون هذا الكلام اليوم حلماً.

لكن الأمور العظيمة تبدأ عادة بالأحلام .. حتى يهيئ الله تعالى لها من يحققها.

وهذه بذرة أرجوا أن تنبت يوماً ما وتصلح ما أفسد الناس.





76

...اجعلني على خزائن الأرض
(سُلطة الجهل وخداع الجماهير)





كثيرٌ من (المتأسلمين) الذين يغطون مطامعهم بغشاء من الدين .. يخدعون الناس بحجة طالما سمعناها منهم وهي:
أنه يجوز لهم طلب السلطة وإشهار علمهم وفضلهم على الملأ لخدمة الناس وللإصلاح ، لأن طلب المنصب واشهار الفضل مشروعين ولا غضاضة فيهما .. ودليلهم في ذلك قول سيدنا يوسف عليه السلام للملك في زمانه ﴿اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم﴾.

وهم يوردون هذا الدليل على طريقة ﴿ لا تقربوا الصلاة . . . ﴾

فلا هم يقرؤون ما قبلها .. ولا ما بعدها .. ليعلموا كيف ولماذا قال النبي الكريم يوسف هذا المقال.
ويجتزؤون من المشهد كله جزئية تخدم أطماعهم ووساوسهم المريضة ، ليخدعوا بها البسطاء باسم الدين.
والآن لننظر الى المشهد كله كيف حصل.
بعد أن فسر يوسف الرؤيا للملك بطريقة فريدة وبثقة عالية .. أمر الملك بإحضاره للمرة الأولى : ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾

لكن النبي الكريم كان أعظم من أن يستغل فرصة أتته ليخرج من السجن بعفو من الملك .. فرفض الخروج حتى يُحقق الملك في التهمة التي سُجن من أجلها ، كي يخرج بريئاً مرفوع الرأس.
يخرج من السجن لأنه واثق من براءته ، وليس لأن الملك أراد أن يخرجه بسبب تفسيره للرؤيا ... لذا اتخذ موقفاً واضحاً :





﴿ .. فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

وتأملْ طويلاً ما في طلبه من ثقة وإباء.

﴿ارجع الى ربك فاسأله﴾ .. لكي يتحقق من التهمة .. لأن ربك لا يعلم ما الذي حصل .. لكن ربي يعلم ﴿إنّ ربي بكيدهن عليم﴾.

مقابلة رائعة ودرس بليغ لعبيد البشر بين ﴿ربك﴾ الذي لا يعلم .. و ﴿ ربي ﴾ عالم الغيب والشهادة.

وبعد أن تحققت براءته .. علم الملك أنه أمام رجل غير اعتيادي لا يستجدي العفو .. مع نبلٍ وعلمٍ لا يملكه غيره .. فكرر أمره مرة ثانية:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾

تأمل قوله ﴿استخلصه لنفسي﴾

علمَ يوسف الصديق أن هذا امتياز لا يشاركه فيه أحد .. وبالتالي لن يكون لأحد من المسؤولين سلطة عليه غير الملك.

وكان الملك عاقلاً .. فأراد أن يختبر حقيقة هذا الرجل المميز عياناً ومشافهة .. فحاوره حتى استقرت الثقة في قلبه وكانت النتيجة:

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾





وتأمل مرة أخرى في قوله ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾

امتياز ثانٍ من قبل الملك بالتمكين .. وشهادة منه شخصياً بأمانة يوسف الصديق بعد محادثة مباشرة معه.

ركزِ الآن بهذه المراحل الثلاث مرة أخرى :

١- لم يقبل الخروج من السجن الا بعد اثبات براءته مع أن الملك قد أمر بإحضاره شخصياً .. وخرج بعزة نفس .. وليس بعفو ولا منّة من أحد.

٢- أمر الملك بإحضاره مرة ثانية مع امتياز خاص باستخلاصه لنفسه ولا سلطة لأحد من البشر عليه .

٣- بعد الحوار مع الملك وعده الملك بالتمكين وأقر له بالأمانة.

بعد كل هذا .. بعد البراءة والاستخلاص والتمكين وصفة الأمانة من أعلى سلطة حاكمة ، وبعد أن اطمأن النبي الكريم أن لا أحد سيؤثر عليه ويلزمه بشيء.

في هذا الموقف فقط طلب ما يريد:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾

بعد أن استوثق لدينه ودنياه قدّم الطلب ..

وعندما قال ﴿إني حفيظ عليم﴾ .. لم يكن يقول شيئاً مجهولاً للملك وللناس .. لأنهم قد جربوا حفظه للأمانة مع عزيز مصر .. وجربوا علمه ودينه في السجن .. كان يقرر واقعاً مجرباً .. ولم يكن يدعي صفات ليجَرِّبها الناس فيما بعد.

لذلك وفي نقلةٍ بالغة الروعة .. لم يخبرنا القرآن الكريم بقرار الملك أنه وافق على الطلب أم لا .. لأن الموافقة كان مفروغاً منها مسبقاً.



فانتقل المشهد مباشرة الى خطاب العظيم جل جلاله:

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

ومرة أخرى تأمل في قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض . .﴾

ملكُ الأرض يقول له ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾

ومالك السماوات والأرض يقول ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾

ثم تأمل قوله تعالى ﴿ يتبوأ منها حيث يشاء﴾ . .

حيث يشاء يوسف .. لا حيث يشاء الآخرون.

لم يأت طلب المنصب من فراغ .. سبقه تأكيد التمكين له من السماء والأرض.

فالذين يجتزؤون من المشهد كله .. أن الصدّيق قد طلب المنصب من الملك وبيّن له مؤهلاته .. يؤذون أنفسهم ويخدعون غيرهم.

لأن الذي يطلب بلسانه منصباً ليس له فيه تمكين إنما يورّط نفسه بما لا قبل له به.

وسيصبح العوبة في يد من سيعطيه المنصب .. ومطية لرغبات سادته الذين تفضلوا عليه.

التأكد من التمكين .. أو مظنة التمكين على الأقل ... ضرورة قبل السلطة.

والتمكين صوره كثيرة ..



كسيادة القانون وخضوع الجميع له كما في الدول المتحضرة ..
أو التأييد الشعبي الكبير ..
أو القوة المرهوبة المادية والمعنوية ... الخ
ومعرفة التمكين عند أهل الأرض ممكنة ، ومعرفة التمكين من السماء أيضا ممكنة مع أنه لا نبوة ولا وحي .. وذلك باتباع الصدق والعدل والابتعاد عن الظلم والمعصية أياً كان لونها ودرجتها.
ما أريد قوله هو أن لا يغلف أحد رغبته بمنصب أو وظيفة بغلاف الدين ، ويستشهد بآيات وأحاديث بصورة مخادعة ومغلوطة.
ليكن شجاعاً ويقول إني اسعى للمنصب الفلاني لأستفيد منه .. أياً كانت هذه الاستفادة مادية أو معنوية.
فلا يخدعنَّ جاهل نفسه ولا يخدعن الناس باستدلال ناقص ويبيع دينه ونفسه بعرَضٍ من الدنيا.
والأهم .. أرجوا ألا تنخدع الجماهير أيضاً بمن يستغفلهم باسم الدين.





77

...لا تخضع لوهم التغيير
(تصحيح المفاهيم)







في عمر البشرية المديد .. مرت كل التجمعات البشرية بكوارث وأمراض وبائية حصدت أرواح الملايين من البشر.

وقد توصل العقلاء من دراستهم للحضارات والمجتمعات وتاريخ الأوبئة الى مفهوم بسيط ، لكن هذا المفهوم على بساطته كلف البشرية حياة الملايين قبل أن يستقر كحقيقة في الأذهان.

هذا المفهوم البسيط هو: ابحث عن سبب الوباء واقض عليه وستنتهي المشكلة.

وكل حلٍ غير هذا سيتعبك ولن يغير من واقع الحال شيئاً .. وحتى اذا حصل تغيير فهو وقتي .. وهو ما أسميه (وهم التغيير)

ومجتمعنا الآن واقع تحت سطوة هذا الوهم (وهم التغيير).

فهو يتطلع الى مستقبل أفضل .. لكنه يتوهم أن هذا المستقبل الأفضل سيتحقق بتغيير شخصيات فاسدة بأخرى صالحة .. هكذا يعتقد الناس وبسذاجة لا يحسدون عليها ، أن القضية مقصورة على تغيير الاشخاص ، والأمر ليس كذلك.

وأحياناً تكون أبسط الحلول .. أخفاها.

ولأنها بسيطة فان الانسان لا يفكر بها ويظن أن المشاكل المعقدة تحتاج دائماً الى حلول معقدة .. والأمر ليس كذلك .. أنت لن تحتاج الى حلول معقدة دوماً.

ومع ذلك فالحل البسيط يحتاج الى شيئين ليكون فاعلاً:

الفطانة ، والرغبة الحقيقية في الحل

الفطانة ... لتكتشفه

والرغبة الحقيقية في الحل ... لتستخدمه

لنضرب مثلاً على الفرق بين التغيير الحقيقي ووهم التغيير ..



هذا المثل أصبح الآن من المسلمات .. لكنه قبل أكثر من مائة عام حصد أرواح الملايين .. ولا زال الى الآن يقضي على الآلاف ممن لا زالوا يعيشون في وهم التغيير:

مرض الملاريا من الأمراض المتوطنة والتي كانت في السابق وباءً قاتلاً قبل ان يكتشف سببها وعلاجها.

فاذا انتشرت الملاريا في مكان ما وتحولت الى (وباء) .. فلدينا عدة حلول مطلوبة ولكنها غير كافية .. مثلاً:

توفير العدد الكافي من الأطباء .. مطلوب لكنه غير كاف

توفير الأدوية .. مطلوب لكنه غير كاف

توفير فرق ميدانية .. مطلوب لكنه غير كاف

توفير فحص مخبري سريع لاكتشاف المرض مبكراً.. مطلوب لكنه غير كاف

شرح أعراض الاصابة بالمرض للناس وتوعيتهم .. مطلوب لكنه غير كاف

إذا طبقت كل هذه الحلول ستخفف من معاناة الناس لكنها لن تقضي على الوباء أبداً .. وكلما اختفى المرض من منطقة سيظهر في منطقة أخرى.

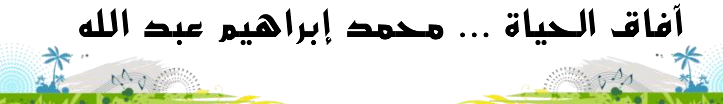
وبعد أن اكتشف العلماء دورة حياة الملاريا .. تغيرت كل المفاهيم في مكافحة المرض ، وأصبحت الأولوية لمكافحة البعوض الناقل للمرض ، وطمر المستنقعات التي يتكاثر فيها هذا البعوض.

لأن انثى البعوض هي الناقل الفاعل لطفيلي الملاريا من انسان مريض الى انسان سليم .. والمستنقعات هي البيئة التي يتكاثر بها البعوض.

اذا أوقفت دورة انتقال هذا المرض من المريض الى السليم لن تحتاج لكل الجهود السابقة الا بنسبة بسيطة.

وايقاف هذه الدورة الخبيثة تتم بالقضاء على بيئتين مترابطتين لطفيلي الملاريا خارج جسم الانسان.





وهذا هو التغيير الحقيقي الذي يقضي على انتشار الملاريا وتحولها الى وباء.

أما اذا اقتصرنا على الحلول الأخرى فهذا ما أسميه (بوَهم التغيير) والذي سيعالج بعض الناس لكن كثيرين غيرهم سيصابون ولن نخرج من هذه الحلقة المفرغة.

والآن ..

هل التغيير الحقيقي في المجتمعات التي يسود فيها الظلم والفساد سيتم بتغيير الاشخاص الفاسدين فقط ؟

أم أن الأمر يحتاج لشيء آخر .. وهو ايقاف دورة حياة الفساد .. وذلك (بتصحيح المفاهيم) عند الناس عن أصل الفساد واسبابه وصوره وكيف يحدث ولماذا ؟

اليك بعض الأمثلة التي توضح اختلاط المفاهيم عند الكثيرين ..

الموظف الذي لا يعمل الا برشوة .. هل هو المذنب الوحيد أم أن المواطن الذي يعطيه الرشوة وبدون أي ضرورة قاهرة ملجئة هو أيضاً شريك في الجريمة ؟

المسؤول الذي يسرق المال العام هل هو المذنب الوحيد ؟ أم أن المنافقين حوله والساكتين عليه هم شركاء في الجريمة ؟

النائب سيء السمعة أو المدير الوضيع الذي انتُخب لمنصب ما .. هل هو المسؤول عن التخريب في وظيفته أم أن الذين انتخبوه أشد اجراماً منه ؟

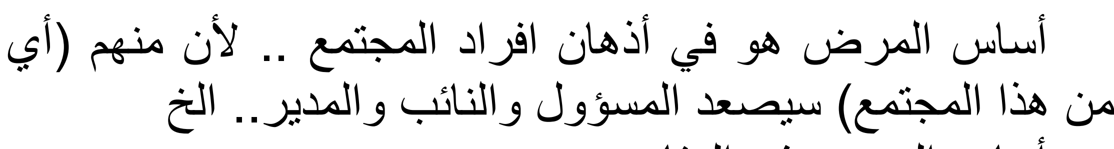
في النظم الإدارية تغيير الأشخاص مطلوب لكنه غير كاف .. مثل الحلول الكثيرة التي ضربناها مثلاً لمقاومة الملاريا .. وهي مطلوبة لكنها غير كافية.

محاكمة الفاسدين مطلوبة .. لكنها غير كافية

فضح الفساد مطلوب .. لكنه غير كاف

تغيير الفاسدين مطلوب .. لكنه غير كاف





أساس المرض هو في أذهان افراد المجتمع .. لأن منهم (أي من هذا المجتمع) سيصعد المسؤول والنائب والمدير.. الخ

أساس المرض في المفاهيم ..

(المفاهيم المشوهة) في اذهان أفراد المجتمع هي التي توفر البيئة المناسبة لدورة حياة الفساد.

واذا لم نقض على هذه البيئة الفاسدة من المفاهيم سيبقى المجتمع يُخرِّج لنا فاسدين من الدرجة الأولى .. وسنبقى نعيش في (وهم التغيير) .. ولن يكون هناك تغيير حقيقي.

واليك أمثلة أخرى عن بعض المفاهيم ليتضح قصدي أكثر:

ما الذي يعنيه الصلاح في اذهان الناس؟

اذا سألت أي فرد في المجتمع سيقول لك: هو الانسان المتدين الذي يؤدي الفرائض.

لكنه لن يقول لك أبداً أنه الشخص الذي يحرص على ادائه الوظيفي ، ويقضي حوائج الناس ، ولا يضيع نصف وقته الوظيفي في الطعام والحديث واللعب بالهاتف النقال.

ولن يقول لك انه المعلم الذي يبذل جهده ليُفهم طلابه.

ولن يقول لك إنه البائع الذي يَصدق معك ويبيعك ما تراه عينك لا ما يراه هو.

واذا سألت ما هو مفهوم الأمانة عند الناس؟ سيقولون: الأمين هو من تضع عنده مالك ويرده لك كاملاً غير منقوص ..

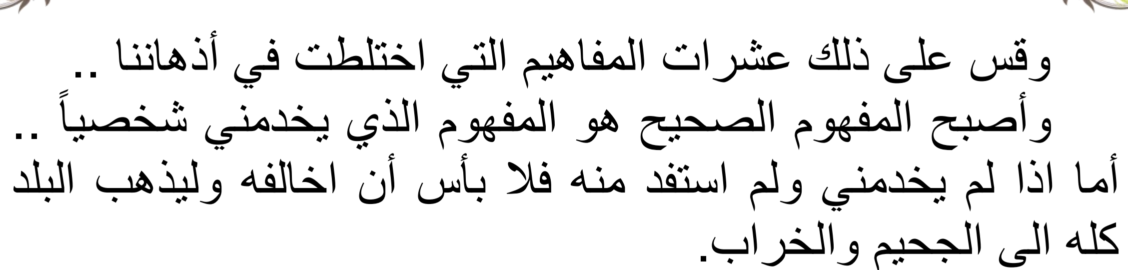
لكن لن يخطر ببالهم أن الأمين هو من يحافظ على مصباح الشارع من العبث.

وهو الذي لا يسرق من الكهرباء الوطنية بالتجاوز في مد الاسلاك لبيته.

وهو الذي لا يخرب الشارع العام ليوصل الماء لبيته ويترك الحفر يتأذى منها الناس.

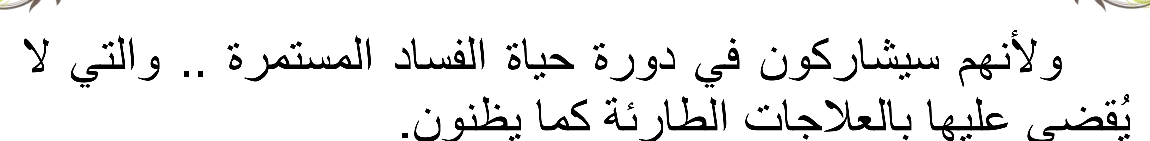
لأن مفهوم الأمانة عند الناس خاصة لا عامة.





وقس على ذلك عشرات المفاهيم التي اختلطت في أذهاننا ..
وأصبح المفهوم الصحيح هو المفهوم الذي يخدمني شخصياً .. أما اذا لم يخدمني ولم استفد منه فلا بأس أن اخالفه وليذهب البلد كله الى الجحيم والخراب.
وبالتالي أنتجت هذه المفاهيم المشوهة (نظاماً فكرياً) قاتلاً ومتخلفاً ، له مدخلاته واستدلالاته ومخرجاته التي نعاني منها في كل جزئيات حياتنا.
كل الذي تسلموا المناصب .. أو يطمحون لتسلمها .. يعِدون الناس بانهم سيخدمونهم اذا فازوا بالمنصب.
ثم لا يحصل شيء ، فالخدمة لا تقدم ، وصاحب المنصب يبرر، والناخبون يسبّون ويهددون بالتغيير.
ومرة بعد مرة يحصل التغيير .. أو وهم التغيير .. في الاشخاص .. وتعود دورة الفساد مع أشخاص جدد .. وهكذا.
لا أحد يلتفت الى أن الظلم والفساد والقهر وانعدام الأمانة قد ارتكز في أذهان الناس وعشعش وفرخ كطفيلي الملاريا .. وأصبح الكل يبرر لنفسه ويلعن غيره.
وما لم نوقف دورة حياة الفساد بتصحيح المفاهيم عند الناس .. فسيبقى هذا العبث والضحك على الذقون مهما قنّنا القوانين وحاسبنا المفسدين.
لأن الأجيال الجديدة من الفاسدين ستبتكر دفاعات ومناعات جديدة ضد القانون ولن تستطيع أي دولة أن تجاريها .. كما تُطور الجراثيم مناعتها ضد الأدوية.
وسيجرب بعض الناس الصالحين الذين يريدون التغيير من داخل المنظومات الفاسدة حظهم ، لكنهم سيتلوثون وسيتعرضون لضغوطات .. وفي النهاية سيصلون الى اللاحل.
وأخطر ما سيصيب هؤلاء (الصالحين) أنهم لن يشعروا بالتغيير السلبي الذي سيحصل لهم لأنه سيكون تدريجياً ومبرراً.





ولأنهم سيشاركون في دورة حياة الفساد المستمرة .. والتي لا يُقضى عليها بالعلاجات الطارئة كما يظنون.

أما كيف نصحح المفاهيم؟

وكيف نتخلص من وهم التغيير ..

فهذا عالم آخر له رجاله والمعتقدين به .. ولست أرى في مجتمعنا على المدى القريب من ينهض بهذا الواجب أو يعتقده على الأقل .. الا آحاداً من الرجال والنساء متفرقين لا حول لهم ولا قوة ولا يربطهم رابط يستقوون به.

وما أسهل القضاء عليهم أو تحجيمهم والحال هذا.

لأن (التغيير) نفسه مفهوم من المفاهيم التي تعرضت للمسخ والتشويه.

والى سنين قادمة ستبقى المستنقعاتُ .. والبعوضُ .. والفاسدونَ.

وَسيبقى وهمُ التغيير.





78

...المثقفون وقيادة المجتمع







بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ بدأت عندنا ظاهرة غريبة في الطبقة السياسية العراقية .. وهي شيوع لقب (الدكتور) و(السيد).

فمن لم يكن (سيداً) فانه يحرص على ان يكون (دكتوراً) ولا يهم ان كان قد درس فعلاً أم اشترى الشهادة من مكان ما وبطريقة ما.

وطبعاً لا أحد يسأل ما هو تخصص السياسي الدكتور فلان وما مدى علمه وفطانته في تخصصه .. فهذا لا يهم .. المهم أنه دكتور وكفى.

بل أكثر من هذا أصبح بعض السياسيين من غير الحاصلين على شهادة الدكتوراه ، والذين يظهرون في الفضائيات يسمع احدهم محاوره يطلق عليه لقب الدكتور وتراه فرحاً بهذا اللقب (وفي داخله يعتقد جازماً أنه يستحقه ولو لم يحصل عليه) لذلك لا يصحح لمُحاوره وللمشاهدين ويبين لهم أنه ليس دكتوراً.

وبمرور السنين تحولت هذه الظاهرة الى مرض .. فبدأنا نسمع عن الشيخ الدكتور .. والنائب الدكتور .. ورئيس الحزب الدكتور .. ورئيس الكتلة الدكتور .. ورئيس الهيئة الدكتور .... وتحولت حكومة العراق بسنوات قليلة الى (كفاءات) علمية راقية ليس لها مثيل في كل دول العالم.

ولن اتكلم هنا عن لقب (السيد) لأن الحصول عليه أصعب بكثير ويحتاج الى شروط (كونية) لا يقدر عليها كل أحد.

ولأن الحكومة عندنا تحولت من سلطة (دكتاتورية) الى سلطة (دكاترية) .. فقد كان المأمول منها أن تقودنا الى مستقبل مشرق .. الا أن العكس هو الذي حصل فعلاً .. فما الذي جرى؟



لن اناقش في هذا المقال قضية الفساد واللصوصية والخداع .. لكن سأناقش قضية اختلطت عند الناس كثيراً .. وهي الفرق بين مفهوم (المتعلم) ومفهوم (المثقف).

والذي دعاني لكتابة هذا المقال ما يتناقله البسطاء والمتعلمون على حد سواء .. من ضرورة انتخاب اصحاب الشهادات العليا لأن فيهم الأمل لإنقاذ البلد مما هو فيه.

والخطورة ليست في الدعوة لانتخاب اصحاب الشهادات .. بل الخطورة في قصر الأمر على الشهادة فقط دون النظر لعقلية حامل الشهادة ودرجة ثقافته.

حتى إن البرلمان العراقي تجرأ لأن يطرح مشروعاً بعدم جواز ترشح أي مواطن غير حائز على البكالوريوس كحد أدنى لمجلس النواب .. وعندي أن هذه الخطوة تدل على العقم الفكري الذي وصل اليه ساستنا .. ولا تدل على أنهم يحترمون اصحاب الشهادات ويثقون بهم.

وبخطوة اخرى مفاجئة تراجع المجلس عن قراره رغم موافقة المحكمة الاتحادية عليه واقرارها له .. والسبب في رأيي (بعيداً عن الصفقات السياسية) ربما هو أنهم جميعاً يعلمون بحكم خلطتهم ببعضهم أن مستواهم الثقافي ، وليس العلمي ، هو بنفس الضحالة وأن شهاداتهم عبارة عن ورقة لا تقدم ولا تؤخر .. وأن صاحب الشهادة الابتدائية منهم هو بنفس القدرات العقلية لحامل الدكتوراه منهم أيضاً.

هم يعلمون هذا فيما بينهم .. ويعلمون أنهم متساوون في الحقوق والواجبات في مجال تخريب الوطن .. ويعلمون أنه لا فضل لدكتور على أمّي إلا بمقدار حجم الخيانة والسرقة.

شعبنا بسيط ومجهَّل .. وعملية التجهيل استمرت لأكثر من اربعين سنة .. كبر عليها الصغير وفني عليها الكبير .. لذا فمن غير المستغرب أن الناس لا تفرق بين المتعلم الذي يحفظ الدرس



ويمتحن ليحصل على الشهادة في تخصص معين لا يفهم غيره .. وبين المثقف الذي يطلع ويقرأ في تخصصه وغير تخصصه ويقوِّم افكاره وسلوكه باستمرار ليرتقي الى الأحسن.

تساوى عند الكثيرين في مجتمعنا مفهوم المتعلم ومفهوم المثقف واصبحا شيئاً واحداً .. ومن هنا بدأت مصائبنا الفكرية وتلتها السياسية ثم الاجتماعية.

وسأقول لكم شيئاً آخر يخص التعليم نفسه.

نظامنا التعليمي بدأ بالانحدار منذ أن تسلم البعث السلطة في العراق ولم يتوقف الانحدار الى يومنا هذا رغم تغير النظام.

في زمن البعث تدخل الحزب في كل شيء ومنها الدراسات العليا وتعيين المعلمين والمدرسين والاساتذة .. ولم يحصل على الشهادات العليا في زمانهم الا من كان معهم .. ولم يتعين في مراكز القرار التربوي الا من كان معهم .. هناك استثناءات لكن لا قيمة لها في واقع المجتمع ولم يكن لها اي تأثير في وقف انحدار النظام التعليمي.

وبعد تغيير النظام أصبح لدينا عشرات الاحزاب التي ورثت الحزب الواحد ، والتي ورثت كل سيئات الحزب الواحد السابق ومنها أنها أصبحت تتدخل في كل شيء .. مع سيئة اضافية وهي أنها متعددة ومتنافرة ومتحاربة.

لذلك أقول وبكل اطمئنان أن الكثير (وليس الكل) من الشهادات العليا منذ سبعينيات القرن الماضي الى يومنا هذا مشكوك في مصداقيتها وأهلية حامليها.

وأنا أتكلم عن معايشة .. فقد درست في كليتين مختلفتين .. احداهما علمية في ثمانينات القرن الماضي .. والأخرى انسانية بعدها بعشر سنين .. ورأيت مستوى الدراسة والاساتذة والشهادات وكيف يحصلون عليها.



ستقول لي: أنت قلت ليس الكل .. فهناك إذن من حازوا على شهادتهم بجدارة.

فأقول: نعم .. لكن مثل هؤلاء غالباً ما يكونون أصحاب علم حقيقي ، يهتمون بالتعلم والتعليم ، ولا يلتفتون للمناصب الادارية حتى في كلياتهم ومراكز عملهم .. لأنهم يعلمون أن الادارة تُضعف من امكاناتهم العلمية وبحوثهم .. لذا يستغرقون في عملهم وهم سعداء بذلك ولا يلتفتون الى المناصب.

أما من يطلب المنصب فهو من الفئة الأخرى .. لأنه يعلم أن العلم الذي يحمله ضعيف ، وهو أساساً لا رغبة له بالعلم ولا بالتعليم بل يبحث عن منصب جيد وراتب مرتفع .. لذا تجده يلاحق الفرص التي تحقق له ذلك.

ومن هؤلاء تتوالد حكومتنا الرشيدة ، بالضبط كما كانت حكومة البعث في السابق تعتمد على هذه الشخصيات الرخيصة في المناصب الادارية.

هذا الخلط بين مفهوم المتعلم ومفهوم المثقف .. سببه تدني المستوى التعليمي والثقافي عند الناس ، وهو الذي أوصل المجتمع فيما بعد الى اعتبار كل من يحمل شهادة جامعية أنه مثقف.

وكل من يرتدي (قاط ورباط) أنه مثقف..

وكل من يتكلم بالسياسة مثقف ..

اذن ما الفرق بين المتعلم والمثقف ؟؟؟

المتعلم هو من يقطع مرحلة أو مراحل دراسية ويحصل على شهادة اولية أو عليا. وكل هذا لا يؤهله أن يكون مثقفاً .. هو متعلم فقط.

بينما المثقف له نفس الوصف السابق ويزيد عليه أنه متابع لأفكار عصره ومتغيراته .. دائم القراءة والبحث .. لديه استعداد دائم أن يتعلم الجديد ولا يستنكف من تصحيح افكاره وتصوراته وسلوكياته .. لديه القدرة على الفهم والتحليل والمقارنة والاستنتاج .



وكلمة الثقافة نفسها تدل على ما قلنا .. تقول العرب ثقفَ العود أي سواها وقوَّم اعوجاجها. فالمثقف من يقوّمُ اعوجاجه الفكري والنفسي والسلوكي دوماً .. وسلاحه في هذا شيئان:

العلم والتواضع ..

ومرة اخرى لا أعني بالعلم الحصول على الشهادة فقط بل هو شيء زائد على الشهادة وأرقى من ذلك بكثير كما بينا.

كل مثقف متعلم وليس كل متعلم مثقفاً.

وأنبه هنا وأشدد أن صفة المثقف صفة راقية لا يجب أن نسمح لأنصاف المتعلمين والعابثين والمتحللين من الأخلاق والمبادئ والقيم أن يعبثوا بها ويصفوا انفسهم بها بالباطل.

المثقف قائد في مجتمعه أياً كان تخصصه أو عمله .. وهدفه الصلاح والاصلاح.

ومن أصدقائي الأعزاء أحد المثقفين وهو رجل يعمل في النجارة .. على درجة عالية من الثقافة والأخلاق والقيم .. يعدل عقله برأيي العشرات من حملة الشهادات في فهمه وتحليله للأمور.

وكل انسان يمكنه أن يكون مثقفاً يخدم مجتمعه من موقعه.

المثقفون هم المؤهلون لقيادة المجتمع وليس المتعلمون.

لأن من يعجز عن تقويم نفسه لن يقوّم مجتمعه ، ومن يعجز عن تطوير شخصيته لن يطور شخصيات الآخرين ، ومن لم يتعلم كيف يتراجع عن الخطأ سيورد اتباعه موارد التهلكة.

وقد جرب الشعب العراقي كل هذه الأصناف .. فهل آن الأوان لأن يبحث شعبنا عن مثقفيه ويضعهم في مكانهم الصحيح ؟

الى أن يحصل هذا .. سنبقى نتحمل قرارات وأوزار سيادة الدكتور وسماحة السيد.

ومَن دونهما في الرتب ، من كل من هب ودب.





79

...العرس الانتخابي







مَنْ هو الذكي الذي أطلق على الانتخابات وصف (العرس الانتخابي) ؟
حقيقة لا أعلم .. لكني أهنئه على هذا الوصف الدقيق .. فقد اصاب الكلمة المناسبة بالضبط.
فعلا الانتخابات فيها مواصفات العرس .. مع اختلاف بسيط عن العرس الحقيقي ، والذي يعرفه الناس.
وبصرف النظر عمن هو العريس ومن هي العروس .. لحراجة التصنيف .. أقول:
بدأ الآن الغزل السياسي بين الطرفين .. ومرحلة الغزل أول مرحلة ستؤدي الى العرس.
وفي هذه المرحلة يُسمع كل طرف الطرف الآخر أجمل الكلمات وأطيب التمنيات وأحلى الوعود.
يتبادل الطرفان الثقة والمشاعر الرقيقة ويتشاركان احلام المستقبل .. لهما وللعراق.. وأحياناً ترتفع الحرارة فيكون الكلام عن مستقبل الوطن العربي والعالم.
في مرحلة (الغزل السياسي) يبدأ كل طرف بالبحث عمن يناسبه ويحقق احلامه .. وأحدهما له حلم واحد معروف وهو الفوز بالانتخابات.
لكن الطرف الثاني له أحلام لا يحصيها الا الخالق عز وجل.
وبعد أن تبدأ الكيمياء عملها في الطرفين .. يرتفع مستوى الغزل يومياً الى ان يأتي يوم كتابة العقد .. يوم الانتخابات.
ولا بأس في هذه الفترة من تبادل بعض الهدايا اثباتاً لحسن النوايا.
لكن فترة (الغزل السياسي) فيها أيضاً بعض المنغصات ..



فهي لا تخلوا من بعض (المشاغبين) الذين لا يرغبون بإتمام هذا الزواج وهمّهم الوحيد هو الكلام والانتقاص من العرس واصحابه.

لكن مع وجود هؤلاء المشاغبين والمضايقات التي يسببونها .. فلن يلتفت اليهم أحد .. لأن الفطرة عند العرسان ستأخذ مجراها ولن يوقفها أحد.

يوم كتابة العقد سيوثق كل طرف قراره .. والحقيقة أنه في العرس الانتخابي طرف واحد هو الذي سيوقع العقد ويُضحّي أولاً وينتهي كل شيء.

أما الطرف الآخر فلن يوثق شيئاً وسيأخذ كل شيء.

وهذا أكثر شيء طرافة في هذا العرس.

سيمر الشهر الأول على خير وصفاء .. لأن حلاوة العرس لا زالت في الرؤوس.

وبمرور الأيام ستبدأ الصورة بالتكشف والوضوح.

طبعا لم يعد الطرفان بحاجة الى ماكياج أو زينة أو كلام معسول .. لأن الطرف الذي يضحي أولاً ودائماً قد ضحّى وانتهى الأمر .. ولم يعد بإمكانه التراجع عن تضحيته..

أما الطرف الثاني في العرس فسيبدوا له ما لم يكن يحتسب .. اذا كان من العرسان الجدد.

لأن العرسان الذين مارسوا هذا العرس مرة واثنتين وثلاثة .. يعرفون جيداً ما الذي حصل وما الذي سيحصل..

لكن المفاجئة ستأخذ العرسان الجدد .. لأنهم مهما بلغوا من الذكاء والعبقرية ومهما تكلم لهم أصحاب الخبرة عن مرحلة ما بعد العرس .. فلن يعرفوها حقاً حتى يعيشوها..

وهذا ما رأيناه يحدث وبلا استثناء ، عند كل العرسان السابقين الذين التاثوا (أي اصابتهم لوثة) في عقولهم ومبادئهم بعد العرس .. ولم يَصحوا الى يوم الناس هذا.



اما الطرف الآخر في العرس الانتخابي فلن تصيبه المفاجئة مما سيحدث لأنه قد تعود على التضحية وبكل شيء وفي كل عرس .. وكل مرة يقول لنفسه معزياً: عسى ولعل.

وقبل أن تنتهي السنة الأولى سيسمع كل العرسان الخائبين عندما يحاولون الاتصال بعروسهم .. أحلى وأجمل وأشهر صوت في العالم .. يعرفونه جيداً .. يقول لهم بلطف ورقة :

"عذراً .. رقم الهاتف المطلوب مغلق حالياً أو خارق نطاق التغطية .. يرجى المحاولة فيما بعد".

وهكذا سينتظرون أربع سنين أخرى ليعيدوا المحاولة من جديد، وفي عرس جديد.



80

...هل نذهب إلى الانتخابات أم لا؟







هذا الكلام مهم أن تتمعن فيه كيلا تخدع للمرة الـ.....

يشيع الكلام هذه الأيام كما في الانتخابات السابقة أننا (يجب) أن نذهب لاختيار الشخص المناسب كي نغير من واقع الفساد الموجود.

واعتراضي ليس على الذهاب أو عدم الذهاب .. بل على كلمة (يجب) التي يضحكون بها علينا كل مرة.

وحتى يلزموننا الحجة كما يظنون يتبعونها بسؤال سخيف وهو : ما البديل؟

وهذا السؤال في منتهى السخف كما سأشرح لكم .. لأن الذي يطرحه يعلم أنه يخدع الناس .. أو ربما هو لا يدري أصلاً مبادئ الديموقراطية التي يمارسها.

ابتداء سأحصر لكم الفكرة ثم سأفصل:

مشكلتنا طيلة السنوات السابقة ليست في اختيار النائب الصالح ، بل في عدم قدرتنا أو حتى رغبتنا في محاسبة النائب اذا اساء .. والدليل على كلامي أن الاحباط الذي يعاني منه الناس الآن سببه أنهم اختاروا في السابق نواباً ظنوهم (صالحين) ثم تبين أنهم لا يختلفون في شيء عن ارباب السوابق.

والآن لنفصل في الموضوع:

١- الديموقراطية في جوهرها هي (أداء) وليست اشخاصاً. بمعنى أنه من الخطأ الكبير الظن بان اختيار الشخص المناسب بمقاييسنا الاخلاقية يعني أن مشاكلنا كلها ستحل .. لأنه أحياناً يكون مثل هذا الشخص من أغبى الناس بالتفافات السياسة وخدعها .. فيبيع حقوق الناس بابخس الأثمان .. وهو لم يتغير بأخلاقه ودينه .. لكن أداءه سبب ضرراً كبيراً ، وتدينه الشخصي لا يشفع له.



لذلك ترى المجتمعات التي تفهم ما هي الديموقراطية لا تدقق في حياة المرشح الشخصية كثيراً .. وحتى لو اكتشفت ما لا ترغب فيه في حياته الشخصية فهذا لا يؤثر على انتخابه .. التدقيق يكون على ادائه فيما بعد الفوز.

لهذا لا ترى هذا الجدل العقيم عند هذه الشعوب .. نذهب أو لا نذهب .. لأنهم في النهاية يستطيعون محاسبة المسؤول وهو على كرسي المسؤولية ويزيحوه منها ربما بمظاهرة أو بمقالة في جريدة يومية .. والشواهد على هذا كثيرة.

لا تستجيبوا للخداع بكلام مثل: اذا لم تذهبوا سيفوز الفاسدون .. لأنك اذا ذهبت أو لم تذهب ، ثم فاز من فاز ، ولكن لم تستطع محاسبته اذا اساء .. فليس للديموقراطية ولا للانتخاب اي معنى.

ثم ان هؤلاء المخادعين يريدون ايهامنا بان الأمر متعلق بصفات شخصية للمرشح ، ولا يقولون لنا ما هي الصفات التي تجعله صالحاً للانتخاب ، لقد جرَّب الناس كل المواصفات الدينية والدنيوية في اختيارهم للمرشحين في الانتخابات السابقة .. وجربوا الذهاب وجربوا المقاطعة .. وكانت النتيجة واحدة (خوجه علي مُلّا علي).

التركيز على المواصفات الشخصية خداع للناخب ومزلة للمرشح ، لأن المرشح سيداخله اعتقاد بانه انسان صالح وعليه فقد انتخبه الناس واوصلوه للبرلمان .. ولهذا فكل افعاله مبررة مهما كانت دنيئة وخاطئة.

وفكرة المواصفات الشخصية مريحة لشعبنا ليريحوا أنفسهم من المسؤولية.

فاذا زل النائب فيما بعد يتملص ناخبوه ويقولون بكل بلاهة:

نحن ظنناه من الصالحين لهذا انتخبناه ثم فضحه الله .. والقضية ليست هكذا بل هم انتخبوه لمواصفات لا علاقة لها بأدائه.



فكونه لم يسرق في حياته السابقة لا يعني أنه نزيه ، بل ربما لأنه يخاف من العقوبة ، ولما تيسرت له سرقة لا عقوبة فيها، سرق.

اذا اتقن المجتمع محاسبة المسؤول فلا تهم مواصفاته الشخصية لأن هذا المسؤول سيخاف مطرقة المجتمع المسلطة على رأسه دوماً.

٢- ممارسة الانتخاب حق ، وليس في الحقوق شيء اسمه (يجب) والا لما كان حقاً بل أمر ونهي .. وممارسة الحق من عدمه خاضع لقرار شخصي ولا يخضع لفتوى أو توجيه من اي جهة كانت دينية او دنيوية.

في أكثر الديموقراطيات الحديثة تأثيراً وهي الولايات المتحدة الأمريكية بلغت نسبة المشاركة عام ٢٠١٢ (٥٣.٦) .. وتعتبر أمريكا من الديموقراطيات المتأخرة عن بعض الدول في نسب المشاركة في الانتخابات .. وهي التي تحكم العالم وتؤثر فيه بما لا يخفى على عاقل.

لكنهم يعلمون أن المشاركة حق وليست واجباً.

والناس الذين يعيشون الديموقراطية الحقة يعرفون أن اختيار النائب أو المسؤول ليس نهاية العالم ، بل بداية المحاسبة له على كل صغيرة وكبيرة وبكل أنواع المحاسبة .. فسواء مارسوا حق الانتخاب أم لا .. فكل من يصعد سيكون تحت نظرهم .. لذا تجد في الدول المتحضرة وزراء يستقيلون ، وحكومات تتبدل، ومحاكمات لرأس السلطة وكلهم جاؤوا بالانتخاب.

ولا أحد منهم يجرؤ على القول: أنا جئت بالانتخاب والناس راضية بي .. فاذا قال هذا رُمي بالبيض الفاسد وبالنعال احياناً .. ولا يترفع الشعب عن فعل هذا لأي مسؤول لا يرضون عن أدائه.



لذا لا تدع أحداً يخدعك ويشعرك بالذنب أنك ذهبت وانتخبت فلان .. أو لم تذهب أصلاً.
لأن الديموقراطية ابسط حق فيها هو حق الانتخاب .. لكن المحاسبة العسيرة للمسؤول هي الضمان الأكيد لصلاح المجتمع.
٣- انتخاب شخص لا يعني التوقيع له على بياض .. كما أن عدم المشاركة يقتضي فقط القبول بالنتيجة .. وليس القبول بأداء النائب.

نسمع الآن من كثير من المتطلعين لمقعد البرلمان والمحتالين قولهم: اذا لم تشارك فانت راض بالحكومة التي ستأتي فلا تعترض ولا تتشكى.
هذا الكلام الفاسد لا يقوله الا غبي أو محتال في مجتمع جاهل.
المشاركة وعدم المشاركة كلاهما يقتضي القبول بالنتائج أياً كانت .. فهذا حال الانتخابات .. ولكن هل يستلزم هذا أن اسكت عن الفاسد.
من الذي خدعنا في السنوات السابقة هل الفاسدون المعروفون بفسادهم؟ أم الذين كنا نعتقد أنهم (صالحين) وانتخبناهم .. ثم حصل منهم ما حصل .. وما الذي سيميز الآن سعد عن سعيد؟
ومن الذي سيضمن لي أن الذي أظنه الآن صالحاً لن يخونني بعد ايام من فوزه .. في الحقيقة لا ضامن.
والديموقراطية لا تقوم على هذا الفهم المعوج .. ولن اكرر الكلام السابق لكن هنا أركز على مفهوم أن الرضا بالنتيجة لا يعني الرضا بالأداء.
الا يحصل أن يفوز انسان منحرف في بعض أخلاقياته لكنه يخدم بلده أفضل من صائم قائم ..؟؟
وهذا المفهوم ليس جديداً وليس من عندي .. فهو قديم في عقول اصحاب الفطنة .. وفي مواضع هي اخطر من هذا الموضع بكثير:



سُئل الإمام أحمد بن حنبل عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر ، والآخر ضعيف صالح ، مع أيهما يُغزى؟ فقال:

أما الفاجر القوي ، فقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الضعيف ، فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين ، فيُغزى مع القوي الفاجر.

يقيناً أنا لا أدعوا الى انتخاب الفاجر .. لكن أقول ان انتخاب أي شخص لا يعني أن اوقع له على بياض .. كما أن عدم الانتخاب لا يعني أني فقدت حق المحاسبة والمسائلة .. فهذا شيء والرضا بنتيجة الانتخاب شيء آخر.

وهناك هدف خفي عند أصحاب القلوب المريضة الذين يشيعون هذه المفاهيم وهو: أنك طالما اعتقدت بصلاح فلان واخترته فليس لك الحق ان تحاسبه لأنه أعلم بالظروف والمتغيرات .. وهذا جزء من الكذب والدجل الذي يغرقوننا به.

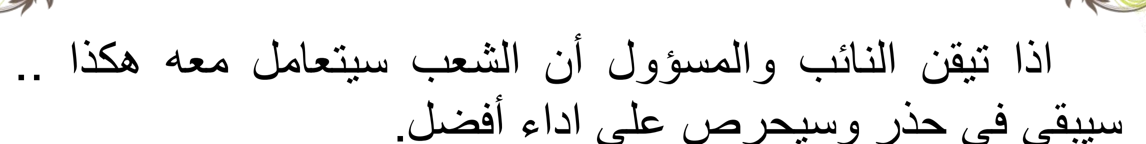
٤- اذا فهمنا ما سبق نقول: ان العملية الانتخابية هي البداية وليست هي أهم شيء في الممارسة الديموقراطية .. أهم شيء هو المحاسبة على الأداء .. وهذا ما نفتقده في مجتمعنا .. وهذا هو الذي أوردنا موارد الهلاك والتخلف.

الخروج من هذه الدائرة الشيطانية ، وهي تصدر الفاسدين وفساد الصالحين .. هو التثقيف على المحاسبة ، والتي تبدأ بالنصيحة على الملأ وليس في الخفاء لأن القضية ليست شخصية حتى ننصح في السر.. فقاعدة النصح في السر لا تسري ههنا.

وبعد النصيحة تأتي الفضيحة .. من لا يسمع النصح يجب فضحه بكل الوسائل .. حتى لا يبقى له وجه بين الناس.

وتنتهي بالتسقيط ان أخذته العزة بالإثم ولم يتراجع عن غيه.





اذا تيقن النائب والمسؤول أن الشعب سيتعامل معه هكذا .. سيبقى في حذر وسيحرص على اداء أفضل.

أما إن امن العقوبة فسوف يسئ الأدب ولا شك.

هذا هو الحل الذي اتبعته الشعوب المتحضرة لتتقدم ولتُجبرَ حكوماتها على خدمة الشعب بأمانة والا فالحساب معروف.

أما أن يضحك علينا تجار السياسة في كل دورة انتخابية بمثل هذا الكلام السخيف: ان لم تذهب فسيأتي الفاسدون وعليك الرضا بكل شيء.

قل لمثل هذا السخيف: المشاركة قراري .. وسأرضى بالنتيجة لكن لن اسكت على الأداء المنحرف .. فان كنت أنت شجاعاً وستشارك كما تدعي .. فحاسب المفسدين فيما بعدُ .. ولا تكتف فقط بتلويث اصبعك بالحبر ثم تسكت لأربع سنين على الضيم أو تندم على اختيارك فيما بعد وتعلن الندم كالعجائز .. فهذه من شيم الأذلاء لا السادة.

الخلاصة:

- الانتخاب حق لك .. اذهب وانتخب من تراه أهلاً .. وان شئت لا تذهب .. فلا يترتب على ذلك اي مسؤولية اخلاقية أو شرعية أو قانونية .. هذا هو مفهوم الديموقراطية التي تمارسها. ولا تدع أحداً يشعرك بالذنب لأي خيار تختاره.

- اختيار المرشح هو البداية وليس هو القضية .. بل القضية هي محاسبته فيما بعد بالنصيحة ثم الفضيحة ثم التسقيط .. ومن خان الأمانة فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كائناً من كان.

- ثقف نفسك ومن حولك على خلق المحاسبة وبكل الأساليب والوسائل ولا تسكت على خطأ تراه .. ففي عالمنا اليوم كل الأجواء والقنوات مفتوحة لك تقول ما تشاء وقتما تشاء وبضغطة زر من



نقالك الشخصي .. وهذه من نعم الله فاحرص على استخدامها فيما يرضيه .. وأي شيء أرضى لله من الاصلاح وفضح المفسدين.





81

...يا مرشحين أصدقوا مع الناس وسوف نحترم صدقكم





حَلَقوا لِحاهم .. قلنا ما يخالف .. يخافون أن يتشبهوا بالإرهابيين.
حلقوا شواربهم .. قلنا هم ما يخالف .. مظاهر الرجولة تختلف حسب الزمان والمكان.
صوروا انفسهم مثل ابطال هوليوود .. رافعين صدورهم وخشومهم ونظراتهم على جنب .. هم قلنا ما يخالف .. مغترين بشبابهم أو بشيخوختهم.
أحدهم كاتب "أخو خيته" .. هم مشيناها .. لأن طبيعي لازم يكون هو اخو خيته والا اخته منين؟
إحداهنَّ قد وضعت على وجهها نصف طن من الماكياج .. والأخرى عجوز لا تحترم سنها قد عدلت صورتها لتبدوا أصغر بأربعين سنة .. وايضاً قلنا "ما يخالف" لأن التي تريد أن تكون (ممثلة) في البرلمان .. من حقها أن تتدرب على التمثيل من الآن.
كلها مشيناها.
لكن أن يقولوا لنا:
- اذا انتخبتمونا راح نبني الموصل؟ ونرجعها أحسن مما كانت ؟
هاي الكذبة اللي ما تعبر الجسر..
والبعض منهم أو منهنَّ .. تصعد عنده الحرارة ويقول:
- عندي مشروع للنهوض بالعراق!!
وهذه حتى المسمى هاتف .. (الكذاب المشهور عند أهل الموصل القدماء) لم يصل لهذا المستوى من الكذب.
المهم ...
ستسمعون كل هؤلاء بعد الفوز يقولون لكم المقولة المشهورة التي ورثها الخلف عن السلف:



"نحن لا نملك عصا سحرية لنغير الأمور بسنة أو سنتين .. وحتى بأربع سنين .. هذا الخراب يحتاج لعقد أو عقدين على الأقل لإصلاحه"

وكأنك يا بو زيد ما غزيت.

يا مرشحين .. ويا مرشحات اصدقوا مع الناس وقولوا:

- نريد أن نكون نواباً ونائبات في البرلمان العراقي .. فقط .. وبدون اي اضافة.

وسوف نحترمكم ونحترم صدقكم.

وكل ما ستقدمونه من خدمات ان استطعتم .. هو من واجباتكم ولا حاجة لأن تعدونا بها مهما كانت بسيطة أو عظيمة.

وكل ما عدا هذه العبارة نصب واحتيال ... لأنكم تعِدون بما لا تملكون.

ودمتم أيها البسطاء بعز وكرامة وحماكم الله من شرور المحتالين.[١٤]

---

١٤ - أعتذر لاستخدامي بعض الكلمات بالعامية الدارجة .. فهكذا عزمت الأمور.





82

...هل عقلك ثنائي أم متعدد؟







لنفسِّرْ أولاً...

العقل الثنائي هو العقل الذي يفكر بطريقة (إما ... أو).

العقل المتعدد أو (المرن) هو العقل الذي لديه العديد من الاحتمالات بين (إما ... أو).

العقل الثنائي تنقسم عنده الحياة كلها الى ابيض وأسود .. مغلق على خيارين لا ثالث لهما ... يقاتل الراي الآخر بشراسة ... مستعد للخسارة أو الموت في سبيل رأيه دون تمحيص .. يمكن أن يقع في نفس الخطأ مائة مرة لأنه لا يملك الا طريقين ، وبما أنه مقتنع بأحدهما فسوف يسير به دوماً .. يظن أنه يفكر وهو في الحقيقة لم يرتق عن تفكير الحيوان الأعجم ، فالحيوان لا يفكر الا بطريقة (إما ... أو).

الحيوان اما أن يهجم أو يهرب

اما أن يأكل او لا يأكل

اما ان يتودد لك أو يؤذيك

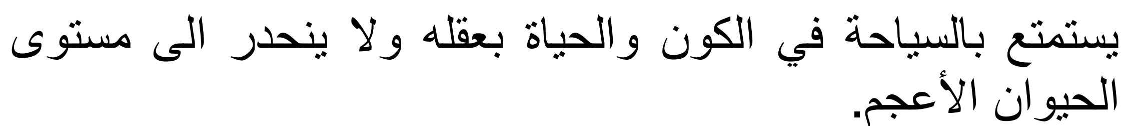
ليس لديه خيارات أخرى

والآن...

العقل المتعدد هو العقل الذي يُفترض أن يستخدمه الانسان .. ولكن الواقع أن الكثير من الناس يزهدون فيه.

العقل المتعدد يرتقي كلما زادت خياراته .. ينظر الى المشكلة من كل جوانبها .. لا يقتنع بالحلول التي يمتلكها وان كانت صحيحة .. بل يبحث عن حلول صحيحة أخرى حتى وان لم يكن بحاجة لها الآن .. لا ينكر على الآخرين قبل التثبت من الأمر .. واذا وقع في خطأ مرة لا يكرر نفس الطريقة مرة أخرى .. يعلم يقيناً أن الله تعالى ميزه بهذا العقل الذي لا تحده حدود .. لذا فهو





يستمتع بالسياحة في الكون والحياة بعقله ولا ينحدر الى مستوى الحيوان الأعجم.

كل هذا الكلام مقدمة لظاهرة نعاني منها في مجتمعاتنا .. ولم يسلم منها معظم كبراؤنا ومثقفينا وكتابُنا وقادة الرأي.

يشخصون المشاكل .. وعندما يريدون طرح الحلول يقعون في فخ العقل الثنائي.

والمصيبة أن الانسان لا ينتبه لهذا .. فكيف ينتبه العقل لنفسه ؟

الحقيقة أن الذي يورطك في هذا الفخ هو عقلك الباطن وليس عقلك المنطقي.

ولذلك لا يسلم من هذا الفخ الا من انتبه لهذه الحقيقة وراقب اسلوب تفكيره لحظة بلحظة خوفاً من الوقوع في هذا الفخ.

لأن العقل الباطن يرتاح ويأمن للحلول الثنائية البسيطة ، ويريد دوماً أن يطمئنك ويريحك كيلا تتعب في الذهاب الى ابعد من ذلك ، ويخدر عقلك المنطقي فلا يعود يفكر بخيارات أخرى.

فاذا انتبهت لهذا الفخ .. تستطيع دوماً ان تقود تفكيرك بعقلك المنطقي الى الحياة الأرحب والخيارات الأوسع.

واليك مثال واضح على العقل الثنائي.

لعلك مثلي تابعت ورأيت وقرأت وسمعت من الخواص والمثقفين والمحللين عن الانتخابات العراقية في الأيام الماضية.

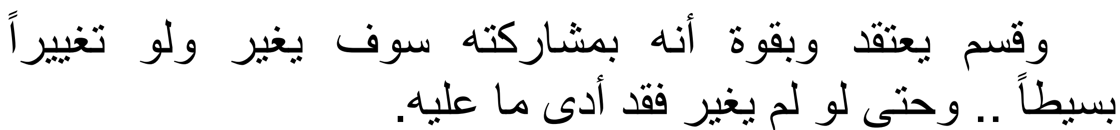
ولعلك لاحظت أيضاً أن كلامهم هو امتداد للسنين الخمسة عشر السابقة .. فلم يتغير شيء عند خواصنا ومثقفينا .. فلا زال العقل الثنائي هو الذي يحكمهم.

والنتيجة المنطقية التي تحصل دائماً بسبب التفكير الثنائي عند الكثيرين هي كالتالي:

انقسم الناس الى فريقين في تعاملهم مع الانتخابات.

قسم غاضب يريد أن يعاقب الطبقة السياسية وقرر المقاطعة وعدم الذهاب للانتخابات.





وقسم يعتقد وبقوة أنه بمشاركته سوف يغير ولو تغييراً بسيطاً .. وحتى لو لم يغير فقد أدى ما عليه.
وكل الاحتمالات الأخرى والخيارات الأخرى لم يأبه بها أحد..
لأنك ببساطة اما أن تذهب وتنتخب أو لا تذهب .. هذا هو قانون التفكير الثنائي.
ووقعت المعركة بين الفريقين هذا يسفه ذاك وذاك يخون هذا..
والسؤال .. ألا يوجد شخص لا يريد المقاطعة لكنه لا يثق باي من المرشحين؟ ولم يذهب لهذا السبب .. فاين نضعه؟
الا يوجد شخص لا يحب المقاطعة لكنه معتقد في قرارة نفسه أن التغيير لن يحصل مهما كانت النتيجة لذا لم يشارك؟ .. في اي معسكر سيكون؟
اليس هناك المئات ممن ذهبوا وهم مدفوعي الثمن .. أو ولاؤهم لأحزابهم وليس للعراق؟ .. هل تضعهم مع الوطنيين أم الخونة ؟
أكاد أجزم أن لكل ناخب عراقي قصة خاصة به دفعته لاتخاذ القرار بالمشاركة من عدمه.
فكم احتمالاً يمكن أن تخرج به ؟؟
اليس من السطحية المعيبة أن نقسم الناس قسمين .. ونصبغهم بصبغة ايجابية أو سلبية ؟؟
أين الحرية اذن ؟ وأين الديموقراطية ؟
من حقك أن تدعوا لحزب أو لشخص أو لأي جهة أنت مقتنع بها .. لكن ليس من حقك في عرف الفكر الديموقراطي أن تسفه الخيارات الأخرى أياً كانت.
اذا أردت أن تنتقد الخيارات الأخرى .. لا بأس .. لكن اسبق نقدك بكلمة احترام .. وانهه ايضاً بكلمة احترام للرأي الآخر.
فقد تكتشف فيما بعد أنه هو الصواب.
حاولتُ مرارا وتكرارا أن اشيع هذا المفهوم.



وأقول أن الحياة فيها من القرارات والنوايا بعدد البشر .. ولا يمكن أن يتطابق اثنان من البشر في نواياهما ودوافعهما وقراراتهما .. ولو تشابهت في الظاهر.

هذه سنة الحياة .. ولا ينفعنا التغافل عنها.

من القواعد الأصولية المشهورة .. أن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

وأنا شخصياً كنت اتمنى أن لا يذهب أحد الى الانتخابات .. ودعوت لذلك.

لكني كتبت بنفس الوقت "أنك ان كنت معتقداً بصلاح مرشح ولم تنتخبه فانت مقصر".

وكتبت "أن المشاركة وعدم المشاركة حق وليس واجباً "

وكتبت "ان الانتخابات ليست نهاية العالم بل هي بداية بسيطة جدا لممارسة الديموقراطية .. والمهم هو المراقبة والمحاسبة للمسؤولين فيما بعد".

لماذا ؟

لأنك ببساطة لا يمكن أن تضمن بشراً أياً كان ومهما كان .. فقد تنتخب من تظنه ولياً صالحاً ثم يتحول بعد ذلك الى شيطان مريد .. فماذا تفعل ؟

اذا لم تفكر بآلية لمحاسبة المسؤولين .. فلا يوجد شيء اسمه ديموقراطية أصلاً ، فكل رؤساء الجمهوريات في الدول العربية يفوزون بانتخابات لا تختلف عن انتخاباتنا الا بشيء واحد وهو أن (المحتال) عندهم واحد ، وعندنا محتالون متعددون.

لذا انتبه لهذه الخديعة وهي:

ان المتمرسين في غسل العقول يريدون اقناعنا أن الانتخابات هي أهم شيء في العملية الديموقراطية.

وأن ذهابك للتصويت سيحدد مستقبلك ومستقبل اولادك..

وأن صوتك هو مهم للتغيير..





وغيرها من الأوهام التي يبيعونها للشعب للتلاعب بعواطفه وإحياء روح القطيع فيه .. وتحويل عقله الى عقل ثنائي لا يبصر غير خيارين اثنين.

وأنا لا اقول أن المشاركة غير مهمة والتصويت غير مهم .. بل هو مهم .. لكن أقول:

ان اختزال الممارسة الديموقراطية في هذه العملية هو الوهم الذي يبيعونه للناس.

والغريب أن كثيراً من الكتاب والمثقفين والمحللين ينساقون بسلاسة عجيبة وراء هذا الوهم ، وكأنها حمى تُعدي الجميع فلا يفلت منها الا قلة لا يأبه لهم أحد.

فمن يسمع صراخك في سوق الصفارين؟

والأعجب أن الناس ومن ضمنهم المثقفين يصمتون صمت القبور بعد انتهاء الانتخابات ، ويبقون لأربع سنين يتبادلون الاتهامات (لم ذهبت ؟ لمَ لمْ تذهب؟)

ويتركون الفساد والفاسدين يفعلون ما يشاؤون .. حتى اذا جاءت الانتخابات الجديدة عاد الجميع الى نفس الصراع.

ولا أحد يفكر بأساليب ووسائل ضغط على الحكومة والبرلمان والأحزاب .. وكيفية التعامل معهم طيلة الأربع سنين.

وتجارب الدول التي سبقتنا في هذا المجال تشكل ثروة عقلية وسلوكية يمكن أن نستفيد منها .. لكن يمنعنا من الاستفادة طبيعة العقل الثنائي الذي نحمله.

هل يمكن أن يتطور التفكير الى عقل مرن متعدد ؟

آمل ذلك .. ولن أفقد الأمل.





83

...النصيحة بين الهمسة الحانية والصيحة المدوية







متى تكون النصيحة سراً بينك وبين المنصوح ؟
ومتى تكون علناً أمام الناس ؟
ومتى تكون صيحة مدوية تخرقُ بها آذان الذين لا يعقلون ؟
حدث خلط كثير بين انواع النصيحة .. وهذا الخلط يكون أحياناً بحسن نية .. وأحياناً أخرى بسوء نية وقصد متعمد ، لإسكات الرأي المخالف وإرهابه ، وللإبقاء على الخطأ ، وللتستر على الفضائح.

ومفهوم النصيحة عظيم جداً ، لأن رسول الله ﷺ اعتبره هو الدين فقال: (الدين النصيحة).

والتفصيل في النصيحة متى تكون سراً ومتى تكون علناً أصبح ضرورياً اليوم ، لأن بعضاً من أصحاب المناصب تلاعبوا بهذا المفهوم تأثيماً وتفسيقاً لخلق الله ، وخَدعوا الكثيرين من أتباعهم بلحن القول ، فجعلوهم يمتنعون عن النصيحة خوفاً من الوقوع في الإثم كما أفهمهم وعاظ السُلطة والمصلحة ، ليخلوا لهم الجو فيفعلوا ما يشاؤون دون حسيب أو رقيب.

ولعلك عزيزي القارئ قد سمعت من بعض هؤلاء وأشباههم أن النصيحة (يجب) أن تكون سراً والا كانت (فضيحة) وليست نصيحة .. وغالباً ما يستشهد هؤلاء بقول الامام الشافعي رحمه الله:

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فان النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

ولعلك سمعت منهم أيضاً أن النصيحة في العلن هي تشهير واظهار (للأسرار) وخيانة للأمانة وهذا لا يجوز شرعاً.





وهنا أسأل بعض الأسئلة:

اذا كانت النصيحة في العلن لا تجوز فبماذا تفسرون قول النبي ﷺ: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله.

أي نصحه فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، وكلفته هذه النصيحة حياته.

وبماذا تفسرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ميزة هذه الأمة ، واغلب صوره لا تكون الا في العلن.

وبماذا تفسرون المئات من الروايات التي نُقلت لنا عن العلماء العاملين الذين نصحوا الخلفاء والأمراء جهراً أمام الناس بل عنّفوهم على رؤوس الأشهاد .. ولو كانت سراً لما وصلت الينا.

هذه مقدمة واليك التفصيل:

القاعدة في النصيحة أنها تدور مع دائرة التأثير سراً وجهراً ، وهذا أمر يقدِّره الناصح وليس فيه حدود وسدود. تمسَّك بهذه القاعدة وافهمها ولا تفرط بها ، وهذا بيانها.

اذا كان الخطأ الذي تريد اصلاحه عند الآخر شخصياً ، ولا يضر الا صاحبه ، فهنا يحق لك أن تعملَ بوصية الامام الشافعي .. ولا يجوز لك أن تفضح من ستر الله عليه .. انصحه سراً وبهمسة حانية ، وكما قيل "ليكن أمرك بالمعروف بمعروف ، ولا يكن نهيك عن المنكر بمنكر" وهذه اسهل درجات النصيحة وأيسرها.

أما إن كان الخطأ قد صدر من مسؤول أو من شخصية عامة ، ويُصر عليه أمام الملأ ولا يستحي منه ، وضرره يتعدى الى الآخرين ، وقد يصل الضرر الى الدماء والأموال .. فلا مكان هنا لنصيحة السر بل صيحة مدوية تقرع بها رأس هذا الظالم.

واذا سكتَّ عن هذا وأنت مستطيع فأنت شريك له.



وهذه من أصعب مسالك النصيحة وقد تُكلف الناصحَ حياته ..
لذا بشره نبينا ﷺ أنه سيد الشهداء لعظم مقام هذه النصيحة وخطرها.

وبين اللمسة الحانية والصيحة المجلجلة صور تتعدد ، تقدر كل منها بقدرها.

مثلاً من هذه الصور.. عندما تكون ذا منصب مؤثر في مؤسسة حكومية أو أهلية ، ويتخذ مدير المؤسسة قراراً خاطئاً يؤذي الموظفين يجب عليك أن توجه له النصيحة بإعادة النظر في قراره أمام الموظفين ، أو تُعلِمهم بما قلت له ، ان تعذَّرَ عليك أن تتكلم أمامهم ، والا سيعتبرونك شريكاً له ومضيعاً لحقوقهم .. لأن قراره سيؤذيهم وأنت أحد المسؤولين عنهم.

ولن يشفع لك فيما بعد أن تقول لهم لقد نصحته سراً ولم يستجب .. أعلِمْهُم في نفس الوقت أنك قلت له كذا وكذا وأنك تنتظر معهم النتيجة .. والا لن يصدقك أحد بعد مرور الزمن .. ولن يكون لنصحك جدوى ولا معنى.

واعلَمْ أنَّ أصحاب المناصب عادة ما يكرهون من يقدم لهم النصح وان ادّعوا خلاف ذلك .. لذلك يحرصون على ان يُشيعوا في مرؤوسيهم أن النصيحة الحقيقية والمؤثرة يجب أن تقال لهم حصراً وسراً ، كي يسهُلَ عليهم وأدها والتخلص من صاحبها، لأنها ان شاعت بين الناس افتُضحوا وخرج الأمر من ايديهم وسيطرتهم.

لذا كان من ديدن العلماء العاملين في هذه الأمة والذين نفخر بسيرتهم أنهم يصدعون بالحق في وجه الظالمين أصحابَ الإمرة والمسؤولية.

وأذكر لك روايتين فقط ، وستجد مثلهما المئات في كتب التاريخ والسير:



الرواية الأولى: وسأقدم لها بسؤال..
ماذا تفعل اذا أمرك من هو أعلى منك منصباً بأمر فيه ظلم للناس؟
اقرأ الجواب في هذا المشهد الرائع.
لَمَّا وَلِيَ ابْنُ هبيرة حُكْمُ الْعِرَاقِ (في زمن يزيد بن عبد الملك) جمَعَ فُقَهَاءَهَا وَاسْتَشَارَهُمْ فِيمَا يَفْعَلُ إِذَا أَمَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالأَمْرِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ فِيهِ ظُلماً للآخرين ؟
فَألانَ لَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْقَوْلَ ، (اي اسمعوه طيباً وهونوا عليه الأمر)
وَأَبَى الْحَسَنُ الْبَصرِيّ رَحِمَهُ اللهُ إِلا أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ ويُنقذ الناس مِنْ ظُلْم ابْن هَبِيرَةً وينقذ ابن هبيرة مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ أَطَاعَ الظالم، فَقَالَ لَهُ:
إِنَّ حَقَّ الرَّعِيَّةِ لازِمٌ لَكَ وَحقٌّ عَلَيْكَ أَنْ تَحُوطَهُمْ بالنَّصِيحَة وَقَدْ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ:
" مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةٌ يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ "
اعْلَمْ أَنَّ حَقَّ اللهِ أَلْزَمَ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُطَاعَ وَلا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، يَا ابْنَ هبيرة اتَّقِ اللهَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَكَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ يُزِيلُكَ عَنْ سَرِيرِكَ وَيُخْرِجُكَ مِنْ سِعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضِيقِ قَبْرِكَ فَتَدَعُ سُلْطَانكَ وَدُنْيَاكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ وَتَقْدُمُ عَلَى رَبِّكَ وَتَنْزِل عَلَى عَمَلِكَ.
يَا ابن هَبِيرَةَ إِنَّ اللهَ لَيَمْنَعُكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلا يَمْنَعُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللهِ وَإِنَّ أَمْرَ اللهِ فَوْقَ كُلِّ أَمْرٍ وَإِنِّي أُحَذِّرُكَ بَأْسَهُ الَّذِي لا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.
لم يُعجب هذا الكلامُ ابن هبيرة، فَقَالَ لَهُ:



اربع عَلَى ضلعك أَيُّهَا الشَّيْخُ وأعرض عَنْ ذكر أَمِير الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبُ الْعِلْمِ وَصَاحِبُ الْحُكْمِ وصَاحِبُ الْفَضْلِ وَإِنَّمَا وَلاهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ لِعِلْمِهِ بِهِ وَمَا يَعْلَمُهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِيَّتِهِ.

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: يَا ابن هبيرة الْحِسَابُ وَرَائِكَ سَوْطٌ بِسَوْطٍ وَغضَبٌ بِغَضَبٍ وَاللهُ بِالْمِرْصَادِ إِنَّكَ إِنْ تَلْقَى مَنْ يَنْصَحُ لَكَ فِي دِينِكِ وَيَحْمِلُكَ عَلَى أَمْرِ آخِرَتِكَ خَيْر مِنْ أَنْ تَلْقَى رَجُلاً يَغُرُكَ وَيُمَنِّيكَ.

فَقَامَ ابْن هبيرة مِنَ الْمَجْلِسِ وَقَدْ اصْفَرَّ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَعَلَيْهِ الْكَآبَة .. انتهى

كم من عبيد السلطة والمصلحة اليوم تسمع منهم كلاماً مثل كلام ابن هبيرة: المسوول يعرف ما لا تعرف أنت .. القيادة أعلم بالمصلحة .. من أنت حتى تنصح المسؤولين ؟

انحراف كل مسؤول وكل قيادة في أيّ مؤسسة يأتي من بطانة السوء التي تمنع مرور النصيحة وتزين للظالم خطوه.

لذا تجد في المؤسسات المؤدلجة والمغلقة اصراراً عجيباً على أن النصيحة يجب أن تكون في السر ولا يجوز أن تكون في العلن .. كي تمر النصيحة ببطانة السوء وتُلقى في سلة المهملات.

ورؤساء مثل هذه المؤسسات عادةً ما يفرحهم ذلك ، لأنهم رضوا ببطانة السوء ولأنهم لم يبحثوا عمن يقدم لهم النصيحة وان كانت مؤلمة .. وقد اخترت لك الرواية الثانية مثالاً لهذا المعنى.

الرواية الثانية: وهذه حصلت مع الخليفة شخصياً

حَجَّ الخليفة أَبُو جَعْفَرٍ فَدَعَا ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ فَقَالَ:

- نَشَدْتُكَ بِاللهِ أَلَسْتُ أَعْملُ بِالْحَقِّ؟ أَلَسْتُ تَرَانِي أَعْدِلُ ؟

فقال ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ:

- أما إذا نشدتني بالله فأقول: اللهم لا أراك تعدل وإنك لجائر وإنك لتستعمل الظلمة وتدع أهل الخير.



فقال بعض من شهدوا هذا الموقف:

- فَظَنَنَّا أَنَّ أَبَا جَعْفر سَيُعَاجِلَهُ بِالْعُقُوبَةِ فَجَعَلْنَا نَلفُّ إِلَيْنَا ثِيَابَنَا مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنَا مِنْ دَمهِ.

فَجَزَعَ أَبُو جَعْفَرٍ وَاغْتَمَّ وَقَالَ لَهُ: قُمْ فَأَخْرَجَ.

وابن ابي ذئب تابعي من رواة الحديث قال عنه الذهبي: **وكان من أوعية العلم ، ثقة ، فاضلاً ، قوالاً بالحق ، مهيباً).**

كان هذا ديدن العلماء العاملين ، ولا زالت هذه المواقف تُروى على المنابر وفي المحافل ، ونفتخر بهذه الشجاعة في قول الحق؟

فلم اذاً نسمع اليوم من عبيد السلطة والمصلحة .. ومن الذين يظنون أنفسهم زبيباً وهم لم يُحصرِموا بعدُ .. من يقول لك إن الكلام الصريح مع المسؤول لا يجوز .. أو نحن نستحي أن نقول له ذلك .. وهو حياء مذموم من أهل السماء ومن أهل الأرض.

ولماذا نسمع التأكيد على ان النصيحة يجب ان تكون دائماً سراً، كيلا تحرج المسؤول أو المدير أو أشباههم ، وكيلا تثير فتنة؟

أعلَمُ أن كثيراً من الشباب الأذكياء يبحثون ببراءة وبحسن نية عن سبل الاصلاح في المجتمع ، وفي نفس الوقت يغفلون عن مثل هذه المفاهيم البسيطة في ظاهرها والخطيرة في نتائجها.

وكلامي هذا موجه لهم .. تصحيحاً وتنبيهاً .. وهو لا ينفع أصحاب الأهواء ، ولا ينفع من وهب عقله للآخرين.

لذلك واجب علينا أن نزيل سوء الفهم والخلط الذي حصل في مفهوم النصيحة .. الخلط بين النصيحة في القضايا الشخصية والنصيحة في القضايا العامة.

الخلاصة:

كل من يرتكب الخطأ من المسؤولين أمام الملأ ويصر عليه ، ويتعدى تأثير خطئه الى الآخرين ويضرهم في معاشهم ومعادهم .. يُنصحُ علانيةً ، بل يُقرّع أمام الناس ولا كرامة .. كي لا تقوم لظالم





متغطرس دولة ، ويعلم كل مسؤول أنه محاسب على حركاته وسكناته.

ومن يرتكب خطأً يضر به نفسه فقط ولا يعلنه أمام الناس ينصح سراً وبرفق.

وكلما توسعت دائرة تأثير الخطأ وعلت مسؤولية صاحبه تتوسع معها دائرة النصيحة وعلانيتها .. وهذه هي القاعدة.



84

...حبل الحرية وشِباكُ العبودية
(ماذا يعني أن تعيش حراً)







الحرية كالحبل المفرد المتين الذي يمتد الى هدف واضح ، لا يتعقَّد ولا يناقض بعضه بعضاً ..

فاذا التف هذا الحبل وناقض بعضه بعضاً حتى أصبح عقداً متشابكة ، فانه سيتحول الى شبكة تعتقل العقل والنفس ، ويصبح الانسان بداخلها عبداً لا يملك قراره ولا حياته.

حبل الحرية واحد لا يتعدد .. وشباك العبودية كثيرة متنوعة لا تكاد تحصر.

هذا تشبيه مجازي .. ولننتقل الى واقع الناس.

أغلب الناس يعتقدون اعتقاداً جازماً أنهم أحرار في حياتهم لا يخضعون لأحد .. حتى وان اضطروا أحياناً لفعل اشياء لا يرغبون بها .. لأنهم سيفسرون ذلك بانها ضرورات عابرة هم مجبرون عليها .. ولكنهم يعتقدون في العموم انهم أحرار وليسوا عبيداً لأحد.

وتجد مثل هذا الاعتقاد الراسخ حتى عند أفراد لا يستطيعون العيش الا بالانقياد للآخرين وسماع الأوامر وتنفيذها بدون نقاش ، وهذا من أعاجيب النفس البشرية !.

كيف يستطيع العقل البشري أن يوهم نفسه بالحرية وهو في أحط دركات العبودية ؟!

وأنا هنا لا اتكلم عن الناس الضعفاء الذين يُضطهدون بسبب كسب رزقهم وعيش اولادهم .. فهؤلاء لا يخدعون أنفسهم غالباً ويعترفون بالحقيقة المرة.

لكن أتكلم عن أناس يبدون في مظهرهم قادة رأي أو مثقفين أو تجاراً أو سياسيين...الخ

في ثقافتنا التي تربينا عليها غالباً ما نتصور العبودية مقرونة بالفقر والضعف وقلة الحيلة .. لأن صورة العبد في مخيلتنا ارتبطت بالإنسان المقهور الفقير الذي لا يملك من أمره شيئاً ، لكننا



نغفل عن صورة من صور العبودية هي أخطر بكثير .. وهي العبودية التي تعشعش في عقول الصفوة من المجتمع والطبقات المرتاحة مادياً واجتماعياً ، والتي تكون احياناً أقسى بكثير من عبودية الفقراء والمقهورين .. وهي التي تجر الويلات على المجتمع نتيجة التصرفات والقرارات الخطيرة المؤذية التي تصدر من هذه العقول التي اسرتها شباكُ العبودية ، بينما هي تُظهر للناس خلاف ذلك.

وهذا الوهم أعني وهم الحرية منتشر في المجتمع أكثر مما تتصور.

لكن لماذا هو وهم؟ ولماذا هو الشعور السائد عند الأغلبية ؟

وأبدأ بالسؤال الثاني ، لأني أريد أن أُفصِّلَ في السؤال الأول لأهميته.

هو سائد عند الأغلبية لأن الحرية فطرة مزروعة في الانسان ، تولد معه وتعيش معه ، ولا ينفك ابداً عن الحاجة اليها وممارستها اينما كان كحاجته للطعام والشراب والهواء ، ويكفي دليلاً على هذا أن أقسى العقوبات التي يتعرض لها الانسان هي العقوبات السالبة للحرية كالسجن مثلاً .. لذا تجد المسجون يتحايل على وضعه ليفعل اشياء بسيطة تشعره بانه يملك قدراً ولو ضئيلاً من الحرية .. فيكتب على الحائط مثلا باي اداة تتيسر له .. وقد يتمنى الموت على ان يبقى محبوساً بين اربعة جدران.

والحرية كفطرة بشرية تميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات المسخرة التي لا تدرك ما هي الحرية ولا تمارسها بل تسير في حياتها على نواميس تنتقل اليها عن طريق مورثاتها جيلاً عن جيل ، لذا لا تجد ارتقاءً في طرائق عيش الحيوان لأنه يقتفي أثر اسلافه بالضبط.

ولأنها فطرة خصَّ الله تعالى بها الإنسان حصراً فالكل يحرص عليها ويتباهى بها مهما كان عمره وجنسه وثقافته.



وهذا جواب السؤال الأول: لماذا يكون الشعور بالحرية وبغض العبودية هو السائد عند أغلب البشر سواء كان حقيقة أم وهماً.

والسؤال الثاني وهو المهم الآن: ما الفرق بين الحرية كضرورة وغيرها من ضروريات الحياة ؟ ولم تكون عند البعض وهماً يخدعون به انفسهم ويخدعون الآخرين ؟

الفرق هو أن الطعام والشراب مثلاً وهو من ضرورات الحياة شيء مادي مشاهد ، اذا فقده الانسان لا يستطيع أن يخدع نفسه أو غيره بانه يمتلكه ، بينما الحرية عقيدة خفية في النفس لا يطلع عليها الا صاحبها .. صحيح أنها تستجلب مشاعر خاصة بها وسلوكاً خاصاً بها ظاهرَين غالباً ، ولكن الانسان يستطيع أن يبرر لمشاعره وسلوكه اللذان يظهران للناس ، وهو في نفس الوقت يستطيع أن يتلاعب بالأصل وهو اعتقاده بانه انسان حر والذي هو الجزء الخفي الذي لا يطلع عليه الا صاحبه ، فتجده يسلك سلوك العبيد ويفسره لك تفسير الأحرار ، ومن هنا يبدأ الوهم بالحرية وهو الذي سنناقشه الآن:

لماذا يتوهم الكثيرون أنهم من طبقة الأحرار، ويتعمدون اظهار ذلك لخداع الناس بحريتهم الموهومة ؟

لا شك أن اي انسان سوي لا يرضى بان يوصف بانه عبد لبشر مثله .. لأنها منقصة في عرف كل الناس الطبيعيين الأسوياء .. لذا يحرص الجميع على اظهار أنهم سادة انفسهم وأنهم يملكون قرارهم وحياتهم ولا يتحكم بهم أحد .. وهذا ادعاء قد يصح وقد يكون وهماً ، فما هو الضابط للأمر كي نفرق بين الحقيقة والوهم ؟

حتى نضع الضابط علينا أولاً أن نَعرفَ ما هي الحرية

الحرية عقيدة فرضتها الفطرة تستجلب مشاعر تدعمها وتظهر بشكل سلوك يؤيدها.



وبناء على هذا التعريف نستطيع وصف الانسان الحر بانه الانسان الذي يتخذ القرار (بغض النظر عن صحته أو خطأه) بعيداً عن المؤثرات المعوقة ، ولا يتنازل عنه مهما كانت الخسائر كبيرة أو المكاسب ضئيلة.

والانسان الحر هو الانسان الذي يثبت على مبدئه ومعتقده وقيمه مهما كانت الخسائر ، فان خُيّرَ بين أن يكون حراً بما يحمل من أفكار ومعتقدات وقيم وبين أن يفقد المكاسب والمغانم ، فانه يختار الحرية بدون تردد.

وهذا هو القرار المشترك الذي أجمع أحرار العالم على اتخاذه منذ بدء الخليقة بسيدنا آدم والى أن تقوم الساعة.

لذا رمزتُ لمفهوم الحرية بالحبل المفرد الواضح المتين، ورمزتُ للعبودية بالشبكة المعقدة من حبال يناقض بعضها بعضاً فتعرقل العقول وتصيدها كما تصيد الشبكة الحيوان الأعجم.

ولنضرب مثلين للتوضيح:

أوضح وأشهر مثل للإنسان الحر والقرار الحر الذي لا يتأثر بمكسب أو مغنم ما قاله سيدنا محمد ﷺ لعمِّه أبي طالب ولقريش عندما عرضت عليه المال والملك ومِتع الحياة كلها مقابل ان يتخلى عن هذا الدين الجديد:

" والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته ..."

ما الذي تحمّله النبي ﷺ بسبب قراره هذا ؟ ذلك معلوم لكل من قرأ السيرة المطهرة.

المثال الثاني لإنسان عادي تربى في الصحراء ليس له في الحضارة ومصطلحاتها باع أو ذراع ، وهو ربعي بن عامر ، يخاطب بكلامه قائد جيش الفرس الذي هو ابن الحضارة والمدنية ، يخاطبه بكلام صادمٍ راقٍ واضح وبسيط: "جئنا لنخرج العباد من



عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة"

هذه الجملة أحدثت هزة في نفوس كل المستضعفين الذين حضروا هذا اللقاء وسمعوا ما يقول هذا الأعرابي الذي لم يعش حضارتهم ، والذي أيقظ في نفوسهم بعبارته هذه بذرة الحرية التي دفنها الاستبداد والطغيان ، فما ان زال العائق بين هؤلاء المستضعفين وبين هذا الدين الذي يبشر بالحرية حتى دخلوا فيه أفواجاً.

هذا المفهوم العظيم للحرية هل نمارسه ونربي أولادنا عليه ؟

أم أننا نربيهم على الخضوع للديكتاتورية والتفرد والطغيان منذ نعومة أظفارهم؟ وننسج لهم شباك العبودية التي وقعنا فيها نحن من قبل ، فلا يستطيعون منها خلاصاً عندما تمتحنهم الحياة بمواقفها ومغرياتها ومصائبها.

ولأننا لا نربي الأفراد على هذا المفهوم فلا نعجب اذا شاع بين الناس وهم الحرية ، وأنهم أحرار في اتخاذ قراراتهم والعيش كما يريدون .. والحقيقة غير ذلك ، ولنضرب بعض الأمثلة على هذا الوهم.

لنبدأ بنموذج المثقف الذي يتكلم بمعاني الحرية والديموقراطية والتطور والحضارة ، وقد يكون استاذاً متخصصاً في علمه.. فاذا جلس هذا الاستاذ (المحترم) مع مسؤول في الدولة ولو كان صغيراً تحول الى تلميذ يتعلم منه.

والعجيب أنه يعتبر هذا من الذكاء والفطنة لكي يحقق مصلحته عند هذا المسؤول ، وتسمعه يقول لك (أضحك عليه وأخدعه حتى آخذ ما أريد ثم...)

هل تعتبر مثل هذا المثقف محسوب على الأحرار أم أنه وضيع منافق قد نسجت العبودية شباكها حوله ؟.. كم قابلتَ مثل هذا النموذج في المجتمع ؟



ونثني بنموذج التاجر الثري الذي يفعل بأمواله ما يشاء ويشتري المواقف والذمم ، وكل الناس تظنه حراً يفعل بحياته كل ما يحلوا له .. هذا التاجر ومن وراء الستار يُذل نفسه لموظف صغير في الجمرك ليسمح لبضاعته بالعبور ، ولبواب يقف على باب المسؤول ليدخله عليه ، ولمحاسب في دائرة الضريبة ليخفض عنه مبلغ الضريبة .. وكل من يستطيع ايذاء هذا التاجر من المسؤولين والموظفين سيبتزه ويأخذ من ماله ، وهو سيعطي كالعبد المملوك لا فرق ، لأنه ببساطة باع حريته مقابل حبه للمال والثروة ، وهذا المال هو الذي ينسج حوله شبكة العبودية ، لأن المال عنده أهم من كرامته وحريته وقراره .. لكنه أمام الناس في الظاهر سيد مطاع يتزلف له الكثيرون.

هل تعتبر هذا الانسان من صنف الأحرار أم من صنف المماليك الذين تعدد أسيادهم ؟

ونثلث بنموذج قائد الرأي والتغيير في المجتمع أياً كان اسمه وصفته والذي يعمل تحت مظلة الدين .. لا شك أنك تسمع منه كلاماً جميلاً رائعاً يتلاعب بالعواطف والمشاعر ، لكنه لا يختلف عمن سبقه اذا تعارضت مصلحته مع مبادئه ، سيكون مستعداً لبذل ماء وجهه ليحقق حاجته .. وانما جعلت لهذا الصنف كلاماً خاصاً به لأنه يتميز عن كل من سواه بخاصية فريدة وهي: أنه يُفتي لنفسه بجواز ما يصنع شرعاً ، وبذلك يعطي لنفسه صك الغفران في الدنيا والآخرة .. فلا تثريب على عمله في الدنيا لأنه سيبرر عمله بصيغة شرعية مقنعة ، ولا تثريب عليه في الآخرة لأنه لم يرتكب معصية (بظنه) .. وهذا هو أعلى درجات خداع النفس بالحرية.

فهذا عبد ولا يدرك أنه عبد .. أو أنه يدرك ويكابر وهذا هو الدَرَك الأسفل الذي تسقطه فيه شبكة العبودية.

هذه ثلاثة نماذج فقط لمن وقعوا في شباك العبودية وأوهموا أنفسهم بانهم أحرار.



وفي المقابل لهم يوجد نماذج مشَرِّفة من الماضي والحاضر لمثقفين وتجاراً ودعاة وقادة رأي ومن كل صنوف وطبقات المجتمع ، ثبتوا على قيمهم ومبادئهم وخسروا بعض المكاسب لكنهم ربحوا حريتهم وسيادتهم على عقولهم ومبادئهم وقرارهم .. ولم يقعوا في شباك العبودية التي أسرت الملايين غيرهم ، وهذا هو النجاح الانساني في الحياة الدنيا ، فما معنى الانسانية بلا حرية ؟

تذكر دائماً .. أن الحرية كالحبلِ الواضح الوثيق وهو موجود معك دائماً يمكنك أن تتمسك به لكنه سيكلفك ثمناً باهظاً أحياناً ، ومن لا يستطيع الثبات ودفع الثمن سيقع حتماً في شباك العبودية ، وهي مئات بل آلاف من الحبال المعنوية والمادية معقودة ببعضها ، ولا ينجيك منها الا أن تنتبه لها وتتخلص منها وتتمسك بحبل الحرية الواضح المتين الذي لا يخذلك أبداً ، وان شددت بقبضتيك عليه وتتبعته سيوصلك الى بر الأمان.

وختاماً ماذا يعني أن تكون حراً ؟

أن تكون حراً يعني أنك تثبت على مبادئك وقيمك..

أن تكون حراً يعني أنك سيد قرارك..

أن تكون حراً يعني أنك لا تخضع لضغط وانت تستطيع مقاومته..

أن تكون حراً يعني أنك ستخسر الكثير وسيتنكر لك الكثيرون..

أن تكون حراً يعني أنك الوارث الحقيقي لطريقة الأنبياء والمصلحين..

أن تكون حراً يعني أنك ستكون ولا بد جزءاً فعالاً من التغيير نحو الأفضل في الحياة كلها..

ويساعدك على الحرية أن تعتقد أن:

.. الفهم هو الحل ..





85

الدروس الخصوصية ... ضرورة ملجئة .. أم سقوط أخلاقي ؟







في سبعينيات القرن الماضي كان جيل المدرسين الذين تتلمذنا عليهم يرفضون مبدأ الدروس الخصوصية وينظرون بعين الاحتقار لأي مدرس يعطي درساً خصوصياً ، وكان أحدهم يعتبر أن من الاهانة له كمدرس أن يطلب منه أحد درساً خصوصياً مقابل المال .. وكنا كطلاب نحمل نفس النظرة والمشاعر للدروس الخصوصية ولأصحابها ، فلم يكن اي استاذ من الأساتذة يجرؤ على أن يقول للطلاب أني اعطي درساً خصوصياً.

وبالمقابل كان المدرس من هؤلاء القدماء الأفاضل يبذل كل جهده ، بل أكثر مما هو مطلوب منه ليفيد طلبته في المدرسة ، ولم يكن أحد منا يحتاج أبداً الى مدرس آخر ليفهمه المادة.

وكان هؤلاء الأفاضل يبذلون جهداً اضافياً فيعطوننا - دروساً اضافية - خارج وقت الدوام الرسمي ليعيدوا لنا شرح بعض المواد أو ليسمعوا أسئلتنا.

ولم أكن أسمع أن احداً من الطلبة اضطر لمدرس خصوصي ، وكان الذي يذهب لمدرس خصوصي يذهب ترفاً وبسرية لأن التدريس الخصوصي كان مجرماً قانوناً .. والمدرس الذي يعطي دروساً خصوصية يعاقب قانوناً ويفتضح بين زملائه ويصغر في عين الجميع.

وبدخول العراق في حروبه العبثية ، وفي سنين الحصار الاقتصادي التي سرقت أكثر من عقد من اعمار العراقيين ، اختفت الكثير من القيم والسلوكيات الراقية من المجتمع ، وأصبح الممنوع مباحاً ، والسلوك المعيب يمارس بلا حياء ، وهكذا تفعل الحروب وسياسة الافقار بالمجتمعات.

وأصبحت طبقة الموظفين والتي كانت مكتفية مادياً في فترة الستينات والسبعينات من القرن العشرين ، وخلال سنوات قليلة



محسوبة على الطبقات الفقيرة ، وبدأت تنمو ظاهرة الدروس الخصوصية وتأخذ ابعاداً أخرى ، لأن المعلم والمدرس بدأ يبحث عن اسباب رزق جديدة أغلبها لا علاقة لها بمهنته في التعليم ، حاله حال بقية موظفي الدولة ، ومن اسباب الرزق الجديدة هي الدروس الخصوصية ، وكان هذا السلوك مفهوماً آنذاك بأن الدافع اليه الحاجة المادية عند الكثيرين ، وليس الكسب على حساب الطالب وعلى حساب الأمانة في التعليم.

ومع ذلك بقيت نسبة لا بأس بها من المعلمين والمدرسين تؤدي مهامها بإخلاص وأمانة ، سواء كانوا من اصحاب الدروس الخصوصية أم لا.

وجاءت سنين الضياع والعبث مع الاحتلال الأمريكي للعراق .. وظن الناس أن عهد الكبت وتقييد الحريات قد انتهى ، ولم يعد هناك حسيب أو رقيب من دولة أو قانون .. وتخلى كثير من الموظفين ومنهم بعض كوادر التربية والتعليم عن البقية الباقية من القيم والتي أصبحت من تراث العهد البائد .. طبعاً ليس الجميع .. فهناك الى اليوم معلمون ومدرسون يبذلون جهدهم بأمانة واخلاص ، لكن اتكلم عن الغالب الأعم والذي شكل ظاهرة لا تخطئها العين في المجتمع العراقي .. وهذه الظاهرة تمثلت في قاعدة بسيطة تواطأ عليها كل الموظفين بإجماع غير معلن وهي:

ان الراتب حق خالص للموظف مقابل التزامه بالدوام الرسمي ، وليس اجراً على الخدمة التي يقدمها للمواطن.

بمعنى أن الموظف يلتزم بالدوام ساعات محددة مقابل الراتب أما الخدمة التي يقدمها للمواطن فيجب أن يأخذ مقابلها مالاً اضافياً .. يسمى أحياناً هدية ويسمى أحياناً رشوة وعند طبقة المعلمين والمدرسين يسمى دروساً خصوصية.

ليس هناك فرق في السلوك ولا في النتيجة لأن المدرس الذي لا يشرح الدرس بأمانة لطلابه ، ويتعمد عدم افهامهم حتى



يضطرهم للتسجيل عنده في دروس خصوصية ، لا يختلف في شيء عن الموظف الذي لا يكمل معاملتك حتى تعطيه رشوة .. هذا من ذاك والنتيجة واحدة .. خدمة مقابل مال ، لأن الراتب لا دخل له في الموضوع.

وإذا كانت الدروس الخصوصية في سنوات الحصار مفهوم سببها وهو الحاجة المادية الملحة ، رغم أن الكثير من المدرسين آنذاك ومع حاجتهم للمال كانوا يؤدون واجبهم بإخلاص ولا يضطرون طلابهم لحضور دروس خصوصية .. فما هو السبب الذي يدفع الكثيرين من الاساتذة الآن الى أن يفتحوا دورات ومعاهد للدروس الخصوصية وبمبالغ ليست قليلة .. ولا يقدر عليها الا الموسرون ؟

رواتب الموظفين عموماً ومن ضمنهم المعلمين والمدرسين تضاعفت الى مائة ضعف على الأقل عما كانوا يأخذونه قبل ٢٠٠٣، وإذا حسبنا مقدار التضخم والزيادة في الاسعار سيبقى الراتب معقولاً (ولا أقول ممتازاً) .. فاذا كان السبب هو الحاجة الى المال فهذا الآن ليس عذراً.

بماذا نفسر اذن هذه الظاهرة التي انتشرت كالسرطان في مجتمعنا ؟ هل هي نتيجة لاختفاء سلطة القانون ؟ أم هي انعدام للضمير عند البعض ؟ أم هي ظاهرة من ظواهر السقوط الأخلاقي الكثيرة التي ظهرت الى السطح نتيجة الاستبداد والحروب العبثية التي عانى منها العراق منذ زوال النظام الملكي وبدء عهد الثورات التعسة ، وانتهاء بالعهد الأمريكي المظلم وأذنابه ؟

ظاهرة الدروس الخصوصية هي عرض ظاهر لمرض سلوكي اخلاقي عميق يبدأ بالفرد ثم المجتمع ، ينبغي دراسته بجدية لأن الدول التي سبقتنا في هذا المسار النكد كمصر مثلاً وصلت الى الحضيض في نظمها التعليمية ، والذي أدى الى انحطاط في السلوك المجتمعي ، وهذه نتيجة طبيعية لنظم التعليم المتخلفة.



ونحن دولة غنية لسنا من الدول الفقيرة كمصر وغيرها ، وميزانية وزارة التربية والتعليم عندنا عامرة ، ويجب أن يكون المعلم والمدرس مكتفياً مادياً ، ثم يحاسب بشدة اذا لم يؤد ما عليه .. ويحاسب بصورة اشد اذا اعطى درساً خصوصياً .. لأن التعليم هو اساس النهوض والحضارة ، وكل من يسعى لإفساد التعليم خائن لبلده وضميره ودينه.

كلامي هذا ليس خاصاً بجيل معين الآن .. لأني أرى أمامي اثنا عشر جيلاً ينتقل كل عام من مرحلة لأخرى .. ويتعلم في المدارس أسوأ أنواع السلوك.. وأخطرها .. وهو عدم الاخلاص في العمل وخيانة الأمانة ، وتقديم المال على المبادئ.

وهذا ما سيستقر في لاوعي الطالب من ظاهرة الدروس الخصوصية .. والتي يقوم بها ويبوء بوزرها من يفترض أنهم قدوة له في الاخلاص والأمانة.

واملي أن يتدارك العقلاء هذه الكارثة.





86

...الثقة أصلٌ للإيمان

انحسار الحركات الاسلامية ... لماذا ؟







الايمانُ بالله واليوم الآخر في كل الأديان مبني على الغيب .. ومن شروط المؤمن الحق أنه يؤمن بالغيب .. والا فعالم الشهادة (المحسوسات) يؤمن به كل البشر حتى الملاحدة.

لذا أخبرنا الحق تبارك وتعالى في أول آيات القرآن الكريم هذه الحقيقة المهمة.

﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . . ﴾

والغيب يحتاج الى مُبَلِّغ وهو الرسول أو النبي .. ولكي يصدقه الناس لا بد أن تكون الثقة به في أعلى درجاتها قبل أن يؤمر بالتبليغ.

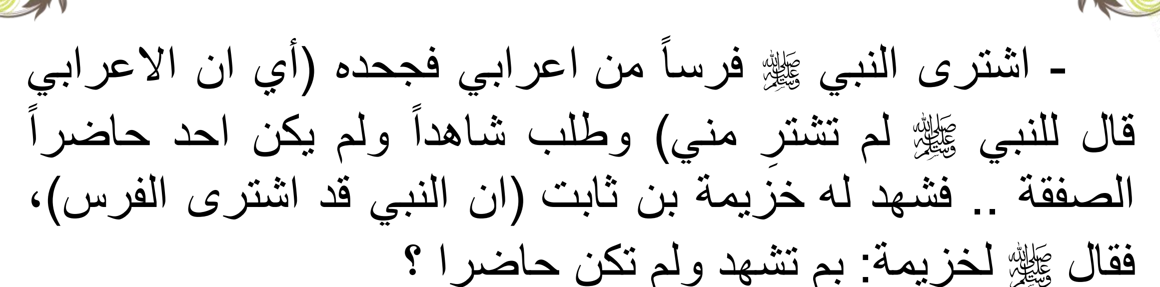
لذا فكل الرسل قبل بعثتهم عُرفوا (بالصدق والأمانة) ولم يُجرِّب عليهم أحد من أقوامهم كذب أو خيانة .. وسنقتصر على بعض الشواهد من حياة نبينا ﷺ كي لا نطيل:

- عندما جمع ﷺ قومه ليشهر رسالته سألهم أولاً: ".. لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقي؟ قالوا: " نعم ما جربنا عليك كذباً " .. تأمل في السؤال وفي الجواب.

- بعد معجزة الاسراء والمعراج ذهب قوم الى ابي بكر وقالوا ان صاحبك يزعم أنه ذهب الى بيت المقدس وعاد في ليلته وعرج به الى السماء .. طمعاً في أن يشككوا أبا بكر بصاحبه.. فقال ابو بكر: " ان كان قال فقد صدق"

وذلك تحفظاً منه أن يكون ناقل الخبر كذاباً ، فاحتاط بقوله "ان كان قال.." فالنبي صادق فيما يقول والمُهم أن يثبُت أنه قد قال فعلاً.





- اشترى النبي ﷺ فرساً من اعرابي فجحده (أي ان الاعرابي قال للنبي ﷺ لم تشترِ مني) وطلب شاهداً ولم يكن احد حاضراً الصفقة .. فشهد له خزيمة بن ثابت (ان النبي قد اشترى الفرس)، فقال ﷺ لخزيمة: بم تشهد ولم تكن حاضرا ؟

قال : بتصديقك وأنك لا تقول إلا حقا ..

وفي رواية قال له: يا خزيمة بم تشهد ولم تكن معنا؟

فقال: أنا أصدقك في خبر السماء ولا أصدقك بما تقول؟ أعلم أنك لا تقول إلا حقاً قد امناك على أفضل من ذلك ، على ديننا.

والشواهد كثيرة وكلها تؤدي الى نتيجة واحدة .. أن الثقة بالمُبلّغ هي التي استدعت الايمان بالرسالة.

لم يكن الصحابة الأوائل من علماء الاعجاز العلمي في القرآن ليتفكروا بآيات القرآن الكريم ويختبروها قبل أن يؤمنوا .. ورغم كثرة الآيات التي وردت في كتاب الله تعالى والتي تؤكد على التفكر في الخلق .. الا أنها لم تكن هي السبب في ايمان الرعيل الأول .. فهذه الآيات تخاطب كل البشر ، ومنهم الذين لم يعاصروا النبوة ، والى قيام الساعة ، ولا شك أنها مدخل عظيم من مداخل الايمان لهم.

اما الرعيل الأول فكان مورده الأساس للإيمان هو (الثقة) بشخص النبي ﷺ لا غير.

وحتى الذين لم يتبعوه كانوا يعلمون أنه صادق ولكن الظلم والعلو منعهم كما قال تعالى:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً . . . ﴾

وحقيقةُ أن الثقة بالمُبلِّغ هي أصل الايمان عند معاصريه تكشف لنا مَدخلاً مهماً من مداخل العقل البشري.



وهو أن الانسان العاقل المفكر لا يصدق غيباً الا اذا جاءه من طريق شخص لا يشك أبداً في صدقه ويثق به ثقة مطلقة.

ومن أنواع الغيب الكثيرة في حياة البشر ، أن تعدَ الناس بحياة أفضل اذا اتبعوا تعاليمكَ وطريقتكَ في الحياة ، وهذا ما تفعله الحركات الاسلامية المعاصرة بأطيافها المختلفة المتنوعة والمتناقضة أحياناً.

وكان المتوقع من دعاة هذه الحركات وقادتها الارتقاء قدر المستطاع الى درجة عالية من زرع الثقة في نفوس الناس كي يتمكنوا من اقناعهم بالدين وفضائل الأخلاق وتطبيق الشريعة .. وهذه الأمور هي غاية كل الحركات الاسلامية المعاصرة .. وقد نجحت في ذلك حيناً من الدهر .. فما الذي حصل ليجعلها تنحسر انحساراً متسارعاً لا يمكن حتى تتبعه بوضوح؟!

السبب الأهم وليس الوحيد ، أن هذه الحقيقة وهي (بناء الثقة وتنميتها في المجتمع) على بساطتها ووضوحها .. لم تؤخذ على محمل الجد عند قادة الحركات الاسلامية ، ولا اعطيت الأهمية التي تليق بها (ونُذَكِّر أنها أصل للإيمان نفسه فكيف بما هو دونه) .. ولعل المؤسسين الأوائل كانوا يعون هذه الحقيقة بنسبة ما، لكن الاتباع فرطوا فيها وبشكل كبير.

بناء الثقة في النفوس يتطلب جهدا كبيراً بينما هدم الثقة بسيط جداً.

والانسان في المجتمع كلما علَت رتبته أصبح مراقَباً من الناس على كل صغيرة وكبيرة .. والذي يظهر من الانسان للمجتمع هو كلامه وسلوكه.

فان كان كلامه يدعم سلوكَه .. وسلوكُه لا يناقض كلامَه .. حاز ثقة من حوله ، والعكس صحيح.

لهذا انتشرت افكار الحركات الاسلامية بأطيافها المتعددة وتوسعت في النصف الثاني من القرن العشرين ، عندما كانت



تدعوا الناس الى (المثل الأعلى) وعندما كانت بعيدة عن ساحة الاختبار المباشر وهو المال والسلطة.

لكن عندما اقتربت (قيادات) هذه الحركات من ساحة الاختبار وساهمت فيه بالفعل ، أي في المال والسلطة ، فشلت فشلا ذريعاً ..

لأنها ببساطة كانت تنظر الى الانحراف السياسي والمجتمعي والاخلاقي والسلوكي عند الآخرين من بعيد ، وهذا طبيعي بسبب الأجواء (النظيفة) التي أحاطت افرادَها بها .. (والمثاليات) التي تتداولها في أدبياتها وخطابها.

اما عندما اقتربت من الواقع الحقيقي وعايشته فلم تستطع ان تستوعب الصدمة .. خاصة وأنها لم تكن أصلاً مؤهلة للتعامل مع هذا الواقع .. كما قلنا بسبب الأجواء الفكرية والسلوكية التي تعيشها.

وخذ مثلاً واحداً: كيف يستطيع نائب في البرلمان أو وزير أو رئيس جمهورية اسلامي أن يلتقي بفنانات أو مطربين ومطربات تابعين لوزارة الاعلام في دولته ، ويتصافح معهم ويُسمعهم ويُسمعونه الكلام الطيب .. وقد كان قبل ذلك بشهور يُحرِّم النظر اليهنَّ ويحكم عليهم رجالاً ونساءً بالفسق والفجور.

لا شك أنه سيقع في ازمة نفسية .. ان اظهر مبادئه والتزم بها فهو متخلف ارهابي في نظر الآخر ، ولا يصلح للمنصب .. وان كتمها واظهر خلافها سيفقد ثقة من كان يعرفه من قبل.

وسيضطر حينها للتأويل البارد المتعسف ، الذي لا يقنع كل الأطراف.

هذه ابسط الأمثلة .. وقد حصل من أشباهها الكثير.

ومع ذلك فالمشكلة ليست هنا ، لأن الحركات الاسلامية أو بالأصح (قياداتها) ذهبت الى ابعد من ذلك لتُعجّل من فقدان الثقة بها من بعض افرادها ومن المجتمع على حد سواء.



فقد وعد قادتها الناسَ وعوداً وخالفوها .. اطلقوا تهديدات وجبنوا عن تنفيذها .. صرحوا بمشاريع نهضة وتبين بانها وهمية .. شارك بعضهم في صفقات مالية مشبوهة بل دخل بعضهم (في العراق مثلاً) في دوامة الفساد المالي والاداري وبشكل ظاهر لا حياء فيه.

ثم ذهب قادة الحركات الى ابعد من هذا ليعززوا فقدان الثقة بهم .. فوضعوا أنفسهم في موضع القداسة (طبعا هم ينفون هذا أمام الملأ) فلا يخضعون للنقد .. وان سمعوا النقد للضرورات الدعائية في الاعلام فالمبررات جاهزة ، ولا يمكن أن تسمع من أحدهم اعترافاً بالخطأ .. واذا حدثت معجزة واعترف أحد القيادات بالخطأ ستسمعه يقول بكل براءة: "نحن مجتهدون والمجتهد ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله أجر" .. هكذا !!

ولا بأس أن تضيعَ بسبب هذا الخطأ الأموال ، وتزهق الأنفس، ثم بعد ذلك يطمع بان له أجر !!

بعدها تقدمت هذه (القيادات) خطوة أخرى لقتل الثقة بهم كلياً ، فاصبحوا يضعون الموازين التي تناسبهم فقط ، ويطبقونها على انفسهم والآخرين.

- امواتهم شهداء ، واموات غيرهم قتلى.

- ان حلت بهم كارثة فهي ابتلاء ، وان حلت بغيرهم فهي عقاب رباني.

- ان تركَهُم اتباعهم فالدعوة تُنظف نفسها (وتنفي خبثها) كما يقولون ، وان تخلى الآخرون عن احزابهم فذلك بسبب فشل تلك الأحزاب.

- ان تعاملوا مع الآخرين عبر الحدود فهي سياسة وفطنة ، وان تعامل غيرهم مع الأجانب فهي عمالة وخيانة.



- اذا زوروا في الانتخابات فهي (تصحيح لإرادة الناخب) كما قال احد القيادات يوماً ، واذا زور غيرهم فهي سقطة اخلاقية وجريمة يعاقب عليها القانون.

هذا الانحراف الفكري .. في توهم القداسة وعدم قبول النقد ثم تفصيل المقاييس .. هو الذي توج كل الأسباب التي أدت الى فقدان الثقة بقيادات الحركات الاسلامية ومن ثم انحسار هذه الحركات ..

والعجيب أن هذه الأحزاب والحركات الاسلامية وصلت الى حد أنها تنكرت حتى لأسمائها واخفتها في الانتخابات خوفاً من الخسارة .. والشاهد على ذلك أن الانتخابات الأخيرة في العراق لم تشهد مشاركة لحزب اسلامي سني أو شيعي باسمه .. وكأن هذه الاسماء اصبحت معرَّة لأصحابها.

ستجد كثيرين يقولون لك أسباباً أخرى لانحسار الحركات الاسلامية ، مثل كيد الأعداء والظروف غير المواتية والحرب على الاسلام ... الخ

ونقول لهؤلاء لا بأس بان تخدعوا أنفسكم لكن لن تغطوا الشمس بغربال ..

الانحسار ليس فقط في المجتمع بل الانحسار طال اتباعكم .. والسبب فقدان الثقة من المجتمع ومن كثير من الاتباع بهذه القيادات المنهكة والتي تجاوزها الزمن.

اذا كانت اعظم عقيدة في مجتمعاتنا وهي الايمان بالله أصله الثقة بالمُبلِّغ والقائد.

فمن بَاب أولى أن كل ما دون هذه العقيدة يستلزم الثقة بالمبلِّغ والقائد ولا بد.

وعندما أضاعوا الثقة بكلامهم وسلوكهم .. ضاعت معها حركاتهم الاسلامية.

وسيذكرهم التاريخ بما يستحقون.





87

...دوار البحر وسفينة العراق
عندما تنحرف العقول







المكان : العراق
الزمان : سبتمبر (أيلول) ٢٠١٨ م
الحدث : محاولات تشكيل الحكومة العراقية
المشكلة : ؟؟؟؟؟!!!!!!!!!!
لقد أصابنا القوم بالدوار .. فلم نعد نعرف من هم الأصدقاء ومن هم الخصوم !
الذين كانوا يَتهمونَ بعضهم بالسرقة والفساد توحدوا اليوم ..
ضد من ؟ لا أدري
الذين كانوا يتهمون بعضهم بتسليم المحافظات السنية لداعش تصافحوا واعادوا العلاقات الودية ..
ضد من ؟ لا أدري
الذين كانوا يتهمون بعضهم بتمويل داعش يجلسون جنباً الى جنب ضاحكين ..
على من ؟ لا أدري
وأسئلة أخرى كثيرة تُدخلنا في دوامة لا نهاية لها ..
ولكي نعرف من أين أُتينا لا بد من العودة للبدايات ..
فالبداية ان انحرفت عن الهدف مليماً واحداً ستنتهي مع مرور الزمن الى افتراق عنه بآلاف الأميال.
قبل خمسة عشر عاماً وبعد أن دخل - الزعماء والقادة أصحاب المبادئ والدين والأمانة - كما كانوا يقولون العملية السياسية ، بدأنا نسمع عبارات يكررونها كثيراً .. بعضها معروف .. لكن تفسيرها عند القوم اختلف جذرياً .. والبعض الآخر جديد على ثقافتنا ومجتمعنا ... مثلاً :
- (لا يوجد صديق دائم وعدو دائم في السياسة بل مصلحة دائمة) ..



قلنا لا بأس فأحيانا تُفرض عليك الصداقة فتقبلها على مضض .. لكن لن تؤثر على مواقفك .. لأن الصديق لا يفرض على صديقه شيئاً ..

لكن الصديق بدأ يفرض ويتعسف ويخون ويقتل .. فاين المصلحة في هذه الصداقة البائسة ؟

ثم تبين أن (الصداقات) التي عُقدت بين القوم إنما هي لمصلحة احزابهم.

ولم نر باتفاق الغالب الأعم من الشعب العراقي طيلة خمسة عشر عاماً من يعمل لمصلحة البلد أكثر من مصلحة حزبه وجماعته وقبيلته ونفسه.

فهذه العبارة قديمة لكن التفسير اختلف عند القوم.

- (اذا دخلت اللعبة السياسية فاحتفظ لنفسك بمبادئك حتى تصل الى الحكم ثم افعل ما تشاء)..

قلنا لا بأس فالسياسة كياسة وفطانة .. لكن القوم بتفسيرهم الجديد تفرقوا فبعضهم ترك المبادئ عند الباب الخارجي ودخل ، وبعضهم نسيها في الزحمة ولم يعد يتذكرها أصلاً ، وبعضهم ممن بقي عنده شيء من الحياء وضعها في صندوق وأقفل عليها .. حتى اذا سألته عنها يوماً قال لك انها موجودة بالحفظ والصون ولا زالت عندنا لم نتخل عنها !

- (لا علاقة للدين بالسياسة فالدين لله والوطن للجميع)..

وهذه المقولة تخص الاسلاميين .. لأن الاسلاميين سنة وشيعة كانوا يعدونها من الكفر الذي نشره القوميون والعلمانيون .. أما اليوم وبعد (مسلسل داعش) المخزي فهذه المقولة لا بأس بها عند الجميع ، لكن الغرابة ليست هنا بل الغرابة أن بعضاً من الدين تركه هؤلاء القوم أو تلاعبوا به ، سواء ما كان له علاقة بالسياسة أم بغيرها .. وبدون تفصيل فالقارئ ذكي ويفهم ما أعني ولا يحتاج



الى شواهد عن طرق الفساد وانعدام الضمير عند بعض هؤلاء السياسيين الاسلاميين سنة وشيعة.

- (لا علاقة للأخلاق بالسياسة) ..

فالصدق والكذب ، الأمانة والخيانة ، النزاهة والتزوير.. كلها مصطلحات نسبية ومتلونة بألوان الطيف ، والحرب خدعة.. فما تعده أنت كذبا يعده السياسي تكتيكا وبعد نظر .. وما تعتبره خيانة يعده السياسي شطارة وكسباً !! وما تعتبره تزويراً يعده السياسي تدافعاً للمصلحة العامة !!

هذه أمثلة بسيطة على القواعد الفكرية التي باتت تحكم عقول السياسيين في العراق ..

فهل تعجب بعد هذا من قفزهم يميناً وشمالاً كالقرود التائهة في الغابة ؟

وهل تعجب ان أُصبنا بدوار البحر في هذه السفينة التائهة ؟

وأخيراً همسة في اذن من بقي من العقلاء ممن كانوا يحلمون أيام زمان بنشر الحق والعدل والنور والحرية في العراق ، ولا زالوا يحلمون ويصدقون قياداتهم البائسة التي تخوض بهم في هذا التيه:

- ماذا بقي لكم من الدين والدنيا أيها المساكين ؟





...عقلية الجمود ورفض الرأي الآخر وباءٌ هل يمكن التخلص منه؟







وسأبدأ بنفسي كي لا أكون مثالياً يبيع الكلام ..
هل أقبل الرأي الآخر بسهولة ؟ .. لا.. وأحياناً أقبله بصعوبة
هل أتقبل النقد الصريح ؟ .. لا.. وانزعج منه غالباً
هل شعوري تجاه من يوافقني الرأي هو نفسه لمن يخالفني ؟ لا والف لا.. فانا أحب الأول وأنزعج من الثاني.

هذا كلام صريح ، أعترف به لك قارئي الكريم لأوصل لك رسالة واضحة .. أننا في أسرنا ومجتمعنا العربي والمسلم لم نتربى على عقلية الاختلاف وأن نتقبل الرأي الآخر.. بل تربينا على الجمود والتفرد بالرأي ومعاداة من يخالفنا ولو باتفه الأمور.

ولمّا كبرنا وقرأنا وتعلمنا واكتسبنا الخبرة من الحياة ، وجدنا صعوبة كبيرة في أن نتغلب على تربيتنا التي نشأنا عليها من الصغر والتي كانت تقوم على التفرد بالرأي وعلى أن (الرأي الصحيح) لون واحد لا يتعدد.

وأنا عن نفسي منذ أن انتبهت لهذا المرض الفكري عندي لا زلت وسأبقى في ما تبقى لي من حياة أحاول مقاومته والتخلص منه جهد المستطاع .. عسى ولعل.

كيف يبدأ هذا المرض ؟

في مجتمعنا يتربى الطفل من صغره (بما يرى ويسمع من أبويه) على التمسك برأيه وعدم النظر في احتمال صحة الرأي المخالف له .. بل انه لا يقبل حتى الرأي غير المخالف اذا طرح بطريقة أخرى لا تناسبه.

واذا راقبت الأطفال عندما يلعبون ستجد أن كلا منهم يحاول فرض قواعدَ للّعبةِ على الأطفال الآخرين .. وأن يلعبوا كما يريد هو فقط.



ثم تأتي المدرسة لتقوّي هذا الفكر الأحادي الجامد .. فلا تكاد تجد سؤالاً .. في أغلب الامتحانات التي يمتحنها الطالب .. له أكثر من جواب.

هناك في الغالب جواب واحد يحدد مصيرك إما درجة كاملة أو صفر ، لذا فالمهارة الوحيدة التي يمارسها الطالب طيلة حياته الدراسية حتى يتخرج من الجامعة هي (الحفظ).

ويكبر الفرد في مجتمعنا وهو معتقد جزماً ان العالم الحقيقي والصحيح هو العالم الموجود في عقله فقط .. وكل ما يخالفه هو خطأ أو قريبٌ من الخطأ يجب تغييره.

وعندما يدخل الفرد في سوق العمل ويبدأ بكسب رزقه تترسخ عنده احادية التفكير لما يراه يومياً في تعامله مع أفراد المجتمع ممن هم مثله قد تربّوا على هذه العقلية.

وقد وُرِّثت هذه العقلية من السلف الى الخلف ، وتضخّمت بمرور الزمن وتعاقب الأجيال ، الى ان وصلت الى ما وصلت اليه في عصرنا ، وتمثلت بما شهدناه وعشناه من وحشية في التعامل مع المخالف .. وأخطر صورها ما حدث باسم الدين وتحت شعاره.

أحياناً يحاول بعض تجار الفكر والدين أن يُخفوا هذا المرض المتأصل في نفوسهم بإظهار خلافه تصنعاً كي ينشروا أفكارهم .. حتى اذا يئسوا من بيع بضاعتهم لك عادوا الى شخصياتهم المريضة وبسرعة وأروكَ وجههم الحقيقي .. فترى منهم الحقيقة التي ارادوا أن يخفوها بتملقهم ونفاقهم.

وقد مررت في حياتي بتجارب مضحكة مع أناس مثل هؤلاء .. يسايرونك في الكلام ولا يجرؤون في البداية على التصريح بآرائهم كي لا تنفر منهم .. فيظهرون لك أعلى درجات المثالية والتسامح لتطمئن اليهم ، ويسمعونك المديح ، ويؤكدون لك أن كلامك صحيح وأنهم يوافقونك الرأي الذي تراه ، وهم في قرارة انفسهم خلاف ذلك.



وبمجرد أن تثبُتَ على موقفك ، ولا تتنازل لهم ، ولا تسايرهم فيما يريدون ، سترى منهم كما رأيتُ .. موقفاً هزلياً الى ابعد الحدود.

سيتحول الملاك في لحظات الى شيطان .. وينفض عنه ثوب الحمل الوديع ، ويحاول أن يثبت لك أنه ذئب أغبر لا يمكنك مقاومته .. وسترى منه من اللؤم ما لم يخطر لك على بال.

هذه العقلية التي لا تتقبل الاختلاف والرأي الآخر ولا تحترمه .. من الأسباب الرئيسة المعوقة للمجتمع والتي تمنعه أن يتقدم في شؤون الحياة كلها.

لأن لكل انسان بطبعه اعتداد شديد برأيه ولا يتنازل عنه بسهولة ، كما أن له نظرة للحياة لا تشابه نظرة الآخرين لها ، والنتيجة ستكون تجاذباً من الجميع وفي كل الاتجاهات المتعاكسة ، والمحصلة من هذا التجاذب محصلة صفرية كما تقول لنا الفيزياء .. ونتيجة ذلك بقاء المجتمع في تخلفه وركوده ومصائبه التي لا تنتهي.

وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد ، ففي مثل مجتمعاتنا ستؤول الأمور للقوي (بدَنِيّا أو ماديا أو سياسياً) ، اي أن المحصلة ستكون لصالحه.

ولعل هذا أحد أهم الأسباب التي تفسر لنا بقاء الديكتاتوريات وازدهارها في أوطاننا بشتى صورها (ملكية – جمهورية – امارة) قد تختلف صور الحكم لكن النتيجة واحدة .. دكتاتورية في الحكم وجمود في التفكير.

وهذه نتيجة طبيعية ومنطقية ، لأن الكل في مجتمع الرأي الواحد يريد لرأيه أن يسود .. وبذلك سيعادي الرأي المخالف له وينقضه ويقصيه ان استطاع .. والمستفيد هو السلطة الحاكمة أو الجهة الأقوى في الدولة الفاشلة ، والتي تغذي مثل هذا الفكر المتخلف وتدعمه لينمو أكثر.



والفكر الأحادي الجامد لا يتمثل في الأفراد فقط بل تجده في كثير من الحركات والأحزاب والجماعات والجمعيات في مجتمعاتنا، فهي في الحقيقة ليست أكثر من مِللٍ ونحلٍ تحتكر الصواب لنفسها فقط.

لأن مجموع العقول الجامدة ينتج مؤسسة جامدة .. فتجميع الأصفار لن يزيد من قيمة الرقم .. ومهما تضخم سيبقى المجموع صفراً.

لذا تجد حالة غريبة في مجتمعاتنا هي أحد أعراض مرض الجمود الفكري واحتكار الحقيقة ، وهي أن المؤسسات والجمعيات والحركات مهما كان عملها متشابها وهدفه واحداً ، لن تجدها تتعاون فيما بينها أو تتحد مع بعضها لترتقي بهذا العمل.

وقد جرت قبل سنوات محاولة لتشجيع التعاون بين الجمعيات الخيرية والتقى رؤساء هذه الجمعيات وكلهم من وجهاء المدينة وأخيارها .. ورحب الجميع بالفكرة وأظهروا سرورهم ولم يعترض أحد .. لكن الطريف في الأمر أن هذا الاجتماع لم يتكرر مرة أخرى .. لماذا ؟ أترك الجواب لذكائك.

هذه مزلة أقدام وأفهام .. أخذتُ منها ومن أمثالها درساً بليغاً وهو:

أنك اذا أردت التغيير يجب أن تفهم أولاً افكار من تتعامل معهم .. وان تفهم أفكار من حولك .. ولا تغرنّكَ المظاهر ولا الكلام المعسول.

وأن تعمل على تغيير الأفكار أولاً ، ثم بعد ذلك كل شيء سهل وهين.

وأول خطوة في الحل هي أن نعترف بهذا المرض اعترافاً حقيقياً وليس ظاهرياً باللسان لنخدع الآخرين بأننا أصحاب فكر متحرر وغير منغلق.



الاعتراف الحقيقي هو الذي يتبعه تدريب شاق للنفس على اذابة الجليد عن العقل والتخلص من اليبوسة في التفكير .. ومن بدأ بهذا التدريب فعلاً يعرف كم هو صعب وشاق لكنه ليس مستحيلاً.

الخطوة الثانية هي اختبار متكرر لعقلك ومشاعرك ، لتعرف هل بدأتَ فعلاً تستجيب وتتواضع للرأي الآخر ولا تنزعج بسرعة ولا تُستفز؟ وتكون مستعداً لدراسة وجهات النظر التي تخالفك حتى لو لم تقبلها ؟

والخطوة الثالثة أن تدرب نفسك على احترام الرأي الآخر .. واذا قررت أن لا تحترم الرأي الآخر فوطن نفسك على أن لا تنزعج اذا لم يحترمك المقابل .. فكما تدين تُدان.

وههنا قاعدة مهمة تستحق أن نستحضرها دوماً وهي: ان احترام الرأي الآخر ومناقشته لا يستلزم دائماً أن تقبله أو أن تؤمن به.

وعدم فهم هذه القاعدة هو الذي يمنع الكثيرين من التخلص من مرض الجمود العقلي .. إذ يعتقدون أن احترام الرأي المخالف يعني أنك توافقه قطعاً.

يجب أن يكون الاحترام للرأي الآخر حاضراً دوماً.

ويجب أن يكون الاستعداد للدراسة والمناقشة الجادة حاضرة دوماً.

أما القبول والإيمان به فهذا يعتمد على اشياء اضافية أخرى كثيرة.

واذا كان الاحترام حقيقياً والمناقشة جادة .. فلن تحصل معارك ومصائب بين المختلفين، حتى لو لم يتم الاتفاق على شيء.

فليست الغاية من مكافحة وباء التفرد بالرأي والجمود العقلي أن نصبغ الناس بصبغة واحدة ونحملهم على رأي واحد ، والا عدنا مرة اخرى الى المربع الأول.



غايتنا أن نشيع احترام الرأي الآخر ، والاستعداد الجاد لمناقشته .. أكرر (الجاد) وليس الظاهري لغرض الخداع والهروب من الواقع.

فاذا شاع في المجتمع هذان الأصلان في طرائق التفكير .. سنتخلص من وباء التفكير الاحادي الجامد ، وسنتقبل الاختلاف بيننا بلا اتهامات باردة لا قيمة لها .. وبلا صراع قد تسيل فيه دماء.

وسنكون قد بدأنا بالخطوة الأولى نحو بناء المجتمع السليم والحضارة الصحيحة.





89

لا تنخدع بالمظاهر

توضيح وتنبيه مهم جداً
لكل محِبّي دورات التنمية البشرية







ابتداءً قد يتعجب البعض من نشري لمثل هذا الكلام ... وربما يعتبر أن فيه انتقاصاً من نوع ما لشخص أو جهة .. وليست هذه غايتي من كتابة هذا الكلام اطلاقاً.

لأني وزملائي المدربين في (مركز آفاق للتنمية البشرية) نعمل في هذا المجال منذ عام ٢٠٠٥م ونفخر بعملنا كما نفخر بمركزنا ودوراتنا .. ونروج لها ونتمنى أن تشيع وتزدهر بين الناس ... ولا يمكن أن أنتقص من عمل نقوم به ونفخر بممارسته.

وبنفس الوقت أعتقد جازماً أن هذا الكلام الواضح سيقوي وسيدعم المراكز الجادة والمدربين المحترفين .. فالصراحة لا تخيف الا المزيفين أياً كان المجال الذي يعملون فيه.

بالإضافة الى أن الأمانة العلمية والثقة العالية التي أولانا اياها زبائننا الكرام ، ورواد مركزنا المحترمين ، وطلابنا المتميزين ، تتطلب منا توضيح هذا الأمر المهم لكل من يحب هذا المجال ويحب المشاركة فيه.

وأعني به مجال تطوير شخصيته ومهاراته العقلية والاجتماعية والسلوكية .. من خلال الدورات والبرامج التطويرية.

ولأن أغلب من يعمل في هذا المجال لا يوضحون لزبائنهم حقائق الأمور بل يحاولون تزيينها لغرض التسويق لأشخاصهم ونشاطاتهم.

ولان جميع المراكز التدريبية الخاصة هي مشاريع ربحية (بما فيها نحن) فهي بالنهاية تعمل لما يزيد من ارباحها وزبائنها.

لذا أحببتُ توضيح الآتي لأحبائنا وروادنا وطلابنا الأعزاء ، أمانة واخلاصا لهم ولمجتمعنا .. ورغبة في التطوير الحقيقي المثمر:



١- اطلاق مصطلح (التنمية البشرية) على دورات تطوير المهارات الشخصية هو تجوُّز في استخدام المصطلح .. ومبالغة أحياناً.

فالتنمية البشرية كما تبنتها الأمم المتحدة .. تشمل كل شؤون الحياة في مجتمع ما لذا فهو وظيفة من وظائف الدولة وهو عمل ضخم لا يمكن أن تقوم به مؤسسات شخصية متواضعة أو جهود فردية.

ونحن نستخدم هذا المصطلح (تجوزاً) باعتبار أن هذه الدورات تساهم بجزء وبنسبة ما في التنمية البشرية للمجتمع.

وهذه المؤسسات بما فيها مؤسسات التدريب كمركز (آفاق) مثلاً يمكن أن تساهم بجزء من عملية التنمية الكلية .. وبالتالي فنحن جزء من التنمية البشرية .. نشيعُ بين الناس ثقافتها وندعو للاهتمام بها ، لكن لا يمكننا القيام بها بصورة كاملة .. لذا فدوراتنا هي لتطوير المهارات الفردية والمؤسسية والتي تساهم في النهاية بالتنمية البشرية للبلد.

ولا نعني أبداً بمصطلح "التنمية البشرية" نفس المصطلح الذي اعتمدته الأمم المتحدة عالمياً.

٢- نحن مجتمع يحب الشهادات ويباهي بها ويؤطرها في غرف الاستقبال.

لذا كثيرا ما نُسأل عن الشهادات التي نمنحها نحن أو غيرنا من مراكز التدريب .. فأقول:

الشهادات التي تمنحها مراكز التدريب الخاصة (أي المراكز غير الحكومية أو المعتمدة من قبل الحكومة) وفي كل دول العالم .. هي شهادات تثبت فقط أنك شاركت بهذه الدورة أو البرنامج التدريبي عند المدرب فلان .. وفي المركز الفلاني.



وكلها شهادات غير معتمدة أكاديمياً حتى لو صدرت بتوقيع كبار المدربين في العالم .. لأنها في النهاية صادرة من مؤسسة خاصة وليست رسمية أو اكاديمية.

وكنتُ أسألُ دائماً ومنذ بداية انطلاق مركزنا عام ٢٠٠٥ هذا السؤال عن الشهادات وأجيب بنفس الجواب .. وأضيفُ هنا وأكرر:

أنها شهادات قد تفيدك أحياناً اذا ادرجتها في السيرة الذاتية لك عند التقدم لعمل حكومي أو مؤسسة خاصة وقد لا تفيد .. لكنها في كل الأحوال غير معتمدة أكاديمياً .. ولها فقط (قيمة معنوية) .. خاصة ان كانت صادرة من مركز رصين أو مدرب له شهرة عالمية.

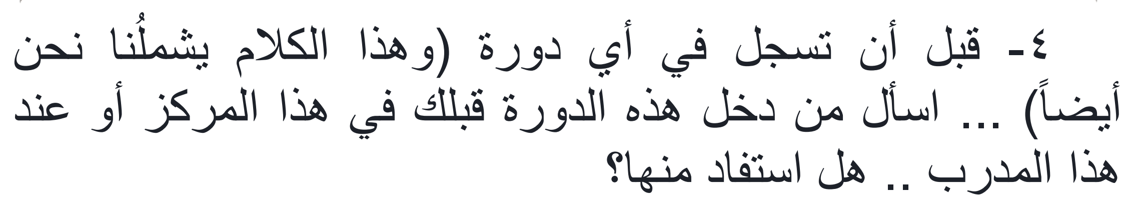
٣- كثُرت في الآونة الأخيرة ظاهرة مدربي الانترنت .. وأقصد بهم مدربين ليس لهم مراكز أو مؤسسات معروفة .. يعلنون عن دوراتهم في النت مرفقة بشهادات أو اعتمادات عالمية وبأسماء براقة ، ويستعينون بشباب للترويج لهم ، وبعد اعطاء الدورة والشهادات يختفون من المشهد ولا تستطيع التواصل معهم.

وساعدهم على هذا ظهور المؤسسات الاغاثية التي نبتت في مجتمعنا فجأة كالفِطر .. لا جذر ولا ورق .. والتي تصرف الأموال التي تأتيها بلا تعب على عمل بلا ثمرة.

ونصيحتي لكل الشباب المتحفز للتطوير والتجديد أن يدقق ويتحقق من الخلفية العلمية لأي شخص يدعي أنه مدرب.

ويتحقق من مكان نشاطه العلمي بمعنى أين يتواجد ان اردت التواصل معه؟ هل في (كلية – معهد – مركز تدريبي – مؤسسة ...الخ) لتضمن أن لهذا الشخص مرجعية علمية ومكانية .. وأنه ليس مجرد شخص قد أخذ دورة مدرب في مكان ما .. ثم وضع أمام اسمه (المدرب العالمي) ويريد أن يستثمرها كعمل تجاري بدون مؤهلات حقيقية تبيح له ذلك.





٤- قبل أن تسجل في أي دورة (وهذا الكلام يشملُنا نحن أيضاً) ... اسأل من دخل هذه الدورة قبلك في هذا المركز أو عند هذا المدرب .. هل استفاد منها؟

اسأل عن المدرب وكفاءته .. اسأل عن المؤسسة التدريبية ورصانتها.

زُر المركز أو المؤسسة وتأكد بنفسك من حقيقة نشاطها ومدربيها.

لا تنزلق وراء الدعايات البراقة والبهرجة الكلامية.

ففي عصرنا لا يوجد الآن أسهل من أن يضع الشخص أمام اسمه القاباً وعضوية اتحادات محلية أو عالمية .. وسهولة هذا الأمر بسبب أن دورات التطوير الذاتي (أو كما تسمى التنمية البشرية تجوزاً) أصبحت تجارة أكثر منها وسيلة حقيقية لتطوير المجتمع والأفراد.

ولا أحد يحاسب عليها أو يقيمها علمياً.

والتخلف الثقافي الذي نعاني منه يساعد على هذا..

وضعف القراءة والاطلاع الجاد في المجتمع تساعد على هذا..

ومواقع التواصل الاجتماعي وما فيها من دعاية مبهرة وسهولة في التعامل تساعد على هذا..

لذا أؤكد مرة ثانية وثالثة .. دقق فيما تريد الاشتراك به فأنت ستدفع نقودك مقابل الفائدة التي ستحصل عليها.

تأكد أن الفائدة حقيقية ولا تنجرف وراء الاعلانات.

ربما سيزعج كلامي البعض من العاملين في مجال التدريب واعطاء الدورات ، لكنه يقيناً لن يزعج الواثقين من أنفسهم والمدربين الأصلاء واصحاب المراكز الرصينة.

فنحن في النهاية نريد لمجتمعنا الخير والتطور والرقي .. لكن بأسلوب صحيح ومشروع .. بعيداً عن التصنع والادعاء والغش.



وتنمية بلدنا في كل المجالات .. الفردية والمجتمعية .. الروحية والمادية .. الوطنية والانسانية .. هو أمانة في أعناق المثقفين والمصلحين والعلماء في كل التخصصات.

لذا نربأ بهم أن يُسلموا عقولهم للجهلة وأنصاف المتعلمين.

ويكفي العقلاء الدروس المؤلمة والكوارث التي مررنا بها في العراق منذ أكثر من ستين عاماً.

مع تمنياتي لكم بالنجاح الدائم





90

...إعادة توزيع المقاعد وإنقاذ التيتانيك !







لَوْ قلنا للركاب في سفينة تشرف على الغرق حتماً وهي في عرض البحر:

- غيروا أماكنكم من جهة الى أخرى

وقررنا استبدال قائد السفينة بآخر ، وبدلنا وظائف الضباط فعزلنا البعض واستبدلنا آخرين ، وطلبنا من الجميع البقاء في السفينة كي لا نفرط فيها.

هل كل هذه الاجراءات ستمنع السفينة من الغرق ؟

قد يبدوا السؤال غريباً إن لم نقل تافهاً ، ولكن إن أكملت القراءة ستجد أن هذا ما يفعله الكثيرون في واقع الحياة !

كثيرٌ من المؤسسات والحكومات الفاشلة تكابر ولا تقبل الاعتراف بفشلها ولا تصحح أخطاءها ، ولا تناقش الأمور الجوهرية التي ادت الى الفشل ، بل تقوم بتغييرات سطحية تحدث هرجاً ومرجاً ، وتبدوا للمراقب السطحي أن هذه المؤسسة تقوم فعلاً بالإصلاح ، لكن في الواقع كل ما تفعله لا قيمة حقيقية له بل هو نوع من الخداع لكي تبقى الطبقة المستفيدة أطول فترة ممكنة.

وبعد ذلك تبدأ قيادة المؤسسة باستخدام وسائل عديدة لتوهم منتسبيها بأن تغيير بعض الأشخاص ، أو تبديل أحدهم مكان الآخر سينقذ هذه المؤسسة أو الحكومة ، وهو في الحقيقة ليس أكثر من تبديل المقاعد على التيتانيك.

كما يروي التاريخ في ١٤ أبريل ١٩١٢ أصيبت السفينة آر إم إس تيتانيك (RMS Titanic) بخرق كبير نتيجة اصطدامها بجبل جليدي أدى الى غرقها بعد ساعتين واربعين دقيقة من لحظة الاصطدام ، وأحد اسباب هذا الحادث هو قائد السفينة الذي كان واثقاً من نفسه أكثر من اللازم ، وكان واثقاً بأن أعظم وأضخم سفينة بنيت في وقتها لا يمكن أن يؤثر عليها حتى جبل جليدي ،



ومع ذلك وللإنصاف كان هذا القائد شجاعاً وتحمل نتيجة خطئه وبقي في السفينة حتى غرق معها.

تخيل معي .. لو أن هذا القائد جمع الركاب وقال لهم بعد أن اصيبت السفينة اصابتها القاتلة:

تعالوا لنغير أماكنكم ، ونغير بعض الوظائف على السفينة وسوف ننجوا ؟ كم أحمقاً سيصدقه ؟ دع عنك العقلاء.

حتى الحمقى لن يصدقوا كلامه.

تخيل معي مرة أخرى ، لو أن ضباط السفينة اجتمعوا واتفقوا على قرار وأعلنوه للركاب وهو: أن هذا القائد فشل في قيادة السفينة وسنغيره ، وسوف تنجوا التيتانيك ببركة القائد الجديد ، كم مغفلاً سيصدقهم ؟

طبعاً عزيزي القارئ ستقول إن هذه الفروض سخيفة ولا يمكن لعاقل ولا مجنون أن يصدقها ، لكن صدق أو لا تصدق هذا ما يحدث في واقع الحياة أحياناً.

أنظر حولك ودقق وستجد أن بعض المؤسسات في عالمنا العربي ، وحتى على مستوى الحكومات ، يُصدّق أفرادها مثل هذا الكلام وينتصرون له ، واذا تهوَّرتَ - لا سمح الله - وقلت لأحدهم:

- هذه الحلول لن تنقذ السفينة الغارقة ، ستكون أنت في نظره متخاذلاً وأحمقاً.

وسيقول لك بتفلسف بارد: جد لنا الحل.

يريد منك بكل بساطة أن تجد حلاً ينقذهم وهم باقون في التيتانيك ، فقط لأنهم لا يصدقون أنها تغرق.

ومثل هذا الشيء الغريب يحدث أيضاً في بعض التجمعات التي تسمي نفسها أحزاباً أو جمعيات أو مؤسسات ، وهو أحد أنواع خداع النفس الكثيرة التي تصيب الانسان عندما لا يصدق أنه على خطأ أو أن مساره كان غير صحيح طيلة السنوات السابقة من



عمره ، فصدمة الحقيقة تجعله يأبى التصديق حتى يشرب ماء البحر المالح ويختنق ويموت.

تجد مثل هذه المؤسسات الفاشلة تغير من موظفيها وتبدل أماكنهم وتغير قياداتها بحثاً عن النجاة حقيقة أو خداعاً.

والمضحك في الأمر أنه دائماً ما يكون القائد أو الموظف السابق هو المخطئ وهو الذي يتحمل أوزار فشل المؤسسة كلها ، والقائد الجديد هو البطل المنقذ ، ويبقى بطلاً الى أن يتبدل فيصبح هو الضالُّ المضل والجديد الذي يأتي بعده هو الصالح المصلح.

وهذه قاعدة سلوكية غريبة مجمع عليها في المؤسسات الفاشلة.

هذه الحالة تسمى "متلازمة تيتانيك" ، فقد رُوي كما ذكرنا أن التيتانيك لم تغرق الا بعد مرور ساعتين وأربعين دقيقة على اصابتها ، ومع معرفة الركاب بالحادث الا أن الكثيرين منهم بقوا يمارسون فعالياتهم الطبيعية ولهوهم وهم غير مصدقين أن هذه السفينة الجبارة قد بدأت تغرق.

وعلاج هذا الداء صعب جداً ، فان تُقنع مؤسسة ما بانها بدأت بالغرق ويجب أن تغير أمورها بصورة جذرية ، شيء قد يقارب المستحيل.

لذلك لا مناص من الانسحاب ، وانقاذ ما يمكن انقاذه قبل أن يشمل الدمار الجميع ومنهم أنت ان كنت من أفرادها ، وان لم تكن من افرادها فليس امامك بعد تقديم النصيحة بصدق الا أن تراقبها بأسف وهي تغرق بأتباعها وأنت لا تستطيع فعل شيء.

وعادة ما تمارس القيادات في مثل هذه المؤسسات أبشع أنواع الخداع لتُبقي أكبر عدد ممكن ليغرق معها ، بل تُزينُ له الغرق بأسماء وأوصاف خدّاعة كي يبقى ويثبت ولا يغادر السفينة الغارقة.





وأحياناً يبلغ اللؤم حده عند بعض القيادات التي تهيء قوارب نجاة لها فقط ولا تستخدمها الا في اللحظة الأخيرة كي لا يبقى أحد من المساكين يفضح لؤمهم.
وكل جبابرة التاريخ وطغاته مارسوا مع شعوبهم هذا النوع من الخداع الى أن وصلهم الدمار شخصياً وقُتلوا شر قتلة ، أو هربوا بطريقة أو أخرى واختفوا حتى نسيهم الناس ونسوا لؤمهم كما فعل حاكم تونس الأسبق (زين العابدين بن علي) مثلاً.
وبعد - خراب البصرة - كما جاء في المثل المعروف ، يستفيق المغفلون والمخدوعون ممن بقوا على قيد الحياة من حلمهم الخادع ويبدؤون بلعن كل لحظة من حياتهم عاشوها مع هؤلاء الطغاة المخادعين.
وقد لخص لنا الحق تبارك وتعالى هذا النوع من الخداع بآية عظيمة ذم فيها كلا من القائد والمقود:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾

نعم .. فاسقين ..
لأن الله تعالى لا يعذر المغفلين على غفلتهم. وكيلا يعتذر أحد بجهله أو ثقته العمياء بقيادته مهما كانت.
ولأنَّ الله تعالى وهبك عقلاً وفهماً وستحاسب عليه.
لذا أذكّر دائماً ولن أملَّ من التذكير أنَّ:
... الفهم هو الحل ...





91

...من يكسر حلقة الشر ؟
عندما يتحول المظلوم الى ظالم







يقولُ علماء النفس ان المظلوم نتيجة القهر والكبت وطول الزمن ، يتماهى مع ظالمه فيبدأ بتخيل نفسه مكانه ، ويتخيل كيف سيتصرف وينتقم من الظالم وأعوانه لو وصل هو الى السلطة ، وبدون أن يشعر يبدأ بتقمص شخصية هذا الظالم ويحبُّ هذه الشخصية لكن بمنظوره هو.

هكذا يزعم علماء النفس وفي كلامهم الكثير من الحقيقة ، فالأيام أظهرت لنا عجائب لم نكن نتصور أن تحدث لقلة خبرتنا بالحياة وتقلباتها.

فالمظلوم يبقى يشكو من الظلم والظالمين ويدّعي أنه لو كان في ذلك المنصب لعدل بين الناس ولأصبح يقتدي بأمير المؤمنين عمر في العدل وبأمير المؤمنين علي في اظهار الحق والتمسك به.

حتى اذا تغيرت الدنيا على المظلوم والظالم وتبدلت الأدوار (وهذا حال الدنيا) سترى من هذا المظلوم نفسه ما لم تكن تتوقع من تكرار نفس الظلم الذي كان يفعله سلفه لكن بخسة ولؤم أكثر ، وستجد أنه يبرر هذا السلوك السيء لنفسه بانه يشيع العدالة وينتقم من الظلمة بأفعاله ، حتى لو أدى ذلك الى مظالم جديدة أكثر وأقسى مما كانت على عهد سلفه.

ومن الواضح أمام الجميع أن تغيير الحكومات والقادة الفاسدين في بلادنا منذ بداية القرن الواحد والعشرين لم يجلب الخير لهذه البلاد كما كنا نحلم ومعنا الملايين من المضطهدين ، بل إن الظلم والقسوة تجاه المخالف ، والسرقة ونهب خيرات البلاد كلها ازدادت بوتيرة متصاعدة بحيث لم يعد الشعب يستطيع مجاراتها ولا حتى رصدها.



وكل القادة الجدد هم من (المظلومين) سابقاً ، وقد أساؤوا الى تاريخهم وشعوبهم الى حد أن الشعوب بدأت تترحم على الطغاة القدماء وتتحسر على أيامهم.

حلقة الشر هذه بدأت بالنمو في بلادنا منذ بدأ عهد الثورات والاحتلال قبل أكثر من مائة عام .. مظلوم يرث الظالم فيصبح مثله وزيادة ، فيثور عليه مظلوم جديد فاذا جلس على كرسي الحكم أصبح أشد لؤماً من سابقه .. وهكذا تلتوي الحلقة الخبيثة وتتسع.

وهكذا تتيه الشعوب وتضيع البلاد وتتمزق ويبدأ الناس نتيجة اليأس بالبحث عن مخلص ولو كان محتلاً جديداً غاشماً.

والسؤال الآن هل ستظهر نخبة من العقلاء يكسرون حلقة الشر هذه ؟

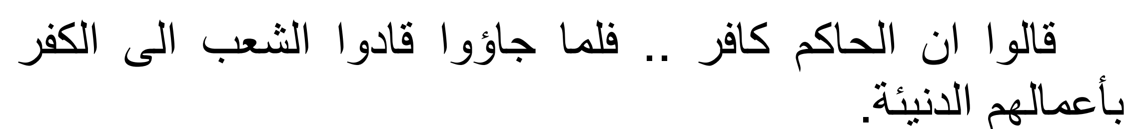
لقد عشنا في حلم لعشرات السنين ونحن نعتقد أن هناك نخبة أو مجموعة من النخب تتمثل في حركات وأحزاب وهيئات ، تسعى لنشر الفضيلة والعدل في الأرض ، وتعدُ الناس بالخير والسلام الذي تحمله لهم ، وامتلأت المكتبات بالكتب التي تبشر بهذا المستقبل المشرق الذي ينتظر شعوبنا خاصة ، وكل شعوب الأرض عامة اذا وصلت هذه النخب الى السلطة وحَكمت.

فلما جاءت ساعة الحقيقة ، ووصل أفراد من هذه النخب الى السلطة فعلاً كرؤساء ووزراء ومدراء وقادة أحزاب ، ومن كل الطوائف والملل والنحل في العراق وغيره من الدول .. ظهر لنا جلياً أنهم لا يختلفون عمن سبقهم إلاّ بأسمائهم فقط التي سماهم بها ابواهم ، أما الفعال فهي هي أو أشد.

قالوا ان الظالم يقيد حرية الكلمة .. فلما جاؤوا قتلوا الكلمة التي كانت مقيدة.

قالوا ان سجون الظالم مليئة .. فلما جاؤوا أفرغوها الى المقابر.





قالوا ان الحاكم كافر .. فلما جاؤوا قادوا الشعب الى الكفر بأعمالهم الدنيئة.
قالوا ان الظالم يسرق خيرات البلد .. فلما جاؤوا تقاسموا المسروقات وقسموا البلد نفسه.
قالوا ان الحاكم عميل لليهود .. فلما جاؤوا لم يدعوا ملة ولا نحلة ، ولا دولة كبيرة أو صغيرة ، الا وتفننوا في العمالة لها.
وتنامت حلقة الشر بين الجميع.
فلم تعد مبادئ الحرية تردع أصحابها من الليبراليين والعلمانيين الذين كانوا ينادون بها.
ولم يعد الاسلام يردع حملته من الاسلاميين بكل اصنافهم والذين كانوا يبشرون به.
ولم تعد الثورية والوطنية والقومية تردع أصحابها الذين كانوا يصدّعون بها رأسنا صباح مساء.
ومرة أخرى نسأل:
لماذا يتحول المظلوم الى ظالم اذا وصل الى السلطة ، مهما كانت صغيرة ولو مجرد مدير لدائرة منسية ؟
نعلم من التاريخ أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وأتباعهم الأقربين كانوا مظلومين ، وعندما نصرهم الله على من ظلمهم لم يتحولوا الى طغاة بل اشاعوا العدل والخير بين البشر. فلمَ تغيبُ هذه المعادلة في عصرنا النكد هذا ؟
قطعاً كانت لهم مشاعر وأحاسيس كما لنا ، يغضبون ويثورون، ولهم أحلام وآمال وتطلعات ، ولهم عوائل ويسعون الى ارزاقهم ، ولم يكونوا ملائكة.
- فهل كانت صحبتهم للنبوة لها دور ؟
- هل كان حضور اليوم الآخر في عقولهم وقلوبهم مانعاً لهم من الانحراف ؟





- هل كانوا صادقين مع أنفسهم فلا يُظهرون للناس غير ما يُبطنون ؟
- هل كان فهمهم أكبر وأوضح وأدق للدين والدنيا ؟
- هل كان عمل الخير هو همهم وليس عمل (شعارات) الخير ؟
- هل كانوا سادة أنفسهم حقاً ولم يكونوا عبيداً ولو من الباطن لشخص أو منصب أو مال ؟
- هل كانوا مقتنعين فعلاً بالفكرة التي حملوها وضحوا من أجلها بغير مقابل ؟

أسئلة كثيرة يجب أن نسألها لأنفسنا ونشيعها بين النخب ونبحث عن الجواب الصحيح لها ، كي نعلم من أين أُتينا ولمَ فشلت النخب في بلادنا ، وأفسدت ولم تصلح ؟
فلعل الله تعالى يضع الخير والسداد في فئة تكسر حلقة الشر وتقود البلاد والعباد الى الخير.
وأول الطريق هو السعي الجاد واليقين بان:
(الفهم هو الحل)





92

...القشة التي قصمت ظهر البعير
هي علامة نجاحك







كيفَ تعلم أنك وصلت الى نقطة النجاح والتميز؟
كيف تعلم أنك حققت هدفك ؟
لكي أصور لك الموضوع بطرافة واريحية وبصورة لن تنساها أبداً .. اقتبستُ مثلاً مشهوراً وهو مثل القشّة والبعير.
هل سمعت بالمثل الذي يقول: "القشّة التي قصمت ظهر البعير"
هل يمكن لقشة أن تقصم ظهر بعير بمفردها ؟
قطعاً لا ..
الذي حدث أن الأثقال تراكمت على ظهر البعير المسكين حتى لم يعد يتحمل ولو وزن قشة اضافية ، فلما نزلت القشة على ظهره أقعدته.
تراكم الأثقال جعل من القشة سبباً ظاهراً لعقرِ الجمل.
وهذا مثل يضرب للحوادث السلبية التي تتراكَم في حياتنا بدون أن نشعر حتى تصل الى النقطة الحرجة ، فيأتي حدث قد يكون في ظاهره سخيفاً لا قيمة له فيُحدث تغييراً كبيراً في حياتنا ، ونظن أن هذا الحدث بالذات هو السبب.
ألم تسمع مثلاً عن رجل طلق امرأته بسبب الملح الزائد في طعامه ؟
لا أحد يعقل أن أسرةً تُهدم بسبب قليل من الملح .. لا .. القصة أكبر من حبات ملح ، إنها سلسلة طويلة من المشاكل الصغيرة الظاهرة والخفية تراكمت حتى وصلت الحال بين الزوجين الى نقطة اللاتحمل .. فكانت حبات الملح هي (القشة) التي هدمت الأسرة.
وهذه السنة الكونية تسري على قوانين النجاح كما تسري على قوانين الفشل.



وأعني بها تراكم الأحداث الصغيرة في مساق ما حتى تصل الى نقطة حرجة يكفي فيها حدث بسيط جداً ليحدث تغييراً كبيراً.
واذا أعدنا النظر بالمثل الذي استعرناه في حديثنا ولكن بصورة ايجابية هذه المرة ، سنجد أن للإنسان الناجح أفعالاً كثيرة قد لا يلاحظها أحد ، لكنها تكون مقدمات تتراكم مع بعضها وتؤثر في الآخرين ، كما تؤثر في نفس هذا الانسان وفي محيطه الاسري والوظيفي والمجتمعي ، حتى تصل الى نقطة يُحدث فيها هذا الناجح فعلاً قد يبدوا للمراقب العادي لا قيمة له ، لكنه يدفع بهذا الانسان الناجح الى الشهرة المادية أو المعنوية.
فالثقة مثلاً .. لا يمنحها الناس لك الا بعد مئات الاختبارات التي تمرُّ بها أمامهم .. ثم يأتي موقف واحد يجعل الناس تمنحك ثقتها المطلقة وتسمع كلامك.
والسبب ليس هو هذا الموقف الأخير الذي ربما قد يكون عادياً جداً .. السبب هو رصيدك الكبير في قلوب الآخرين والذي تُوِّج بهذا الموقف.
وهذا يوجب عليك أن تجمع رصيداً من الأفعال الصغيرة أو الكبيرة التي تخدم هدفك .. لا تستهن بأي فعل مهما بدا لك غير ذي قيمة ، لأنه سيرسم صورة لك في ذهن أحدهم قد تكون هي القشة التي تفجر النجاح وتظهره للعالمين.
وتجميع هذا الرصيد وتراكمه هو ما يميز الأصيل عن الدخيل، والصادق عن المدعي.
ففي عالمنا اليوم أصبحت الشهرة وادعاء العلم والفهم سهلاً ميسراً بسبب التكنولوجيا التي سهلت علينا التواصل مع العالم دون حدود أو قيود.
لكن الادعاء الكاذب لا يثبت طويلاً وينكشف سواء قام به فرد أو مؤسسة .. عند أول اختبار حقيقي صعب.



بينما صاحب الرصيد الأصيل سيدعمه رصيده في العقول والقلوب وفي الواقع ، كالثري الذي له في كل بنوك العالم مال مدخر .. لا يخشى من الانفاق وعقد الصفقات اينما كان في أرض الله.

الصادق الأصيل ينتظر هذه القشة بسعادة لأنها ستعلي ذكره بين الناس.

والمخادع سيفاجأ بهذه القشة ومعها حسرة لا تنقضي لأنها ستفضحه.





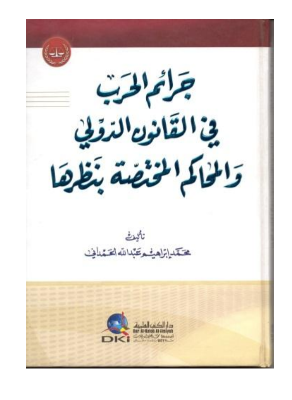


كتب أخرى للمؤلف

****



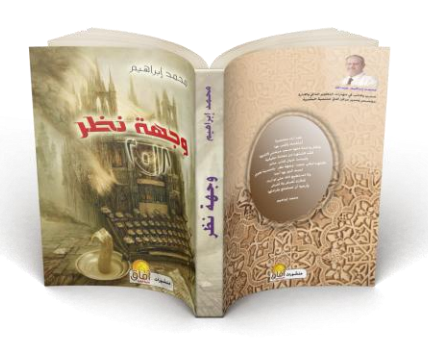
آفاق الحياة - الطبعة الأولى (٢٠١٣)



جرائم الحرب في القانون الدولي (٢٠١٤)

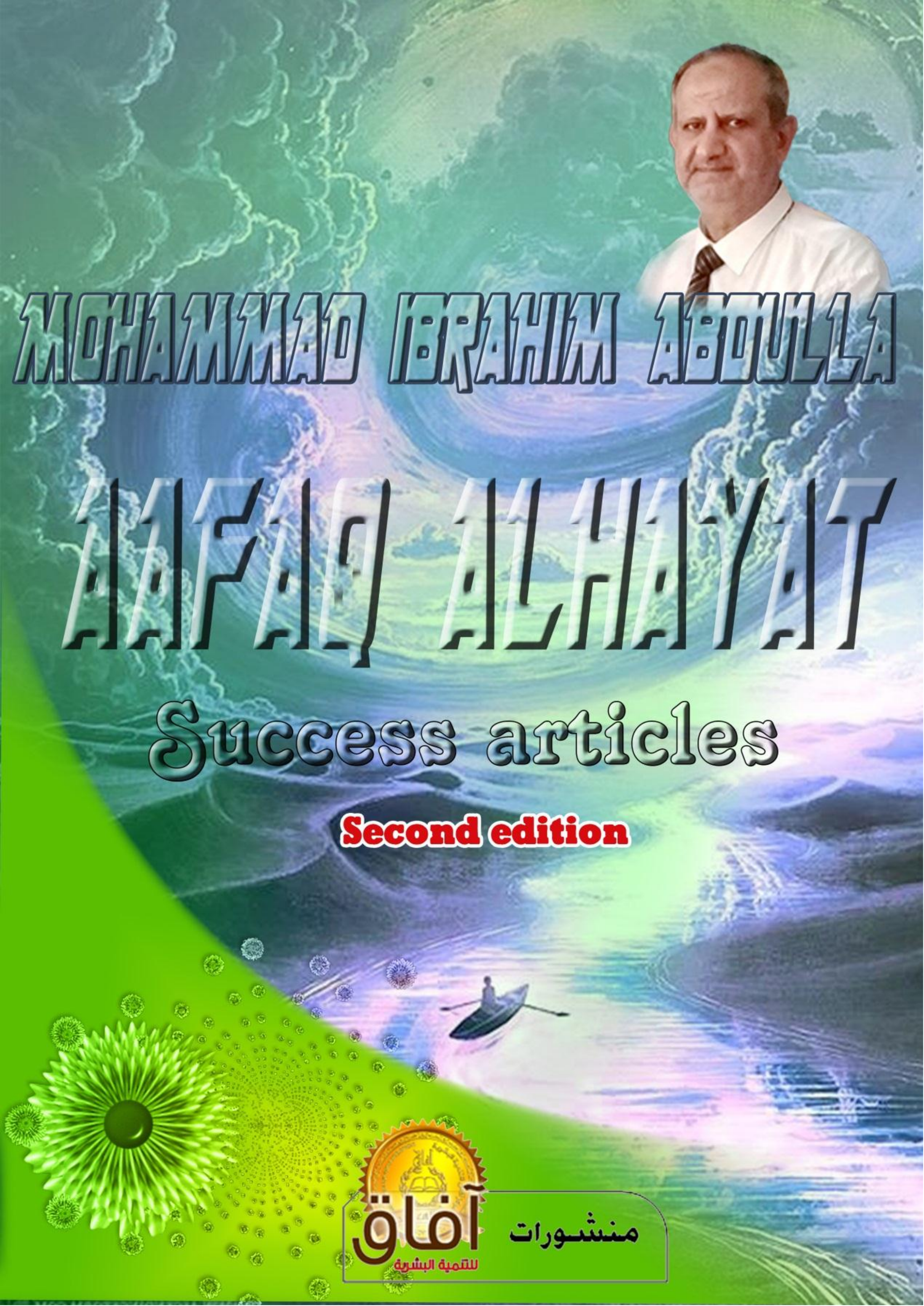


قصص قصيرة جداً (٢٠١٧)



وجهة نظر (٢٠١٨)




MOHAMMAD IBRAHIM ABDULLA
AAFAQ ALHAYAT
Success articles
Second edition
آفاق
للتنمية البشرية
منشورات